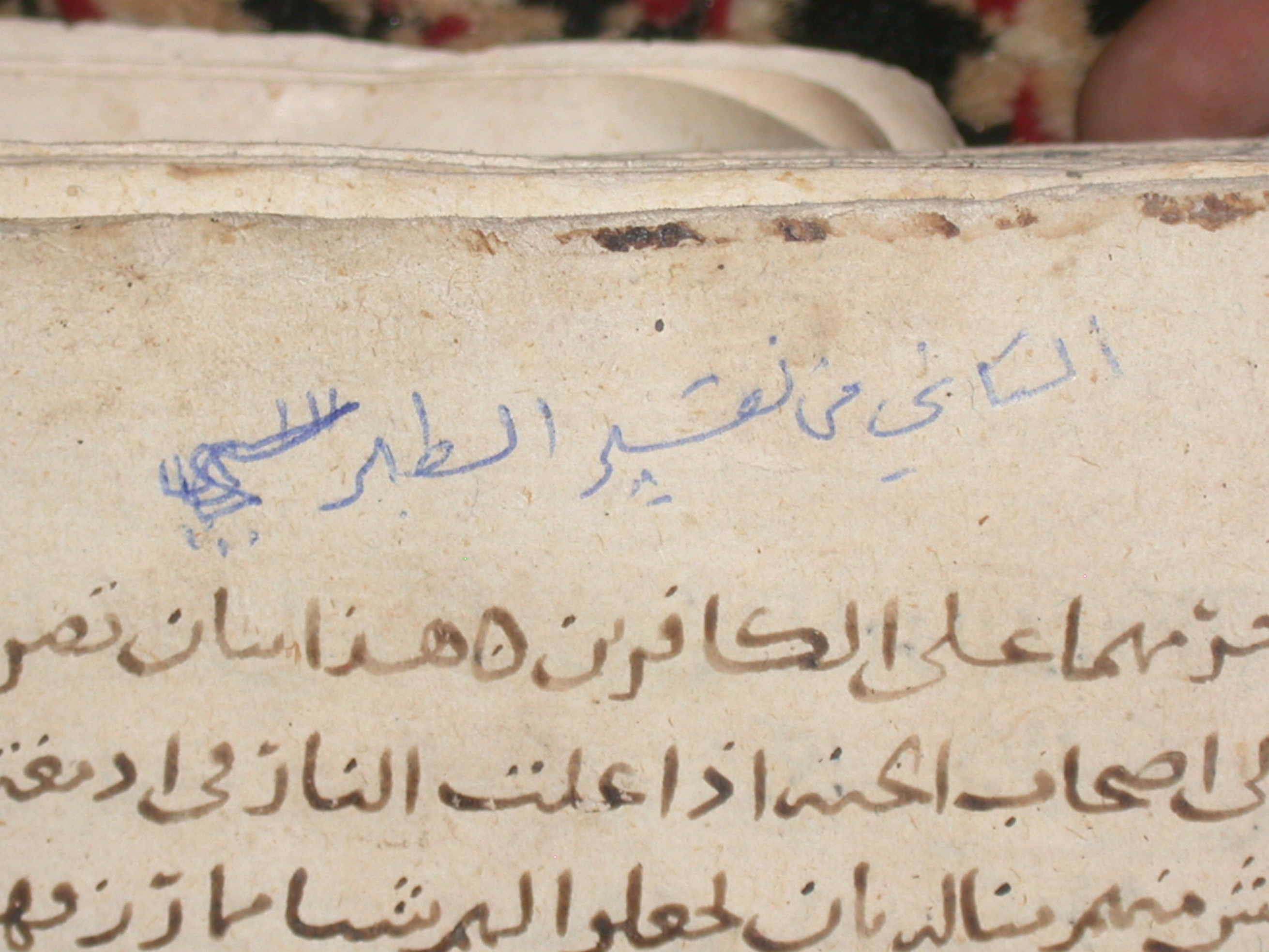


الثاني من تفسير الطبري

حرمهما على الكافرين ٥ هذا لسان تصر

لى اصحاب الجنة اذا علمت النار في ادعف

...منهم منا الدنيا ان جعلوا اليهم شيا ما رزقهم

وكتابا على علم بما انوالنياه وبين ان القران دلالة وجه ويسفا للمومنين
فخص المومنين بالذكر وان كان دلالة لجميع المكلفين مدحا
لهم على تمسكهم وانتفاعهم به دون غيرهم وموضع هذا من الاعراب
يحتمل النصب من وجهين الحال والمفعول له ويحتمل الجر على البدل
ويحتمل الرفع على الاستيناف وقوله جل اسمه هل ينظرون الا تاويله
النظر الانتظار ههنا وتاويل هو ما يؤول اليه الشي وحاله ومعناه ما
ينتظرون الا تاويله وهو عاقبته من الجزاء ه وقيل ما وعدوا فيه من
البعث والنشور والحساب والعقاب انما نسب الانتظار اليهم وان
كانوا جاحدين لانهم بمنزلة المنتظر للشي في اتيهم ذلك لا محالة اتيان
المنتظر له وقوله جل اسمه يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من
قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ه معناه اذا جاءتهم الساعة يقول
فيه الذين اعرضوا عنه وتركوا العمل به قد جاءت الرسل من قبل الله
بالحق فاقروا بما كانوا يجحدون له في دار الدنيا فاعترفوا بالحق حين
لا ينفع الاعتراف والحق هو ما يشهد بصحته الحق وقوله جل اسمه
فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل ه
معناه اذا شاهدوا العذاب تمنوا الشفيع او الرد الى دار
الدنيا ليعملوا بما كانوا لم يعملوا به من طاعة الله وقد مر
الخلاف في هذا الباب ما تقدم وارتفع او نرد عطفا على تاويل
هل يشفع لنا شافع او نرد الى دار الدنيا وفي هذه الاية حجة على
المجبرة في قولهم ان الكافر لا يقدر على الايمان لانهم لو كانوا
جاحدين في الدنيا غير قادرين على الايمان لكانوا تمنوا
الرجعة ليعملوا ما لم يقدروا عليه وفي هذا ايضا حجة على

الجبرية منهم في قولهم بتكليف اهل الاخرة وقوله جل اسمه
قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ه قد مر بيان
نظيره في غير موضع ه وقوله جل اسمه ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش ه معناه ان
مالككم وسيدكم هو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش ومعناه دفعات لضرب من الحكمة
والمصلحة وان كان قادرا على خلقها في اسرع من لمحة وقيل
ذلك على الايام يوم الجمعة ووجه الحكمة في خلقها في ستة ايام
شيئا بعد شي لاعتبار الملائكة عليهم السلام لان الله تعالى
علم ان اعتبارهم يكون اتم واكمل اذا شاهدوا حدوث شي بعد
شي من ان يشاهدوا وجود شي دفعة واحدة ه وقيل
خلق شيا بعد شي لان تدبير الحوادث على انشاء شي بعد شي
ادل على عالم مدبر يصرفه على اختياره ه ومعنى ثم استوى
على العرش بانه مستولي عليه بما وقع ه وقيل لم يزل مستوليا
على العرش لانه لم يكن عرشا قبل وجوده والاستوا الاستيلا
ههنا لان الاستوا الذي هو نقيض الاعوجاج لا يجوز على
الله تعالى وقد بينت وجوه الاستوا في اللغة تصريفا في سورة البقرة
فلا وجه لاعادتها ههنا وقوله جل اسمه يغشي الليل النهار
يطلبه حثيثا ه الغشية والاغشا الباس الشي ما يغطيه ويجلله
والحثيث السريع ه ومعناه ان الله تعالى جعل الليل لباسا
للنهار ويغطيه ويطلب الليل النهار سريعا ه وقيل حثيثا
مستمرا على منهاج من غير فتور يوجب الاضطراب كما يكون

في السوق الحثيث وطلب الليل النهار حثيثا على التقدير قدرة الله
وقوله جل اسمه والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ٥ معناه
خلق الشمس والقمر والنجوم وجعلها مسخرات لانه سخرها في مجاريها
على تقدير وبيان ذلك قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا
هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر
قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك
القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ٥ وقوله جل اسمه
الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ٥ لله الخلق بذلك
على ما هم عليه من الصفة من كونه قادرا عالما مدبرا حكيما وفصل
بين الخلق والامر لانه يفيد ما لا يفيده ذكر الخلق كانه قال له
الخلق وله ان يامر فيه بما احب ٥ ومعنى تبارك تعالى
بالوحدانية فيما لم يزل ولا يزال واصل البركة الثبات وكانه
ثبات الدوام وقد بين الله تعالى طريق وحدانيته والالهية
بذكر اوصافه الدالة عليه دون الاقتصار على ذكر اسمه
لان الاقتصار على الاسم من طريقة اهل الباطل كما بينه الله
تعالى لعبدة الاوثان حين سموا الاصنام آلهة وكانت معرية
صفات الالهية ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله
بها من سلطان الاية ٥ فاذا اقتضت الحكمة بيان الالهية بذكر
الاوصاف وجب في النبوة كذلك حتى ان من ادعى النبوة وتعرى عن
صفتها كان مبطلا وكذلك من ادعى الامامة وخلا عن اوصافها
وشرايطها كان ضالا جاهلا مقتصرا على الاسم دون الصفة
والاقتصار على الاسماء من طريقة اهل الباطل كما بينه الله تعالى

وقوله جل اسمه ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا
وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين ٥ نهى الله تعالى عباده
عن الافساد في الارض بقتل المؤمنين والاعتداء عليهم وما يجري في
الارض بمعاصي الله واصلاحها العمل بطاعة الله وامرهم بان
يدعوه خوفا وطمعا في الثواب وبين ان رحمته قريبة من المحسنين
والمراد به ان انعامه قريب من المحسنين فلذلك لم يؤنث لفظ
قريب ٥ واصل الرحمة النعمة كما بينا في اول الكتاب ودلت الاية
على بطلان قول من قال من المرجية ان الله تعالى يرحم الفاسق
والفاجر لان الله تعالى بين المحسن والفاسق غير تائب فلا
يكون محسنا وقوله جل اسمه وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي
رحمته ٥ معناه هو ان الله تعالى هو الذي يرسل الرياح قدام رحمته
يعني المطر فسماه رحمة لانه نعمة والنشر الرياح الطيبة اللينة التي
تنشر السحاب ٥ ولما اطلقت الرياح بحمل البشارة بالغيث كانها
قد انتشرت والنشر بالضم يحتمل ان يكون نشور كسكون وشكس
ويحتمل ان يكون مصدرا كالضعف ٥ ومنهم من يثقله كالحكم
ومنهم من يخففه وقوله جل اسمه حتى اذا اقلت سحابا ثقالا ٥ معناه
حتى اذا اقلت الرياح السحاب الثقال بالمطر واصل الاقلال حمل الشيء باسره
حتى يقال ذلك في طاقته احامل له لقوته وقوله جل اسمه سقناه لبلد
ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات ٥ معناه سقنا
السحاب الى بلد ميت وموت البلد دروس فوارعه ومشاربه حتى
يحدث الجدب به وقد مضى في سورة البقرة معنى اخراج النبات
من الارض بالمطر وقوله جل اسمه كذلك نخرج الموتى ٥ اي نخرج من

بطون الارض ويحشرهم الى موقف القيمة فشبه احيا الموتى باخراج
النبات من الارض الجدبة منبها على من قدر على اخراج النبات
من الارض احيا فتذكروا ولا تعتقدوا وقوله جل اسمه والبلد
الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا ٥
معناه ان الارض العذبة التربة تخرج الثمرة الطيبة والطيب هو ما فيه
اسباب للبلد والارض السبخة المالحة تنزع البركة منها ولا
تخرج النبات منها الطيب والحبوب النافعة واصل النكد العسر
وقليل هو القليل الذي لا ينتفع به وهذا مثل ضربه الله تعلى للمومن
والكافر بالارض العذبة والارض السبخة وقوله جل اسمه كذلك
نصرف الايات لقوم يشكرون نعمه لحق الشاكرين
مدحا وان كان تصريف الايات للجميع وقد مر بيان نظايره ٥
وقوله جل اسمه لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ٥ اخبر الله
تعلى انه ارسل نبيه نوحا عليه السلم الى قومه بالرسالة وان نوحا
عليه السلم ادا الرسالة وقال لقومه يا قوم اخلصوا العبادة
لله وحده لا شريك له فانه لا اله لكم سواه وقال اني اخاف
عليكم عذاب يوم القيامة ان عصيتموني وخالفتم امري وقوله
جل اسمه قال الملا من قومه انا لنراك في ضلال مبين ٥ اصل
الملا الجماعة من الرجال خاصة وقيل الملا الاشراف والروسا
والضلال ها هنا هو الذهاب عن الصواب الى الخطا ومعنى نرى
ها هنا قيل هو من الروية بالقلب التي هي العلم ومعناه نعلمك
ضالا ٥ وقيل من الراي وهو غالب الظن معناه نغلب على ظننا

انك ضال ٥ وقيل هو من الروية بالعين وكانهم قالوا انا نراك بابصارنا
على هذه الحالة فنسبوا بجهلهم نبي الله نوحا عليه السلم الى الضلال
جهلا وقوله جل اسمه قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب
العالمين من الله تعلى بما اجاب به نوح عليه السلم قومه لما قالوا
له ما حكى الله وجوابه انه قال لهم يا قوم ليس بي ضلالة وانما
انا رسول الله اليكم ورسول الله لا يكون ضالا ٥ وحسن ان يقال له
ضلالة ان هذا اللفظ يتضمن معنى عرض اي ما عرض لي ضلالة
وهو كما يقال به جنة وحذفت النون من لكني لاجتماع النونات ويجوز
اثباتها على الاصل ومن ها هنا ابتدا الغاية لان الله تعالى ابتدا
بالرسالة وقوله جل اسمه ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم
من الله ما لا تعلمون ٥ معناه ان نوحا عليه السلم قال لهم اني
رسول الله اليكم وانا ابلغكم رسالات الله وانصح لكم واعلم من الله
ما لا تعلمون وبما لا علم لكم به وجمعت الرسالة في هذه الاية ووحدت
في موضع اخر لان لفظ الرسالة يعبر تارة بالتفصيل وتارة بالجملة
على حسب المصلحة في ذكره فلما دعا قومه صلى الله عليه الى عبادة
الله وطاعته واجتناب محارمه والعمل بتفاصيل الشرع كان
هذا تفصيل رسالات الله تعلى في قوله واعلم من الله ما لا
تعلمون حث لهم على طلب العلم من جهته وتحذير مخالفته لما يعلم من
اسباب في القيامة والعقاب وقوله جل اسمه اوعجبتم ان جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون ٥
قيل فتحت الواو في قوله اوعجبتم لانها واو العطف دخل عليها الف
الاستفهام والكلام مستانف من وجه ومتصل من وجه ودخل

وقام
على هذا الاستفهام معنى التقريع فهو انكار وتقريع
على هاهنا مقام مع وكانه عليه السلام قال لهم على سبيل
التقريع اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم مع رجل منكم ليخوفكم من
عقاب الله ولكي يتقوا المعاصي فيرحمكم الله وينعم عليكم وهذا
كما تقال جاني الخبر على وجهه ومع وجهه وقيل الا دخلت في
هذا الكلام لان فيه معنى منزل فيقدر اوعجبتم ان جاءكم منزل
على رجل منكم وفي هذه الاية حجة على المجبرة في قولهم ان الله تعلى
لم يرد بهم الفوز والامان فالله تعلى يقول في هذه الاية خلاف
زعمهم وقوله جل اسمه وكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك
معناه ان قوم نوح عليه السلام كذبوه فيما ادى اليهم من الرسالة
فانجيناه ومن امن معه واخذنا المكذبين العذاب الشديد وهذا
حين اذن الله نوحا عليه السلام في الدعا على قومه وامره
باصلاح السفينة ليدخلها هو ومن امن به واغرق الباقين
بالطوفان وهو معنى قوله تعالى واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم
كانوا قوما عمين عن الحق وقوله جل اسمه والى عاد اخاهم هودا
قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون معناه
وارسلنا الى قبيلة عاد اخاهم هودا عليه السلام وانتصب اخاهم
بارسلنا ويجوز في اللغة في مثله الرفع على تقدير والى عاد اخوهم
هود مرسل وصرف هود لخفة اللفظ وبين ان هودا عليه السلام
قال لهم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيا فانه لا
اله لكم سواه وقال لهم على وجه الانكار والتقريع افلا
تتقون عذابه باجتناب الكفر والمعاصي فالالف في قوله
افلا الف انكار وقوله جل اسمه قال الملا الذين كفروا من
قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين من الله
تعالى ما قاله قوم هود له في الجواب فقالوا انا لنراك في سفاهة ونظنك
كاذبا فيما تقوله وتدعيه وانما قالوا لنظنك لم يقولوا لنعلمك
لانهم لو قالوا على تقدير انك تجري مجرى من اخبر عن غائب لا يعلم وهو
متهم في الخبر وقيل كان تكذيبهم اياه على الظن لا على اليقين
وقيل ان الظن على الظن ومعناه العلم الا انهم ادعوا انهم يعلمون انه
كاذب لعنهم الله وقوله جل اسمه قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول
من رب العالمين اجابهم هود عليه السلام جواب الحكما الكرما
بان قال لست سفيها ولكني رسول الله اليكم فاستدرك هاهنا
بلفظ لكن لان فيه معنى ما دعاني الى امركم السفه ولكن دعاني اليه اني
رسول من رب العالمين وقوله جل اسمه ابلغكم رسالات ربي وانا لكم
ناصح امين معناه اودي ما امرني الله باداية اليكم وانا لكم ناصح غير جائر
وقوله جل اسمه اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم
لينذركم قد مر بيان مثله في هذه السورة ولا وجه لاعادته
وقوله جل اسمه واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد قوم نوح
وزادكم في الخلق بسطة معناه واذكروا اذ جعلكم الله
سكان الارض من بعد قوم نوح وجعل تركيب اجسامكم اوفر
واعظم وقوله جل اسمه فاذكروا الا الله لعلكم تفلحون
ومعناه فاذكروا نعم الله ليجزل لكم الثواب واشكروه لتظفروا
بما تطلبونه من عند الله فهو حث على الشكر لله على النعم ليجزل
لهم الثواب وقوله جل اسمه قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر

ما كان يعبد اباؤنا ٥ معناه ان قومه قالوا له على وجه الانكار
والتكذيب له حيث تدعونا الى عبادة الله وحده وتنهانا عن
عبادة الاوثان التي كان يعبدها اباؤنا وقوله جل اسمه فاتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين ٥ هذا ايضا تكذيب له فيما توعدهم
به من العذاب لانهم استعجلوا نزول العذاب بهم فلو كانوا مصدقين
له لما استعجلوا به وانما قالوه على وجه الانكار والاستبعاد لما يقوله
وقوله جل اسمه قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ٥ معناه
وجب عليكم الرجس والغضب من الله والرجس العذاب هاهنا ٥
وقوله جل اسمه اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما
انزل الله بها من سلطان ٥ معناه قال لهم هود على وجه التقريع
تجادلونني في اسماء سميتم الاصنام بها ولم ينزل الله بذلك حجة
وبرهانا وقوله جل اسمه فانتظروا اني معكم من المنتظرين ٥ قال لهم
على التهديد بالعذاب والتحذير عنه انتظروا نزول العذاب بكم
فانا منتظر لذلك وقوله جل اسمه فانجيناه والذين معه برحمة
منا ولما نزل العذاب بقوم هود انجينا منه هودا والذين امنوا به
انعاما عليهم ورحمة وقوله جل اسمه وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا
وما كانوا مؤمنين ٥ معنى والذين كذبوا باياتنا ولم يكونوا مؤمنين
استاصلناهم عن اخرهم فاهلكناهم بالعذاب النازل بهم ونفى
الايمان عنهم زيادة لهم في الذم لانه معلوم ان المكذب بالايات
لا يكون مؤمنا وقوله جل اسمه والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ٥ معناه وارسلنا الى ثمود اخاهم

صالحا وهذه الاخوة اخوة النسب لا اخوة التي تكون من جهة
الديانة كما قال تعالى انما المؤمنون اخوة ليس صالحا عليه السلام
مقصودا وقومه كانوا كفارا فعلى هذا الوجه قال
امير المؤمنين علي عليه السلام في القوم الذين قاتلوه بصفين اخواننا
بغوا علينا فلم يرد به اخوة الاسلام والديانة لان الباغي والمحارب
للمسلمين واباهم لا يكون اخاهم في الدين وانما قال ذلك لانهم
كانوا من العرب فكانت الانساب متصلة والاسباب منقطعة
وفي غيره ثلثة اوجه من الاعراب الجر على اللفظ والرفع على الموضع
والنصب على الحال واجاز بعض النحاة الفتح على البناء والنكرة
غيره وقوله جل اسمه قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة
الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم
عذاب اليم ٥ معناه ان صالحا عليه السلام قد جاءتكم من الله دلالة
ظاهرة واية بينة وتلك الاية الناقة الخارجة من الجبل فامرهم
بتركها تاكل في ارض الله ونهاهم عن ايصال الضرر بها والايذاء
لها واخبرهم بانهم ان فعلوا شيئا من ذلك نزل بهم عذاب
اليم ٥ والاية التي كانت في الناقة خروجها من حجر املس
تمخضت بها كما تمخض المراة ثم انفلقت الصخرة عنها
على الوجه الذي كانوا طلبوها من نبيهم عليه السلام وكان
الماء الذي لهم مقسوما بينهم كان شرب يوم للناقة فتشرب
الناقة ذلك اليوم ماء الوادي كله حتى لا يبقى لهم شي وتسقيهم
اللبن بدله ٥ وكان ذلك ايضا من اعظم الايات وفي اليوم
الذي كان يخصهم لا تعرض فيه الناقة ماءهم وقوله جل اسمه

واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ٥
ذكّرهم صالح عليه السلام بما انعم الله عليهم منها ان الله
جعلهم سكان الارض من بعد اهلاك عاد قوم هود عليه
السلام ٥ ومعنى بوأكم مكّنكم من منازل يأوون اليها وقوله
جل اسمه تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا
بان اعطاكم من القدرة ما مكنكم معها نحت الجبال ونقبها
وقوله جل اسمه فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين
معناه فاذكروا نعم الله عليكم بالشكر له ولا تضطربوا في الامور
ولا تفسدوا في الارض وقوله جل اسمه قال الملأ الذين استكبروا
من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل
من ربه ٥ معناه قال الذين كفروا من قوم صالح للذين آمنوا
بالله وبنبيه صالح وكانوا المستضعفين في ايديهم ولايك الكفار
المستكبرين اتعلمون ان صالحا رسول الله ارسله اليكم وكانوا
قالوا هذا على وجه الانكار والاستبعاد وقوله جل اسمه قالوا
انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم
به كافرون ٥ معناه اجابهم المستضعفون بانا آمنا بصالح
عليه السلام واقررنا بما جاء به من عند الله انه صدق وحق فقال
لهم الكافرون المستكبرون انا كفرنا بما آمنتم به وقوله جل اسمه
فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم ٥ اصل العقر الجرح الذي يأتي على
اصل النفس والعتو التجاوز عن الحد ومعناه لما كفروا وكذبوا
صالحا قصدوا الناقة فعقروها وخالفوا امر الله فيها على وجه
التمادي وهو معنى العتو وقوله جل اسمه وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا

ان كنت من الصادقين ٥ ومعناه ما توعدهم صالح عليه السلام من نزول العذاب
اذا عقروا الناقة واستعجلوا نزوله انكارا له وتكذيبا به بان قالوا
لنا ان كنت رسول الله فأتنا بالعذاب الذي توعدنا به ونحن قد فعلنا ما حذرتنا عليه
وقوله جل اسمه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين ٥ اصل الرجفة حركة القرار
والمراد به شدة الزعزعة وكانت الرجفة التي اخذتهم الصيحة خارجة عن العادة وقيل
هي نار اهلكوا بها ٥ ومعنى جاثمين باركين على ركبهم موتى قد صاروا بهذه الصفة
بعد اخذ الرجفة لهم وانما وحّد لفظ الدار لان المراد بها البلد ومعناه فاصبحوا
في بلدهم جاثمين ٥ وقيل وحّد على طريق الجنس والمراد الدور وهو مثل قوله عز وجل
والعصر ان الانسان لفي خسر ٥ وقوله جل اسمه فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ٥ معناه فاعرض نبي الله
صالح عليه السلام عنهم آيسا منهم بعد ان اقبل الى دعائهم الى توحيد الله
وطاعته وقال لقد نصحت لكم وانكم لا تحبون الناصحين لكم
وانما لم يحبوا لانه كان ينهاهم عما فيه هلاكهم وقوله جل اسمه
ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من
العالمين ٥ ومعناه وارسلنا لوطا انتصب لوطا بارسلنا وقيل
انتصب على معنى واذكر لوطا ولا يجوز في عاد وثمود الا ارسلنا من
اجل ذكر لفظ الى في قوله والى عاد والى ثمود ومعناه وارسلنا
لوطا الى قومه فقال لهم على وجه الانكار والتوبيخ اتأتون
الفاحشة التي لم يسبقكم اليها احد من العالمين ٥ معناه وارسلنا
لوطا ينهى عن الفاحشة وهي هاهنا اتيان الذكران في ادبارهم
ودل قوله ما سبقكم بها على انهم احدثوا ذلك ولوط اسم اعجمي
عند بعضهم وقوله جل اسمه انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء

بل انتم قوم مسرفون ٥ معناه ان لوطا عليه السلم انكر عليهم فعلهم وهو
اتيانهم الذكران دون النسا وورد في القصة انهم كانوا
ينكحون في الادبار الا الغربا ولا ينكح بعضهم بعضا ثم قال لهم
بل انتم قوم مسرفون في الغلط بل ها هنا مع اجتماع القبحين من اتيان
الرجال والاسراف لانه اضراب عن الاولى التي جمعت المعايب
من اتيان الذكران وعبادة الاوثان وترك ما قام به البرهان ٥
وقيل يجوز ان يكون تقديره بل لا تسر افكم لا تعقلون وقوله جل اسمه
وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس
يتطهرون ٥ معناه لم يكن جواب قوم لوط عليه السلم الا قول بعضهم
لبعض اخرجوهم يعنون لوطا واتباعه فانهم يتطهرون عن اتيان
الرجال فعابوهم بالذي لهم فيه المدح والثنا ٥ وقيل معنى يتطهرون
يتنزهون عن اعمالكم ٥ وانتصب جواب لانه وقع الاسم موقع
الايجاب بعد الا وذلك ان ما قبلها اذا كان ايجابا كان
ما بعدها نفيا واذا ما كان قبلها نفيا كان ما بعدها ايجابا ٥٥
وقوله جل اسمه فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين ٥
معناه فانجينا لوطا ومن تابعه على دينه من قومه الا امراته من
العذاب النازل بقومه الا امراته كانت من الغابرين فانها لم
تتخلص من العذاب لكفرها ٥ ومعنى الغابرين الباقين ٥ وقيل كانت
من الغابرين من النجاة وقوله جل اسمه وامطرنا عليهم مطرا فانظر
كيف كان عاقبة المجرمين ٥ معناه وامطرنا عليهم الحجارة
فاهلكناهم بها وصفة تلك الحجارة مضمنة في قوله تعالى
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك [illegible]

الى الاعتبار بعاقبة امرهم بقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
وفيه الزجر عن مثل فعلهم وقوله جل اسمه والى مدين اخاهم شعيبا
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ٥ اي وارسلنا شعيبا
الى مدين فقال لقومه اعبدوا الله وحده فانه لا اله لكم غيره ٥
ومدين لا ينصرف لانه معرفة في حال معرفة ٥ وقيل اصله مدين
بن ابرهيم وهم من ولده وقيل لا ينصرف لانه اسم القبيلة وهو معرفة
وقيل يجوز ان يكون اعجميا وقوله جل اسمه قد جاتكم بينة من ربكم
فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياهم ٥ ومعناه قال
لهم شعيب يا قوم قد جاتكم من عند ربكم دلالة بينة وهي معجزاته
عليه السلم وامرهم بايفا الكيل والوزن ونهاهم عن بخس حقوق
الناس في الكيل والوزن وغير ذلك وقوله جل اسمه ولا تفسدوا
في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مومنين ٥ معناه
ولا تخرجوا الى العمل في الارض بالقبائح بعد اصلاحها بعد ان
اصلحها الله بالمحاسن فان ترك الفساد انفع لكم واصلح ان كنتم
مومنين بالله ورسوله وقوله جل اسمه ولا تقعدوا بكل صراط
توعدون وتصدون عن سبيل الله من امن به وتبغونها عوجا
وتبغونها عوجا ٥ وورد في القصة انهم كانوا يقعدون
على طريق من قصد شعيبا عليه السلم للايمان به فيخوفونه بالقتل
فنهاهم الله عن ذلك ٥ قيل وكانوا يقطعون الطريق على
الناس فنهاهم الله عنه وما كانوا يفعلونه مع الناس من صدهم
عن دين الله وكانوا يطلبون بذلك العوج وهو نقيض الاستقامة
في الدين وقوله جل اسمه واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم

وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ٥ معناه واذكروا
نعمة الله عليكم بان كثر عددكم ٥ وقيل كثركم بالغنا بعد الفقر
وقيل بالقوة بعد الضعف وان كانوا ضعفاء كان ذلك
بمنزلة الكثيرة ٥ وفي قوله تعالى فانظروا كيف كان عاقبة المفسدين تحذير
لهم عن المعاصي لئلا ينزل بهم ما نزل باولئك من قوله وانظروا انه
كان فعلنا بهم وكيف استاصلناهم بعصيهم بهذا التحذير والزجر
والوعيد وقوله جل اسمه وان كان طايفة منكم امنوا بالذي ارسلت به
وطايفة لم يومنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ٥ هذا
تسلية من شعيب صلى الله عليه لقومه والذين امنوا معه عما كان من
المخالفة من مشركي قومه ومناصبة العداوة فقال لهم ان اخر طايفة
من قومي بالله وبما ارسلني به وكفر طايفة فعليكم ايها المومنون بالصبر
الى ان يحكم الله تعالى بيننا وبينهم بانجاز ما وعد فيهم فانه لقد
خير الحاكمين وقوله جل اسمه قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا ٥ معناه
قال الذين امتنعوا من اتباع الحق لشعيب عليه السلام انفة وتكبرا
ان لم ترجع انت ومن تابعك الى ملتنا اخرجناك واياهم من قريتنا
وانت صنا بهددوه بذلك جهلا بالحق وبغضا له ٥ وانما قالوا لتعودن
وان لم يكن قط شعيب على ملتهم لان الذين امنوا بشعيب كانوا من قبل
على تلك الملة فجرى الذكر فيه على التغليب لكثرة الجماعة ٥ وقيل
قالوا ذلك على الظن والتوهم انه كان من قبل على دين قومه ٥ وقيل
جايز في اللغة ان يقال عاد على فلان من فلان مكروه وان لم
يسبق اليه منه مكروه والمراد به لحقه منه مكروه ٥ وتقديره

انه قد كان ذلك في قصيده له قال الشاعر
لئن كانت الايام احسن مرة الي لقد عادت لهن ذنوب
والملة الديانة التي تجتمع على العمل بها فرقة عظيمة والاصل فيه تكرر
الامر من قولهم طريق مليل اذا تكرر سلوكه ٥ وقيل اصل الملة
من الاملال وهو الاملاء من جهة صاحب الشرع وقوله جل اسمه
قال اولو كنا كارهين ٥ معناه فاجابهم شعيب عليه السلام
بانا كارهون لما تدعوننا اليه ولا نطاوعكم فيه ابدا وقوله تعالى
قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها
الافترا الاقتعال الاختلاق ٥ ومعناه لو كنا على دينكم لكنا
كاذبين على الله ومعنى نجانا الله منها لطف لنا حتى تجنبناها
ولم نخترها ولم ندن بها وقوله جل اسمه وما يكون لنا ان نعود فيها
الا ان يشاء الله ربنا ٥ معنى ذلك انه قد كان في ملتهم ما يجوز
ان يتعبد الله به وان كان في ملتهم عبادة الاوثان والله لا يشاها
ولا يجوز ان يشاها اصلا بوجه من الوجوه فوقعت المشية على ما
يجوز ان يرد التعبد من الله به دون ما لا يجوز التعبد به فكانه
قال ليس لنا ان نعود في شي من ملتكم الا ان يتعبدنا الله بمثل شي
منها مما لم يحظر التعبد به وقيل ذكر ذلك على وجه التبعيد كما
يقال لا يكون هذا حتى يشيب الغراب وحتى يلج الجمل في سم الخياط
ومعناه انه بعيد ان يشا الله ذلك فاذا لم يفعل لم يجز التمسك به
والاحتياط له والتدين به وقوله جل اسمه وسع ربنا كل شي علما
على الله توكلنا ٥ معناه ان الله تعالى عالم بكل شي ولا معلوم الا ويجب
ان يكون معلوما لله وعالم بمصالح عباده ونحن متوكلون على الله

متابعون ان مرة لا نفعل الا ما يشا ويختاره ويرضاه ووجه
اتصال قوله وسع ربنا كل شي علما بما قبله على تقدير ان الله
لو تعبدنا بذلك لتعبد به على حسب ما في معلومه من مصلحة العباد ٥
وقيل اتصال به على معنى ان الله عالم بما يكون منا من عود وترك
دموسا وقوله جل اسمه ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت
خير الفاتحين ٥ هذه حكاية دعا شعيب عليه السلم الله تعالى
بان يحكم بينه وبين قومه بالحق فانه خير الفاتحين ٥ ومعنى قوله بالحق
سوال الله تعلى ان يفعل ما يجوز لله فعله ٥ وقيل بالحق اظهار
ما يكشف لحالنا انا على الحق ومعنى الفاتحين الحاكمين يقال فتح
اذا حكم وقوله جل اسمه وقال الملا الذين كفروا من قومه
لين اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون اللام التي في قوله لين القسم
لانها دخلت على الفعل واللام التي في قوله لخاسرون لام الابتداء
معناه وقال الكبار من كفار قوم شعيب للاصاغر منهم لين اتبعتم
شعيبا فيما يدعوكم اليه وقبلتم منه ما يقوله خسرتم وهلكتم فبين
الله تعلى للعباد عظيم جهلهم بما حكى عنهم وقوله جل اسمه فاخذتهم
الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين ٥ معناه فلما استحقوا العذاب
بكفرهم ومخالفتهم شعيبا عليه السلم انزلنا العذاب بهم فاخذتهم
الرجفة وقد مر بيانها وهذه الثبوتة فلا وجه لاعادتها هنا ٥
وقوله جل اسمه الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها ٥ معنى
بالمكان اذا اقام به ٥ ومعناه ان الذين كذبوا نبي الله شعيبا عليه السلم
استاصلهم الله بالعذاب حتى كانهم لم يغنوا في تلك الديار اقامة
مستغنين بها عن غيرها ووجه التشبيه في قوله كان حال المكذبين

سببه حال من لم يكن قط في تلك الديار لما اخذتهم الرجفة بالاهلاك
وهذا اما يحسن عليه الناس اعظم الحسرة المتناهي وقول القايل حيث
يقول الغانيه كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر
وقول الاخر هم كانهم لم يجاوروكم ولم يغنوا بهم والوصال يولف
والنصب والدار جامعة والعيش غض والرسل تختلف
وقوله جل اسمه الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ٥ قيل
اعيد ذكر المكذبين لشعيب تغليظا للامر والشان في تكذيبهم
وقوله جل اسمه فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات
ربي ونصحت لكم فكيف اسى على قوم كافرين ٥ معناه فاعرض
عنهم شعيب بعد الياس من ايمانهم بعد ان اقبل عليهم بالدعوة والموعظة
الجميلة الحسنة وعز التعزية عنهم بقوله فكيف اسى على قوم كافرين
معناه فكيف احزن على الكفار والمستحقين لعذاب الله وحسن قوله لمن
هلك لقد ابلغتكم رسالات ربي لانها يزل بهم البلاء وان كان عظيما فلقد
كانجابهم على العقبهم وقوله جل اسمه وما ارسلنا في قرية من نبي
الا اخذنا اهلها بالباسا والضرا لعلهم يضرعون ٥ قيل معنى الباسا
هاهنا ما نالهم من الشدة في انفسهم ٥ وقيل الباسا الجوع والضرا
البلا والامراض والشدايد ٥ وقيل الضرا الجوع من الله تعلى
ان اخبر من الله تعلى على هذه الصفة التي بها العادة سنة
جارية في امر كل نبي اذا كفروا وجحدوا ومعنى لعلهم يضرعون
لكي يضرعوا وانقادوا عن المناهي الضار ٥ وقيل عاملناهم معاملة الشاك
في ارادة اسباب التضرع مظاهرة عليهم في الحجة وقوله جل اسمه
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا ٥ ومعناه هاهنا بدلنا

مكان الشدة الرخاء حتى عفوا معناه حتى كثروا والاصل في عفوا
الترك ه ومعناه تركوا حتى كثروا وقيل معنى عفوا سمنوا وقوله جل
اسمه وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم
لا يشعرون ه حكى الله تعالى عنهم ما قالوا لجهلهم فقالوا هكذا
عادة الدهر تارة ياتي بالضراء وتارة ياتي بالسراء فكذلك اصاب اباءنا
على ما نحن عليه كما كان اباؤنا فلما استمر الحال بهم الى ما حكيناه
عنهم اخذناهم بالعذاب مفاجأة من حيث لا يشعرون به ليكون
ذلك اعظم في باب الحسرة وابلغ في وجه العقوبة وقوله جل اسمه ولو
ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ه
من شان لو تعليق الثاني بالاول يجب الثاني لوجوب الاول وينتفي
بانتفائه ه ومعناه ولو امنوا واتقوا بترك المعاصي لفتحنا عليهم بركات
وهي البركات وهي الخيرات النامية فبركات السماء القطر وبركات الارض
النبات والثمار وقوله جل اسمه ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا
يكسبون ه معناه ولما لم يؤمنوا وكذبوا بايات الله ورسله اخذناهم
الله بعذاب الاستيصال وقوله جل اسمه افامن اهل القرى ان ياتيهم
باسنا بياتا وهم نائمون ه الالف في قوله افامن الف انكار ومعناه
لا ينبغي ان يامنوا عذاب الله ان ياتيهم بغتة ليلا وهم نائمون اذا كانت
حالهم في الكفر والتكذيب والمعاصي ما هم عليه وقوله جل اسمه
او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون ه معناه او امنوا
ان ياتيهم عذاب الله نهارا وهم في غفلة ودخلت الفاء في قوله
افامن اهل القرى لان الكلام متعلق بالاول وكانه قيل
افامنوا ان ياتيهم امر الله من اجل ما هم عليه من تضييع امر الله وفي

الاية الثانية عن وجوب الاخذ بالحزم في كل ما لا يؤمن معه هلاك
النفس وقوله جل اسمه افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا
القوم الخاسرون ه اصل المكر اخذ الغير بالضر من حيث لا يشعر
به احتيالا عليه وجاز اضافة المكر الى الله لان العقاب صار كالمكر
في الحقيقة لانه اخذ العبد بالضر من حيث لا يشعرون الا ان اللفظ يكون
مجازا اذا اضيف الى الله ه ومعنى الاية انه قيل على وجه الانكار على
القوم ما امنهم من عذاب الله وبين لهم انه لا يامن من عذاب الله الا
الخاسرون ودخلت الفاء في قوله افامنوا لعطف الواو لان فيها معنى بعد
كانه قيل ابعد هذا كله امنوا مكر الله ثم صارت الفاء في قوله
فلا يامن مكر الله كانها جواب لمن قال قد امنوا فقيل انا ولا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون ومعنى ان الانبياء عليهم السلام قد امنوا عذاب
الله لا انه امنه من جهة مواقعة الذنوب لا من جهة امنهم عذاب الله للعاصين
وقيل معناه فلا يامن مكر الله من المذنبين الا القوم الخاسرون ودليل
ذلك قوله تعالى ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون الاية ه وقيل
فلا يامن مكر الله جهلا بحكمه الا القوم الخاسرون ه واربع القوم
بعد ذكره الا هنا فاعل وصارت الرابع من قوة الله فكل ما فرغ للفعل
لما بعد الا فهو ملغا وكلما اشتغل بغيره فهي فيه مسلطه لان الاسم على
ذلك لوجه لا يتصل الا بها وقوله جل اسمه اولم يهد للذين يرثون الارض
من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ه معناه اولم يبين
الله لمن خلفوا القوم الذين استاصلهم انه لو نشاء عذبهم بذنوبهم
كما عذب من كان قبلهم وقوله جل اسمه ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ه
قد مر بيان الطبع والختم في غير موضع كما قال ختم الله على قلوبهم ه وقوله

بل طبع الله عليها بكفرهم ٥ وفي قوله لا يسمعون ذم لهم وتوبيخ
وقرئ اولم يهد لهم بالياء وفاعل يهد على هذه القراءة مضمر كانه
قيل اولم يهد الله لهم وقوله جل اسمه تلك القرى نقص عليك من
انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات ٥ معناه نقص عليك اخبار
الامم الماضية من اهل القرى الماضية من الاعنات بما كانوا عليه من الاغترار
بطول الامهال مع اتساع النعم حتى انهم توهموا انهم على صواب فيما
دعاهم اليه الشيطان بعد ان جاءتهم الرسل بالدلائل المعجزات ٥
وقوله جل اسمه فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل معناه
فلم يكن لهم الايمان فيما كان في معلومنا منهم انهم لا يؤمنون ابدا وهذا
بمنزلة قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ٥ وقيل معناه
انهم تمادوا في كفرهم حملهم على ان لا يفارقوا الكفر ولا يقبلوا
الايمان وقوله جل اسمه كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ٥
وجه التشبيه في ذلك انه لا آية على انهم لا يؤمنون ذما لهم وتوبيخا
لانهم لا يفلحون كالطبع على قلوب الكافرين الذين هم على مثل صفتهم
وقوله تعالى وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين
معنى وجدنا هاهنا ادركنا ٥ بين الله تعالى انه لم يجد من اكثرهم الوفا
بعهد الله وقد مر بيان معنى العهد في غير موضع في سورة البقرة وغيرها
وقوله تعالى وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ٥ معناه وجدنا اكثرهم
فاسقين خارجين عن طاعة الله قد دخلت ان هاهنا للتوكيد
وهي المخففة من الثقيلة ومثله وان كل لما جميع لدينا محضرون
واذا خففت جاز الغاؤها وهاهنا الغيت العمل ٥ وقيل دخلت في هذا
الكلام لاستغراق الجنس لانه اذا لم يوجد بعض العهد لم يوجد

الجميع لانه لو وجد جميعه لوجد بعضه ٥ وقيل دخلت على ابتداء
الجنس في اسماء وقوله جل اسمه ثم بعثنا من بعدهم موسى باياتنا
الى فرعون وملائه فظلموا بها ٥ معناه ثم بعثنا من بعد الانبياء الذين
تقدم ذكرهم موسى صلى الله عليهم جميعا بالآيات المعجزات الى فرعون
وقومه من الضمير الذي في بعدهم راجع الى الانبياء ٥ وقيل يعود الى
الامم الذين تقدم ذكرهم ٥ ومعنى فظلموا بها ظلموا انفسهم بجحد الآيات
وقيل ظلموا بان جعلوا بدل الايمان بها الكفر ٥ وقوله جل اسمه فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين ٥ معناه انظر بعين قلبك كيف كان عاقبتهم
لما كفروا وهو الغرق الذي ادركهم وموضع كيف من الاعراب نصب لانه
خبر كان وتقديره انظر اي شيء كان عاقبتهم وقوله جل اسمه وقال موسى
يا فرعون اني رسول من رب العالمين ٥ اذ موسى عليه السلام يقوله
لفرعون اني رسول رب يجب عليك طاعتي فيما ادعوك اليه ويلزمك
توقيري وتعظيمي لاني رسول رب العالمين ٥ ومن هاهنا لابتداء الغاية
الابتداء من المرسل الذي ابتدأ بالرسالة وانتهاؤها للمرسل اليه ٥
وقيل وزن فرعون فعلون في نظيره برذون والواو زائدة لانها
جاءت مع سلامة الاصول الثلاثة والنون زائدة ان للزوم ما بعدها
المثال ولزوم الحرف من شرط الزيادة ٥ وقوله جل اسمه
حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق ٥ قرا نافع وحده بالتشديد
والاضافة ٥ وقرا الباقون بالخفيف الذي هو حرف الصفة
فتقدير المشدد واجب علي ان لا اقول على الله الا الحق وتقدير
المخفف حريص على ان لا اقول على الله الا الحق وانما جاز على
اسم الله لان الاستعلاء فيه يرجع الى الصفات فكانه قال لا اقول

على صفات الله الا الحق وانتصب الحق كانه مفعول القول على
غير معنى الحكاية بل على وجه الترجمة عن المعنى دون حكاية
اللفظ وقوله جل اسمه قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي
بني اسرائيل معناه خلهم عن اعتقالك وكان فرعون قد
اعتقلهم للاستخدام في الاعمال الشاقة نحو ضرب اللبن ونقل
التراب وما اشبه ذلك وقوله جل اسمه قال ان كنت جئت
باية فات بها ان كنت من الصادقين معناه قال فرعون لموسى
عليه السلام ان كنت صادقا فيما تقول انه معك دلالة فات
بها فطلب فرعون البرهان على ذلك على طريق الياس من وقوعه
جهلا منه بحتى صار الى فضيحة لما اتاه موسى عليه السلام البرهان
الذي جاء به من عند الله وجاز نقل ان الماضي على المستقبل
لقوتها في النقل اذا كانت تنقل الفعل تعليلا الى الشرط والاستقبال
كما تنقله الى النفي والماضي وقوله جل اسمه فالقى موسى عصاه فاذا
هي ثعبان مبين معناه لما طلب فرعون اقامة البرهان القى
موسى عليه السلام العصا من يده فصارت حية عظيما [illegible]
ومعنى مبين من انه حية لا لبس فيه والثعبان من اعظم
الحيات ذوات في القصة ان ذلك الثعبان فتح
فاه وجعل القبة بين نابيه اعني قبة فرعون فاستغاث فرعون
لموسى عليه السلام ان ياخذه ففعل موسى وهذه معجزة باهرة
من بواهر الايات والمعجزات وقوله جل اسمه ونزع يده فاذا
هي بيضاء من غير سوء ومعنى السوء البرص ثم اعادها الى كمه
فعادت الى حالها الاولى وقيل كان في يده من النور والشعاع

ما لم يشاهد مثله في يد اخرى وكانت هذه معجزة اخرى
وقوله جل اسمه قال الملا من قوم فرعون ان هذا الساحر
عليم معناه لما بهره هذا البرهان ولم يمكنه دفعه
نسبوه الى السحر وقالوا ان موسى لساحر عليم وقوله تعالى
يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون معناه قال
الملا الذين هم الاشراف لقوم فرعون انما قال موسى
لفرعون ان ارسل معي بني اسرائيل ليجعل ذلك طريقا الى اخراجكم
من ارضكم والى ان يملككم بقومه اعدائكم عليكم وقوله
تعالى ماذا تامرون يحتمل ان يكون من كلام الملا على معنى
انه قال بعضهم لبعض ماذا تامرون ويجوز ان يكون ذلك
لفرعون على خطاب الملوك وهو ان يخرج خطابهم مخرج خطاب
الجماعة تعظيما لهم وعلى هذا الوجه خرج قوله قال رب ارجعون
ويحتمل ان يكون ذلك من كلام فرعون بتقدير قال فرعون
فماذا تامرون وموضع ماذا تامرون من الاعراب يحتمل
الرفع والنصب فالرفع ظاهر والنصب على تقدير اي شيء تامرون
وجعلها مع ذا بمنزلة اسم واحد وقوله جل اسمه قالوا ارجه
واخاه اي ارجه التاخير ومعناه قالوا لفرعون اخر موسى واخاه
وقيل احبسه وقوله جل اسمه وارسل في المدائن حاشرين معناه
وقالوا لفرعون ارسل الى جميع بلاد مملكتك من يحشر
السحرة اليك حتى يعارضوا موسى عليه السلام وقوله جل اسمه
ياتوك بكل ساحر عليم عامل الاعراب في ياتوك محذوف
وتقديره فانك ان ترسل ياتوك وصار ياتوك مجزوما

دن

لانه جواب الامر ٥ و معناه اذا ارسلت اليهم اتوك بكل
ساحر عليم بالسحر ٥ وقوله جل اسمه وجاء السحرة فرعون قالوا
ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين ٥ المحذوف في هذا الكلام
فارسل فرعون وجاء السحرة ومعناه فارسل الى السحرة
فحشروا اليه السحرة من مملكته وقال السحرة لفرعون
ان غلبنا موسى فهل يكون لنا عندك مكافاة ومجازاة
واجر ٥ وقوله جل اسمه قال نعم وانكم لمن المقربين ٥ معناه
ان فرعون قال لهم من الجواب نعم لكم عندي ما تطلبون
ولكم عندي من المنزلة انكم لمن المقربين ٥ وفي قوله وانكم عطف على
معنى الجملة كانه قيل نعم لكم ذلك وانكم لمن المقربين ٥ وقوله جل
اسمه قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ٥ قال بعض
النحويين لم دخلت ان في قوله اما ان لان فيه معنى الامر وكانه
قيل له اما القاؤك واما القاؤنا ٥ ومحل ان نصب وذكر
فيه تقدير اخر وهو اما القاؤك مبتدأ واما القاؤنا ٥ وقوله جل
اسمه قال القوا ٥ معناه قال لهم موسى عليه السلام القوا
وليس هو امر منه لهم بالالقاء لانهم كفار وانما قال لهم
على معنى ان كنتم محقين فالقوا ٥ وقيل فيه وجه اخر وهو
انه قال لهم القوا على ارادة القوا على ما يصح ويحسن لا على ما
يستحيل ويفسد ٥ فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم
وجاءوا بسحر عظيم ٥ معناه فلما القوا حبالهم وعصيهم قلبوا
اعين الناس عن صحة ادراكها بما حيل من ذلك الا موه المموه
بلطف الحيلة الذي يجري مجرى الخفة والشعوذة وهذا المعنى

مضمن في قوله تعالى يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى
قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها
تسعى ٥ وذهب جماعة من العلماء ان المحدث في الاعين لذلك
التخييل هو الله تعالى وكان اجرى العادة بان يفعل ذلك عند
فعل العبد الشعوذة كما اجرى العادة باماتة الطفل اذا جعل
تحت الثلج وانما نسب ذلك الى السحرة لانهم عرضوه لما لولا فعلوا
لم يقع ما وقع كما لو جعل الجاعل الطفل تحت البرد لم يقع الاماتة
ومعنى واسترهبوهم ادخلوا عليهم الرهبة بما فعلوه من السحر العظيم
ولذلك حكى ما دخل على موسى عليه السلام من ذلك بقوله فاوجس في
نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى ٥ وقوله جل اسمه
واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون ٥
التلقف الابتلاع والافك قلب الشيء عن وجهه ٥ وقيل الافك الكذب
ومعناه ٥ واوحينا الى موسى ان الق عصاك من يدك فانها تصير
ثعبانا وتلقف تلك الحبال والعصي التي عملوا افكهم فيها فقوله ما
يافكون المراد ما جعلوا الافك فيه ٥ وقوله جل اسمه فوقع الحق
وبطل ما كانوا يعملون ٥ معناه فلما القى موسى العصا عن يده ظهر
الحق وبطل الحبال والعصي التي عملوها للسحر ويكون ما ها هنا بمعنى
الذي والمراد بقوله ما يعملون المعمول فيه كما ان المراد بقوله
ما يافكون المافوك لان الافك كان في العصا والحبال التي عملوا الافك
فيها كانت اجساما والحية تلقف تلك الاجسام ويجوز ان
يكون ما ها هنا بمعنى المصدر على تقدير وبطل عملهم وقوله
جل اسمه فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ٥ معناه ان موسى

عليه السلام عليه ... فرعون عند ذلك الجمع وظهر خزيهم
ورجعوا اذلا صاغرين مبهوتين وقوله جل اسمه والقي
السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين معناه فلما راى
السحرة ذلك علموا انه ليس من ذلك من جنس فعلهم وحيلهم سجدوا
لله سجدة وعلا ايمانا به ولموسى صلى الله عليه وانما قيل القي وان كانوا هم
الفاعلين السجود لما راوا من عظيم ايات الله كانه القاهم ساجدين
بان دعاهم الى السجود والخضوع لله تعالى ه وقيل انهم لما راوا
ذلك لم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين فكانت ملقيا القاهم ولما عرفوا الحق
اقروا به وقالوا امنا برب العالمين وقوله جل اسمه رب موسى وهارون ه
قيل انما خصهما بالذكر وان كان الله رب غيرهما ايضا لان فيهم معنى
الذي دعا الى الايمان وهو موسى وهارون وقيل فضلا بالذكر
لشرف قدرهما على قدر غيرهما على طريق المدح والتعظيم وقوله جل اسمه
قال امنتم به قبل ان اذن لكم ه معناه قال فرعون للذين امنوا بالله
وبموسى عليه السلام امنتم به قبل اذني لكم فاوهم الملعون على العوام ان
الاقدام على الامر قبل اذن الملك منكر وليس عليهم انما فعله السحرة
باطل وهو ايمانهم بالله وبموسى صلى الله عليه وليس يدل هذا
على انه لم يكن عارفا بالله لان مثله قد يفعله المموه المحتال وقوله جل اسمه
ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون ه
اوهم الملعون ايضا ان ما فعلوه ولا يكن السحرة من الايمان انما كان عن
تواطي منهم بينهم وبين موسى طمعا في الاستعلاء على الملك ه ومعنى
فسوف تعلمون تهدد منه لهم وقوله جل اسمه لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين ه هدد فرعون القوم الذين امنوا

لقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وهو قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى
وهددهم بالصلب بعد القطع ه وقوله جل اسمه قالوا انا الى ربنا
منقلبون ه معناه المومنون في الجواب اي نحن منقلبون الى جزات سارا
سالكين بما وعدنا به فنتسلى بذلك ووطنوا انفسهم على الصبر لعلمهم
بان عذاب فرعون له انقطاع وعذاب الاخرة لا انقطاع له وقد
حكى الله تعالى عنهم هذا المعنى بقوله جل علا قالوا لن نوثرك على ما
جانا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة
الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير
وابقى وقوله جل اسمه وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ه ه
اصل النقمة الاخذ بالعقوبة وتقال ايضا في اللغة نقم منه ينقم اذا عابه
فهو انا ظهرت حجتهم على فرعون لما انقمنهم الى الحال التي لا يستحق بها النقمة
اللغة التي كان يعيبهم فرعون ويهددهم هي الايمان بالله وبايات الباهرة
الظاهرة القاهرة فسواله بما قالوا ان ليس احق ... دونهم وقوله جل اسمه
ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ه يقال افرغ عليه الدلو اذا
صب عليه دلوا من الماء ه ومعناه انهم سالوا الله تعالى ان يلطف لهم
ليستشعروا الصبر ويتمسكوا بطاعته الى وقت الموت فيقبضهم
الموت على حال الاسلام والايمان وقوله جل اسمه وقال الملا من
قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك ه
اي قال الاشراف والروساء من قوم فرعون اتترك موسى واتباعه
ليفسدوا في الارض والافساد هو دعاهم الناس الى المخالفة
فرعون اي يذرك والهتك يترك عبادتك وعبادة من يعبده ه
وروي ان فرعون كان يعبد الاصنام وعلى هذا الوجه عبد فرعون

قومه ٥ وقيل كان يعبد كل ما يستحسنه من البقر ولذلك اخرج
السامري عجلا جسدا له خوار ٥ وقيل كان لفرعون
اصنام يعبدها قومه تقربا اليه ٥ وقيل كان فرعون يُعبَد
ولا يَعبُد هو شيئا ٥ والنصب ويذرك على الظرف ٥ ويجوز ارتفاع
ويذرك على الاستيناف على معنى وهو يذرك ٥ وروي ان ابن عباس
قرا ويذرك والهتك اي عبادتك قال بعض العرب الالهة تانيث
الاله فقال الشاعر ٥ تروحنا من اللعبا قصرا فاعجلنا الالهة ان تووبا
يعني الشمس وقوله جل اسمه قال سنقتل ابناهم ونستحيي نساهم
وانا فوقهم قاهرون ٥ معناه ان فرعون قال لهم في الجواب نقتل ابنا
بني اسرايل ونترك بناتهم احيا للخدمة فاعرض اللعين في جواب قومه عن
ذكر موسى عليه السلم الذي ذكر قومه لما راه من قوة امر موسى صلى الله
تطمع فيه وقوله جل اسمه قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ٥
معناه ان موسى وعظ قومه تربيطا لجاشهم وتسلية عما اعتراهم من
الغم فامرهم بالاستعانة بالله وبالصبر على ما نالهم من جهد العدو
على مجاهدتهم وقوله جل اسمه ان الارض لله يورثها من يشا من عباده
والعاقبة للمتقين ٥ قيل معناه ان موسى اراد بذلك تسلية قومه بان
بين لهم ان الدنيا فانية وانها لا تبقى على احد لانها تنتقل من قوم الى
قوم اما محنة واما عقوبة ٥ وقيل اراد اطماعهم في الله يورثهم
ارض فرعون وقومه ٥ وروي ان السحرة لما امنوا اتبع موسى ستماية
الف من بني اسرايل ومعنى والعاقبة للمتقين اي نعم الاخرة
وكون امتنا لكون لمن كان تقيا في الدنيا وقوله تعلى قالوا
اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جيتنا ٥ معناه ان قوم

موسى عليه السلم قالوا ان فرعون في قومه اذونا من قبل ما جيتنا ومن بعد
ما جيتنا فقيل الاذى الذي كان من قبل هو قتل الابنا واستعباد ام
البنات وتكليف بني اسرايل الامور الشاقة والاذى الذي هو من بعد
هو الوعيد بتجديد العذاب وقيل هو اخذ الجزية منهم وهذا القول
كان تسخطا منهم لما وعدهم موسى عليه السلم بتجديد الوعد وحقيقه
عندهم وقوله جل اسمه قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الارض فينظر كيف تعملون ٥ معناه ان موسى قال لقومه في الجواب
ان الله تعلى يهلك عدوكم ويجعلكم خلفا من بعدهم في البلاد التي كانت في
ايديهم فينظر كيف تعملون بعد ما انعم عليكم بذلك وروي انهم
استخلفوا في مصر بعد موت موسى عليه السلم في التيه بفتح لهم
بيت المقدس مع يوشع بن نون ثم فتح الله لهم مصر وغيرها في
زمن داود وسليمان عليهما السلم وملكوها في ذلك الزمان على ما
وعدوا من الاستخلاف ٥ ومعنى فينظر فيعلم وقيل يرى وكلاهما
مجاز ومعناه انه يعاملكم معاملة من يريد ان يعلم شيا وقوله
جل اسمه ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الاموال والثمرات
لعلهم يذكرون ٥ معناه ان الله تعلى اخذ ال فرعون وهم القبط
بالقحط والجدب والجوع ونقص الثمرات ليتفكروا في ذلك فيومنوا
بالله وحده وبرسوله الذي ارسله اليهم ٥ وفي هذه الاية حجة على المجبرة
فيما ذهبوا اليه في الارادة لان الله قال فعلنا بهم ذلك ليتذكروا
ويومنوا وهم يقولون فعل ذلك بهم ليتكروا واراد منهم الكفر
بما فعل وقوله جل اسمه فاذا جاتهم الحسنة قالوا لنا هذه ٥ المراد
بالحسنة هاهنا النعمة والخصب والسعة في الرزق والعافية والصحة

والا لاحقة وما شاكل ذلك وهذا توبيخ لهم لان معناه اذا انعمنا عليهم
بعد الضر وبنا من النعم قالوا لنا هذه ومعناه انا نستحق ذلك
على العادة التي جرت لنا في سعة الرزق وسلامة الاحوال ولم يعلموا
ان الله فعله بهم ليشكروا فلم يشكروا في ذلك ليعرفوا انما يجب عليهم
من شكر الله المنعم عليهم ويقوموا بذلك حتى يسالهم الله ما اتاهم منهم
وقوله جل اسمه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه السيئة هاهنا
الضد ما يساء في الحسنة والتطير التشاوم ومعناه واذا اصابهم
قحط وجوع وشدة ومرض وضيق نسبوا ذلك الى موسى عليه السلام
وقالوا اصابنا ذلك بسببه وشومه **وقوله جل اسمه** الا انما طائرهم
عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون معناه ان الله تعالى هو الذي ياتي
بطاير البركة وطاير الشوم من الضر والنفع الذي يسمى الخير والشر
ثم نسبهم الى الجهل بذلك وبين انهم يقولون بجهلهم لهذه الامور
واسقاط العلم عنهم وانما قال طائرهم اجرا للنظم على النظم الذي
حكى عنهم ونظير هذه الاية قوله تعالى وان تصبهم حسنة يقولوا
هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل
كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا
محل قوله وان تصبهم حسنة محل قوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه
ومحل قوله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يا محمد محل
قوله وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ومحل قوله كل من
عند الله محل قوله الا انما طائرهم عند الله ومحل قوله فما لهؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا محل قوله ولكن اكثرهم لا يعلمون فليس
في الاية حجة فيما ذهبوا اليه **وقوله جل اسمه** وقالوا مهما تاتنا به من اية

لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين قيل اصل مهما ماما فادخلوا ما كما
ادخلوها في حروف الجزا وكيف هو بمعنى كيف دخلت على ما التي
للجزا ومعناه انهم قالوا لموسى عليه السلام لا نؤمن بك لان الذي
جئتنا به هو السحر والتمويه **وقوله جل اسمه** فارسلنا عليهم الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات فاستكبروا وكانوا
قوما مجرمين ذكر الله تعالى انواع العذاب التي ارسلها على فرعون
وقومه لما لم يؤمنوا بالله وبموسى وكان قبل الغرق والطوفان
سيل يعم الارض وواحدها طوفانة وقيل هو مصدر كالطغيان
والرجحان وقيل هو الغرق وقيل هو الموت وقيل هو امر من امر الله
طاف بهم والجراد معروف والقمل صغار الجراد التي لا اجنحة لها
وقيل هو السوس الذي يقع في الحنطة وقيل البراغيث وقيل كبار
القراد وهو الاصح والضفادع والدم معروفان وكل واحد من
هذه الامور لما ظهر استغاث فرعون بموسى صلى الله عليه وضمنوا
له اذا انكشف عنهم امنوا فلما انكشف عنهم نكثوا عهدهم واصروا
على كفرهم وياتي ذلك في قوله تعالى ولما وقع عليهم الرجز قالوا
يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
الى اخر الاية **وورد في الخبر** ان الجراد وقع في اطعمتهم وكذلك
الضفادع كانت توجد في انيتهم وفرشهم فاستنبتا [illegible] بذلك
فاما الدم فانه صار مياههم [illegible] دما وكان الاسرائيلي اذا اغترف
كان ماء صافيا فاذا اغترف القبطي كان دما وكان القبطي
يقول للاسرائيلي مج من فيك في فمي فاذا فعل ذلك تحول دما **وروي
في الخبر** انهم اذا كسروا الخبز خرج منه الدم وان طبخوا

قد بدّل الحول دماً ۝ وقيل كانت مكث من السبت الى السبت ثم
يرفع شهرا والمفصلات المبينات الظاهرات وكانت هذه
كلها معجزات موسى عليه السلام من تعلى الله ج ذلك كله
اصروا على الاستكبار والاجرام وهذا العجب الخارق من
فرط جهلهم **وقوله جل اسمه** ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع
لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك
بني اسرائيل ۝ الرجز العذاب وقيل هو الطاعون الذي اصابهم
مات به من القبط سبعون الف بعير ولما ظهر العذاب قالوا موسى
صلى الله عليه ادع لنا ربك بما تقدم اليك ان تدعوه به فانه يجيبك كما
اجابك في الآيات ۝ وقيل بما عهد عندك هو على معنى القسم لئن كشف
الله عنا هذا العذاب امنا بك وخلينا بني اسرائيل **وقوله جل اسمه**
فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون ۝ معناه
فلما كشفنا عنهم العذاب بدعاء موسى عليه السلام وامهلناهم ليقلعوا
عن المعاصي ويتوبوا الى الله نقضوا عهدهم واصروا على الكفر
والاستكبار والعامل في اذا هم ينكثون **وقوله جل اسمه**
فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا
عنها غافلين ۝ اليم البحر وقد مضت قصة فرعون وقومه وكيف
غرقهم في سورة البقرة فلا وجه لاعادته ۝ ومعناه انا انتقمنا
من فرعون وقومه بان اغرقناهم لانهم كذبوا باياتنا واعرضوا عنها
اعراض الغافلين ~~في الوعيد على الاعراض~~ العقلاء لعرضهم بها
حتى صاروا لا يسمعون الايات ۝ وقيل جاء الوعيد على الاعراض
عن ايات الله حتى صاروا كالغافلين **وقوله جل اسمه** واورثنا

القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي
باركنا فيها ۝ معناه واورثنا بني اسرائيل بعد ان كانوا مستضعفين
في ايدي القبط مشارق الارض ومغاربها بعد اهلاك من كان
بها وسوينا عليهما مع الحكم بان لهم ان يتصرفوا فيها وهي الشرق
والغرب ۝ وقيل هي ارض الشام ومصر ۝ وقيل هي ارض الشام وقيل
مصر وحدها والاول هو الاصح ۝ ومعنى باركنا فيها باخراج الزرع والثمار
وسائر ضروب المنافع ۝ وقيل بارك فيها بالخصب الذي جعل بها
وقوله جل اسمه وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا
اخبر الله تعالى انه اتم الكلمة التي وعد بني اسرائيل وهو انجاز الوعد
الذي تقدم باهلاك عدوهم واستخلافهم في الارض وانما كان
الانجاز تماما للكلام تمام النعمة به ۝ وكلمة الحسنى هي قوله تعالى ونريد
ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين
الى قوله منهم ما كانوا يحذرون ۝ وقيل انما قال الحسنى لانه وعد بما
كانوا يحبونه ويريدونه **وقوله جل اسمه** ودمرنا ما كان يصنع فرعون
وقومه وما كانوا يعرشون ۝ معناه وابطلنا ما كان يصنعه فرعون
وقومه وما كانوا يصنعون من الابنية والقصور ومعنى يعرشون يبنون
الابنية ۝ وقيل معناه يعرشون الكروم ۝ وقيل يعرشون الشجر والاسم
وانتصب مشارق لانه مفعول اورثنا وقيل انتصابها على الظرف على تقدير
واورثناهم الارض التي باركنا فيها في مشارقها ومغاربها والاول الظاهر **وقوله جل اسمه**
وقوله جل اسمه قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون ۝
اخبر الله تعالى ان قوم موسى لما [illegible] اوا ذلك قالوا لموسى صلى الله عليه اجعل لنا
الها كما لهم الهة نعبده كما هؤلاء الآلهة يعبدونها فحنوا الى التشبيه بعبدة الاوثان

وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم [illegible]

والاصنام شي كان في انفسهم فجاءهم موسى عليه السلام باب
قال لهم انكم قوم تجهلون لمثل الذي قالوه واقدموا عليه كان اعظم
الجهل وفي هذه الاية دلالة واضحة على رد تعجب من يسمع ما جرى بعد
رسول الله صلى الله عليه وعلى اله من الفتنة واصطهاد امير
المؤمنين على صلوات الله عليه وطلب القوم الرياسة لانفسهم
واعلمهم بنص النبي صلى الله عليه واعاب طاعته وذلك ان قوم موسى عليه
السلام كانوا مكلفين علامات اواخر معجزات موسى عليه السلام
وشاهدوها وراوا اهلاك عدوهم في البحر الذي خرجوا منه سالمين وشهد
من اظهرهم حتى طابر فقالوا في وجهه ما حكى الله عنهم وفي ذلك كان ابطال
توحيد الله الذي امرهم به وكلفهم اياه على لسان رسوله عليه السلام
فاي اعجوبة في ان يقول قوم من العرب مع اظهارهم التوحيد وتمسكهم
بالشريعة التي جاءهم بها نبيهم واستقبالهم قبلته وخرج نبيهم من اظهرهم
بالموت لوصى بينهم لسنا نرضى بتراث سك علينا ويختالون في ان الامر
عن طلب الرياسة لانفسهم وحسداله وهذا اقرب في السهل واليسر
ما حكى الله تعالى عن قوم موسى صلى الله عليه من طايل في المراء ولا حجة
في حسن الظن مع ظهور العلامات والامارات بل المرجع في مثله الى
الادلة الواضحة **وقوله جل اسمه** قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم
على العالمين معناه ان موسى قال لقومه على وجه التعجب والانكار
الطلب لكم معبودا غير الله والله فضلكم على عالمي زمانكم بضروب
التفضل وغير الله لم يفعل شيئا من ذلك وانتصب الها على الحال
والنصب غير على المفعول به وقيل انتصب الها على المفعول به والنصب
غير على الحال المقدمة التي لو تأخرت كانت صفة ولفظ الغير يتعدى الى مفعولين

وقوله جل اسمه واذ انجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب
يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قد مر
بيان نظيرها في سورة البقرة فلا معنى لاعادته هاهنا **وقوله جل
اسمه** وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه
اربعين ليلة معناه واعدنا موسى وعدناه انقضاء ثلثين ليلة توقيتا
للمناجاة ثم اتممناه بعشرة وقيل وعدناه ثلثين ليلة يتفرد فيها للعبادة
في المكان الذي وقت ثم اتممناه الى الاربعين وانما قال ثلثين ليلة واتممناها
بعشر ولم يقل اربعين لانه على تفصيل وعدناه شهرا او عشرة ايام وهي ذي القعدة
وعشر ذي الحجة وقيل وعدناه ثلثين ليلة يصوم فيها ويتفرد للعبادة ثم اتممت
بعشر الى وقت المناجاة وقيل انما قال فتم ميقات ربه وان كان ما تقدم
من الكلام دالا على هذا العدد للبيان الذي لا يجوز معه توهم المتوهم ان
الا تمام اتمام ثلثين بعشر منها كانه كان عشرين ليلة ثم اتم بعشر الى وقت
المناجاة وقيل انما قال فتم ميقات ربه وان كان ما تقدم من الكلام
دالا على هذا العدد للبيان الذي لا يجوز معه توهم المتوهم ان الاتمام
اتمام ثلثين بعشر منها كانه كان عشرين ليلة ثم اتم العشرة فصارت
ثلثين ليلة **وقوله جل اسمه** وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في
قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين وعظا له وتاكيدا للحجة
عليه بالسنة ودلت الدلالة على اشتراكهما في النبوة ولو لم يكن هذا
امرا ابدا على ما كان بانا لهرون عليه السلام من جهة الله تعالى
لهم لقوله اخلفني معنى وانما جاز ان يقول له ذلك لان الرياسة
كانت لموسى صلى الله عليه ولم يجز ان يقول مثله هرون لموسى عليهما
السلام وان كان هرون نبيا وهذا يدل على ان اول منزل كانت

لعلي من رسول الله صلى الله عليه هي الخلافة لانه صلى الله عليه قال
لعلي عند خروجه من المدينة في غير موضع انت مني بمنزلة هرون
من موسى الا انه لا نبي بعدي وهذا الخبر متواتر عند علما
الامة وهذا الخبر يتضمن منازل واشيا مخصوصة احدها
الخلافة وثانيها الوزارة وثالثها انه اولى الناس واحبهم
اليه وان الله يقوي به ظهره وانه يشد به الله
تعالى قال حاكيا عن موسى عليه السلام دعاه اياه بقوله قال
رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني
يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري
واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا
قال قد اوتيت سؤلك يا موسى فبين الله تعالى المنازل التي كانت
لهرون من موسى في هذه الاية وان الله سبحانه استجاب دعا موسى
في هرون عليهما السلام واعطاه سؤله فثبت لهرون منزلة الخلافة
من دون الخلق في زمانه اجمعين وثبت له الوزارة وكونه اولى
به وكونه مقويا له ولدينه الذي اتى به فثبت جميع ذلك لامير المؤمنين
من رسول الله صلى الله عليه ووجه الاستدلال بهذا الخبر
على اثبات امامة امير المؤمنين عليه السلام هو انه قد ثبت ان
موضع الا في اللغة لاخراج ما لولاها لوجب دخوله تحت المستثنى
منه فاذا قال صلى الله عليه علي مني بمنزلة هرون من موسى الا انه
لا نبي بعدي علم من مقتضى هذا الكلام انه لولا الاستثناء لوجب
دخول النبوة في هذه المنازل واذا كانت منازل تتسع فيها
النبوة فاذا اخرجت النبوة منها بدليل الاستثناء وجب دخول ما سواها

من المنازل الا ما اخرجه الدليل وانما كانت الخلافة ثابتة غير خارجة
منها بالدليل فاول ما ثبت لعلي عليه السلام هو منزلة الخلافة ثم ما تتبعها
مما نطقت الاية به وذلك لدلالة عليه وهذا النص واضح لا ريب
فيه الا من مالت به العصبية نعوذ بالله منها وكل ما يعترض به على
مضمون هذا الخبر وعلى تصحيح هذا الاستدلال لا يعترض اذا ضبطت
الدلائل على هذا الوجه لكن ما استدلت الشيعة به ايات وخبر
متواتر ومما يعترض به الخصم ان كان خبرا فهو من اخبار الاحاد وان
كان ايات فلا كان فاسدا تفسده الايات وقوله جل اسمه ولما جا
موسى لميقاتنا وكلمه ربه معناه ولما جا موسى عليه السلام الى الطور
للمناجاة وكلمه ربه من غير واسطة تفضيلا له وتشريفا وقوله
جل اسمه قال رب ارني انظر اليك قال بعض العلماء كان السؤال
من موسى على جهة الاستخراج للجواب لقومه لما قالوا لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة فاخذتهم الصاعقة والذي يدل على ذلك قوله تعالى
حاكيا عن موسى عند وقوع الصاعقة لاجل قولهم حتى نرى الله جهرة
اتهلكنا بما فعل السفهاء منا وذلك ان موسى صلى الله عليه لما انكر عليهم
ما قالوا وبين لهم ان الرؤية بالبصر تستحيل على الله لم يقبلوه فلما ابوه
ان يختار جماعة يحضرون معه الميقات ليشهدوا ويبصروا ما يخبر به
موسى اذا رجع وكان ذلك من فرط جهلهم وقد ذكر الله فرط جهل
قوم موسى في مواضع من كتابه احدها قولهم له فاذهب انت وربك فقاتلا
انا هاهنا قاعدون الثاني قوله حكاية عنهم اجعل لنا الها كما
لهم الهة والثالث قولهم ارنا الله جهرة والرابع ما روي انهم
قالوا له نحضر مناجاتك لنشهد وما يكون في وقت المناجاة ما
موسى سبعين رجلا استصحبهم فقالوا له عليه السلام عند ما كلمه ربه
سل الله الرؤية التي نراك فيها فوقع لهم ثم ما يكون من جواب الله

ختار

لك فسأل موسى ذلك على هذا الوجه ٥ وقال بعضهم انما سأل موسى
ذلك على جهة علم الضرورة وهو ان يحصل له العلم الضروري بالله
كما سأل ابراهيم عليه السلام من احياء الموتى وبين الله تعالى ان
ذلك لا يكون في الدنيا لانها دار التكليف ٥ وقال بعضهم كان
ذلك طلب رؤية بالبصر على غير جهة التشبيه وهذا الوجه بعيد
والذي عليه اكثر العلماء الوجه الاول **وقوله جل اسمه** قال لن
تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ٥ قوله
لن تقع على التأبيد يخرج الجواب على انه لا تراه ابدا ثم علق ذلك
بمحال ليدل به على ان ما سألوه كان محالا ٥ ووجه تعليقه بالمحال
قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه في حال ما ينظر
اليه فاعلم انك لن تراني وكان الجبل في حال نظره اليه
متدكدكا متحركا متزلزلا ومعلوم ضرورة ان الشيء في حال
ما يكون متحركا لا يكون مستقرا ساكنا واذا استحال ذلك
استحال ما علق به فكانه قيل له فكما يستحيل كون الجبل متحركا
ساكنا في حالة واحدة يستحيل رؤيتي بالبصر ولا فرق بين ان
يقول له ان تحرك الجبل في حال ما يسكن او سكن في حال ما
تحرك فانك تراني وبين ان يقول انظر الى الجبل فان استقر
في حال نظرك اليه فانك تراني ويكون حال نظره اليه حال الحركة
وقوله جل اسمه فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ٥ قيل التجلي
في اللغة الكشف والظهور والتجلي للشيء يكون على وجهين احدهما
تكشف ذاته للابصار بعد ما كان مستترا ٥ والثاني تجليه
بفعل من الافعال يدل عليه وان لم يره او حكم من الاحكام دال
عليه فاذا دلت الدلالة على ان ذاته سبحانه يستحيل عليه الستر

والظهور والعصمة لم يبق الا ان تجليه كان لضرب من الافعال
الذي احدثه فيه خضوعا والجبل لا بصر له ولا رؤية وكان ذلك
احد آياته الباهرة في الجبل الى ان ضرب الجبل حتى صار الجبل لاجلها
دكا ٥ وقيل فيه وجه اخر وهو انه ابرز للجبل من ملكوته ما دكدك
الجبل به دلالة على ان الدنيا لا تقوم لما يبرز من الملكوت الذي في
السموات ٥ **وروي في القصص** انه ابرز قدر الخنصر من العرش ٥ وبين
تعالى ان موسى عليه السلام لما ان اخذ عليه تلك الحالة خر صعقا مغشيا
عليه ولم يمت والدليل على ذلك قوله تعالى فلما افاق ٥ وقيل خر ميتا والاول
اصح وذلك ان الصاعقة وقعت في قومه فماتوا جميعا ثم ان الله تعالى
احياهم معجزة لموسى عليه السلام ولما افاق موسى من غشيته قال
الله تعالى حاكيا عنه سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين فزع عند ذلك
الى تنزيه الله تعالى والى التوبة ٥ قال بعض العلماء كان التوبة
منه لتقدمه المسألة قبل الاذن له فيه وقال غيره كان لفظه
بالتوبة على وجه التسبيح لله كما في العادة الفزع الى لفظ التسبيح والتوبة
عند رؤية الشيء الهائل العجيب وكل هذا الوجه حسن جائز ٥ وقوله
وانا اول المؤمنين قيل معناه وانا اول المؤمنين بانه لن يراك شيء من خلقه
وقيل وانا اول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الرؤية **وقوله جل اسمه**
قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ٥ معناه قال
الله تعالى لموسى صلى الله عليه يا موسى اني اتخذتك صفوتي واخترتك
رسولا الى عبادي واكرمتك بان كلمتك بلا واسطة وعلمتك الحكمة
واصل الاصطفاء الاستحقاق للصفوة لما الهمه لفضائله اصطفى
الله موسى لما له من الاخلاق الكريمة والافعال الجميلة حتى استحق
الرسالة واصل كلام الله تعالى عليه لتأييد الله تعالى كلمه تعليم
الحكمة من غير واسطة **وقوله جل اسمه** فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين

معناه ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام خذ ما اعطيتك واشكرني
عليه وقوله جل اسمه وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا
لكل شيء ٥ معناه ان الله كتب له في الالواح وكانت من جنس برلنتين
التمام من كل شيء محتاج اليه في دينه من الحلال والحرام والمحاسن في المصالح
والواجب وما ليس بواجب وقيل كتب له التوراة في الالواح وفيها من كل
شيء من الحكم والعبر وقوله جل اسمه فخذها بقوة وامر قومك يأخذوا
باحسنها ٥ معناه فخذها بجد واجتهاد وبالقوة التي اتاك الله اياها وقيل
فخذها بصحة وعزيمة وامر قومك يأخذوا بالحسن المحاسن وهي الفرائض
والنوافل وقيل يعني باحسنها الناسخ دون المنسوخ المنهي عن العمل بالمنسوخ
فسخ وقوله جل اسمه سأريكم دار الفاسقين دار الفاسقين هي
جهنم ٥ ومعناه سأريكم على ذكر لتحذروا ان تكونوا منهم ٥ وقيل
دار الفاسقين منازلهم ومعناه لتعتبروا بها وما صاروا اليه من النكال
بها وقوله جل اسمه سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض
بغير الحق الصرف النقل من الشيء الى جهة وجهته ومعناه سأصرف
عن آياتي المتكبرين على المؤمنين عن ان ينالوا العز والكرامة بالآيات
التي انزلتها على الانبياء عليهم السلام كما ينالها المؤمنون ذلك الصرف عقوبة
لهم على كبرهم وذهب المجبرة في معناها الى ان الله يصرفهم عن الايمان وهذا
غلط فاحش لان السين في قوله سأصرف للاستقبال واخبر الله تعالى
انهم تكبروا قبل الصرف فانما صرفهم لكبرهم وهذا انما على العقوبة والذي
قالته المجبرة يكون على سبيل الابتداء ومن الامر من غير تعمد ولان الامر بالايمان
مع الصرف عنه سفه والله تعالى عن السفه وقوله جل اسمه وان يروا كل آية لا
يؤمنوا بها ٥ معناه انهم لا يؤمنون بآيات الله التي يرونها ويشاهدونها
فدل ذلك على صحة ما ذهبنا اليه في التأويل لان الله تعالى وبخهم على ترك
الايمان بالله فلو كان صرفهم عن آياته ابتداء كان توبيخهم فيها

والله يتعالى عنه وقوله جل اسمه وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا ٥ وهذا ايضا توبيخ وانكار ومعناه وان يروا سبيل الرشد
وهو ما كان عليه الانبياء عليهم السلام يدعونهم اليه لم يتخذوه سبيلا
واعرضوا عنه وقوله جل اسمه وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ٥ معناه
وان رأوا سبيل الضلال وهو ما كان الكفار والجهال يدعونهم
اليه اتخذوه سبيلا وسلكوه وقوله جل اسمه ذلك بانهم كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين ٥ معناه انا فعلنا بهم ذلك لتكذيبهم
بآيات الله واعراضهم عنها وتطعنهم لا يبين ولها الى اخذها بالشرح
والبيان توبيخ القوم وتقريعهم وبان ذلك الصرف كان لكبرهم وكفرهم
فكيف يجوز ان يكون ذلك الصرف صرفا عن الايمان المأمور به ابتداء
من غير ما يوجب استحقاقه فدلت الآية على ان الصرف عن الايمان هو ما
ذهب اليه الموحدون من التأويل دون ما ذهب اليه المجبرة تعالى الله
عما يقوله الجاهلون علوا كبيرا ٥ وقرئ الرشد بفتح الراء والشين
وبرفع الراء وجزم الشين وفرق ابو عمرو بينهما فقال الرشد بالضم
الصلاح وبفتح الراء الاستقامة في الدين ٥ وقال الكسائي هما
لغتان بمعنى واحد كالحزن والحزن وقوله جل اسمه والذين كذبوا
بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون ٥
معناه والذين كذبوا بآياتنا وما وعدتهم في الآخرة تبطل حبطت اعمالهم
الحبوط ان الثواب العاجل يصير بمنزلة ما لم يعمله ومن بعد ان
ذلك الحبوط هو جزاء على ما عملوه وانه لا يجازيهم الا على اعمالهم السيئة
وهي الآخر ام التي اكتسبوها واستحقوا العذاب لاجلها وقوله تعالى
واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ٥ الخوار
صوت البقر ٥ قد بينا قصة السامري وما اقدم عليه من الجاز

العجل وكيفية الكلام فيه واختلاف العلماء في كيفية العجل في سورة البقرة
فلا وجه لاعادته ها هنا ٥ وسيأتي طرف من الكلام فيه في سورة
طه ان شاء الله. وقوله جل اسمه ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا
اتخذوه وكانوا ظالمين ٥ هذا التعجب للخلق من جهلهم ومعناه
ألم يروا الى العجل الذي اتخذوه معبودا من دون الله تعالى لا يهديهم
سبيلا ولا يستطيع كلاما فيدعو الى رشد ويصرف عن غي وكيف
يسوغ لعاقل ما هذا حاله معبودا ٥ ثم بين تعالى انهم كانوا ظالمين
لانفسهم بما فعلوه واتخذوه. وقوله جل اسمه ولما سقط في ايديهم
ورأوا انهم قد ضلوا ٥ يقال في اللغة للنادم على ما فعله ما كان قد
خفي عليه قد سقط في يده ٥ ومن العلماء في اللغة من قال لم تكن هذه اللفظة
مسموعة قبل القرآن ومنهم من قال انه كان مسموعا وذكر هذا اللفظ
في الواحد والجميع على سواء فلم يثن ولم يجمع الا المكني عنه فقالوا اسقط
في يده وسقط في ايديهم ٥ وقالوا سقط في يده اذا صار الذي يضره
في يده ومعنى سقط في ايديهم ها هنا وقع البلاء في ايديهم فكأنهم
وجدوه وجدان من يده فيه عند ما [illegible] حينئذ قبح ما فعلوه ومعنى
ورأوا انهم قد ضلوا فالرؤية ها هنا بمعنى العلم فكأنهم علموا انهم قد ضلوا عن
طريق الحق ٥ وفي الاية حجة على من زعم ان المحجوج لا يكون الا وهو عارف بين صفته
بانه سقط في ايديهم عند ما تبينوا من ضلالهم بعد علمهم انهم محجوجون حين كفروا
ذلك الضلال الذي ان لم يغفر لهم هلكوا. وقوله جل اسمه قالوا لئن لم
يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ٥ حكى الله عنهم
ما قالوا عند ندمهم وهو ان الله تعالى ان لم يغفر لهم كانوا
من الخاسرين ٥ وقيل اعترف جميع الضلال بعبادة العجل غير
هرون بدلالة قول موسى رب اغفر لي ولاخي ٥ وقيل عبد العجل

بعضهم بدلالة الوصف من النبي صلى الله عليه في مجهور ما القاه
اليه منه. وقوله جل اسمه ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا
معناه ولما رجع موسى صلى الله عليه من الميقات الى قومه وهو غضبان
حزين مغتم لاجل ما ارتكبوه من الامر المفظع الفظيع. وقوله جل اسمه قال
بئسما خلفتموني من بعدي ٥ معناه وقال لهم موسى مخاطبا بئسما
عملتم خلفي يقال في اللغة خلفه بما يحب وخلفه بما يكره ٥ ومعناه عمل
خلفه ذلك العمل. وقوله جل اسمه اعجلتم امر ربكم ٥ معناه انه قال
لهم على وجه الانكار اعجلتم وعد ربكم الذي وعدني من الاربعين ليلة
وقيل عجلتم بما وعدكم من الثواب على عبادته حتى عدلتم الى عبادة
غيره وتعبدتم ما لم تروه فعل بكم ما وعدكم من الثواب كفرتم. وقوله تعالى
والقى الالواح واخذ برأس اخيه يجره اليه ٥ معناه والقى الالواح من يده
بسبب ما دخل عليه من الغم بعكوفهم على العجل ٥ وقيل انكسر بعضها
لانها كانت من زمرد اخضر ٥ وقيل من ياقوت ٥ وقيل من خشب ٥ واخذ
برأس هرون يجره اليه وكانت عادتهم جارية تفعل عند التشديد والغموم
وقيل كان ذلك بمنزلة من يقبض منا على لحيته وشفته واصبعه ويضع
يده على رأسه عند الامتلاء من الغيظ وكان رأس هرون كرأسه
لا يستتر لكمالهما في سائر الاحوال وكان قبضه على رأسه كقبضه على
رأس نفسه وهذه العادة جارية بين ما بيننا ايضا وذلك ان الواحد
منا اذا اصابه غم قد يعانق قريبه فانه يسليه ويأخذ برأسه ٥
ومن قال ان موسى عليه السلم اخذ برأس هرون عند غضبه على ما جرت
العادة بيننا اذا ان اراد ان يستخف بغيره سفه موسى عليه السلم
ونسب اليه فعل ما لا يجوز على الانبياء من ذلك لان الاستخفاف بانبياء الله
كفر وبين انه لم يكن لهرون عليه السلم ذنب فيما جناه القوم وكيف

يجوز ان يستخف به موسى حتى يلزمه ما يستحمل ذلك على انبياء الله
فمن اضاف اليهم شيئا من ذلك فقد اخطأ خطاه واخرجه من الدين ما يعتقده
وقوله جل اسمه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني
فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين معناه ان هرون
اعتذر الى موسى من سكوته عن القوم وترك مقاتلتهم بان بين له
انهم اتخذوه ضعيفا وقصدوا قتله ثم سكن غليله وسلاه عما اعتراه
من قبيح فعال القوم بان قال له لا تاخذ بلحيتي ولا برأسي فيعد ذلك الجاهل
تلك الحال انك اخزيتني بمخزى القوم واستهنت بي وان في ذلك
اهانتي فيصير ذلك شماتة لي وظنا بانك اخزيتني بمجرى القوم الظالمين
ويصح بذلك ان ما فعله موسى كان من شدة ما دخله من الغم واستبد القصد
به ما لا يحل وان كان ذلك الظاهر يوهم المنافق والجاهل انه على وجه
الغضب عليه والاذلال قائمة على تبرئة الانبياء عما يقوله الجاهلون وكان
هرون اخا موسى من ابيه وامه وانما قال يا ابن ام على العادة الجارية في الاستعطاف
بالرحم والعرب تقول ذلك فهو عادتهم وانما صح ان يبني لكثرة اصطحاب
هذين اعني الاب والام حتى صار اعتبر له اسم واحد مع قوة الرأي على التفسير
وقيل هو على حذف الالف المبدلة من ياء الاضافة كما قال الشاعر
يا ابنة عما لا تلومي واهجعي وكان العباس يا ابن امي وقال الآخر
يا ابن امي يا شقيق نفسي انت خليتني لدهر كئود وفي
الاية حجة واضحة ما جرى ودلالة ظاهرة لامير المؤمنين علي صلوات الله عليه على قعوده
ولمن يقول انه لو كان اماما لما سكت عن القوم لين في ذلك
تعيير له وحاشاه عن ذلك مع الحال التي كانت له في الشجاعة وذلك
ان هرون كان نبي الله واخبر الى موسى انه صار مستضعفا مقصودا
بالقتل ولا يبطل ذلك نبوته في ايدي القوم مغلوبا وانهم قصدوا

قتله وصدقه الله في جميع ذلك وصدقه موسى وقبل عذره واذا
جاز ان يكون نبي الله مغلوبا في بعض الاحوال مستضعفا مقصودا
بالقتل ولا يبطل ذلك نبوته ولا يخل بها جاز ان وصيا او اماما وعجزا
وغير النبي اولى بذلك في احوال وقد روى جماعة من الثقات ان
امير المؤمنين عليه السلام احتج بذلك وهو على المنبر بالبصرة بعد فراغه
من حرب الجمل وذلك ان رجلين تنازعا بين يدي المنبر فقال احدهما
للآخر لو علم امير المؤمنين ان محاربته للشيخين حقا لفعل كما فعل مع عائشة
وطلحة والزبير فوقع ذلك في سمع امير المؤمنين عليه السلام فقال يا قوم
اني اقتديت في ذلك بستة انبياء الله عليهم السلام اولهم ابرهيم عليه
السلام حين قال لقومه واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي
عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا فان قلتم انه اعتزل قومه من غير
مكروه رآه كفرتم وان قلتم انه اعتزل قومه لمكروه رآه فانا اولى
واعذر والثاني نوح عليه السلام انه قال ما حكى الله تعالى عنه بقوله
تعالى فدعا ربه اني مغلوب فانتصر وروى انه قال والثاني موسى عليه
السلام حين قال ففررت منكم لما خفتكم الاية فان قلتم انه فر
موسى من قومه من غير مكروه رآه كفرتم وان قلتم انه فر من قومه
لمكروه رآه فالوصي اولى واعذر والثالث هرون عليه السلام حين
قال ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فان قلتم انه لم يستضعف
كفرتم وان قلتم انه استضعف وقصد قتله فالوصي اولى واعذر
والرابع لوط عليه السلام حين قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن
شديد فان قلتم انه قال ذلك من غير مكروه رآه كفرتم
وان قلتم انه لمكروه فالوصي اولى واعذر والخامس يوسف
عليه السلام حين قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه فان قلتم

انه اجابة السجن من غير مكروه اي كفيتم وان قلتم اجتنابا
السجن لمكروه اه فالوصي اولى واعذر والسادس محمد صلى
الله عليه وسلم نوى على فراشه وذهب الى الغار ه وهذا منهج
شافي في هذا الباب لمن انصف وقوله جل اسمه قال رب
اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ه حكى
الله دعاء موسى عليه السلام انه قال اغفر لي ولاخي هرون
وكان منا ما يوجب العتب واللائمة لانه لم يكن منه تقصير
في الانكار على عبدة العجل بقدر وسعه وطاقته ه وقيل ان موسى
عليه السلام من هذا الدعاء لبني اسرائيل انه لم ياخذ من اخيه على
جهة الغضب عليه وانما كان ذلك على حسب ما يفعله الانسان
من الجزع عند مكروه اه وسده اصابته ه ووجه اتصال وانت
ارحم الراحمين بالدعاء فوقع الراجي في النجاح طلبته لمن هو
ارحم الراحمين يؤمل الرحمة من جهته ومن هذا جواب لا جود بين
لمن يؤمل الجود من قبله مع الاسيا حر الى اسكالها والا نند الى الحق
يدعو الى ايمانها وقوله جل اسمه ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب
من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين ه في هذه الاية
محذوف وتقديره ان الذين اتخذوا العجل الها معبودا من دون
الله سينالهم الذلة والهوان في العقاب بما صنعوا الحذف لدلالة
الكلام عليه ثم بين تعالى ان هذا سبيل كل مفتر مثل
ما افتري به هولاء دين الله تعالى وقوله جل اسمه والذين عملوا
السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور
رحيم ه معناه ان الذين عملوا المعاصي ثم تابوا منها فان
الله تعالى يغفر ذنوبهم لما تقدم من الوعد البليغ عقيب الوعيد

البليغ بالمغفرة اذا تاب العاصي لئلا يقع الياس عن الرحمة
فان قيل امنوا بعد ذكر التوبة وان كانت التوبة انما تكون بعده
اذا تابوا من المعصية وامنوا بتلك التوبة ويحتمل ان يكون معناه وانما
تولوا عمل الايمان ه وقيل معناه وامنوا بان الله قابل للتوبة وقوله
جل اسمه ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها
هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ه يحتمل ان يكون معناه ولما
زال الغضب عن موسى عليه السلام لتوبتهم من كفرهم بعبادة العجل
ويحتمل ان يكون المراد ولما زالت فورة غضبه ولم يزل الغضب لانه
لم يخلص توبتهم بعد وكانه قال ولما سكت غضبه اخذ الالواح
التي القاها من يده وكان في نسختها دلالة ونعمة لمن كان خائفا
من عذاب الله بتركه المعاصي وانما جاز ان يقال لربهم يرهبون
ولم يجز يرهبون لربهم لانه اذا تقدم المفعول ضعف عمل الفعل منه
فصار بمنزلة ما لا يتعدى في دخول اللام عليه ه وقيل اذا كان يجمع
من اجله جاز دخول اللام تقدم او تاخر كما قال تعالى ردف لكم
بعض وقوله جل اسمه واختار موسى قومه سبعين رجلا
لميقاتنا ه قال بعض العلماء الميقات هاهنا هو الميقات الاول
لانه في سؤال الرؤية ه وقال غيره هذا الميقات هو غير الاول لانه كان
في التوبة من عبادة العجل فاختار موسى عليه السلام هولاء السبعين وخرج بهم
الى الميقات وورد في القصة انهم سمعوا كلام الله لموسى
فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم واياي من قبل ه المراد
بالرجفة هاهنا قيل دخل في قوله تعالى جعله دكا وخر موسى صعقا ه
ومعناه فلما اخذت الرجفة هولاء السبعين فقال موسى تضرعا الى الله
يا رب كنت قادرا على اهلاكنا قبل مجيئنا الى الميقات وقوله جل اسمه

أتهلكنا بما فعل السفهاء منا هو مخرج هذا الكلام مخرج الانكار
لانه بمعنى النفي ان يكون على هذا الوجه وكأنه قال انك ربنا
لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا فلهذا اسألك رفع المحنة
بالاهلاك عنا ٥ وقيل انما اخذتهم الرجفة لانهم كانوا
ممن سأل الرؤية جهرا لا من فعل السفهاء كان ذلك السؤال ٥
وقيل اخذتهم لانهم لم ينهوا عن العجل وفي هذا دليل على ان
سؤال موسى كان من جهة القوم لانه لو كان من جهة نفسه
لما قال بما فعل السفهاء منا وقوله جل اسمه ان هي الا فتنتك
تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ٥ اصل الفتنة في اللغة الامتحان
يقال فتنت الذهب والفضة في النار اذا ادخلتهما ليتميز الرديء
من الجيد وقد بينت حقيقة هذا اللفظ ومجازه في غير موضع
من هذا الكتاب فلا وجه لاعادته هاهنا ٥ والمراد بالفتنة هاهنا
شدة التعبد والتكليف وقد تسمى شدة التعبد فتنة ايضا كما
يقال الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا الاية وكان الله
تعالى شدد التكليف عليهم لانهم كانوا مكلفين بالصبر على ما نزل
بهم من الطاعة والرضا به ٥ والاضلال هاهنا بمعنى العقوبة
وهو الاضلال عن نيل الثواب ٥ والهداية هاهنا هداية الى الثواب ٥
ومعنى الاية ما هذه الرجفة الا فتنتك اي تشديدك في التعبد
وامتحانك بالصبر على ذلك فتضل بترك الصبر من تشاء عن نيل ثوابك
وهو العقوبة ٥ وتهدي بالرضا من تشاء الى ثوابك وهو الثواب ٥
وقيل الاضلال هاهنا التحير بالمحنة ليستقل صاحبه عن الضلالة
والهدى التبصير بالمحنة ليثبت صاحبه على الهداية وهذا في المعنى
قريب وان كان الاول هو الاظهر وقوله جل اسمه انت ولينا فاغفر

لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ٥ من تأول الاية على ان الذي يعلوه من
الكفر والضلالة كان من جهة الله وحملها على الفتنة على ما يحول به من وقوع
الفساد والهرج كان مبطلا لعدل الله وحكمته وسالكا مسلكا بعيدا
عن وجه الحق وقوله جل اسمه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
انا هدنا اليك ٥ معنى هدنا اليك تبنا واصله الرجوع يقال هاد اليه اذا رجع
ومعناه رجعنا بتوبتنا اليك ربنا ٥ ومعنى واكتب لنا هو مثل قوله حاكيا عمن
قال ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وانما قال اكتب لم يقل واجعل
لنا ما يكسب من ذلك لانه لا سيما اذا كان الكتابة خيرا بدوام النعمة وقوله جل
اسمه قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء ٥ فاما الدلالة
على ان الله تعالى لا يشاء ان يعذب الا من كان مستحقا للعذاب وكانه تعالى
قال اني لا اعذب الا المستحق وان رحمتي وهي نعمتي وسعت كل شيء ٥ فاما
الدلالة على ان الله تعالى لا يشاء ان يعذب الا من كان مستحقا للعذاب
وكانه تعالى قال اني لا اعذب الا المستحق وان رحمتي وهي نعمتي وسعت
كل شيء ٥ معناه اقدر على ان انعم على كل من يصح الانعام عليه ٥ وقيل هذه
الرحمة هاهنا خاصة للمومنين وقيل هي تعم البر والفاجر في الدنيا وفي الاخرة
وهي خاصة للابرار وقوله جل اسمه فسأكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة
والذين هم باياتنا يومنون ٥ معناه واكتب هذه الرحمة وهي رحمة الاخرة للمتقين
الذين كانوا يوتون الزكاة والحمد رحمه الله في الاخرة للمتقين الذين يوتون
الزكوة من اموالهم وكانوا مومنين بايات الله ٥ وقيل المراد بقوله هاهنا
ويوتون الزكوة هو تزكية النفس وطهارتها بالاعمال الصالحة وكانه قال الذين
يتقون ويطيعون الله ورسوله بالاعمال الصالحة وقوله جل اسمه الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ٥ معناه
قد وجبت هذه الرحمة للمتقين المومنين الذين يتبعون محمدا صلى الله عليه ويطيعونه
ويجدونه بعينه وصفته في التوراة والانجيل ٥ وقيل في الامي وجوه قيل
هو الذي لا يكتب ٥ وقيل هو منسوب الى الامة بمعنى انه على ملة الاسلام ٥ وقيل هو

منسوب

الى ام القرى وهي مكة فكانه قال يبعث الرسول المكي وهو محمد
صلى الله عليه وآله وقوله جل اسمه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم
والاغلال التي كانت عليهم ٥ معناه وهذا النبي الامي يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم ما طاب وطهر ويحرم عليهم ما خبث
ويضع عنهم الثقل الذي كان في تكليفهم من الامور الشاقة عليهم
وهو معنى الاصر وذلك كتحريم العروق وتحريم الشحم وغير ذلك وكانت
تلك الامور كالاغلال في اعناقهم لثقلها والاصر الثقل هاهنا
وقوله جل اسمه فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي
انزل معه اولئك هم المفلحون ٥ معنى عزروه عظموه ونصروه
ومنعوه عنه كل من اراد به كيدا او مكرا او مكروها والمراد بالنور
هاهنا القرآن وسمي به لانه يستضاء به من ظلمات الكفر والضلال ٥
بين الله تعالى ان من كان متبعا لمحمد صلى الله عليه وعظمه ونصره
وآمن بالقرآن المنزل عليه وعمل بما فيه كان ممدوحا فايزا بما وعد الله
المؤمنين في الآخرة لانه جاء صلى الله عليه وآله بالقرآن داعيا الى المحاسن
وزاجرا عن القبائح فمن استبصر في دينه بالنور الذي اتى به فهو الفائز
المفلح وقوله جل اسمه قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي
له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت دلت الآية على ان محمدا
صلى الله عليه كان مبعوثا الى كافة العقلاء من الناس لان الله تعالى
امره بان ذلك للناس ٥ وانتصب جميعا على الحال من ضمير المخاطب الذي
عمل فيه حرف الاضافة وهو اليكم والعامل في الحال معنى الفعل في الرسول
الا انه لا يتقدم على حرف الاضافة لانه صار بمنزلة العامل ثم بين الله تعالى
الذي بعثه الى الخلق هو الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو
وحده لا شريك له وهو القادر على الاحياء والاماتة ولا قادر على ذلك
غيره وقوله جل اسمه فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله

وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ٥ امر عباده ان يؤمنوا به وبرسوله
الامي وهو محمد صلى الله عليه وآله وبين انه صلى الله عليه هو الذي آمن بالله وكلماته
وهي جميع ما اوحى الله اليه وامر الله تعالى الناس كافة باتباع محمد المصدق
به في كل ما يدعو اليه وبين ان من اتبعه واطاعه كان مهتديا
وقوله جل اسمه ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون ٥ اخبر
الله تعالى انه كان جماعة من قوم موسى صلى الله عليه تمسكوا بالحق في
وقت عموم الباطل ٥ فذهب بعض العلماء الى انهم قوم كانوا وراء الصين
والى ذكر بعضهم واخبار فيه وجهين احدهما انهم كانوا قوما متمسكين
بالحق في وقت ضلال اكثرهم وهم الانبياء عليهم السلام ٥ والوجه الآخر
المراد به من آمن بمحمد صلى الله عليه وآله من قوم موسى عليه السلام كابن
سلام وابن صوريا وغيرهما وتقدير الكلام انه اذا كان من قوم
موسى امة يهدون بالحق فعلى كلامه ان يكون بهذه الامة الكريمة في هذا
المعنى وهذه الآية لا تدل على انه ينبغي ان يكون في كل زمان امة هادية
من قوم موسى عليه السلام لانه لا يصح الكلام ما يوجه الى هذا المعنى
كما يصح الكلام في امة محمد صلى الله عليه من الحال التي اخذ العلم عنهم
في كل زمان ٥ وذكر وهب بن منبه انه وجد في بعض كتب الله تعالى
ان ذا القرنين لما فرغ من عمل السد انطلق على وجهه في مسيره باقوام
شتى ورأى العجائب وكان فيما انتهى اليه شيخ كان يقلب جماجم
الموتى فوقف عليه بجنوده ثم قال له اخبرني لاي شيء تقلب هذه الجماجم
فقال لا اعرف الشريف من الوضيع والغني من الفقير فما عرفت واني لاقلبها
منذ عشرين سنة فسار حتى بلغ الى الامة العادلة من قوم موسى عليه السلام فلما
رآهم قال لهم ايها القوم اخبروني خبركم فاني درت الارض شرقها وغربها
وبرها وبحرها وسهلها وجبلها فلم ار مثلكم فاخبروني ما بال قبور موتاكم
على باب داركم قالوا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت ولا يخرج ذكره
من قلوبنا قال فما بال بيوتكم ليس عليها ابواب قالوا ليس فينا لص

ولا طيش ولا سفه فينا الا امين قال فما لكم لا يسمع عليكم امر قالوا
لا نستطيل قال فلم لا يبينكم احكام قالوا لا نختصم قال فلم ليس فيكم
ملوك قالوا لا نتكاثر قال فلا تتفاضلون ولا تتطاولون قالوا لانا متوا
سون متراحمون قال فلا تتنازعون ولا تختلفون قالوا من قبل الف
قلوبنا وصلاح ذات بيننا قال فلا تسبون ولا تقتلون قالوا لانا غلبنا
طبائعنا بالعزم وسسنا انفسنا بالحلم قال فكلمتكم واحدة وطريقتكم
مستقيمة قالوا لانا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضا
قال فليس فيكم مسكين ولا فقير قالوا نقسم بالسوية قال فليس
فيكم فظ غليظ قالوا من قبل الذل والتواضع قال فلم جعلكم الله اطول
الناس اعمارا قالوا انا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل قال فما لكم لا
تقحطون قالوا من قبل انا لا نغفل عن الاستغفار قال ولا تحزنون قالوا
لانا وطنا انفسنا على البلاء قال فلا تصيبكم الآفات قالوا لانا
لا نتوكل على غير الله ولا نستمطر بالانواء والنجوم قال حدثوني كذا
وجدتم اباءكم يفعلون قالوا وجدنا اباءنا يرحمون مسكينهم ويواسون
فقيرهم ويعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من اساء اليهم ويستغفرون
لمسيئهم ويصلون ارحامهم ويؤدون اماناتهم ويصدقون ولا يكذبون
فاصلح الله بذلك امرهم قال فاقام عندهم ذو القرنين حتى قبض رحمه الله
وكان له خمسمائة عام وقوله جل اسمه وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا
امما قال بعض العلماء السبط ماخوذ من السبوط فيكون السبط
على هذا المعنى الجماعة التي تجري في الامر بسهولة لاتفاقهم في الكلمة
وقيل هو ماخوذ من السبط وهو ضرب من الشجر فجعل الآباء الذي
تجمعهم كالشجرة التي يتفرع منها الاغصان فكانت الاسباط اثني
عشر رجلا من ولد يعقوب عليه السلام تفرقوا لاختلاف
دينهم وهو معنى قوله وقطعناهم وقيل انما فسر العدد بالجمع
فقيل اسباطا ولم يقل سبطا لانه بدل الاثني لا التمييز على تقدير

وقطعناهم اسباطا وقيل هو على معنى ان كل قسم اسباط لا الواحد
يجوز ان تقول لهم سبط فيجوز على هذا الوجه عندي عشرون دراهم
على ان لهم قسم منها دراهم فيقال كثيرة
على ذو والثلثة من بنيه هم الاسباط ليس بهم خفا
فسبط سبط ايمان وبر وسبط غيبته كربلا
وقيل هو على اقامة الصفة مقام الموصوف على تقدير وقطعناهم اثنتي
عشرة فرقة اسباطا وقيل اثنتي عشرة وان كان لفظ السبط
مذكرا لان معناه اثنتي عشرة فرقة ثم حذف وقيل معناه وقطعناه
قطعا اثنتي عشرة ثم حذف وقيل السبط لما وقع على الامة انث قال
وان كلابا هذه عشر ابطن وانت بريء من قبائلها العشر وقوله
جل اسمه واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر
فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام
وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا
ولكن كانوا انفسهم يظلمون قد مر نظير هذه الاية وقصة القوم في حين
التيه في سورة البقرة فلا وجه لاعادته هاهنا وقوله جل اسمه واذ قيل
لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم رغدا وقولوا حطة
وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين قد مر ايضا
بيان نظير هذه الاية في سورة البقرة وهذه القرية قيل هي بيت المقدس
وقيل ارض بالشام وقيل انما ارتفع حطة على معنى مسالتنا حطة او
مطلوبنا حطة واسجدوا سجدا على الحال من دخول الباب وقال بعض
العلماء ليس سجدا بالدخول الباب لانهم بدلوا القول في حيوة موسى عليه السلم
ودخلوا بيت المقدس بعد موسى وقال غيره هذا لا يلزم لانه لا حجة فليس
التبديل لم يكن بعد موسى وقوله جل اسمه فبدل الذين ظلموا قولا غير
الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون
قد مر بيان هذه الاية ايضا في سورة البقرة وقوله جل اسمه واسالهم عن

القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم
يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا
يفسقون ٥ معناه سلهم يا محمد سوال توبيخ لا سوال استفهام على ما
كان منهم في امر القرية والحيتان من فاحش الخطيئة والشنيع السيئة
فهولاء سلكوا سبيل اسلافهم في المخالفة وارتكاب المعصية ٥
ومعنى شرعا على الماء وكانت هذه حال الحيتان يوم السبت وفي
غير السبت لا ياتيهم الحيتان وهو معنى قوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم ٥
وقيل كانت الحيتان تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض
وكان الله تعالى حرم عليهم صيدها واخذها يوم السبت فخالفوا
امر الله وتعدوا ما حل لهم فيه ٥ وبين الله تعالى انه يبتليهم اقضى
تغليظ المحنة في تكليفهم بظهور السمك بحيث يعظم اخذها
ويحرم اخذها عليهم وهو معنى قوله كذلك نبلوهم بما كانوا
يفسقون ٥ وتلك القرية هي ايلة وقيل مدين وكلتا الروايتين عن
ابن عباس وقوله جل اسمه واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله
مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم
يتقون معناه لما خالف القوم امر الله وعظهم جماعة منهم كانوا اهل
الحق وخوفوهم بالهلاك والعذاب فلم ينجع
الوعظ فيهم فقالت فرقة منهم للواعظين
لم تعظون قوما الله مهلكهم قالوا ذلك
لعلمهم بان الوعظ لا يزجرهم وانهم مقيمون
على تلك المعصية حتى ينزل العذاب بهم
وقيل الواعظون هم الناجون ٥
وقيل هلك الجميع وقيل نجت فرقة

وهم الذين ائتمروا لامر الله وانتهوا عما نهاهم عنه وهلكت فرقة وهم الذين
اخذوا الحيتان ٥ ومعنى قالوا معذرة الى ربكم ٥ اي انا انما نعظهم لانه
عذر عند الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكي يتقي هولاء الذين
نعظهم ٥ وقيل انما ارتفع معذرة لانه بمعنى موعظة ولو انتصب جاز بمعنى اعتذارا
الى ربكم والرفع اجود عند بعضهم لانه اخبار عما عليه الموعظة من اجل الموعظة
والغرض فيما [illegible] وقوله جل اسمه فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين
ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ٥ معناه
فلما اعرض اولئك الموعوظون لنسيان ما وعظوا به وقيل لما تركوا ترك الناسي
انجينا من العذاب الواعظين الناهين عن المنكر واخذنا بالعذاب الشديد
المعتدين الظالمين فدل هذا على ان الفرقة الواعظة نجت وهلك الباقون
وهو معنى قوله واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ٥ قرا
نافع بيس بكسر الباء من غير همز وسوف وقوله جل اسمه فلما عتوا عما نهوا
عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين اصل العتو الخروج الى الجرأة على الحنث
الذنوب ٥ ومعناه فلما طغوا بعد الزجر وان تركوا ما نهوا عنه عن ساهم
بان مسخناهم قردة مطرودين مغلوبين فصاروا قردة لها اذناب يتعادوا
بعد ان كانوا رجالا ونساء وخرج لفظ كونوا على صيغة الامر وان
كان معناه كوناهم ليدل ذلك على انه بمنزلة قول القائل كن فانه لا
يلحق به تعب ولا نصب ٥ وقد مر بيان ذلك في سورة البقرة وروي عن
ابن عباس انه قال لم ينسل اهل مسخ قط واجازه الحسن البصري والمختار
قول ابن عباس لان القردة الان ليست من ولد ادم كما ان الكلاب ليست
من ولد ادم وقوله جل اسمه واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة
من يسومهم سوء العذاب ٥ معناه واذ علم ربك انه يبعث على اليهود
من يذلهم ويعذبهم ويسومهم الصغار الى يوم القيامة ٥ وقيل معنى
تاذن اقسم قسما يسمع بالاذان ٥ والذين بعثوا عليهم هم العرب بعثوا على
اليهود بالذلة والخزية فدلت الاية على انه لا تكون عز لليهود واما ما روي

... ات الرجال اذا احتج فاكثر مستحبيه اليهود ٥
فان قال قايل هل يكون لهم عز ساعه اذا اعلنوا ٥ الجواب
عنه انهم ما دام امولت متمسكين باليهوديه فلا عز لهم
بظاهر الايه والذلة لان مسلهم وان خرجوا من اليهوديه في
وقت الدجال وادعوا الربوبيه وتغلبوا فسيعيد المسلمين حسده ٥
وقوله جل اسمه ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم معناه
ان الله سريع العقاب لمن استحقه وهو غفور رحيم لمن استحق
المغفره ووصف نفسه بانه سريع العقاب على تعذيب اهل
لان عقابه ات لا محاله ٥ وقيل سريع العقاب لمن استحق
تعجيله في الدنيا لانه لا يتاخر عن وقت اراده ٥ وقوله جل اسمه
وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ٥
معناه فرقناهم على ما علمنا انه اصلح لهم في دينهم فصلح
قوم وفرق نقص من معاصيهم ٥ وقيل فرقناهم فتشتت
امرهم وذهب عزهم عقوبة لهم وقوله جل اسمه وبلوناهم
بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ٥ معناه اختبرناهم
بان عاملناهم معاملة المختبر بالنعم والنقم ليكون كل واحد منهم
وجها يدعو الى الطاعة وتسميته النعم والنقم بالحسنات والسيئات
مجاز ومعنى لعلهم يرجعون لكي يرجعوا الى الحق وكانوا ارتدوا
على وجوههم في جهد الباطل فاستدعوا الى الرجوع عنه الى
جهة الحق والانصراف عن الباطل رجوع الى الحق ٥ وقيل
معناه انهم ولدوا على الفطرة وهي دين الحق الذي يلزمهم
ان يرجعوا الى الحق وقوله جل اسمه فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون

سيغفر لنا ٥ الخلف بتسكين اللام نقيض الخلف بتحريك
اللام واحدهما ممدوح والاخر مذموم فيقال بهذا خلف من هذا
بفتح اللام اذا قام مقامه ويقال هو خلف سوء بسكون اللام ٥
ونظير هذه الايه قوله جل اسمه فخلف من بعدهم خلف اضاعوا
الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب ومعنى
الايه انه نشا بعدهم قوم من اولادهم صارت التورية اليهم
فجعلت بمنزلة الميراث لهم وكانوا ياخذون اموال الدنيا وحطامها
على تبديل الكتاب الذي هو التورية وتحريفه ٥ من الرشا
تقربا اليهم وحبا فباعوا الاخرة بالدنيا وكانوا ياخذون الرشا
على الاحكام ويقولون مع ذلك مع ذلك ان الله تعالى لا يواخذهم
بذلك وانه يغفر لهم ذنوبهم وهذا اصرح القول بالارجاء ٥ وقال
العلما اول من قال بالارجا اليهود وقوله جل اسمه وان ياتهم عرض
مثله ياخذوه ٥ معناه وان ياتهم عرض مثل الاول ياخذوه لانهم يصرون
على اخذ الرشا وتبديل الكتاب وتحريفه وهذا اخبار عن حال
علمايهم واحبارهم الذين عاينوا وقيل هو على وجه الذل لهم انهم لا
يشبعهم شي من عرض الدنيا وقوله جل اسمه الم يوخذ عليهم ميثاق
الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار
الاخرة خير للذين يتقون فلا تعقلون ٥ معناه ان الانبيا عليهم
السلام اخذوا عليهم العهد بان لا يحرفوا الكتاب ولا يبدلوه بان لا يقولوا
على الله الا الحق وان لا ياخذوا الرشا فنقضوا العهد وفعلوا جميع
ذلك مع علمهم بان ما يفعلونه باطل لانهم كانوا درسوا ذلك في كتبهم
ووقفوا عليه وفهموه وهذا هو الحجة عليهم ٥ ثم بين ان ثواب
الاخرة خير للمتقين من عرض الدنيا ٥ وقوله افلا تعقلون توبيخ
لهم وتنبيه على ان التمسك بالعقل اولى ٥ وقرا نافع بالتا على الخطاب
تعقلون وقوله جل اسمه والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة

انا لا نضيع اجر المصلحين ٥ مدح الله الذين يمسكون بالكتاب
ولم يحرفوه والتمسك به أن يأخذ بالعمل على ما بين فيه ومعناه
من عمل بالكتاب واطاع الله فيما امره ونهاه عنه كان الله لا
يضيع عمله لانه يثيبه عليه ويعظمه ويجله ويزيده من فضله
وخبر الذين محذوف لان الله لا يضيع اجر المحسنين ٥ وقيل خبره محذوف
وتقديره والذين يمسكون بالكتاب نعطيهم اجرهم انا لا نضيع
اجر المصلحين وكان في ذكر المصلحين ما يغني عن ذكر الضمير الذي لا بد
الكلام عليه وقوله جل اسمه واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة
وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة ٥ النتق قلع الجبل
اقتلاعا من اصله ٥ ويقال في اللغة نتقت المزادة نتقا
فهي منتاق اذا كثر ولدها لانها ترفعها بحملها وتضعها قال العجاج
ينتق اقتاد الشليل نتقا معناه واذكر يا محمد
اذ نتقنا الجبل عن معسكرهم فوق رؤوس قوم موسى حتى صار فوقهم
كالظلة لان الظلة واقعة عليهم وورد في القصة انه وقع الجبل عن
عسكرهم فرسخا ٥ وقيل كان سبب رفع الجبل ان موسى عليه
السلام لما اتاهم بالتوراة وقف القوم على ما بين الله من
الاحكام والتشديد في التعبد امتنعوا من قبولها لغلظ احكامها
فوعظهم موسى ونصحهم فلم يقبلوا منه فرفع الله الجبل فوق رؤوسهم
واعلمهم انهم ان لم يقبلوا ما اتاهم به موسى جعل حينئذ ارسل
الجبل عليهم فلما رأوا ذلك قبلوا وتابوا وقال بعض العلماء
الظن ها هنا بمعنى العلم وهو جائز في اللغة ٥ وقال غيره
هو على ظاهره لانه ما دام يوجد السبيل الى حمله على الحقيقة
فلا وجه لصرفه الى المجاز واذا حمل على ظاهر الظن كان حكمه

خلاف حكمه اذا حمل على معنى العلم ٥ وقيل معنى خذوا ما آتيناكم بقوة اي
اعطيناكم وهي القدرة لانكم ان لم تقدروا على ذلك لم يمكن منكم
التكليف فدلت الآية على بطلان قول المجبرة في الاستطاعة مع الفعل
لانه لو كان كذلك لما الزمهم هذا الامر وقوله جل اسمه وظنوا انه واقع
بهم خذوا ما آتيناكم بقوة ٥ قيل معنى ظنوا علموا ٥ وقيل معناه الظن على
حقيقته وهو انهم خافوا وقوع الجبل عليهم وقوي في نفوسهم ذلك
وهو الاولى ويساعدوا واما آتيناكم بقوة على التأويلين اللذين ذكرناهما
وقوله جل اسمه واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ٥ معناه امر واذكروا
ما في الكتاب في احكامه ومواعظه لكي تتقوا المعاصي وليس لاحد
ان يقول ان رفع الجبل عليهم على هذا الوجه يكون الجاء لهم
الى ما كلفوا وذلك يبطل كل ما يحصل بسببه الالجاء كان الجاء لانه
يحتاج مع حصول السبب الى شرائط اخر وهو ان يكون مع حصول
السبب جميع دواعيه مصروفة الى ما الجئ اليه ويعلم بانه ان رام
خلافه حيل بينه وبينه فظاهر هذه الآية ناطق بالظن الذي هو
التجويز دون العلم فان كان كذلك لم يكن الجاء لانه يجوز ان يكونوا
يرووا في نفوسهم انه ينزل الجبل عليهم ان لم يقبلوا ذلك الكتاب فلم
يعلموا ذلك ولم تنصرف دواعيهم كلها الى القبول حتى يكون ذلك الجاء
ومن ذهب الى ان الظن بمعنى العلم ها هنا وان الله خلق العلم الضروري
فيهم بانهم ان لم يقبلوا ان ينزل الجبل عليهم وانه كان الجاء يقول ان الله رفع
التكليف عنهم في ذلك الحال وظاهر الآية ينطق بخلاف ذلك وذهب
محمد بن يحيى صاحب التفسير في تأويل ذلك الى وجه بعيد فقال ان الجبل
لم يرتفع فوقهم وكان ذلك الجبل حيالا لانه ... كما يكون الجبال
التي يركب بعضها فوق بعضها وتدلت اشياها وكان فاست
القوم طوله وقوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم

انا لا نضيع اجر المصلحين ٥ مدح الله الذين يمسكون بالكتاب
ولم يحرفوه والتمسك به ان يعمل بما فيه ومعناه
من عمل بالكتاب واطاع الله فيما امره ونهاه عنه كان لله لا
يضيع عمله لانه يثيبه عليه ويعظمه ويجله ويزيده من فضله
وخير الدين وان الله لا يضيع اجر المحسنين ٥ وقيل خبره محذوف
وتقديره والذين يمسكون بالكتاب نعطيهم اجرهم انا لا نضيع
اجر المصلحين وكان في ذكر العلم ما يغني عن ذكر المفعول لدلالة
الكلام عليه وقوله جل اسمه واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة
وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة ٥ النتق رفع الجبل
اقتلاعا من اصله ٥ ويقال في اللغة نتقت المراة نتوقا
فهي ناتق اذا كثر ولدها لانها ترفعها بحملها وتضعها قال العجاج
ينتق اقتاد الشليل نتقا معناه واذكروا يا محمد
اذ نتقنا الجبل [illegible] فوق رؤوس قوم موسى حتى صار فوقهم
كالظلة لان ناتقا عليهم وورد في القصة انه قلع الجبل من
عسكرهم فرسخا ٥ وقيل كان سبب رفع الجبل ان موسى عليه
السلام لما اتاهم بالتوراة ووقف القوم على ما فيها من
الاحكام والتشديد في التعبد امتنعوا من قبولها لغلظ احكامها
فوعظهم موسى ونصحهم فلم يقبلوا منه فرفع الله الجبل فوق رؤوسهم
واعلمهم انه ان لم يقبلوا ما اتاهم به موسى [illegible] ارسل
الجبل عليهم فلما رأوا ذلك قبلوا وتابوا وقال بعض العلما
الظن هاهنا بمعنى العلم وهو جائز في اللغة ٥ وقال غيره
هو على ظاهره لانه ما دام يوجد السبيل الى حمله على الحقيقة
فلا يجب صرفه الى المجاز واذا حمل على ظاهر الظن كان حكمه

خلاف حكمه اذا حمل على معنى العلم ٥ وقيل معنى خذوا ما اتيناكم بالقوة التي
اعطيناكم وهي القدرة لانكم ان لم تقدروا على ذلك لم يكن منكم
التكليف فدلت الاية على بطلان قول المجبرة في الاستطاعة مع الفعل
لانه لو كان كذلك لما الزمهم هذا الامر وقوله جل اسمه وظنوا انه واقع
بهم خذوا ما اتيناكم بقوة ٥ قيل معنى ظنوا علموا ٥ وقيل معناه الظن على
حقيقته وهو انهم خافوا وقوع الجبل عليهم وقوي في نفوسهم ذلك [illegible]
وهو الاولى وسجدوا واما اتيناكم بقوة على التاويلين اللذين ذكرناهما
وقوله جل اسمه واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ٥ معناه امروا واذكروا
ما في الكتاب في احكامه ومواعظه لكي تتقوا المعاصي وليس لاحد
ان يقول ان رفع الجبل على رؤوسهم على هذا الوجه يكون الجاءهم
الى ما كلفوه وذلك ينافي التكليف [illegible] لان الالجاء لا
يحتاج مع حصول السبب الى شرايط اخر وهو ان يكون مع حصول
السبب [illegible] ويعلم بانه ان رام
خلافه حيل بينه وبينه فظاهر هذه الاية ناطق بالظن الذي هو
التجويز دون العلم فان كان كذلك لم يكن الجاء لانه جوزوا ان يكونوا
[illegible] نفوسهم انه يرسل الجبل عليهم ان لم يقبلوا لذلك الكتاب فلم
يعلموا ذلك ولم ينصرف دواعيهم كلها الى القبول حتى يكون ذلك الجاء
ومن ذهب الى ان الظن بمعنى العلم هاهنا وان الله خلق العلم الضروري
فيهم بانهم ان لم يقبلوا ان يرسل الجبل عليهم وانه كان الجاء يقول ان الله رفع
التكليف عنهم في ذلك الحال وظاهر الاية ينطق بخلاف ذلك وذهب
محمد بن يحيى صاحب التفسير في تاويل ذلك الى وجه بعيد فقال ان الجبل
لم يرتفع فوقهم وكان ذلك الجبل جبلا [illegible] كما تكون الجبال
التي يركب بعضها فوق بعض [illegible] وكان قامت
القوم طويلة وقوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم

واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم
القيامة انا كنا عن هذا غافلين ٥ معناه واذكر اذ خلق الله من بني
ادم من ظهورهم ذرياتهم في كل عصر فبلغهم واكمل عقولهم ونبههم
حتى على السنة الانبيا عليهم السلام فهذا معنى قوله واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا تمثيل بما ذكره في قلوبهم وثبتنا
قال لهم رسل الله بمثابة قوله لهم شفاها الست بربكم قالوا بلى شهدنا
تمثيل بما نظروا فيه واستدلوا به واجابوا الرسل الى ما دعوهم اليه بمنزلة
قولهم بلى شهدنا ٥ وهذه الطريقة طريقة تقرير الحجة على المكلف
باحسن الوجوه ٥ ومعنى اخذه من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم هو خلق
النطفة علقة ثم تصيير العلقة مضغة ثم تصيير المضغة عظاما ثم كسا
العظام لحما ثم انشاه خلقا على هذه الصورة المخصوصة التي عليها
الانسان ثم اخرجه من رحم امه واكمل عقله وهذه الطريقة مستمرة
في كل عصر وزمان والاشهاد على الوجه الذي بيناه جائز في الحكمة
وحسن في العقل وليس فيه عبث ولا سفه يؤكد ما قلنا قوله جل اسمه
ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وتقديره لئلا تقولوا يوم القيامة
او كراهة ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ٥ فبين انه خلقهم
وبلغهم واكمل عقولهم وقرر الحجة عليهم لئلا يمكنهم ان يقولوا يوم
القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقوله جل اسمه او تقولوا انما اشرك
اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون ٥ معناه
ولئلا تقولوا يوم القيمة انا نشانا على طريق ابائنا في الشرك ولم نعرف
سبيلا الى الله يكون حجة على عباده ٥ ومعنى افتهلكنا انه للهلاك فكانهم

قالوا نحن نعلم انك لا تهلكنا بما فعل المبطلون فدلت الاية على ان الله
تعالى لو لم يقرر عليهم ما قرر في العقول والرسل لكان لهم ان يقولوا
يوم القيامة انا كنا غافلين عن ذلك وعن التكليف وطريقته ٥ ودل ذلك
على بطلان قول من زعم ان لله ان يفعل بعبيده ما شا وليس للعبد
ان يقول لم لا فعلت ذلك به او اذا كلف العبد ما لا يطيقه وخلق
فيه الكفر والجحود ثم ساله لم كنت كافرا وادخله نار جهنم لاجل
الكفر الذي خلقه فيه كان عادلا وكان جميع ذلك حسنا لانه
له ان يفعل ما يشا وليس للعبد ان يحاجه ويساله عما فعله ٥ وقد
نطقت ايات كثيرة بخلاف ما قالوه ولله الحجة البالغة على خلقه وليس لاحد من
خلقه حجة عليه ٥ ولهذا قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسل الاية ٥ واما ما ذهب اليه الجهال من الحشوية وغيرهم في تاويل
هذه الاية فهو محض ترهات وخروج عن قضية العقل وظاهر الاية
والحاق السفه والعبث بالله تعالى وذلك انهم قالوا ان الله تعالى
اخرج ذرية ادم من صلبه في الزمن الاول على شبه الذر ثم قال لهم
الست بربكم قالوا شهدنا فقالوا كل من قال في ذلك الوقت بلى فهو الذي
امن ومن لم يقل بلى فهو الذي هو كفر في وقت الانبيا عليهم السلام
وهذا الكلام مع خروجه من قضية العقل خارج عن ظاهر الاية لان
الله تعالى قال واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم ولم يقل
ان الله تعالى اخرج جميع ذرية ادم من صلبه على شبه الذر ثم قال لهم الست
بربكم وقد علم العقلا ان مخاطبة من لا يعقل الخطاب عبث في تقدير الحجة عليه
سفه فلو كان الامر على ما زعموا لوجب ان يكونوا عقلا في تلك الحال التي خاطبهم
فيها ولو كانوا عقلا لكانوا ذاكرين الان ما جرى في ذلك الوقت لانه لا
يجوز ان ينسى العاقل شيئا عجيبا خصوصا اذا كان في باب الديانات عن ان
يذكر بعد ذلك احد منهم شيئا مما راه وسمعه وشاهده وقد علمنا
ضرورة ان احدا من البشر لا يذكر شيئا من ذلك وليس لاحد ان يقول

الصبيان الاطفال يجري عليهم احوال الطفولية ولا يذكرون شيئا
منها في حال البلوغ لمن كلامنا في العقلاء الكاملي العقول والاطفال
حكمهم خلاف ذلك على ان كثيرا مما جرى عليهم يذكرونه في حال البلوغ
فيكونوا ولا يكونوا عقلاء فكيف يخفى على كاملي العقل احوال بحيث لا يذكر
شيئا منها قليلا او كثيرا ولئن احتجوا بقول ان طول العهد اثر فيه لانه
لا يأمن لامتداد الايام في مثل ذلك لانه لو اثر فيه لوجب ان يكون المجنون
اذا طال جنونه لا يذكر شيئا مما جرى عليه قبل جنونه اذا افاق
وكان يلزم في اصحاب الكهف ان لا يكونوا ذاكرين لشيء مما جرى عليهم قبل
نومهم لانهم ناموا ثلثمائة وتسع سنين على انه كيف يمكن ان يتصور حال
من يولد من وقت آدم عليه السلام الى وقت القيامة انهم اوجدوا
دفعة واحدة على كمال العقل بصفة الذر ثم بعد ذلك خلقوا في النطفة
اخوانا وابناء وآباء واعماما واخوالا وبني اعمام وبني اخوال واقارب فهل
كانوا بهذه الصفة في ذلك الوقت الذي كانوا بصفة الذر لان هذه
الاعيان هي تلك الاعيان على زعم هذا الزاعم فترى تحول الذر نطفة
ثم علقة او اصير الذر كلها وخلق خلقا جديدا او هذا شيء لا ينكر العاقل
ان يعتقد فيه شيئا على الصحة او يصور له وجها يقبله العقل ونعوذ بالله
من الجهالة ويدل على بطلان قولهم سياق الآية وهو ان الله تعالى في
اخذ الآية ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ويقولوا
انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون
ومعناه اخذنا العهد لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين
ولئلا يقولوا اشرك آباؤنا من قبل وان كان هذا العهد هو ما قالوه
في حال ما كانوا بصفة الذر ولا يكن يشبه لهم انا مشركون وهم غافلون
الآن عن تلك الحال فكيف يصح ما قالوه هذا وقد قال الله تعالى
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والرسل انما اتوا الخلق بعد

بلى عنهم وكما ان عقولهم زمانا بعد زمان في حال ما كانوا بصفة الذر
لم يأتهم الرسول ومن يسلم من قوله الرهبان كان من الغاوين ٥
فما نافع دون انهم على الحجج وقوله تقولوا يا ليتنا وقوله جل اسمه وكذلك نفصل
الآيات لعلهم يرجعون ٥ معناه نفصل الآيات لكي يرجعوا الى الحق والدين
يلزمهم الرجوع اليه ٥ وقوله جل اسمه واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فا
نسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ٥ معناه واخبرهم يا محمد خبر
الذي اعطاه آياتنا وحججه آتيناه آياتنا لطفنا له حتى تعلمها وفهم معانيها
وصار عالما بها ودين الله ثم انسلخ عنها بان كفر بآيات الله وترك
العمل بدين الله واتبعه الشيطان اي كفار الانس فكانوا اتبعه على الغي
وقيل اتبعه الشيطان للرين لذلك الضلال حتى اغتبط به ونسج
حبله والغاوي هو الخائب من رحمة الله ولا يكون كذلك الا ضالا
ذاهبا عن دين الله وهذا الذي آتاه الله آياته قيل هو بلعم بن باعورا وكان
رجلا من المتقدمين وقيل هو امية بن ابي الصلت ٥ وقيل المراد
بآيات الله ههنا دين الله ٥ وقيل لما كفر هذا الانسان نزع
عنه العلم وقص علينا قصته ليحذر عن مثل فعله ولا يحل بنا ما حل به
ودلت الآية بهذه على الحكم بعليه من لا يؤمن عليه الارتداد واذا
كان كذلك صح قول اهل الحق ان امام المسلمين من حقه ان يكون
معصوما لانه لا بد من الرجوع اليه في معالم دين الله والعوام والخواص
في الاشياء ايضا ومن لم يكن بهذه الصفة لم يؤمن ارتداده وقوله
جل اسمه ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه ٥
ولو شاء الله ان يرفعه بهذه الآيات التي من بها قبل ان يكفر بان يميته
او يحول بينه وبين الكفر لرفعه حين استحق الرفعة بالايمان بتلك الآيات
ولكنه اخلد الى الارض معناه واتفاه الله لم يرد اذ ايمانا وركن الى الارض ومال
الى طول البقاء والاقامة في الدنيا موثرا الحياة الدنيا على الآخرة بان ترك
دين الله واتبع هواه وقوله جل اسمه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه

نسلخ

معناه

يلهث ه واللهث النفس الذي يلحق الانسان من شدة الاعيا
وهو تنفس شديد وهذا في الكلب طباع فضرب الله لهذا
الانسان مثلا وشبهه بالكلب لانه لما كفر سلك الاباء وعادى
المومنين وقصد الى ايذائهم فان حملوه وزجروه اذاهم وان
امسكوا عنه وسكتوا اذاهم ايضا كالكلب ان زجر وصيح
صاح وان كف عنه صاح لاهثا في الحالتين ه وقوله جل اسمه
ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ه
معناه هذا المثل الذي ضربناه مثل المكذبين باياتنا فاقصص القصص
لك يا محمد على الناس ليعتبروا به ويتفكروا ويحذروا عن مثل حاله
وقوله جل اسمه ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا وانفسهم كانوا
يظلمون ه انتصب مثلا لتفسير الضمير الذي في ساء وهو كالاضمار في
نعم اذا قلت نعم رجلا زيد ه وتقديره ساء مثلا مثل القوم الذين كذبوا
باياتنا ثم بين تعالى انهم ضروا انفسهم بالتكذيب ولم يضروا الله شيئا ه وقوله
جل اسمه من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ه
قال بعض العلما الهدى ها هنا الحكم بالهداية والاضلال هو الحكم
بالضلال ه ومعناه من حكم الله له بالاهتداء الى الحق فهو المهتدي على
الحقيقة ومن حكم الله عليه بالضلال كان ضالا خاسرا ه والله تعالى
لا يحكم بالهدى الا للمطيعين ولا يحكم بالضلال الا للعاصين ه وقال
غيره الهدى ها هنا بمعنى الثواب وهو الهداية الى طريق الجنة ه والاضلال
العقاب وهو الاضلال عن طريق الجنة ه ومعناه من اثابه الله تعالى كان
مهتديا ومن عاقبه بالنار كان خاسرا ه وقد ثبت بالدليل ان الله تعالى
لا يثيب ولا يعاقب الا المستحق للثواب والعقاب ه وقيل اثبت البيان

المهتدي لانه لما عاقبه الالف واللام رجعت اليا الى اصلها كما
ترجع في الاضافة ه وقوله جل اسمه ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ه
ذهبت المجبرة في دليل هذه الاية الى ان الله تعالى خلق كثيرا من الجن
والانس فيدخلهم نار جهنم من غير ان فعلوا ما استحقوا لاجله
نار جهنم وقالوا اللام في قوله لجهنم لام كي ه وفيما قالوه ضروب من
الفساد ه احدها انهم ابطلوا بما قالوا ذلك حكمة الله وعدله لان
العادل الحكيم لا يخلق خلقا ويدخلهم نار جهنم من غير استحقاق ه
والثاني انهم ابطلوا بما قالوا معنى قوله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون فلو كان خلق كثيرا منهم للنار على الوجه الذي ذهبوا
اليه لبطل قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان اللام في قوله
ليعبدون لام كي ه معناه لكي يعبدون ه والثالث انهم ما عرفوا لام كي
وما ميزوها من غيرها من اللامات ولام كي يدخل على الافعال دون
الاسما وجهنم من الاسما لا من الافعال ه والرابع الزام السفه على الله
وذلك ان الله تعالى يقول عقيب هذا لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين
لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل
سبيلا وهذا ذم للقوم الذين يدخلون نار جهنم وتقريع وذم من
لم يفعل ما يستحق الذم عليه سفه والله تعالى عنه ه فاذا بطل
هذا صح ما قاله اهل الحق وهو ان هذه اللام لام الاضافة في اللغة
والعلما يسمونها لام العاقبة فمرة تستعمل على معنى العلة ومرة على
سبب العلة كما قال تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
فال فرعون لم يلتقطوا موسى عليه السلام ليكون لهم عدوا وانما التقطوه
ليكون لهم قرة عين كما حكى الله عنهم بقوله وقالت امرات فرعون قرة
عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا الا انه لما كان
المعلوم من حاله ان عاقبة امره معهم ان يصير عدوا لهم وحزنا
فكانهم التقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ونظاير ذلك في اللغة لا تحصى

منه قوله فالمبره اموالنا الذي المبراث جمعها ودور ما لحزاب الدهر نبنيها
وقد علما انهم لم يجمعوا المال للورثه ولم يبنوا للخراب ه دفا الخ
فام ساكن ولاحزعي للموت يا تلد الوالده ه والمراه لا تلد الولد
للموت الا انه اذا كان عاقبة امره الموت وكانها ولدت لذلك
فاذا صحت هذه الجمله جاز تاويل الايه لقد خلقنا اكثرهم من الجن
والانس وخلقنا هم ليصلوا الى ثواب الله في الفوز وعصوا ولم
يقوموا بحق ما كلفوا واستحقوا العقاب وصار المعلوم من حالهم
انهم يصيرون عقبة الى الممات فيكون عاقبة امرهم دخول النار
وكانهم خلقوا للنار بحذف جميع ذلك لا لا له الكلام عليه وقوله
جل اسمه لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم
اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم
الغافلون ه من الله تعالى حال القوم على وجه الذم لهم والتوبيخ
بانهم لم يفقهوا ما اوجب نفسه بقلوبهم ولم يسمعوا ما اوجب سمعه
باسماعهم ولم يبصروا ما ينبغي لهم ان يبصروا باعينهم ثم زاد في الذم
ان نسبهم الى الغفله وشبههم بالانعام فلو لم يكونوا مكلفين
بالمعرفه واسماع الحق والنظر في الادله ولو لم يكن الا انهم موفره
وعليهم من احد لم يكن لهذا التوبيخ والذم والنسبه الى الانعام معنى
والله تعالى عن السفه والعبث وحكم الله عليهم بانهم اضل من الانعام
لما قلنا لانه تعالى لما اكمل عقولهم ومكنهم بها من اكتساب المعارف
والتمسك بالحق والباطل ولم يعط الانعام العقل ولم يمكنهم من شي من ذلك

فلما لم يستعملوها ولا عملوا بها ولم ينظروا في الادله جعلهم اضل من
الانعام لمن خلق فجعل بعقله لصفه من لا عقل له حال اضل منه ولا
فرق بين لتصرح بالتعبرات القوم كانوا عقلا مكلفين مزاجين
العله مو ترى الا الا انه لم يستعملوا عقولهم ولم يستعملوا الفهم وصيروا
انفسهم من الغافلين حتى استحقوا العقاب ودخول النار ابدا ه
ومن بصم الكلام ما يدل العاقل الناظر فيه عليه بحيث لا يخفى عليه
شي من ذلك جل الله تعالى عما يقول الجاهلون به علوا كبيرا وقوله تعالى
ولله الاسما الحسنى فادعوه بها ه من تعلق في هذه الابيات لنا اسما حسنه
وعلى خلقه ان يدعوه بتلك الاسما الحسنه اذا اراد ان يدعاه واسماه
لا تعدو احدى منزلين اما ان يكون تابعة لصفاته الذاتيه او مشتقه
من افعاله ه فالتابعه لصفه الذات كالقدير والباقي والعالم والحي
والسميع والبصير ه وفائده قول الله تعالى ترجع الى القادر ه والمشتقه
من افعاله كالمنعم والمفضل والمحسن والرازق والعدل والرحيم وما
اشبه ذلك ه فاذا كانت اسماوه حسنه سوا كانت تابعه لصفات
ذاته او مشتقه من افعاله ه فلو كانت القبائح من فعله كالظلم والكذب
والكفر والزنا والسرقه لكانت له اسما تابعه لها ه ثم لم يكن تلك الاسما
حسنه وكانت قبيحه فدل ذلك على ان الفواحش ليست من فعله كما انها
ليست باراديه ه وذكر في حد الاسم وجوه قيل هو ما دل على معنى
مفرد ثم ذلك المعنى يكون شخصا او غير شخص فالشخص نحو رجل وزيد وغير الشخص نحو
الضرب والاكل ه وقيل الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الاشارة ه والفعل
كلمة تدل على المعنى دلالة الافاده ه وقد ذكر ٢ اسما كثيره كلها من حق الاسم من
حد الها جوان يعارن الالف واللام يدخل عليه دون الفعل وكذلك حروف
الخفض ويجوز ان الاسم يجوز ان يخبر عنه ويجوز ان قد وسوف يمنع من الدخول عليه
ويجوز ان الاسم يصغر ويكنى عنه دون الفعل ويجوز ان الاسم ما صلح معه ان يصغر
وينفع فهذا وان كان الحرف يشارك الاسم في بعضه وخفض الاسم

بعض دونها وكذلك تفرقت على المتعلم دون الحقيق حده ٥٥
وقوله جل اسمه وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا
يعملون ٥ معناه واعرضوا عن الذين يلحدون في اسمائه فانه الله
يجازيهم ما كانوا يعملون تهديدًا لهم ووعيدًا قال بعض العلما
كان الحادهم في اسمائه تسميتهم الصنم باللات اشتقاقا من
اسم الله والعزى اشتقاقا من العزيز ٥ وقال غيره هو تسميتهم
الاوثان الهة وتسميتهم لله اب المسيح وما شاكل ذلك وقوله تعلى
وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ٥ بين الله تعلى ان في الخلق
الخلق الذي وصفه فرقة هادية عادلة قال بعض العلما هم العلما
الانبيا وروي عن النبي صلى الله عليه انه قال انها هذه الامة وقيل
انها دخلت الينا في الحق الموصلة لانهم يوصلون الى معرفة الصواب
بالحق الذي هو البرهان وكذلك يوصلون الى العذاب بالحق الذي لا يدل
عليه الا الباطل الذي يموه به ٥ ودلت هذه الاية على ان الاجماع صحيح في
كل زمان لئن في كل زمان من خلق الله امة هادية ٥ واتصلت
هذه الاية بما قبلها اتصال طريق المودي الى الغرض لانه لما قال الله عنه
ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وبين الغرض الذي يجب ان يطلب
من الطريق اليه ايضا وقوله جل اسمه والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون اصل الاستدراج الاخذ بطي منزلة بعد منزلة وهو من
الدرجة الذي يطوى الدرج وقيل اصله من الدرجة كانه يحط درجة
بعد درجة حتى ينتهي الى حال العقوبة والهلاك ٥ ومعناه ان الذين
كذبوا بايات الله واخذهم بالعقوبة من حيث لا يشعرون ٥ والذي قالته
المجبرة ان الله يستدرجهم الى الكفر والضلال فباطل لانه لا يجوز

على الله ولمن الله ذكره الاستدراج بعد تكذيبهم بايات الله و
وطريقته طريقة الجزاء والمكافاة ٥ وقوله جل اسمه واملي لهم ان كيدي
متين ٥ اصل الاملا الامهال بين الله تعلى انه يمهلهم ويبقيهم ليتوبوا
فاذا لم يتوبوا عاقبهم ٥ وكيد الله اخذهم بالعقوبة من حيث لا يشعرون
به والمتين القوي وقوله جل اسمه او لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة
ان هو الا نذير مبين ٥ معناه او لم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من
جنون وما هو الا نذير وحجة الله تعلى ونزلت الاية على سبب وهو
ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قام على الصفا يدعو قريشا فخذا
فخذا فيقول يا بني فلان ويا بني فلان ويحذرهم باس الله وعقابه
فقال قايلهم ان صاحبكم لمجنون بات يصوت حتى الصباح
فانزل الله تعلى الاية وقوله جل اسمه او لم ينظروا في ملكوت السموات
والارض وما خلق الله من شي ٥ الملكوت الملك الاعظم ٥ ومعنى الاية
او لم يتفكروا في ملكوت السموات والارض وفي اصناف ما خلق الله
فيستدلوا بذلك على توحيد الله وعدله وحكمته وذكر هذا على وجه
التوبيخ للكفار الذين تقدم ذكرهم وهم الذين اعرضوا عن ايات
الله وقوله جل اسمه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث
بعده يومنون ٥ معناه او لم يتفكروا في ان عسى ان يكون قرب
اجلهم وهو وقت موتهم واذا جاء ذلك الوقت فباي حديث بعد
القران يومنون والكناية التي في قوله بعده راجعة الى القران
ودلت هذه الاية على صحة النظر ووجوبه في دين الله تعلى وعلى
ان كلام الله محدث ودلت على ان افعال العباد ليست مخلوقة
لله فليست المعاصي بمشية الله تعالى وعلى انه لا يمنع احدا
من الايمان والطاعة لانه لو كان الامر خلاف ذلك كان هذا
الذم والتوبيخ عبثا جل الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا
و

وقوله جل اسمه من يضلل الله فلا هادي له ٥ معناه من حكم
الله عليه بانه ضال فلا الحكم له بالهدى ٥ ومعنى الضلال
هاهنا هو اي الحكم بالضلال وما لم يضل العبد عن دين الله فالله
لا يحكم عليه بانه ضال ٥ وقيل من يضلل الله عن طريق الجنة
عقابا له على ضلاله وكفره فلا هادي له الى طريق الجنة وقوله جل اسمه
ويذرهم في طغيانهم يعمهون ٥ معناه ونتركهم ونخلي بينهم وبين ما
يعملونه وهم متحيرون في طغيانهم ٥ وقد مر بيان نظيره في سورة
البقرة في قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون وقوله جل اسمه يسألونك
عن الساعة ايان مرساها ٥ اصل المرسى مستقر الثقل من قولهم
ارسيت السفينة في الماء ومعناه يسألونك يا محمد عن القيامة متى مرساها
اي كونها ووقتها وحصولها وهذا كان سؤالهم على وجه
الامتحان والاستعجاز وقوله جل اسمه قل انما علمها عند ربي لا يجليها
لوقتها الا هو ٥ معناه قل لهم لا يعلم ذلك الا الله وحده لا يظهرها
لوقتها ولا يبينها الا هو وقوله جل اسمه ثقلت في السموات والارض
لا تاتيكم الا بغتة ٥ معنى بغتة فجاة ومفاجاة ٥ ومعناه ثقل علمها
على اهل السموات والارض فلم يطيقوا ادراكها ٥ وقيل عظم وصف
القيامة على اهل السموات والارض من انتثار النجوم وتكوير الشمس
والقمر وغير ذلك من ايات القيامة ٥ وقيل ثقلت على السموات
والارض على معنى انها لا تطيقها السموات والارض لعظمها
وهذا على وجه المثل ٥ وقوله جل اسمه يسألونك كانك حفي
عنها ٥ قيل معناه يسألونك عن وقت القيامة كانك عالم بها
وقيل هو على التقديم والتاخير على تقدير يسألونك عن الساعة
كانك حفي بها اي لطيف بها من قوله انه كان بي حفيا اي
لطيفا وقوله جل اسمه قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا

يعلمون ٥ معناه قل يا محمد علم القيامة عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ذلك ٥ وقيل الاول علم بوقتها والاخر علم بكنهها ٥ قيل السائلون
عنها اليهود وقيل قريش وهو الاصح ٥ وقوله جل اسمه قل لا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا الا ما شاء الله ٥ اي لا املك النفع والضر له القدرة عليهما
من غير من جهة احد ولا تمكين ٥ ومعناه لا اقدر على النفع والضر الا ما
شاء ان يمكنني منه ويملكني اياه وقوله جل اسمه ولو كنت اعلم الغيب
لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ٥ معناه لو كنت اعلم الغيب لاعددت
من السنة المخصبة للمجدبة ومن الرخص للغلاء وما شاكل ذلك ٥ وقيل
لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من العمل الصالح على حسب علمي به لان من
يعلم الغيب يعمل الافضل لعلمه بعلو الافضل على الادون ٥ ووجه
اتصاله بقوله ولو كنت اعلم الغيب بما قبله على تقدير لا املك الا ما ملكني
ولا اعلم الا ما علمني ٥ ومعنى وما مسني السوء ما اقول هذا عن شبهة
ولا علة وكانه قال ما مسني شيء من العلل لاجله قلت ما قلت ٥ وقيل
معناه ما بي جنون كما قاله المشركون وقيل ما مسني الضر لاستكثاري
من الخير وقوله جل اسمه ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون ٥
معناه ما انا الا نذير يخوف عباد الله بعقاب الله ان عصوه ومبشر
لهم بالثواب الجزيل ان امنوا به واطاعوه ٥ وقال لقوم يؤمنون تشريفا
لهم بالذكر يعني لهم ذلك منه وكانه جاء اليهم نذيرا وبشيرا وان
كان صلى الله عليه نذيرا وبشيرا لكافة المكلفين وقوله تعالى هو الذي
خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها ٥ المراد
بالنفس الواحدة ادم عليه السلام خلق الله تعالى جميع البشر منه على
التناسل المعهود الا انه لما كان هو اصل البشر جاز ان يقال
خلق البشر منه وجعل من ادم حواء ٥ ومعنى ليسكن اليها ليأوي اليها ويميل
اليها اذ الاشياء تحن الى اشكالها وتنفر من اضدادها ٥ وقد مر في

ولا وجه له

سورة البقرة كيف حمل حوى من ادم عليه السلم
لا اعادته هاهنا والضمير في قوله منها راجع الى نفس واحدة وهو
ادم عليه السلم وقيل جعل من كل نفس زوجها معناه قيل وجعل
من النفس زوجها على طريق الجنس لا انه اضمر لعدم الذكر فعلى
هذا الوجه يرجع الضمير الذي في قوله جعلا له شركا فيما اتاهما الى
ادم المشركين منهم وقوله جل اسمه فلما تغشاها حملت حملا خفيفا
فمرت به معناه فلما تغشى الذكر الانثى حملت الانثى منه حملا
خفيفا فمرت بالحمل وخفة ذلك الحمل امكنها التصرف الى ان
ثقلت وقيل لخفة ذلك الحمل شكت في انها حملت ولم تحمل
وقوله جل اسمه فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا
لنكونن من الشاكرين معناه فلما ثقل حملها بكون الزوج في المراة
ان رزقهما الله تعالى ولدا صالحا شكرا الله تعالى على ذلك حق
الشكر ومعنى صالحا هاهنا معافا في بدنه سويا وقيل صالحا
في باب الدين وقوله جل اسمه فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما
اتاهما فتعالى الله عما يشركون فلما اعطاهما الله ما تمنيا لانه جعلا الولد
الشكر الذي لهما اظهرا الشرك بالله والضمير الذي في قوله اتاهما وفي
قوله جعلا راجع الى ولد ادم عليه السلام وحوى لان الشرك لا يجوز
على ادم ومن تاول وجعل منها زوجها انه جعل من كل نفس زوجها
على طريق الجنس كما بيناه في الابتداء الاولى رد الضمير في قوله جعلا الى
ولد ادم من حيث الظاهر ومن قال ان المراد بقوله وجعل منها
زوجها ادم وحوى رد الضمير الذي في قوله جعلا الى ولد ادم باضمار

دل الدليل عليه وذلك بان الرواية وردت بان حوى كانت
تلد في كل بطن ذكرا وانثى فولدت خمسمائة بطن كذلك فسالا ان
رزقهما الله نسلا صالحا كانا لله من الشاكرين فلما اتاهما
صالحا يعني نسلا وكان النسل ذكرا وانثى وكان كل بطن كذلك
جعل النسل له شركا فيما اتاهما وانما قال جعلا لان النسل كان
ذكرا وانثى فكانا اثنين واشرك كثير من بني ادم يدل على صحة
هذا قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون بلفظ الجمع عما يشركه
ذلك اجعل لادم وحوى لقال يشركان لكنه لما رجع الى بني ادم قال عما
يشركون وقيل فلان هذا راجع الى ادم وحوى فانهما جعلا لله شركا في
التسمية بان سموا ذلك الولد عبد الحرث طاعة للشيطان وكان اسمه الحرث
فعيلا قولا شنيعا افضعا الرسل هذا لا يجوز على الانبيا عليهم السلم
ومثل هذه الاقاويل لم تخرج الا من وضع الملحدين والمنافقين والتلبيس على الجهال
لقلة معرفتهم لصفات الله وصفات حجج الله وانبيائه وامنائه على
خلقه وقوله جل اسمه ايشركون ما لا يخلق شيا وهم يخلقون هذه الالف
الف انكار في سوال احتجاج فكانه انكر عليهم ان يشركوا بالله تعالى
ما لا يقدر على خلق شيء وهو مخلوق وقيل قوله وهم يخلقون راجع الى
العابد لغير الله والمعبود فيدخل فيه ما لا يعقل على التغليب ولانهم
قدروا ان الاوثان تضر وتنفع وقيل انما قالوا دون من خصيص الاوثان
بالذكر على ما هم عليه من حكم الكافر وقوله تعالى ولا يستطيعون نصرهم
ولا انفسهم ينصرون معناه ان هولا العبدون الاوثان عبادة من
لا يقدر على نصرهم ونفعهم وعلى ما يكون من شد خللهم وهم لا يقدرون على
شيء من ذلك ومعناه ولا انفسهم ينصرون ولا يدفعون عن انفسهم مكروه من
اراد بهم ذلك من كسر وغيره الا انه لما جا الكلام على سبيل المزاوجة في وصف
الاجسام وقيل يحتمل ان يكون المراد به العابدون للاوثان على تقدير
وهم مع حاجتهم الى النصرة لا يقدرون من قبل من عبدوه ولا من قبل انفسهم

ولا يصح ان يصير الواحد نصفه على الحقيقة لانه لا يصح اضعاف
زيد بعينه عمرو ولا يصح اضعاف زيد بعينه وقوله جل اسمه وان تدعوهم
الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام
انتم صامتون معناه وان دعوتموهم الى الحق لم يقبلوا منكم
وسواء عندهم دعاؤكم اياهم وسكوتكم عنهم وهذا مثل قوله تعالى
سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون فقيل الكناية في تدعوهم
راجعة الى قوم من المشركين كان المعلوم من حالهم انهم لا يفلحون ابدا
وقيل الكناية راجعة الى الاصنام التي عبدوها وقيل انما قال
ام انتم صامتون ولم يقل صمتم فاده للماضي والحال لبيان المعاملة قد
دلت على معنى الماضي واللفظ دال على معنى الحال وقوله تعالى ان الذين
تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم
صادقين بين الله تعالى ان الذين يعبدون من دون الله مخلوقون
كما ان العابدين مخلوقون وكلهم عباد الله لانهم مملوكون مربوبون
الله معناه من غير الله وكانه قيل كل من يدعو الها غير الله فانه
عباد امثالكم والعقل لا يقتضي عبادة من هو مثل العابد ولا الدعاء
الاول تسميتهم الاصنام آلهة كانه قيل ان الذين تدعون آلهة من
دون الله والدعاء الثاني وهو فادعوهم لطلب المنافع مع كشف
المضار من جهتهم وذلك ما يؤمن من قبلهم وعبادة من هذه صفته
جهل وسخف ومن هاهنا لابد الغاية فاسد الدعاء دون الله الى حيث
انتهى الى ما هو لغير الله ومعنى فادعوهم فليستجيبوا لكم قيل اللام في قوله
فليستجيبوا لام الامر على معنى التعجيز كما قال قل هاتوا برهانكم ان
كنتم صادقين وقيل ان كنتم صادقين انها آلهة فادعوهم فليستجيبوا لكم
فكان هذا اسجالا عليهم على كذبهم في دعواهم لانها اذا لم تقدر
على الاجابة ولا على النفع والضر واتخاذهم معبودا او ادعاء آلهتها

كذبت في باطل وقوله جل اسمه الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد
يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها
هذه الالفاظ الفاظ انكار فانكر عليهم عبادة من لا رجل له ولا يد
ولا بصر ولا سمع ان من عبد جسما هذه صفته فقد عبد ما لا يشبهه عند
العقلاء في ان عبادته يستحق الناس من نفعه وضره فيكون هذا
لوم من عبد من لا جارحة له ممكنا ان ينفع ويضر بها وقيل عرفهم
الله بذلك انهم يتفاضلون بهذه الالات فيكونوا يعبدون من هم افضل
منهم وذهب بعض الحشوية الى ان لله تعالى رجلا ويدا وبصرا وسمعا
محتجا بان الله تعالى انكر عليهم عبادة من لا رجل له فيجب ان يكون
له رجل ويد اذا كان معبودا وهذا جهل عظيم من وجوه احدها
انهم لم يعتبروا في مجاري هذه الايات وجوب الانكار عليهم
والثاني لم يعرف الله حق معرفته ولم ينف عنه شبه خلقه والثالث
انه جهل طريقة الاستدلال ومن اجتمعت فيه هذه الخصال كان
من اسخف الناس وقوله جل اسمه قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون
فلا تنظرون لا انظار الا امهال قيل انهم خوفوا رسول الله صلى الله عليه
وآله بآلهتهم فلذلك قال لهم ادعوا شركاءكم ثم كيدون على وجه التقريع
والتعجيز وقيل دلهم بضعفهم وضعف من عبدوه على فساد
عبادتهم لها وقيل وجه اتصاله بقوله قل ادعوا شركاءكم ما قبله اتصال
استكمال الحجة عليهم لانهم لما قرعوا العبادة ما لا يملك ضرا ولا نفعا
وقيل لهم معبود لا يملك الضر والنفع لا يستحق العبادة وانما يستحقها
من يملك الضر والنفع وهو خالقي وخالقكم فاجتهدوا في كيدي لم
تصلوا اليه لدفعه عني وقوله تعالى ان وليي الله الذي نزل الكتاب
وهو يتولى الصالحين هذه حكاية قول الرسول انه قال لهم
ان وليي الله ومعناه ان الله ناصره وحافظه والمدبر له

ووصفه له بانه نزل الكتاب اعترافا منه بنعمة الله في انزال الكتاب
مع الدلالة على انه يتولاه وينصره ومعنى وهو يتولى الصالحين
يتولى حفظ الصالحين ونصرهم وقد يتولاه الله في كل حال بالحكم بانه
ينصره ولرضاه بفعله كما انه يعادي الكافر بالحكم بانه يخذله لسخطه لفعله
وقوله جل اسمه والذين يدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم
ينصرون قد مر بيان نظيرها في هذه السورة وليس هذا بتكرار لان
ذلك هناك مذكور على وجه التقريع وها هنا مذكور على وجه
الفرق بين صفة من لا يجوز له العبادة وكانه قال ان ناصري الله الذي هو
معبودي ولا ناصر لكم ممن تعبدون وقوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون معناه وان دعوتم من تعبدونه
الى الهدى لا يسمعوا دعاءكم وقد مر بيان نظيرها ايضا في هذه السورة
ليس معادا ايضا لانه بين لصفات النقص التي عليها الاصنام لمن يدعي الى
الهدى ولم يكن عنادا فلم يتبعه وهو على صفة من دعا الى الهدى فلم
يسمعه وهو على صفة نقص ومعنى وتراهم ينظرون اليك تراهم مقابلوك
وهم لا يبصرون شيئا وقيل وتراهم على وجه تشبيههم انهم ينظرون
ينظرونك وهذا يدل على ان النظر ليس هو الرؤية وقيل انها جاءت الكناية
على الاوثان على حسب ما يجيء من العقلاء بقوله وان تدعوهم وتراهم
لان عبادة الاوثان انزلوها منزلة من يسمع ويبصر كما يكون ذلك
للعقلاء وقيل لانهم صور وهيئة صورة من يعقل وقيل هو في قوله
وان تدعوهم الى الهدى نادى الاخر وهو وان تدعو محمدا المشركين
الى الهدى لا يسمعوا ولم يقبلوا والقايل بهذا اصرف الدعاء عن
الاوثان الى القوم الذين عبدوها وقوله جل اسمه خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين جمع الله تعالى في هذه الخصال الثلاث
جميع مكارم الاخلاق والاداب ومعنى العفو ها هنا الفضل الذي

يكون عن طيب نفس وقد يكون ذلك في قبول الاعتذار وفي حل
ما يسهل من غير عطاء ولا اجتهاد فيه وقيل هو العفو من الاموال
قبل ان نزل فرض الزكاة وقيل فاعرض عن الجاهلين
مع وجوب الانكار عليهم لم يحد الانكار في حال الياس من صلاحهم
فيعرض ذلك على طريق الاستخفاف بهم ولصيانة النفس عن مقابلتهم
واصل العرف المعروف لانه تعرف صوابه عند ذوي العقول وقوله
جل اسمه واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع
عليم اصل النزغ الازعاج بالاغراء واكثره يكون عند الغضب
ومعناه اذا ازعجك الشيطان فتعوذ بالله عند نزغه ولا تفزع اليه
بل معه فان الله سميع عليم وقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون الطائف
اللمم وقيل الوسوسة وقيل النزغ ومعناه ان المتقين اذا مسهم
نزغ من الشيطان تذكروا ما نهى الله عنه مما يلزمهم لاجل المعاصي
ان عصوا فانتهوا عن المعاصي وهذا معنى قوله فاذا هم مبصرون
يبصرون نعم الله وتوابع المعاصي فانتهوا وان حضرهم داعي الشهوة
فهو مدح للمؤمنين المتقين وانباء عن منزلة الذكر في الابصار بعد
طريق الرشد وقوله جل اسمه واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون
لا يقصرون الكف عن الشيء معناه واخوان الشياطين وهم الغواة الضلال
من الانس يمدهم الشياطين في الغي والضمير راجع الى الشياطين
وقيل واخوان المشركين من الشياطين يدعونهم الى الغي والضلال
ولا يقصرون عنه فكانهم فكانهم على حق لتمسكهم به وقوله
جل اسمه واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها الاجتباء
الاستخلاص للشيء ومعنى لولا ها هنا واذا لم تجئهم باية جديدة
قالوا لك هلا جئت باية تستخلصها فكانت شبهتهم في مطالبه

لما تعذر عليهم اتيان مثلها توهموا ان لما
انه زايده الله لما تعذر عليهم
انه نهايه لا يمكن عليه زياده ٥ وقالوا لولا تطلبون الايه فاذا
جاءت كذبوا بها واذا ابطات طلبوا مجيئها وكان غرضهم
بذلك القدح في الوحي فاذا اتاهم باية مما طلبوا تعنيهم من جهة
اجتبيتها يسمعون كلام الله قالوا لولا اجتبيتها بسؤالك ذلك
اياها وانما المصلحة يوتوا بالايات على حكمه لما في ذلك من المفسده
لهم ولغيرهم كما قال تعلى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم
لتولوا وهم معرضون وقوله جل اسمه قل انما اتبع ما يوحى الي من
ربي معناه قل لهم اي الايات من قبل نفسي الزمني ان اجيء بما تطلبونه
مني لكن ليس الامر كذلك لاني اتبع وحي ربي ما نزله على افعاليكم
وما لم ينزله ليس لي اليه سبيل وقوله تعلى هذا بصائر من ربكم
وهدى ورحمه لقوم يومنون ٥ معناه هذا القرآن دلايل من
الله يعود الى الحق لمن استدل به دون من اعرض عنه ولهذا
قال وهدى ورحمه لقوم يومنون ٥ معناه لمن لم يومن به ولم
يستدل كان معرضا عنه وقوله جل ثناوه واذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وانصتوا ٥ الانصات السكوت لاستماع الشي لكي
ترحموا وسعه عليكم وقيل هذا الانصات في الصلوه وهو ان يقوم
الامام جهرا فينبغي ان ينصت لذلك وقيل في الصلوه والخطبه
يوم الجمعه ولا خلاف في ان على المأموم ان ينصت للامام اذا جهر
وقوله جل اسمه واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفه ودون
الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين ٥ معناه
واذكر ربك في نفسك ايها المستمع للقرآن اذا قرئ عليك ٥ وقيل
الخطاب للنبي صلى الله عليه واله والمراد عام لسائر المكلفين وجب

ان يكون ذلك الذكر على طريق التضرع والمخافه من الله وان لا
يجهر به فهو سان ما يجب على الانسان ان يفعله بالغداه والعشي
من ذكر الله بالتعظيم الذي لا يوازيه شي والحمد لله على نعمه الشامله
والايه المتظاهره ٥ والاصال جمع الاصيل اصيلا وواحدها اصيل
وجمعها اصل ثم اصال وقيل اصل اصل مثل ثمر واثمار وقوله جل اسمه
ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله
يسجدون ٥ هذا الذي جاء على تعريض الجواب لمن استكبر من
الناس عن عبادة الله وقيل من هو اكبر منك اجل لا يستنكف
عن عبادة الله وهم الملئكه المقربون المكرمون ٥ ومعنى عند ربك
بالمكان الذي شرفه الله وعظمه ولذلك قال عند ربك وقيل
الملئكه رسل الله الى الناس فلذلك قال عند ربك كما يقال عند الخليفه
جيش كثير وان كانوا متفرقين في البلاد ٥ وبين تعلى ان الملائكه كما
يعبدون الله ينزهونه عن كل قبيح ويسجدون له في الصلوه ٥ ومعنى
السجود التواضع وروى ان هذه السوره مكيه وروى ابي بن كعب
من قرأ سورة الاعراف جعل الله بينه وبين ابليس سترا وجعل ادم
عليه السلام شفيعا له يوم القيمه السوره التي يذكر
فيها الانفال مدنيه خمس وسبعون ايه ٥ والف وماتان واحدى
وثلثون كلمه وخمسة الاف وماتان واربعه وتسعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله جل اسمه يسئلونك عن الانفال
قل الانفال لله والرسول ٥ الانفال الغنايم وقيل الانفال الخمس الذي
جعله الله لاهل الخمس ٥ سال زكريا بن مالك الجعفري
جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن قوله تعلى واعلموا انما غنمتم
من شي فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى الايه فقال اما خمس
الله فالرسول يضعه في سبيل الله كيف شاء ٥ واما خمس الرسول فلا قاربه

وحمين ذوي القربى فهم اقرباء رسول الله وروى ابان بن تغلب عن
الصادق عليه السلام في الرجل يموت ولا وارث له ولا مولى قال هو
من اهل هذه الآية يسألونك عن الانفال ٥ وروى عبد الله بن سنان
قال سمعت الصادق عليه السلام يقول ليس الخمس الا في الغنائم
خاصة فكانه جعل المعادن بكل ما يثبت فيه الخمس من الغنائم ٥ وقيل
كانت الانفال من السرايا التي تتقدم امام الجيش الاعظم ٥ والفرق
بين الغنيمة والنفل ان الغنيمة هو ما يرجع على المسلمين من اموال المشركين
من غير قتال والنفل يكون ما اخذ بقتال ينفله الامام من يرى في احيا
كان وزيادة على الواجب ٥ ومعنى الآية ان النبي صلى الله عليه
واله سئل عن الانفال لمن هي فامر الله تعالى بان يجيبهم بقول
ان الانفال لله والرسول ٥ وقيل انما سئل عن هذا لان الانفال كانت
حراما على من قبلهم فارادوا ان يعرفوا حكمها فيهم ٥ وقيل نسخها
قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول وقيل ليست المنسوخة
وهو الصحيح لما بيناه اولا وحكم الائمة عليهم السلام حكم رسول صلى الله
عليه واله في الانفال ٥ وقيل نزلت الآية في اهل بدر وكان النبي صلى الله
عليه واله قال من اتى مكان كذا وفعل كذا فله كذا فسارع اليه
الشاب وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاءوا يطلبون
ما جعل لهم فقال الشيوخ لا تذهبوا به دوننا فانا كنا ثم جالكم ٥ فانزل
الله تعالى الآية الى قوله ان كنتم مومنين ٥ وروى عبادة بن الصامت
قال لما اختلفنا يوم بدر وساءت اخلاقنا نزع الله النفل من ايدينا
وجعل حكمه الى رسوله صلى الله عليه واله فقسمه بينهم سنا على السواء
وهو معنى قوله تعالى واتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا
الله ورسوله في ذلك ان كنتم مومنين ~~بالله ورسوله~~ معناه ٥
فاتقوا عقاب الله بترك معاصيه واصلحوا ما بينكم مطيعين

لله ورسوله في ذلك ان كنتم مومنين بالله ورسوله وانما
انث لفظ البين لانه بمعنى ذات الشيء كقولك بعض الشيء ٥ وقيل هو
[illegible] واصلحوا الحال ذات بينكم وقوله جل ثناؤه ٥ انما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم
ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ٥ الوجل الخوف والحزن الشديد
وقد مر بيان فائدة الايمان في اللغة والشرع في سورة البقرة
فلا وجه لاعادته هاهنا والتوكل هو الثقة بالله في كل امر
[illegible] بين الله تعالى في هذه الآية صفة المومنين المحققين
وبين انهم عند ذكر الله توجل قلوبهم خوفا من عقاب الله واذا
قرئت عليهم الآيات زادتهم ايمانا وهم يثقون بالله في كل امر يحتاجون
اليه وعند الرسول صلى الله عليه وعليهم الايمان يزيد وينقص
لانه خصال كثيرة ٥ وسئل الرضا عليه السلام عن الايمان فقال معرفة
بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان والى هذا ذهب بعض
علماء الامة فهذه الزيادة قد تكون فرضا وتكون نفلا لانه تعرض
للمكلف شبهة يجب عليه النظر في حلها وقد تعرض له دلالة يوكد
بها مذهبه عند نظره فيها ٥ وقيل زادت الايمان عند نزول الآيات
بالتعبد على التفصيل وقوله جل اسمه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون ٥ هذا ايضا من صفة المومنين الذين تقدم ذكرهم ووصفهم
الله باقام الصلوة على الحد الذي وجب عليهم وبالانفاق في سبيل
الله من المال الذي اتاهم واعطاهم وملكهم وقوله جل اسمه اولئك
هم المومنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ٥
بين الله تعالى ان المومن حقا يكون من صفتهم ما ذكر الله عنه
في الآية ومن كان مومنا حقا فان له عند الله درجات ومغفرة
ورزق في الجنة وهذا ابطل قول من قال من المرجئة [illegible] والكرامية
ومن نحا نحوهم ان الايمان هو القول المجرد ومن اتى به كان ايمانه مثل

إيمان جبرئيل عليه السلام ٥ وإن المنافق يكون مؤمنا بإظهار مجرد
القول كافرا بإبطانه **وقوله جل اسمه** كما أخرجك ربك من بيتك
بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ٥ معنى الإخراج هاهنا
هو الدعاء إلى الخروج والأمر به وهذا كقولك أخرجت زيدا اذا
وهو أن دعوته إلى الضرب فضربته وكان الخروج إلى بدر ٥ ووجه
التشبيه في قوله كما أخرجك قل الأنفال لله وكأنه قيل الأنفال لله
والرسول مع المشقة التي لحقتهم فيه لأنه أصلح لهم كما أخرجك
ربك من بيتك بالحق وكل هذه الوجوه متقاربة في الجواز والاحتمال
والعامل في كاف التشبيه مع الفصل الذي يدل عليه في قوله قل الأنفال
لله والرسول لأن فيه معنى نزعها من أيديهم بالحق كما أخرجك ربك
من بيتك بالحق ٥ وقيل وجه آخر وهو يجادلونك في الحق كما كرهوا
إخراجك من بيتك بالحق لأن فيه هذا المعنى فإن قدم ذكر الإخراج
وقيل يعمل فيه معنى الحق تقديره هذا الحق كما أخرجك ربك من
بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون وكانت الكراهة كراهة
الطباع وهذا هو الأقرب ٥ وقيل كانت الكراهة على الحقيقة
لأنها كانت قبل أن يعلموا أن الله أمر به وقطع النبي صلى الله عليه وآله
العزم عليه فلما علموا ذلك أرادوه ولم يكن هو لأنه ليس من صفة المؤمن
كراهية ما أراده الله ورسوله والأقرب أن تكون الكراهية
كراهة طباع وسياق الآية يدل عليه وهو قوله كأنما يساقون
إلى الموت وهم ينظرون ومثل هذا لا يكون إلا فيما لا يحصل على الطبع ٥
وقوله جل اسمه يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت
وهم ينظرون ٥ المجادلة المنازعة وأصل الجدل شدة الفتل والحق
الذي كانوا يجادلون فيه هو قتال العدو ببدر لأنهم كانوا أخرجوا ابتداء
العير التي أقبلت من الشام مع أبي سفيان لأخذها وغنيمتها فهوزوا
بها فلما فاتهم ذلك ومن لهم أنه لا بد من قتال المشركين شق ذلك

عليهم فنازعوا فيه ثم قيل إن الذين جادلوه وقالوا كانوا قوما
من المؤمنين الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا إن
النبي عليه السلام لم يعلمنا أنا نلقى العدو حتى كنا نستعد لهم وإنما خرجنا
للعير جادلوا فيه طلبا للرخصة لا ردا لأمر الله ٥ وقيل هم قوم
من المشركين عن ابن زيد والوجه الأول أصح لأن الله تعالى وصف
المؤمنين بالكراهة **وقوله تعالى** كأنما يساقون إلى الموت وهم
ينظرون ٥ وهذا مثل يضرب في صعوبة الأمر وشدة الكراهة
لشرط المشقة **وقوله جل اسمه** وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين
أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ٥ معناه أن الله
وعدكم أن تكون إحدى الطائفتين لكم إما العير وإما الظفر بالعدو
عند القتال وأنتم تحبون أن تكون الأسهل لكم وهو الظفر بالعير
من غير قتال ولا الحيون للقتال والشوكة السلاح هاهنا وعامل
الإعراب في إنها لكم على البدل من إحدى ونظيره قوله هل ينظرون
إلا الساعة أن تأتيهم بغتة **قصة** بدر قيل كانت عدة أهل
بدر من المؤمنين ثلاثمائة وثلاثة عشر ولم يكن لهم سلاح تام ولا دواب
وكان **سبب** مسيرهم أن أبا سفيان أقبل من الشام وأقبلت
قريش من مكة لحماية العير وطمع صلى الله عليه وآله في العير فشاور
أصحابه فتساوت الأصحاب فيه فقال سعد بن معاذ يا رسول الله
قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به الحق وأعطيناك
على ذلك عهودنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت
فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك
فنشط لذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال لهم
سيروا على بركة الله واستبشروا فإن الله قد وعدكم إحدى
الطائفتين ٥ إما العير وإما جمع قريش الذين خرجوا لحماية العير والله
لكأني أنظر إلى مصارع القوم وأشار إلى تلك المواضع فصرع كل

كل واحد منهم في المكان الذي اشار اليه وكان ذلك احدى
معجزاته لانه اخبر قبل المحاربة بمصارعهم وكان مخبره على
ما اخبر به وقوله جل اسمه ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع
دابر الكافرين ٥ لما اخبر الله تعالى ان المؤمنين احبوا الفوز
بالعير دون القتال لا وبالكل الذين كانت لهم الشوكة بين لهم ان
الله يريد سببا اخر وهو انه يريد ان يظهر الحق ظاهرا او يقطع
دابر الكافرين هو خير من الفوز بالعير ومعناه يريد الله ان
يكون ما قد اخبر به من اظهار الحق واعزازه في وقت على ما تقدم
من وعده به وهذا معنى قوله ويريد الله ان يحق الحق بكلماته
قيل يريد ان يحق الحق بامره اياكم ان تجاهدوا عدوكم ويريد ان
يقطع اخر عدوكم بستاصلهم بان تملكهم على ايديكم وهو معنى قوله
ويقطع دابر الكافرين وقوله جل اسمه ليحق الحق ويبطل الباطل ولو
كره المجرمون ٥ معناه ليظهر الحق الذي هو دين الله بالطف المسلمين
حتى يغلبوا الكافرين وان كره المشركون ذلك وروى عن الحسن البصري
انه قال هذه الاية نزلت قبل قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
وهي في القراءة بعدها فوعدهم الله اظهار الحق واعدام الباطل على
كره من المشركين واعزاز للمسلمين ٥ وقوله جل اسمه اذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملئكة مردفين ٥ الاستغاثة
طلب الغوث والمعونة ٥ والمردف الذي يجيء بعد ردف يقال ردفه اذا
صار ردفا له واردفه جعله له ردفا ويقال ردفه واردفه
بمعنى ٥ وقيل معنى مردفين متتابعين وقيل كان مع كل واحد
من الالف ملك اخر ردفا له فكانوا الفين ولهذا قال مردفين والعامل
في اذ قوله ويبطل الباطل اذ تستغيثون وقيل العامل فيه واذكر

والاول اقرب لاتصال الكلام به ٥ ومعنى الاية اذ تستغيثون بالله
من عدوكم واجابكم بالامداد بالملئكة وكان ذلك حين فاتهم العير
التي خرجوا لها ولحقهم الكفار من قريش للقتال فجزع عند ذلك ضعفاء المسلمين
فاستغاثوا ولما فاتت العير نزل النبي صلى الله عليه واله وكان سبب
ضناد بقريش خرجوا لحماية العير فلما سلمت العير اختلفوا فمنهم من
اشار عليهم بالانصراف الى مكة ٥ ومنهم من خالف كابي جهل لما حلف
باللات والعزى انه لا ينصرف حتى يرد بدرا او يقيم بها عشرا او يشرب
بها خمرا فلما كان ذلك خرجت مناظرة بين ابي جهل وعتبة وغيره فاستعدوا
الى بدر وكان النبي صلى الله عليه قد سبق الى بدر على المياه ونزل الكفار
باعلى الجبل فنظروا الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه فرأوهم يسيرا قليلا ورأى
المؤمنون الكفار ايضا نفرا قليلا لانهم كانوا على الجبل والمؤمنون
بالحضيض وهذا معنى قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
ويقللكم في اعينهم ٥ واصحاب النبي عليه السلام ملكوا الحياض فجيء الكفار
يعتزون من العطش فلما نزلوا من الجبل وتهيؤوا للقتال فزع ضعفاء المسلمين
عند ذلك فاستغاثوا فاجابهم الله بانه يمدهم بالف من الملئكة مردفين
والملئكة نزلوا عليهم السلام لنصرة النبي صلى الله عليه واله وسلم والمؤمنين
وقاتلوا يوم بدر وروى ان الملئكة عليهم السلام لم يقاتلوا قط الا
يوم بدر وروى ان عبد الله بن مسعود قعد على صدر ابي جهل لما صرع يوم
بدر فقال له ابو جهل يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقا صعبا لمن الامر
فقال عبد الله لله ولرسوله فقال له ابو جهل من الذي كان يضربنا الصوت
ونحن لا نرى الشخص فقال له من الملئكة فقال هم غلبونا لا انتم وروى ان
النبي صلى الله عليه واله وسلم لما نزل بدرا وجه عليا عليه السلام مع عده
الى بئر الماء فوجدوا غلاما اسود لكفار قريش وجاء يستقي الماء فاخذه
علي عليه السلام وجاء به الى النبي صلى الله عليه واله وسلم فسأله النبي

عليه السلم عن قريش فقال له خرج فلان وفلان حتى عدهم جميعا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم رمتكم مكة بافلاذ كبدها ٥ وان ابليس
انه مانع سجاع وكان ابليس لا وقد خرج للقتال وقوله جل اسمه وما جعله
الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ٥ والكناية راجعة الى الامداد
وقيل الى الارداف وقيل الى الخبر بامداد الملئكة بشارة لهم ومعناه
ما جعل الله الامداد ونفس الخبر بالامداد الا البشارة لكم ولتسكن قلوبكم
ويزول عنها الخوف الذي خامرها وقوله جل اسمه وما النصر الا من
عند الله ان الله عزيز حكيم معناه وليس النصر الا من قبل الله
والله قادر لا ينال بضيم حكيم في اقواله وافعاله وقوله جل اسمه
اذ يغشيكم النعاس امنة منه ٥ العامل في قوله امنة يغشيكم بمعنى
المفعول كقولك جئت ذلك حذر الشر ولما ازعج الخوف المومنين القى
الله عليهم النعاس تلك الليلة حتى ذهب الخوف عنهم وباتوا امنين
والامنة الدعة التي تنافي الخوف وقوله جل اسمه وينزل عليكم من السماء
ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم
ويذهب عنكم رجز الشيطان ويثبت به الاقدام ٥ روي انه اصابتهم
الجنابة تلك الليلة احتلاما وكان الموضع الذي فيه رملا لا تثبت عليه
القدم فمطرت السماء حتى تلبد الرمل واستقوا واغتسلوا وشربوا
وهو معنى قوله وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز
الشيطان وانما قال رجز الشيطان لان ذلك الاحتلام كان بوسوسته
وقيل هو نداؤه اياهم بوسوسته انه قد غلبكم المشركون وانتم
تصلون مجنبين وقيل وسوسهم بانه لا طاقة لكم بهم ومعنى وليربط
على قلوبكم يقويها بافراغ الصبر واللطف الذي معه يزول الخوف
وكان تثبت القدم بتلبيد الرمل حتى تثبت القدم عليه وكان بافراغ
الصبر عليهم يثبتوا العدو وهم وقوله جل اسمه اذ يوحي ربك الى الملائكة اني

معكم فثبتوا الذين امنوا ٥ معناه اذ يوحي ربك الى الملئكة عليهم السلام
ان الله معكم بالمعونة والنصرة لكم فثبتوا انتم المومنين بالحضور
معهم وقت المحاربة ٥ وقيل بالقتال معهم نصرة لهم على العدو وقيل
تثبتوهم بالاخبار لهم انه لا باس عليهم من عدوهم وقوله جل اسمه
سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب ٥ بشر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله
والملئكة عليهم السلم بانه يلقي الرعب في قلوب الكفار حتى ينهزموا وكان
عدد المسلمين ثلاث مائة وبضع عشر رجلا وعدد المشركين
ما بين تسعمائة ٥ وقيل الف رجل شاكين في السلاح فقتل منهم من
قتل واسر من اسر وانهزم الباقون واكثر المقتولين والماسورين
كانوا السادة والشجعان ولهذا قال صلى الله عليه نصرت بالرعب وقوله
جل اسمه فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ٥ فوق الاعناق
اعلى الاعناق والبنان اطراف الاصابع فعلمهم الله تعالى المضرب
لان فوق الاعناق مقتل وفي ضرب البنان يقطع عن الحرب وقوله جل اسمه
ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله
شديد العقاب ٥ معناه انما امر الله تعالى فيهم ما امر من ضرب الاعناق
والبنان لانهم عادوا الله ورسوله ٥ ومعنى معاداة الله معاداة
اوليائه من المومنين لان المعاداة لا تصح على الله تعالى وبين ان من عادى
رسول الله صلى الله عليه وآله والمومنين فان الله يعاقبه اشد العقاب
يقال في اللغة شاقه مشاقة وشقاقا اذا خالفه وعاداه وقوله تعالى
ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار ٥ تضمنت الاية الوعيد على الكفر
بعقاب النار بعد ما نزل بهم من ضرب الاعناق والبنان ٥ ولا موضع
لكاف ذلكم لانه حرف الخطاب والعامل في قوله ذلكم الابتداء تقديره
الامر ويحتمل موضع ان الرفع والنصب فالرفع للعطف على ذلكم والنصب
على تقدير وبان للكافرين عذاب النار ٥ وقيل هو على تقدير واعلموا
ان للكافرين عذاب النار وقوله جل اسمه يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين

كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ٥ اصل الزحف في اللغة الدنو من
الغير قليلا قليلا ومنه زحف الصبي اذا مشى على اربع نهى الله تعالى المؤمنين
عن الفرار وترك القتال اذا زاد الكفار على هذه الجملة وقت
القتال ٥ ومعنى يولهم الادبار صرف الوجه عنهم هزيمة وقوله جل اسمه
ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله
وماواه جهنم وبئس المصير ٥ اصل الفئة الجماعة من الناس والتحيز طلب حيز
وهو موضع التمكن فيه ومعنى الاية من صرف وجهه عن الكفار وقت
الزحف بان كان للقتال من غير عذر وهو ان يكون غرضه في صرف الوجه
الانحياز الى جماعة المسلمين او تحرفا للقتال بحيث لا في الصولة عليهم والكر
فقد باء بغضب من الله وماواه النار ٥ وبين ان الفرار من الزحف اعظم
الكبائر وقيل هذا الفرار خاص في يوم بدر ٥ وقيل عام وهو الاصح
وفي هذه الاية دلالة عالية ومدح تام لامير المؤمنين علي عليه السلم
لانه باجماع الامة لم يفر من الزحف قط وفر غيره بالخلاف ومن فر عن الزحف
لم يستحق الرتبة فضلا عن الامامة بل يستحق من الله ان يبوء بغضب من الله
وقوله جل اسمه فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ٥ انما نفى الله القتل عنهم لانه
لم يعتد بقتلهم مع ما فعل الله من اسباب قتلهم وكذلك حكم ما لا
يعتد به مع غيره فعل الله يوم بدر بانزال الملئكة من السما مقاتلين
وروي في الخبر ان الملك كان يضرب الكافر ولا يفصل العضو واذا
ادركه المسلم وضربه انفصل العضو عنه من غير تعب يلحق المسلم
وقتلهم بتشجيع المؤمنين والقا الرعب في قلوب الكفار حتى لا نالهم وعقابا
على شركهم فلما كانت هذه الاسباب هي التي اهلكتهم نفى القتل عن
المؤمنين واضافه الى نفسه وقوله جل اسمه وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى ٥ قال انه صلى الله عليه واله وسلم لكل الرمية التي رميتها لم
يكن يبعثها ولكن الله رماها لانه لم يعتد برمية مع ما فعل الله تعالى
موجود في المعارف وورد في الخبر ان تلك الرمية كانت بصفين

تراب رماها رسول الله صلى الله عليه واله في وجوه المشركين يوم بدر
وقال شاهت الوجوه فلم يبق احد الا ونقع في عينه فلم يبق منهم احد الا شغله
التراب فانهزموا على طريق التفصيل وشغلهم بانفسهم بذلك لم يكن
ذلك مقدور النبي صلى الله عليه واله وسلم فلهذا قال وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى وكان ما فعله الله تعالى معجزة لنبيه صلى الله عليه واله وسلم وقوله
جل اسمه وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ٥ معناه فعل
الله ذلك لينعم على المؤمنين بالنصرة والتقوية واهلاك عدوهم ٥ وان
الله سميع عليم ٥ لانه كان يسمع اقوالهم ويعلم اعلانهم واسرارهم
وقوله جل اسمه ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ٥ معناه فعل ذلك
ليحصل به كيد الكافرين ضعفا يقال اوهنه ووهنه بمعنى
وقوله جل اسمه ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ٥
الاستفتاح الاستنصار ٥ وقيل
هذا الخطاب للمشركين
لانهم استنصروا على ما وقع بينهم من الامور التي ادت الي
قطيعة الرحم والظلم ٥ وقيل الخطاب للمؤمنين ٥ ومعناه ان تستنصروا
على اعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبي صلى الله عليه واله وقوله جل اسمه
وان تنتهوا فهو خير لكم ٥ واذا كان الخطاب للمشركين وان
تنتهوا عن قتال محمد والمؤمنين فهو خير لكم واذا كان الخطاب
للمؤمنين فمعناه وان تنتهوا عما كان منكم يوم بدر في الاسرى والغنيمة
فهو خير لكم وقوله جل اسمه وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا
ولو كثرت ٥ الفئة الجماعة ومعناه على خطاب المشركين وان تعودوا الى
قتال محمد نعد الى النصر له ولا تغني عنكم كثرتكم وعددكم ٥ ومعناه
على خطاب المؤمنين وان تعودوا الى ما كان منكم يوم بدر في الاسرى
والغنيمة نعد الى الانكار عليكم وقوله جل اسمه وان الله مع المؤمنين ٥ معناه
ناصرهم ومعينهم وقوله جل اسمه يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا

تولوا عنه وانتم تسمعون حض الله المؤمنين في المذكر بالامر بالطاعة لله ورسوله في جملة المكلفين لان غير المؤمنين منزلين لا يعتد بهم ٥ ومعنى انتم تسمعون هاهنا وانتم تسمعون دعاء النبي صلى الله عليه واله ولا تعرضوا عنه في هذه الحال ٥ وقيل وانتم تسمعون الحجة وقوله جل اسمه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون معناه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون سماع عالم قابل ولا تكونوا كذلك وهذه صفة المنافقين و قيل المعني به اهل الكتاب وقيل هو من صفة المشركين لجعلوا بمنزلة من لا يسمع لانهم لم ينتفعوا بالمسموع وقوله جل اسمه ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ٥ بين الله تعالى ان شر الاحيا الذين جعلوا انفسهم بمنزلة الاصم الابكم الذي لا يعلم شيا

فاناث الايه عن الصم عن الحق

والبكم عن التكلم

بالحق والذهاب عما يوجبه العقل ونظير هذه الايه صم بكم عمي فهم لا يعقلون وقوله جل اسمه ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون ٥ معناه ولو علم الله فيهم خيرا انهم يصلحون بما يورده عليهم من الحجج وايات لاسمعهم اياه ولم يوخره عنهم سيامنه وفي هذا حجة على اصحاب اللطف ٥ ومعنى ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون ٥ ومعنى اسمعهم جواب كل ما يسالون عنه وقوله جل اسمه يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ٥ وقيل اطلبوا الموافقة للداعي فيما دعا اليه ٥ ومعنى لما يحييكم اذا دعاكم الى احيا امركم بجهاد عدوكم مع نصر الله اياكم ٥ وقيل لما يحييكم بالعلم الذي يهتدون به وقيل لما يؤدي بكم الحيوة الدائمة ونعيم الاخرة وقوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون ٥ معناه

واعلموا ان الله يحول بين قلبه من حال الامن الى حال الخوف فيقلبه من حال الى حال تارة من حال الخوف الى الامن وتارة من حال الامن الى الخوف على ما يريد ويشاء عز وجل وعلامة المصلحة منه ثم ان انهم يحشرون بعد هذه الاحوال الى الجزاء على الاعمال وقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وهذا الخطاب خطاب لمن كان في عصر النبي صلى الله عليه واله وسلم ٥ والفتنة هاهنا البلية وقيل الضلالة وقيل العذاب وكانه قيل لهم اتقوا البلية والعذاب بترك ما يجلب العذاب ودل ذلك على استحقاق فيهم طريقا اهل الشيعة ٥ وقيل امر الله المومنين ان لا يقربوا المتكبرين المشهورين فيعمهم الله بالبلا والعذاب وفيه حجة للشيعة فيما قالوه من تهيج الفتنة ووقت البيعة وعلى من قال انه لا يجوز ان يتبع ذلك وحمل قوله لا تصيبن العموم لئلا يهرج اذا وقع دخل ضرره على كل واحد ولم يختص الظالمين لا يعتد بما وقع لعزه للغرض الذي يصل اليه ودخلت النون في قوله لا تصيبن لانه نهي بعد امر كقوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وفيه معنى الجزاء ومثله في النهي ان يكرهاهنا وقيل هو على مخرج جواب القسم وقوله تعالى واعلموا ان الله شديد العقاب ٥ فيه تهديد ووعيد وقوله جل اسمه واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فاواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ٥ التخطف الاخذ بسرعة انتزاع والمراد بالناس هاهنا مشركوا قريش ٥ وقيل فارس والروم ٥ ومعنى الاية ان الله تعالى ذكرهم ما فعل بهم من انواع النعم من تقويتهم بعد الضعف وامانهم بعد الخوف ونصره اياهم على عدوهم وبسط ارزاقهم وانهم كانوا قليلين فلطف لهم حتى كثروا وعزوا وقل اعداوهم وجعل لهم ماوى يرجعون اليه امانا لهم من الخوف وانه اطعمهم حلالا طيبا ليشكروا الله تعالى ذلك

وتعبدوه وقوله جل اسمه يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول ٥
معناه ولا تخونوا مال الله الذي جعل لعباده وقيل لا تخونوا الله
كما صنع المنافقون على معنى لا تعاملوه معاملة الخائن ٥ وقيل معناه
ان الله تعالى نهاهم عن الخيانة في الغنائم وقوله جل اسمه وتخونوا اماناتكم
وانتم تعلمون ٥ صار قوله تخونوا مجزوما بالنهي على تقدير ولا تخونوا اماناتكم
وقيل نصب على الصرف على تقدير انكم اذا خنتم الرسول فقد خنتم اماناتكم
وانتم تعلمون انها امانة من غير شبهة ٥ وقيل تعلمون ما في الخيانة من البلاء
الذي يؤدي الى سوء العاقبة ٥ وقيل تعلمون ما في الخيانة من القبح خلاف
الجهال بتلك المنزلة وقوله جل اسمه واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة
وان الله عنده اجر عظيم ٥ الفتنة المحنة هاهنا وقد بينا في غير موضع
من هذا الكتاب حقيقة هذا اللفظ في اللغة والاصطلاح في [illegible]
عن حال الاموال والاولاد في الافتتان بها حتى ان الانسان ليركب كل
عظيم لغلبة الهوى حتى يترك عظيم الاجر لما يقع عليه من عاجل النفع
فكانه قيل لهم لا تشتغلوا بالاموال والاولاد واشتغلوا بما يوجب لكم
عند الله الاجر والثواب وقوله جل اسمه يا ايها الذين امنوا ان تتقوا
الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل
العظيم ٥ وعد الله تعالى وعد الله تعالى المؤمنين ان لهم فرقانا
ان اتقوا عذاب الله بترك المعاصي ٥ وقيل الفرقان هاهنا
هداية يجعلها الله تعالى في قلوبهم يعرفون بها بين الحق والباطل ٥
وقيل فرقانا مخرجا في الدنيا والاخرة ٥ وقيل نجاة وقيل فتحا ونصرا
كما قال الله تعالى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ٥ وقيل فرقانا
نصرا وعزا وثوابا بالحكم على اعدائكم حتى لا [illegible] وعقابا وكل
ذلك يفرق بينكم وبينهم في الدنيا والاخرة ٥ وقد مر بيان تكفير السيئات
في غير موضع ٥ ومعنى ذو الفضل العظيم هاهنا انه ابتدأكم بالفضل
العظيم هاهنا لانه كريم ٥ وقيل معناه هو الذي الفضل هاهنا
يملك

انه ابتدأكم بالفضل العظيم وينبغي ان تطلبوه من جهته وقيل انما دخل
الشرط في حيز الجزاء في قوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا لانه يعامل
العباد في الجزاء معاملة الشاك للمظاهرة في العدل في اجراء المعاملة
على الوجه اذ دخل الشرط في الخبر وان كان عالما بما يكون منهم قبل كونه
وقوله جل اسمه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او
يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ٥ اخبر الله تعالى
عما كان يفعله الكفار ويدبرون من المكر بالنبي صلى الله عليه
فقال احدها قتلهم فتلك والثاني اثباتك في الوثاق ٥ وقيل معنى
ليثبتوك ليحبسوك وقيل يخرجوك من قولهم اثبته في الحرب اذا جرحته
والثالث اخراجك من وطنك اخراج نفي من بلد الى بلد ٥ وكان
سبب ذلك انهم تآمروا في دار الندوة فقال بعضهم قيدوه وتربصوا
به ريب المنون ٥ وقال بعضهم اخرجوه من وطنه الى طرف من الاطراف فتستريحوا
من اذاه ثم قال ابو جهل ما هذا براي ولكن اقتلوه بان تجتمع عليه من كل
بطن رجلا فيضربوه باسيافهم ضربة رجل واحد فيرضى حينئذ بنو هاشم
بالدية فاوحى الله تعالى الى نبيه صلى الله عليه واله وسلم بذلك فخرج
الى الغار ٥ وبين الله تعالى انهم يمكرون والله يجازيهم على مكرهم
لانه خير الماكرين فسمى جزاء المكر مكرا مجازا او اتساعا
وقوله جل اسمه واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا
مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين ٥ المراد بالاساطير الترهات
والاباطيل وقد مر بيان ذلك في سورة الانعام اخبر الله تعالى بما
قالوا عندما نزلت عليهم الايات لله ذما لهم على دفع الحق بالباطل
بدعوى كاذبة لانهم لو قدروا على ذلك لعارضوا واستراحوا من اذاه
وتقريعه اياهم وسعيه [illegible] وقوله جل اسمه واذ قالوا اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم ٥ معناه واذكر اذ قالوا ذلك لبغضهم لك وكراهتهم

كونك من طهن ايتهم فقالوا ان كان محمد جاء من عندك رسولا
وامطر علينا حجارة من السما يهلكنا بها او ائتنا بعذاب اليم
ما ثروا ذلك على قبول ما جاء به محمد صلى الله عليه واله وسلم ويحتمل ان
يكونوا قالوا هذا عنادا ويحتمل انهم قالوه لشبهة تمكنت منهم
وقيل كان الطايب بعد النضر كلده لعنه الله وقوله جل اسمه
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون معناه ان الله تعالى لا يعذبهم وانت بين اظهرهم
لاني بعثتك رحمة للعباد ولا لم يعذبهم لاجل الجحود وتعذيبهم
ايضا وفيهم من يستغفر الله وقيل بسبب ذلك لما خرج النبي صلى
الله عليه واله وسلم من مكة بقيت بمكة بقية من المومنين المستغفرين
يستغفرون الله فلم يعذبوا ولا بد الحق ايضا وقيل معناه لا يعذبهم الله
بعذاب الاستيصال في الدنيا وهم يقولون يا رب غفرانك ويعذبهم
على تركهم في الاخرة وقيل معناه لو استغفروا لم يعذبوا فهو استدعا
الى الاستغفار وقيل نسخها الاية التي بعدها وهذا غلط لان الخبر
لا ينسخ لما قلنا من التناقض وقوله جل اسمه وما لهم الا يعذبهم الله
وهم يصدون عن المسجد الحرام قيل ما هاهنا دخلت لايجاب العذاب
وان كان مخرجها مخرج الاستفهام ومعناه لم لا يعذبهم الله وهذا
فعلهم وهو صدهم الناس عن المسجد الحرام وقد كان قال ولم لا
يعذبهم الله في الاخرة وهم يقولون مثل ذلك وكان اولاكن العادة
ادعوا انهم اولياء المسجد الحرام فلهذا اما يصدون غيرهم عنه فرد الله
ذلك عليهم بقوله وما كانوا اولياءه ان اولياوه الا المتقون ولكن
اكثرهم لا يعلمون وقيل ولياء المسجد الحرام هم المتقون دون
من كفر وعصا وقوله جل اسمه وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية
اخبر الله تعالى ان الصلاة من الكفار لم تكن عند البيت الحرام الا
المكاء والتصدية والمكاء الصفير والتصدية التصفيق وكان بعضهم يشدا

لبعض ليبين الى ذلك الصفير وكان يصفر له وقيل يصدهم صد الناس
عن المسجد الحرام وقيل كانوا يخلطون بذلك على النبي صلى الله عليه واله
وقيل يصفرون في صلوته لانهم كانوا يخلطون بذلك على النبي صلى
الله عليه واله وقيل يصفرون في صلوته لانهم كانوا يقيمون الصفير
والتصفيق مقام الدعا والتسبيح وقوله جل اسمه فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون قيل معناه فذوقوا عذاب السيف يوم بدر بكفركم
وقيل يقال لهم هذا اللفظ في الاخرة تقريعا وقوله جل اسمه ان الذين
كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله معناه ان قوما
من الكفار ينفقون اموالهم ليصدوا الناس عن دين الله وسبيل الله
هاهنا دين الله الذي اتى محمد صلى الله عليه واله وسلم وقيل المراد به الانفاق
في يوم بدر وقيل المراد بالمنفق هاهنا سفين لانه استاجر يوم احد
الفين من الاحابيش من كنانة وقوله جل اسمه فسينفقونها ثم تكون عليهم
حسرة ثم يغلبون ذكر هذا على وجه التهديد وكانه قيل سيصير
الانفاق حسرة ثم دونه من الغلبة عليهم وقوله جل اسمه والذين كفروا
الى جهنم يحشرون معناه وهولا الكافرون الذين ينفقون اموالهم
ليصدوا عن دين الله يغلبون في الدنيا ويحشرون الى جهنم في الاخرة
وقوله جل اسمه ليميز الله الخبيث من الطيب قيل معناه وفعل الله ذلك
ليميز المومن من الكافر والمخلص من المنافق وسمى المومن طيبا والكافر
خبيثا وقوله جل اسمه ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله
في جهنم اولئك هم الخاسرون اخبر الله تعالى بذلك على سوء حال هولا
لخبثهم وحقارتهم اذ لا قدر لهم وهوانا واخبر الله تعالى انه يجعل بعضه
على بعض فيركمه جميعا ومعناه تراكب بعضهم بعضا كالرمل فيجعلهم
في جهنم وقوله يركمهم مع ما انفقوا كما قال الله تعالى يوم يحمى عليها في
نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم
فذوقوا ما كنتم تكنزون وقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر

لهم ما قد سلف ٥ معناه قل يا محمد لهؤلاء الكفار ان ينتهوا عن كفرهم
يغفر الله لهم ما تقدم من ذنوبهم وقوله جل اسمه وان يعودوا فقد
مضت سنة الاولين ٥ معناه وان عادوا الى الكفر ولم يتوبوا
فيعلمون انهم يعاملون معاملة من تقدمهم ممن سلكوا طريقهم
ومناهجهم بتعجيل عذاب الاستيصال وما جرى مجراه من الاسر
والقتل كما كان يوم بدر نصرا من الله تعلى لنبيه وللمؤمنين
وقوله جل اسمه وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله
معناه وقاتلوا الكفار حتى لا يكون شرك من غير اهل العهد وما
يجري مجراه ٥ والفتنة الشرك هذا لان الكفار كانوا يدعون الناس
الى مثل حالهم يغرونهم على اهل الحق تطاولهم فيفتنونهم عن دينهم
وقيل معناه حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ويجمع اهل الحق واهل
الباطل على دين الله ما يعتقدونه ويعملون به فيكون الدين
حينئذ كله لله بالاجماع على طاعة الله لان المراد بالدين هاهنا
الطاعة والانقياد وقوله جل اسمه فان انتهوا فان الله بما يعملون
بصير ٥ معناه فان انتهوا عن الشرك والفتنة فان الله يجازيهم
عن ذلك مجازاة البصير باعمالهم العالم باحوالهم ظاهرا وباطنا لا
يخفى عليه شيء منها وقوله جل اسمه وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى
ونعم النصير ٥ المراد بالمولى هاهنا الناصر والحافظ والمدبر ٥ ومعناه
فان اعرضوا عن دين الله ولم ينتهوا عن الشرك فاتقوا الله ايها
المؤمنون وتذكروا ما وعدكم به ربكم وهذا تسكين لنفوسهم
وتقوية للحق عندهم وقيل معناه فاعلموا ان الله ينصركم عليهم
فاخرجه على طريق الامر بالعلم ليكونوا على بصيرة في ان الغلبة
لهم وقيل انما جاز الامر في جواب الشرط لانه بمعنى الخبر فلم
يخرج من ان يكون الثاني للاول فكانه قيل فواجب عليكم العلم بان
الله مولاكم وانه نعم المولى ونعم النصير اي نعم الناصر لكم وقوله تعلى

واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على
عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير ٥ جعل
الله تعلى اخراج الخمس من الغنائم من شرط الايمان ٥ والمراد بقوله يوم
الفرقان يوم النصر وهو اليوم الذي التقى المؤمنون والكافرون ببدر فكانه
قيل ان كنتم امنتم بالله وبالذي انزل على محمد يوم الفرقان فارضوا بهذا الحكم
الذي حكم الله في الغنيمة وللعامة طريقة في الخمس وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ... فقال بعض فقهاء العامة الغنيمة والفيء واحد وعند اهل
البيت عليهم السلام الغنيمة ما اخذ بالقتال والفيء ما اخذ بغير قتال وقال
بعض علماء العامة هذه الاية ناسخة للتي في سورة الحشر وهي قوله تعلى ما
افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين الاية وقالوا انقسم الخمس خمسة اسهم لان سهم الله وسهم الرسول واحد
وقال بعضهم يقسم على اربعة اقسام سهم لبني هاشم وبني عبد المطلب
وقال بعضهم يقسم على ثلثة اقسام لان ما كان للنبي عليه السلام يصرفه
الذي يولا الامر من بعده في الكراع والسلاح وقال اكثرهم يقسم الخمس
على من ذكرهم الله في الاية ٥ وعن ابن عباس ذوو القربى بنو هاشم وقيل
بنو عبد المطلب وهذه الجملة التي ذكرتها في طريقة العامة ٥ فاما طريق
آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخمس من الغنيمة وغيرها فما روي
عن الباقر محمد بن علي وابي عبد الله جعفر وموسى بن جعفر وعلي بن موسى عليهم السلم
ان في الغنيمة وفي كل ما يخرج من البحر من اللالي وفي الكنوز وجميع معادن الذهب
والفضة والحديد والرصاص وما جرى مجراها الخمس وسهم الله كان
للنبي صلى الله عليه وآله يصرفه فيما يراه وسهم الرسول له وذوو القربى قرابة
رسول الله واليتامى المذكورون في الاية يتامى آل رسول الله ومساكينهم وابن
السبيل منهم ٥ وبعد رسول الله صلى الله عليه وآله الحق بخمس جميع ما
ذكرناه ثابت لهم والمانع ذلك عنهم ظالم لهم بين الله تعلى حق الخمس لمستحقه

وجعل اخراج الخمس من شرط الايمان ٥ وقيل انما فتحت أن في قوله
فان لله خمسه لان تقديره فعلى ان لله خمسه الا انه حذف حرف الجر
وقيل عطف على ان الاولى وحذف خبر الاول لدلالة الكلام عليه
تقديره واعلموا انما غنمتم من شيء يجب قسمته فاعلموا ان لله خمسه ٥
وزعم بعض النحويين انه يجري مجرى [illegible] تعلموا انه من يحادد الله ورسوله
فان له نار جهنم وهذا غلط لان لا تدخل على الجزاء في العادة ٥
وقوله جل اسمه اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب
اسفل منكم ٥ المراد بالعدوة هاهنا جانب الوادي واصلها الجهة
التي هي نهاية الشيء من احد جانبيه ٥ والدنيا معناه ادنى الى المدينة
والقصوى اقصى منها ٥ والمراد بالركب ابو سفيان واصحابه وكانوا في موضع
اسفل من موضع الفريقين الى ساحل البحر وهو الذي ساق العير التي
اقبلت من الشام وعسكر النبي صلى الله عليه واله وعسكر قريش نزلوا
الوادي والعير كانت اسفل منهم على الصفة التي ذكرها الله تعالى
والفريقان كانا التقيا في شفير الوادي ٥ وانما قلبت الواو ياء في الدنيا
ولم تقلب في القصوى لانه ذهب في الدنيا مذهب الاسم في قولهم الدنيا
والاخرة فان كان اصلها صفة لخفة الاسم احق بالتخفيف
وترك القصوى على حالها فلم يذهب بها مذهب الاسم وقوله جل اسمه
ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ٥ قيل
معناه ولو تواعدتم لاختلفتم لذهاب كل واحد من الفريقين مذهبا
يكون فيه بعض الميعاد من التقديم والتاخير والزيادة والنقصان
فيما انعقد له الميعاد ٥ وقيل معناه ولو تواعدتم ثم بلغكم كثرة عددكم
وقلة عددهم لتاخرتم فنقضتم الميعاد ٥ وقيل معناه ولو تواعدتم
من غير لطف لله تعالى لكم لاختلفتم بالعوائق والقواطع فذكر الميعاد
لتاكيد امره في الاتفاق لولا لطف الله ذلك لوقع على طريق الاختلاف
وعلى هذا النهج قول القائل جرت الرياح على محل ديارهم فكانهم كانوا على ميعاد

والسائل بقوله ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ما جرى من اسر
قوم منهم وقتل [illegible] ليقضي الله امرا كان مفعولا كائنا لا محالة من عز
الاسلام وعلو اهله [illegible] الاوثان وعبدتها من الكفار بتدبير
الله ولطفه وقوله جل اسمه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
وان الله لسميع عليم ٥ معناه ليهلك من هلك عن حجة عن قيام دليله
وحجة بما رأيتم من المعجزات والايات للنبي صلى الله عليه واله وسلم في
حرب بدر وسائر مقاماته ويحيى من حي عن بينة عن قيام الحجة ايضا ٥ ومن
ان الله يسمع ما يقوله القائل ويعلم ذلك على ما يضمره ٥ وقوله جل اسمه اذ يريكهم
الله في منامك قليلا ٥ هذا خطاب للنبي صلى الله عليه واله وذلك
ان الله تعالى اراه الكفار في منامه قليلا والرؤية هي المشاهدة
والرؤيا في المنام والرأي رأي القلب وذهب بعض العلماء الى ان معنى قوله في
منامك في عينك التي تنام بها وهذا خروج عن ظاهر الكلام من غير ضرورة
ومثله لا يصح وقوله جل اسمه ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر
ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور ٥ معناه ولو اراكهم كثيرا
واخبرت به اصحابك لفشلوا وضعفت نياتهم واختلفت كلمتهم
فبين تعالى ان الذي اراه في منامه كان لطفا للمؤمنين في الثبات للجهاد
ولكن سلم الله ذلك للمؤمنين لطفه لهم واحسانه حتى بلغوا ما ارادوا
من عدوهم وقوله جل اسمه واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور ٥
هذا خطاب للمؤمنين اخبر الله انه لطف لهم بان قلل الكفار في اعينهم
وقلل المؤمنين في اعين الكفار ٥ وروي عن ابن مسعود انه قال
لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لمن كان جنبي اتراهم سبعين رجلا فقال اراهم
المائة فلما اسرنا رجلا منهم سالناه كم كانوا فقال الفا وقلل الله اولئك
في اعينهم بان صدهم عن رؤية جميعهم فصار يستر بعضهم ولم يستر الباقين
وانما اشبه [illegible] ما يمنع من الرؤية وكان الغرض تقليلهم في اعينهم

في اعين الكفار لئلا
يجبن المؤمنين ويجترئوا عليهم وقلل المؤمنين في اعين الكفار
ليستعدوا لهم وقيل كثرة ليقضي الله امرا الاختلاف الفايدة فمعنى
الاول ليقضي الله امرا كان مفعولا من الالتقاء على الصفة التي حصلتم
عليها ومعنى الاخر تعليل كل فريق في غير صاحبه ليقضي الله امرا كان
مفعولا من اعزاز الدين لجهاد المؤمنين ما دبره الله لهم من النصر
الجميع الى حيث الله الذي وعدهم **وقوله جل اسمه** يا ايها الذين امنوا اذا
لقيتم فية فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون امر الله تعالى المؤمنين
بالثبات في وجه العدو وعند اللقاء وبذكر الله كثيرا لعلكم تفلحون
عند ذلك لانه داع الى النجاح بما فيه من تعظيم الله وداع الى الثبات
وتوقع ما وعد الله من النصر والفية الجماعة فاطلق لفظ الفية لان
المؤمنين لا يحاربون الا فية الا فية من الكافرين او الباغين مجموع ذلك
للايجاز ومعنى لعلكم تفلحون لكي تظفروا بما تطلبونه من عبد الله
وقوله جل ثناوه واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب
ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين امر الله تعالى المؤمنين
بطاعته وطاعة رسوله فيما يامرهم به وينهاهم عنه ونهاهم
عن التنازع والاختلاف فيما بينهم لئلا تفشلوا وتضعفوا
لان التنازع طريق الى الفشل والضعف ولئلا تذهب ريحكم
ومعناه دولتكم من قولهم ذهبت ريحه اي دولته وقيل ذكر هذا
على وجه المثل كانه قيل لهم ان لكم ريحا تنصرون بها فان تنازعتم
ذهبت ريحكم وقولهم ذهبت ريح فلان على معنى انه كان جرى
امره على السعادة بريح حملته اليها وقيل هي ريح النصر التي يبعثها
الله مع من ينصره ودعاهم الى الصبر على طاعة الله وعلى مجاهدة العدو
بقوله واصبروا وبين انه مع الصابرين باللطف لهم والتوفيق
والثواب الجزيل **وقوله تعالى** ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا
ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط. البطر

والاشر واحد وهو الخروج عن موجب النعمة والمراد بالذين خرجوا
من ديارهم قريش وذلك انهم خرجوا لحماية العير فلما نجا ابو سفيان
بالعير ارسل اليهم وهم بالجحفة ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو
جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وننحر جزورا ونشرب خمرا وتراها
من غيبنا من اهل الحجاز فنهاهم الله عن مثل ما فعله قريش وبين ان الله
محيط بما يعملون مجازيهم عليه علما واحاطة واقتدارا **وقوله جل اسمه** واذ
زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار
لكم الاية بين الله تعالى ان الشيطان زين للكافرين اعمالهم التي قدموا عليها
واصفهم ومناهم انه جارهم وانه لا يغلبهم احد وان كان هاهنا الدافع
عن صاحب السوء فدلت الاية على بطلان قول من يقول ان الله يزين
الكفر والمعاصي للكفار والعصاة لان الله تعالى اخبر ان الشيطان
زين لهم ذلك وورد في القصة ان الشيطان ظهر للكفار حين
زاره في صورة سراقة بن مالك الكناني في جماعة من جنده وكان
ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه واله لان احدا لا يقدر على
احداث الصورة وتغييرها وقلبها الا الله تعالى وقال لهم
لما ظهر لهم هذه كنانة اتتكم وكانت قريش تخوفت على انفسها منهم
وقوله جل اسمه فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني
بريء منكم معناه فلما التقى الجمعان ورأى ابليس الملائكة عليهم السلام
رجع هاربا وتبرأ من الكفار لما رأى الملائكة والنكوص رجوع
القهقرى **وقوله تعالى** اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله
والله شديد العقاب معناه ان الشيطان قال للكفار
اني ارى ما لا ترونه من حضور الملائكة ولم يرد بقوله اني اخاف الله
انه خاف عذاب الله وانما خاف ان يناله مكروه في ذلك المشهد من
جهة الملائكة فجعل خوفه الملائكة خوفا من الله تعالى وعلى هذا الوجه

يجب ان يكون قوله والله شديد العقاب ابتدا كلام لا
حكاية ٥ وقال بعض العلما ان ذلك ابليس في القول وسواس من
جهته ولم يتحول في صورة انسان وقوله جل اسمه اذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هولا دينهم ٥ معناه ان
المنافقين قالوا ذلك اليوم غر المومنين دينهم فلهذا اما تنوا المحاربة
لهولا و دخلت الواو في قوله واذ زين وسقطت من قوله اذ يقول
لان الواو عطف حال المومنين على حال حزب وحشهم بطرا ورئا الناس
والثاني هو قوله اذ يقول ابتدا كلام من جهة المنافقين وعامل
الاعراب فيه الابتدا على معنى ذلك اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض قيل شك ٥ وقيل نفاق ٥ وقيل هم لعلو شان النبي صلى الله عليه
واله وسلم والمومنين وكان هولا القوم الذين في قلوبهم مرض شك
مرتابين وكلهم في معنى المنافقين لان الشك في الاسلام كفر وقوله تعالى
ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ٥ اي ومن يتوكل على الله فهو
يكفيه لانه القادر الذي لا يعجزه شي والحكيم في افعاله واقواله وقوله جل اسمه
ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا
عذاب الحريق ٥ جواب لو محذوف تقديره ولو تراهم ايها السامع لرايت
منظرا عظيما وامرا عجيبا او عذابا شديدا ٥ ومعنى يتوفاهم الملائكة يقبض
ارواحهم على استيفايها لان الموت انما يكون باخراج الروح وكانت الملائكة يتوفاهم
وتضرب وجوههم واستاههم لان الادبار كناية عن الاستاه وقيل المراد
بادبارهم ظهورهم وهذا كان يوم بدر عند قتال الملائكة وورد في الخبر ان
رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم اني رايت في ظهر ابي جهل مثل
الشوك فقال ذلك من ضرب الملائكة ٥ وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه
واله اني حملت على رجل من المشركين فذهبت لاضربه فسقط راسه فقال
سبقك اليه الملائكة عليهم السلام وروي ان الملك كان يضرب الكافر

في الاسفل العضو الذي ضربه من جسده حتى لحى المسلم مضربه فينفصل
ذلك عند قصده الى ضربه ٥ وقال بعض العلما معنى يضربون وجوههم
سيضربهم الملائكة عند الموت وهذا خلاف الظاهر واجماع المفسرين ٥
والمحذوف من قوله وذوقوا يقولون وتقديره يقولون ذوقوا عذاب
الحريق بعد نعا او الحريق جهنم الاجسام الكبيرة بالنار العظيمة وقوله جل اسمه
ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ٥ معناه ذلك بما علم
وهو اشارة الى ما حل بهم يوم بدر ٥ وموضع بما قدمت يحتمل الرفع والنصب
فالرفع لانه خبر ذلك والنصب على معنى الصلة بمحذوف ٥ وتقديره ذلكم
جزاوكم بما قدمت ايديكم وبين تعالى انه لا يظلم احدا من عبيده ٥ وعامل
الاعراب يقول وان نصب على معنى وبان الله ويحتمل الرفع على معنى ذلك
ان الله كانه قال ذلك هذا وليس قوله بظلام للعبيد نفي المبالغة في الظلم
دون نفي الظلم وانما لانه جرى على طريق جواب من واضاف اليه فعل
جميع الظلم ولان نزول الكفار لو لم يكن على وجه الاستحقاق لكان ذلك ظلما
عظيما وقوله جل اسمه كداب ال فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله
فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ٥ الداب العادة
والقوي صفة الله يعني القادر ٥ وقد يكون القوي بمعنى الشديد الا انه لا
يجوز في صفة الله لان الشديد المتداخل على صعوبة تفكيكه ٥ وال فرعون اتباعه
ومعنى الاية عادة هولا الكفار كعادة ال فرعون ومن كان قبلهم لما كفروا
بايات الله اخذهم الله بذنوبهم فاهلكهم والعامل في قوله كداب الابتدا على تقدير
دابهم كداب ال فرعون وموضعه رفع لانه خبر الابتدا كانه قال دابكم ودابهم مثل
يكون خلقكم رفعا لخبر الابتدا وقوله جل اسمه ذلك بان الله لم يك
مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم ٥
الاشارة بقوله ذلك الى ما تقدم ذكره من الاخذ بالعقاب وكانه قال ذلك
العقاب المدلول عليه بان الله لا يغير النعمة الى النقمة الا بتغير النفس الى

يجب ان يكون قوله والله شديد العقاب ابتدا كلام لا
حكايه ٥ وقال بعض العلما ان ذلك الذي في القول وسواس من
جهته ولم يكن يحول في صورة انسان وقوله جل اسمه اذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هولا دينهم ٥ معناه ان
المنافقين قالوا ذلك اليوم غر المومنين دينهم فلهذا ما دنوا المحاربه
لهولا ودخلت الواو في قوله واذ زين وسقط من قوله اذ يقول
لان الواو عطف حال المومنين على حال خروجهم بطرا ورئا الناس
والثاني هو قوله اذ يقول ابتدا كلام من جهة المنافقين وعامل
الاعراب فيه الابتدا على معنى ذلك اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض قيل شك ٥ وقيل نفاق وقيل غم لعلو شان النبي صلى الله عليه
واله وسلم والمومنين وكان هولا القوم الذين في قلوبهم مرض شك
مترايين وكلهم في معنى المنافقين لان الشك في الاسلام كفر وقوله تعالى
ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ٥ اي ومن يتوكل على الله فهو
يكفيه لانه القادر الذي لا يعجزه شي والحكيم في افعاله واقواله وقوله جل اسمه
ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملايكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا
عذاب الحريق ٥ جواب لو محذوف تقديره ولو تراهم ايها السامع لرايت
منظرا عظيما وامرا عجيبا وعذابا شديدا ٥ ومعنى يتوفاهم الملايكة يقبض
ارواحهم على استيفايها لان الموت انما يكون باخراج الروح وكانت الملايكة يتوفاهم
وتضرب وجوههم واستاههم لان الادبار كناية عن الاستاه وقيل المراد
بادبارهم ظهورهم وهذا كان يوم بدر عند قتال الملايكة وورد في الخبر ان
رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم اني رايت في ظهر ابي جهل مثل
الشوك فقال ذلك من ضرب الملايكة ٥ وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه
واله اني حملت على رجل من المشركين فذهبت لاضربه فسقط راسه فقال
سبقك اليه الملايكة عليهم السلام وروي ان الملك كان يضرب الكافر

فلا ينبس العضو الذي ضربه بل بحيث جسده حتى لحق المسلم فضربه فينفصل
ذلك عند قصده الى ضربه ٥ وقال بعض العلما معنى يضربون وجوههم
سيضربهم الملايكة عند الموت وهذا خلاف الظاهر واجماع المفسرين ٥
والمحذوف من قوله وذوقوا يقولون وتقديره يقولون ذوقوا عذاب
الحريق يعني عذابا والحريق يحرق الاجسام الكبيرة بالنار العظيمة وقوله جل اسمه
ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ٥ معناه ذلك بما عملتم
وهو اشارة الى ما حل بهم يوم بدر ٥ وموضع بما قدمت يحتمل الرفع والنصب
فالرفع لانه خبر ذلك والنصب على معنى ان الصلة محذوف ٥ وتقديره ذلكم
جزاوكم بما قدمت ايديكم ومن نعلم انه لا يظلم احدا من عبيده ٥ وعامل
الاعراب يقول وان نصب على معنى وبان الله ويحتمل الرفع على معنى ذلك
ان الله كانه يقول ذلك هذا وليس قوله بظلام للعبيد نفي المبالغة في الظلم
دون نفي الظالم وانما لانه جرى على طريق جواب من واضاف اليه فعل
جميع الظلم ولان سائر الكفار لو لم يكن على وجه الاستحقاق لكان ذلك ظلما
عظيما وقوله جل اسمه كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات الله
فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ٥ الداب العادة
والقوي صفة الله يعني القادر ٥ وقد يكون القوي بمعنى الشديد الا انه لا
يجوز في صفة الله لان الشديد المتداخل على صعوبة تفكيكه ٥ وال فرعون اتباعه
ومعنى الاية عادة هولا الكفار كعادة ال فرعون ومن كان قبلهم لما كفروا
بايات الله اخذهم الله بذنوبهم فاهلكهم والعامل في قوله كداب الابتدا على تقدير
دابهم كداب ال فرعون وموضعه رفع لانه خبر الابتدا كانه قولك [illegible]
يكون حلفك رفعا لخبر الابتدا وقوله جل اسمه ذلك بان الله لم يك
مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم ٥
الاشارة بقوله ذلك الى ما تقدم ذكره من الاخذ بالعقاب وكانه قال ذلك
العقاب المدلول عليه بان الله لا يغير النعمة الى النقمة الا بتغير النفس اي

الحال السيئة ٥ وقوله ذلك ابتدا وخبره بان الله وهذا كقولك
العقاب بذنوب العباد فدلت الاية على انه لا يجوز العقاب
من غير ذنب فيبطل به مذهب المجبرة ومذهب كل من يزعم ان العقاب
يجوز من غير ذنب وقع ممن يعاقب ٥ وقد مر بيان قوله وان الله سميع
عليم في غير موضع وقوله جل اسمه كداب ال فرعون والذين من قبلهم
كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون وكل كانوا
ظالمين معناه عادتهم كعادة ال فرعون ومن كان قبلهم ممن
سلكوا منهاجهم لما كذبوا بايات الله اهلكهم الله واهلك فرعون
واتباعه بالغرق بين ان جميعهم كانوا ظالمين بما ارتكبوه من القبائح ٥
وقوله كداب ال فرعون ليس بتكرار ولكنه تصريح للقول في الذم
بما كانوا عليه من قبح الفعل ومثله لا يكون تكريرا معيبا وقيل ان الاول
صح ان الله على نوعين يخلفهم للعقاب محل عقوبة قوم المصلحة ولو
لم يفعل مثله لعقبهم في الوقت لتغير المعلوم فيهم انه ليس بمصلحة
لو فعله وقوله جل اسمه ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا
يؤمنون ٥ بين الله تعالى ان شر الخلق جميعه الذين كفروا واعرضوا
عن الايمان بالله ورسوله والفاء في قوله فهم عطف جملة على جملة
وهو في الصلة وكانه قيل كفروا مصرين على الكفر فهم لا يؤمنون
وقد مر بيان نظيرها في هذه السورة وقوله تعالى الذين عاهدت منهم
ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ٥ بين الله تعالى ان الكفار
الذين تقدم ذكرهم الذين نقضوا عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم
يتقوا الله فيه ولم يخافوا عقابه بترك الكفر ونقض العهد ٥
ونزلت الاية في بني قريظة لما نقضوا عهد النبي صلى الله عليه وآله
لانهم كانوا عاهدوه بان لا يحاربوه ولا يمالوا عليه ولا يعاونوا اعداءه
ثم مالوا عليه يوم الخندق فنقضوا عهده ٥ وقيل عطف المستقبل

على الماضي في قوله عاهدت منهم ثم ينقضون للبيان ان من شانهم
نقض العهد بعد مرة ويعني بقوله لا يتقون انهم ينقضون العهد
من غير ان يتقوا عقاب الله في عاجل امرهم واجله وقوله جل اسمه
فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ٥ اصل
الثقف المصادفة ثقفته اذا ادركته كل واحد منهما امر صاحبه
بسرعة في المصادفة به والتشريد التفريق على اضطراب ٥ ومعنى
الاية فان ظفرت بهم في الحرب فنكل بهم ان اشد تنكيلا
ليشرد بتنكيلهم من ناقضي العهد خوفا منك فهذا معنى شرد بهم
من خلفهم وقيل افعل بهم من القتل ما تفرق به من خلفهم ٥ ومعنى لعلهم
يذكرون لكي يتذكروا او يعتبروا وقوله جل اسمه واما تخافن من قوم
خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ٥ معناه وان
خفت خيانة قوم من نقض عهد وغيره فاعلمهم انك لست مقيم على
العهد الذي كان من قبل والنبذ هاهنا القا الخبر الى من لا يعلم
ومعنى سوا استووا في العلم الى اخر ضرب وجوه العذر للاعدا
حتى يحبوك لك النبوة العبي الى العدل وانما جاز عند الخوف ٥ والنبذ
نقض العهد خوفا باتيان الخيانة الدالة على نقض العهد من غير شهوه
لانه لو كان سهوه لم يجب النبذ كما جاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قبل نقض العهد ظاهرا اغنى عن النبذ ٥ ومعنى ~~[illegible]~~ الخائنين
لا يريد ثوابهم ولا يعطيهم مدحهم وقوله جل اسمه ولا يحسبن الذين
كفروا سبقوا انهم لا يعجزون ٥ معنى يعجزون لا يفوتون على الله حتى
لا يعاقبهم يوم القيامة ٥ وقيل لا يفوتون حتى يظفرك الله بهم ٥ من
قرا ولا يحسبن بالتاء وفتح السين ففيه وجهان احدهما حذف المفعول
بعد ترون الحسبن الذين كفروا سبقوا وقيل بحذف انهم بعد يرد لا
يحسبن الذين كفروا انهم سبقوا ٥ وقيل هو كقوله تعالى ومن اياته يريكم

البرق خوفا وطمعا بعده انه ان اكثره والوجه الثاني ولا
يحسبن المؤمنون الذين كفروا سبقوا وقوله تعالى واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم ه الاعداد اتخاذ الشيء لغيره مما يحتاج اليه في امره
ومعنى الاية واعدوا لاعدائكم السلاح والكراع اخافة لهم
حتى تمتلئ صدورهم من الاستعداد خيلا وسلاحا والرباط الخيل
اعدادها للقتال ه ومعنى ترهبون تخوفون يقال ارهبه
اذا خوفه وقوله جل اسمه واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ه
معناه ويخوفون به اعداء من الاجناس لا تعرفون عداوته والله
يعلم ذلك ولا يحتاج يعلمونهم لانه تعدى الى مفعول ثان لانه بمعنى
لا تعرفونهم الله يعرفهم ه قال الشاعر ه
فان الله يعلمني ووهبا وانا سوف نلقاه كلانا
وقيل في تعيين هؤلاء الاعداء الذين لا تعرفهم المؤمنون وجوه قيل
هم بنو قريظة ه وقيل اهل فارس وقيل المنافقون وقيل هم الجن
لا تعرفون عداوته وقوله تعالى وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف
اليكم وانتم لا تظلمون معناه وما انفقتم في سبيل الله وفر الله عليكم
جزاءه ولا ينقصكم شيئا وقوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل
على الله انه هو السميع العليم ه معناه فان مالوا الى الصلح والمسالمة
فمل انت اليها وتوكل على ربك في جميع امورك كلها فان الله يسمع ما يقول
عباده ويعلم ما يضمرونه ويظهرونه ويعلم مصالحهم وهم لا يعلمونها
وقال بعض المفسرين هذه الاية منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم الاية وبعضها نزل قبلها وقال غيره ليست
منسوخة لان هذه الاية موادعة اهل الكتاب والثانية في عبدة
الاوثان وقوله تعالى وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو .

الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين ه اصل الخديعة اخفاء الشيء
ومنه المخدع وهو الخزانة ه والماسد المتكبر عن الفعل على اثر ما
يصح فيه ه ومعنى الاية ان قصدوا ان يخدعوك فثق انت بالله
اذا حضر فان الله يكفيك شرهم وقد ايدك الله بنصره وبنصرك
بالمؤمنين وقوله تعالى والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا
ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم ه التاليف
الجمع على المشاكلة ه بين له تعالى انه الف بينهم وانه لم يكن في
امكان النبي عليه السلام ذلك التاليف ببذل الاموال فكانه قيل
لو انفقت ما في الارض جميعا من المال لجمعهم على الالفة لم تملك ذلك لكن
الله الف بين قلوبهم بلطفه قال بعض العلماء هذا في الاوس والخزرج
وقال غيره هو في كل متحابين في الله وفي الله وقوله تعالى يا ايها النبي حسبك
الله ومن اتبعك من المؤمنين ه هذه بشارة بنصر الله نبيه عليه السلام
متضمنة للتشجيع والتحسين والتسلية من الغم والحزن فكانه قيل له
لا تحزن ولا تخف فان الله تعالى يكفيك شر كل ذي شر وقوله تعالى
وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله ~~هو الذي~~ ه فهذه كفاية
الخدع خاصة فاعيد حسبك الله في قوله يا ايها النبي حسبك الله لانه يضمن
كفاية عامة في كل شيء وموضع من اتبعك يحتمل وجهين في الاعراب
احدهما النصب على معنى ذكر يكفيك الله ويكفي المؤمنين التابعين لك
وهو كقوله تعالى انا منجوك واهلك قال الشاعر ه اذا كانت الهيجا
وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند ه والوجه الثاني في الرفع
عطف على اسم الله تعالى ومعناه يكفيك الله تعالى ناصرا والمؤمنون الذين
اتبعوك وصدقوا بك واول من دخل في هذا المدح امير المؤمنين علي عليه
السلام باجماع اهل القبلة لانه اول من امن به وصلى قبل الناس معه سنين
كما قال صلى الله عليه واله صلت الملائكة علي وعلى علي قبل الناس بسبع سنين
وذلك انه لم يرتفع شهادة ان لا اله الا الله الا مني ومن علي فنصره قبل كل ناصر

وصح الفشلين و تابع البعض و هاجر الهجرتين و لم يشرك بالله طرفة
عين صلى الله عليه وآله وسلم. وقوله جل اسمه: يا ايها النبي حرض المومنين على
القتال. امر الله نبيه صلى الله عليه ان يحث المومنين على مجاهدة
الكفار ويرغبهم فيه بالوعد الجميل والثواب الجزيل
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة
يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون. قوى الله قلوب
المومنين لما علم فيهم من قوة البصيرة في الفتن فصار الواحد منهم يجاهد
الكفار ويصبر عليها فاوما الواحد منكم عشرة من الكفار
وذلك لبصيرتكم في الدين وفرط جهل الكفار. وقوله جل اسمه: الان خفف
الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا. ووقع قوله الان على التخفيف
ولم يقع على العلم حتى اقتضى حدوث علم الله لان الله تعالى عالم بذاته
بسائر المعلومات لا يعلم المعلومات بعلم قديم ولا بعلم محدث كما قال
الجهال لان المعلومات تنقسم قسمين قسم معدوم وقسم موجود
فالمعدومات كلها معلومة لله تعالى فيما لم يزل ولا يجوز ان يوصف
بانه عالم فيما لم يزل بوجود معدوم بل يصير موجودا في المستقبل
فاذا صح هذا المعنى فقوله الان واقع على التخفيف لان الله تعالى
خفف فرض الجهاد في الابتداء على كل عشرة من المومنين ان يقاتلوا مائة
من الكفار وعلى المائة قتال الالفين من الكفار لقوة اولئك المومنين
وقوة بصيرتهم في الدين وتوطين انفسهم على الجهاد وعلم الله تعالى
جميع ذلك منهم ثم حصل في الاسلام بعد ذلك قوم لم يكن لهم من القوة
والبصيرة ما كان لاولئك فخفف فرض الجهاد على الوجه الذي نطقت
به الاية. وقوله جل اسمه: فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين. وبين
في الاية الاولى مقاومة الواحد لعشرة وبين في الاية الاخرى مقاومة
الواحد لاثنين للعلة التي بيناها ولما خفف عنهم لا المتاخرين خفف

البصائر عن اولئك المتقدمين [illegible] فرضه للجهاد مخلفا ويحتمل
ان يكون معنى الان [illegible] لطف الله ويحتمل تحليل الله
[illegible] الاية الاولى ووردت في الرواية
انه كان بين نزول الاية الاولى ونزول الاية الاخرى مدة طويلة وان فرضنا
في [illegible]. وقوله جل اسمه: ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في
الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم. الاثخان
[illegible] القتال وعرض الدنيا حطامها ومالها [illegible] معنى الاية
الانكار على المومنين الذين في الموقعة بدر لا على النبي صلى الله عليه لان الرواة
[illegible] نزول الاية في اسارى بدر وكان ذلك قبل ان يكثر اهل الاسلام
فامر بقتل الكفار يوم بدر بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل
بنان فاسروهم ولم يقتلوهم طمعا في المال وطلبا للفداء وهو معنى قوله تريدون
عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم فلما كثر اهل الاسلام نزلت
الاية التي في قوله فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها. فقيل [illegible]
كل واحد [illegible] كان الواجب عليكم ان تثخنوا الاسرى ولا
تطمعوا في الفداء. قيل الاثخان في الارض المبالغة في القتل الذي يصد الناس
عن الشرك يدعو الى الحق فاختم عرض الدنيا [illegible] وارادة الله
عمل الاخرة بالطاعة المودية الى ثواب الجنة. والترتيب في معنى الاية ما كان
لنبي ان يكون له اسرى قبل تغليظ الحال من القتل الذي يكون فيه الاستئصال
للكفار ليصير ذلك عبرة لغيرهم وصادا عن الشرك وداعيا الى الحق. وفي الاية حجة
على المجبرة [illegible] الله تعالى [illegible] لارادة الخلق لانه لو كان الله تعالى
مريدا المال الذي ارادوه من الفداء لما صح هذه الاية والعقل [illegible]
بان صح ان الله تعالى لم يكن يريد المال الذي ارادوه. وقوله تعالى: لولا كتاب من الله سبق
لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم. معناه لولا كتاب الله سبق وهو ما كتبه
في اللوح المحفوظ انه لا يعذبكم على ذلك لمسكم فيما اخذتم من فداء الاسرى واخذ

الغنيمة عذاب عظيم ٥ وقيل لولا ان الله تعلى وجد في حكمته انه لا يعذبهم الا
بعد المظاهرة في البيان كما قال تعلى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
لمسكم عذاب عظيم ٥ وقيل انه كان سبق من الله عنه انه يحلل لهم
فلما فعلوا ذلك قبل ان يوذن لهم فقيل لهم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما
اخذتم عذاب عظيم ٥ وقيل لولا كتاب من الله سبق وهو القران الذي
امنتم به واستحققتم لذلك الغفران الصغاير لمسكم فيما اخذتم من الله
عذاب عظيم لاومن ذهب الى هذا قال لا يجوز ان يكون هذا الا صغيرة
لانهم لم يكونوا اهل الغفران فسنا قالا جاع ٥ وقال ايضا قد كان من النبي
صلى الله عليه الصغيرة بالاجماع من غير تعمد وقال اظن بها نزلت في قتل
الاسرى لا وروي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال احلت لي الغنايم
ولم تحل لنبي قبلي وقوله جل اسمه فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله
غفور رحيم ٥ قوله فكلوا اباحة لاكل الغنايم بما يقتضي الاذن بعد الحظر
ودخلت الفاء في قوله فكلوا على تقدير قد احلت لكم الفدا فكلوا
يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما اخذ
منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم ٥ الخير هاهنا المراد به البصيرة في دين
الله وحسن النية امر الله نبيه صلى الله عليه ان يقول للاسرى
الذين كانوا في ايدي المومنين ومعنى في ايديكم في وثاقكم من الاسرى فجعل ذلك
بمنزلة ما يقبض عليه القابض في يده لاستيلا عليه ٥ ومعنى ذلك قل لهم
ان علم الله في قلوبكم بصيرة في الدين وسمي الاسلام يوتكم خيرا مما اخذ منكم
من الغرا في الدنيا والاخرة ويغفر لكم ذنوبكم وقوله جل اسمه وان يريدوا
خيانتك فقد خانوا الله من قبل معناه وان عزموا على الاسرى على
نقض عهد الطاعة لله ورسوله وكان النبي صلى الله عليه وسلم لما
اطلقهم بالفدا اخذ العهد عليهم بان لا يحاربوه ولا يعاونوا الكفار
عليه فقال وان خانوك كما خانوا في ابتدا امرهم من اظهار الكفر

والعداوة لاولياء الله فقد خانوا اولياء الله من قبل فذكر الخيانة لله
هاهنا توسعا تجاوزا ٥ ومعنى قوله تعلى فامكن منهم والله عليم حكيم
اي امكنك الله منهم لما خانوا فاعفو بنكث لهم على ما كان منهم من اظهار العداوة
لاولياء الله وقوله جل اسمه ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولايك بعضهم اوليا بعض من
الله تعلى ان المومنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله بالمال والنفس
والمومنين من الانصار الذين والي المهاجرين بعضهم اوليا بعض في الارث
وكان المهاجرون والانصار في بدو الاسلام يتوارثون كما يتوارث
المسلمون الان وكان توارثهم بسبب الهجرة ٥ والنصرة فكانوا
يتوارثون دون ذوي الارحام ثم نسخ الله ذلك وقوله جل اسمه والذين
امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شي حتى يهاجروا ٥ معناه ومن
امن ولم يهاجر فليس له هذه الولاية حتى يهاجروا وان كانوا قرابة
وقوله جل اسمه وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
والله بما تعملون بصير ٥ معناه ان استنصركم المومنون الذين لم يهاجروا
وان لم يكن هذه الولاية المخصوصة على من يحاربهم فعليكم ايها المهاجرون
والانصار نصرهم عليهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق لانه كان بين المومنين
والاسرى عهد فانه ليس لهم ان ينقضوا ذلك العهد لاجل استنصار المومنين
غير المهاجرين عليهم وكان هذا في ابتدا الامر ثم نسخ ذلك في حجة الوداع
بجعل عليه السلام المومنين يدا واحدة وهو قوله صلى الله عليه المسلمون تتكافا
دماوهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم ٥ ومعنى نصرها هاهنا عالم
وقوله تعلى والذين كفروا بعضهم اوليا بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير ٥
قيل معناه بعضهم اوليا بعض في الميراث ٥ وقيل في النصرة والمعاونة ٥ والضمير
في قوله الا تفعلوه عايد الى معنى ما امروا به في الاية الاولى والثانية ومخرجه
مخرج الخبر ومعناه الامر فكانه قيل لهم الا تفعلوا ما امرتم به من التعاون
والتناصر والتبري يكن فتنة في الارض وفساد ٥ والفتنة هاهنا المحنة بالميل الى

الضلال **وقوله جل اسمه** والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ٥
معناه والذين كانوا بهذه الصفة التي ذكرها الله تعالى هم المؤمنون حقا ه
معناه انهم حققوا ايمانهم لما انفصلوا من الهجرة والنصرة خلاف من اقام
بدار الشرك ٥ وقيل هم المؤمنون حقا لان الله حقق ايمانهم بالبشارة
التي بشرهم بها ولم يكن لمن لم يهاجر ولم ينصر مثل هذا اذ وانقطعت
الهجرة بعد الفتح وقيل بقيت هجرة الاعراب الى الامصار الى يوم القيمة
ومن يعلم ان لهم مغفرة ذنوبهم ولهم رزق كريم والرزق الكريم
هاهنا طعام الجنة لانه لا يستحيل في اجوافهم نجوا ولكنه يصير كالمسك في لعا
والكريم الجود العظيم المشرف **وقوله جل اسمه** والذين آمنوا من بعد وهاجروا
وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
الله ان الله بكل شيء عليم ٥ معناه ومن آمن بعد وهاجر وجاهد الكفار معكم
فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في الميراث ٥ ومعنى في كتاب
الله قيل في اللوح المحفوظ وهو كما قال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في
انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ٥ ومعناه في اللوح المحفوظ ٥ وقيل
في كتاب الله معناه هاهنا في حكم الله ٥ فدلت الاية على موارثة
ذوي الارحام وهم الذين ليس لهم تسمية ٥ وكان زيد بن ثابت يجعل
المال لبيت المال ولا يورثهم ٥ وعند آل رسول الله عليهم السلام لا يكون لبيت
المال مادام يوجد واحد من ذوي الارحام ٥ وقيل كان في الابتدا يلقى الرجل
الرجل فيقول ترثني وارثك فلما نزلت هذه الاية ترك ذلك وروى ابي بن كعب
عن **النبي** صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من قرا سورة الانفال وسورة براءة
فانا شفيع له وشاهد يوم القيمة انه بريء من النفاق ويعطى من الاجر بعدد
كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات ويمحى عنه عشر
سيئات ويرفع له عشر درجات وحملة العرش يصلون عليه ايام
حياته في الدنيا ه

السورة التي يذكر فيها براءة وتسمى سورة التوبة مدنية
مائة وتسع وعشرون اية ٥ والفان واربعمائة وسبع وتسعون كلمة
وعشرة الاف وثمانمائة وتسعة وثمانون حرفا **قوله جل اسمه** براءة
من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين ٥ قيل انما ترك هاهنا
بسم الله الرحمن الرحيم ولم يذكر في اول هذه السورة لانها ضمت الى الانفال فكانتا
سورة واحدة لان السورة الاولى في ذكر العهد والثانية في رفع العهد
وقيل انما ترك لان بسم الله الرحمن الرحيم امان ونزلت سورة براءة لرفع الامان
وارتفع براءة على معنى هذه براءة من الله ورسوله ٥ وقيل هي مبتداء
والخبر الظرف الى و القول الاول اصح واظهر ٥ واصل البراءة انقطاع
العصمة وهي النبذ الى المشركين برفع الامان وليس يخلو السبب في
رفع الامان من غدر وقع منهم او لانه كان مشروطا الى ان
يرفعه الله عنهم وكان بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبينهم عهد
فاعلموا برفع ذلك العهد **وقوله تعالى** فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم
غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين ٥ التسيح السير ٥ والاعجاز الفوت
والاخزاء الاذلال بما فيه من الفضيحة وكان اباح لهم السير في الارض اربعة
اشهر وكان اولها يوم النحر لعشرين من ذي القعدة الى عشرين ربيع الاول
لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت ثم صار في السنة الثانية في عشرين
ذي الحجة وفيها حجة الوداع وكان سبب ذلك النسيء الذي كان في الجاهلية وسنبين
قصته في موضعها من هذه السورة ٥ وقيل كان التاجيل الاربعة الاشهر
لانها الاشهر الحرم الى اخر المحرم من اول شوال ٥ وقيل كان التاجيل
لمن فيهم من كان عهده اكثر من اربعة اشهر فحط اليها ومنهم من كان اقل فرفع
اليها **وقوله جل اسمه** واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر
ان الله بريء من المشركين ورسوله ٥ الاذان الاعلام وارتفع لانه عطف
على براءة ٥ وقيل ارتفع لانه يعني عليكم بمعنى الامر ٥ وقيل الحج الاكبر الذي
فيه الوقوف بعرفة والاصغر العمرة ٥ وقيل الحج الاكبر يوم عرفة نهارا وك

عن امير المؤمنين عن النبي صلى الله عليهما وعلى اهلهما وقيل هو يوم النحر
وروى ذلك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه واله وسلم وقيل ايامه
كلها ومعنى الاية واعلام من الله ورسوله يوم الحج الاكبر ان الله
برئ من المشركين ورسوله **وقوله جل اسمه** فان تبتم فهو خير لكم وان
توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم
معناه فان تبتم فهو انفع لكم بما لكم من الثواب والكرامة وان اعرضتم
عن الحق واصررتم على الكفر فاعلموا انكم لا تفوتون الله فانه حاكم
على اعمالكم وامر نبيه صلى الله عليه ان يبشرهم بعذاب في الاخرة
قصة براءة روى حديث براءة الثقات من رواة العامة ورواة ال
رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فالذي روي من طريق العامة
هو ما رواه ابو جعفر محمد بن ابرهيم بن عبدان بن جبلة القهستاني قال
حدثنا ابن هيثم بن محمد بن ثروان قال اخبرنا ابو خليفة قال حدثنا محمد بن عبد الله
الخزاعي قال حدثنا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن انس بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بعث ببراءة مع ابي بكر الى
اهل مكة فلما بلغ ذا الحليفة بعث اليه فرده وقال لا يذهب بها الا رجل
من اهل بيتي فبعث عليا عليه السلام وروى الفقيه ابو القسم الحسن بن
احمد بن ميران نعاس في ذي الحجة سنة سبع وسبعين ومائة قال
اخبرني ابو القسم الحسن بن علي بن عمرو الرزي بالرقة قال اخبرني الجريري
قال حدثنا الحسن بن اسمعيل قال حدثنا الهيثم بن عبيد ابو كهمل السار
وسعيد بن ابرهيم والوليد بن الرهب قالوا حدثنا عبد المؤمن بن
القسم الانصاري عن عبد الله بن شريك عن سعد بن ابي وقاص قال
قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في علي اربعة احد من احب
الي من الدنيا فقال سعد كنا في المسجد فاتينا ليلا فقيل اخرجوا غير النبي
فخرجنا فلما اصبحنا اتاه عمه العباس فقال يا رسول الله اخرجت اصحابك
واعمامك وتركت هذا الغلام معك في المسجد فقال ما انا امرت باخراجكم

ولا باسكان هذا الغلام ولكن الله امر بذلك قال قلنا
الثانية قال نعم بعث رسول الله صلى الله عليه ببراءة مع ابي بكر
فسار بها يوما وليلة او ما شاء الله ثم اتبعه عليا على ناقته العضباء
فلحق ابا بكر فبكى وقال يا علي هل نزل في شيء قال لا الا خيرا ولكن رسول
الله صلى الله عليه واله قال امرت لا يؤدي عني الا انا او رجل مني فرجع
ابو بكر الى النبي صلى الله عليه فقال يا رسول الله هل نزل في شيء
قال لا الا خيرا ولكن لا يؤدي عني الا انا او علي قلنا الثالثة قال
نعم بعث رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عمر بن الخطاب وسعد
بن عبادة فرجعا منهزمين فقال رسول الله صلى الله عليه لاعطين
الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يرجع
حتى يفتح الله على يديه ادعوا لي عليا وكان ارمد فتفل في عينيه ثم
اعطاها اياه ففتح له قلنا الرابعة قال نعم خرج رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم الى غزوة وخلف عليا في اهله فقالت
قريش انما خلفه من بغضه فلحقه علي فقيل الصلوة جامعة فاجتمعنا
الى رسول الله صلى الله عليه فقال يا علي اما ترضى ان تكون مني بمنزلة
هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وروى محمد بن عيسى بن عبيد
اليقطيني الكوفي عن الحسن بن سعيد عن عيسى بن عبد الله قال
سمعت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام يقول ان رسول الله
صلى الله عليه بعث ابا بكر ببراءة الى اهل الموسم فسار حتى نزل
الجحفة فنزل جبرئيل عليه السلام وقال يا محمد لا يبلغها الا انت او رجل
منك فبعث رسول الله صلى الله عليه عليا في طلبه فادركه
فاخذ الصحيفة ثم مر بها الى اهل الموسم فلما وقف عليهم انشا الخطبة
بليغة اولها الحمد لله المسعد الى خلقه الذي كان ولا شيء يكون
لم يكونه شيء فيكون قبله ولم يكن من شيء فيكون له والد ولم يسبقه

شيء فيكون له بدٌّ ثم قال في آخر الخطبة وهذا محمد رسول الله
صلى الله عليه وآله يدعوكم إلى الدين وهو فيكم الأمين فأجيبوا
داعي الله وآمنوا به واستووا إليه وقد دعت الرسل من كان قبلكم
ولم يكن الله ليدعكم سدى حتى يبين لكم وهذا كلام الله ورسالة
محمد صلى الله عليه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم براءة من الله
ورسوله فقرأها إلى تسع آيات ثم قال وقد بلغت الرسالة
عن سيد النبيين وقامت عليكم الحجة فاستجيبوا لله وللرسول إذا
دعاكم لما يحييكم سبل السعادة فإن تولوا فليس بمعجز الله طرّاً بأفاعيلها
لا يطلب مثل طلبه طالب ولا أسرع منه هارب ولكم معاد يوم لا
تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ثم تعرض هلاك وغضب
من الله والتلف والحسرة بعده فقالوا له يا ابن أبي طالب لولا مكان
أبيك لم تسلم وقد قمت مقاماً تعرضت فيه لنفسك فانصف وقد سمعنا
مقالتك وعصيناك فهذا جواب ما تدعونا إليه ه وروى محمد بن عيسى
عن عبيد بن إسحق عن يحيى بن اليمان عن سفين عن أبي إسحق عن يوسف
صاحب أمير المؤمنين عليه السلام قال يوسف قلت له بم بعثك
رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مكة فقال ببراءة لأقرأها عليهم
فمنعت فناديت فيهم لا يدخل الجنة إلا نفس زكية ولا تطوفن بالبيت عريان
بعد سنتك إلا ضربت عنقه ولا يحج بعد عامه مشرك ومن كان بينه وبين
رسول الله صلى الله عليه عهد فهو إلى مدته ومن لم يكن له عهد فمدته
إلى أن تمضي أربعة أشهر فسيحوا في الأرض أربعة أشهر الآية قال فطاف
بالبيت قوم عراة بعد ذلك فضربنا عنقهم ثم أمرت أنا أبو أيوب الأنصاري
أن ننادي في الناس ألا إن الله قد طهر دينه فلا تعبدوا اللات والعزى إلى
يوم القيامة يا أهل مكة لا أدب لكم عندي غير السيف فمن شاء قاتل هذه

الفضة والنفقة مثل أن ينزل القصل في حيوة رسول الله صلى الله عليه وآله
لأدان سائلة حتى يريد ويعتق غيره ولا أصلح بعد وفاة النبي صلى الله عليه
أن يكون إماماً لأمته أعمالها أميناً عليها وهذا أعلى بأول ذكره
وهذه وفي قوله صلى الله عليه لا يبلغها إلا أنا أو رجل مني بيانات
عظيم وخطب جليل وتنبيه عالية لأن قوله أو رجل مني ليس المراد به
أنه من المؤمنين لأن غيره قد شاركه فيه ولا أنه من قرابته ومن أصحابه
لمشاركة غيره له فيه وإنما المراد به منه عصمة وطهارة وكمالاً ووقاره
وحكمة وعلماً وحلماً وزهداً وشجاعة وسائر الخصال الحميدة وترجمه
ذكره في قول الله تعالى إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران
على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ه فأخبر أنه جعل آخر
آدم صفوته وكل من ذكره بعده ولا يتخذ أحداً صفوة إلا من كان
صفياً فدخل فيه جميع الأنبياء والأئمة والأوصياء والأوصياء من لدن آدم
إلى محمد صلى الله عليهما وعلى آلهما الطاهرين وقوله تعالى إلا الذين عاهدتم من
المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم
إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ه المظاهرة المعاونة ووقع الاستثناء من
براءة الله ورسوله من المشركين إلا الذين عاهدتم منهم ولم ينقصوكم شيئاً ه
وقيل وقع الاستثناء من قوله اقتلوا المشركين إلا الذين عاهدتم بعلة
إلى هاهنا بأمر الله وفيه خلاف ه ومعنى ولم ينقصوكم من شروط العهد
شيئاً ولم يعاونوا عليكم أحداً من أعدائكم ولم ينقصوكم من حقكم شيئاً
في عهدكم فمن كان هذه صفته فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم فإنه
من شرط التقوى وإنه يحب المتقين وقوله تعالى فإذا انسلخ الأشهر
الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واحصروهم واقعدوا لهم
كل مرصد ه ومعناه فإذا انقضت الأشهر الحرم التي حرم فيها القتال
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ما سوى من صفوا عليهم
محصورين والأشهر الحرم قيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم

تلبسوا بشي واحد فردة وقيل هي الاربعة الاشهر التي جعل
الله لهم ان يسيحوا فيها اخرها عشرون من ذي الحجة والمحرم
وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر ٥ ومعنى واقعدوا
لهم كل مرصد ترصدوا لهم حتى تتمكنوا منهم وتقطعوا امرهم ٥
وانتصب كل مرصد على الحذف تقديره على كل مرصد ٥ وقيل
هو ظرف كقولك ذهبت مذهبا ٥ والمرصد المكان الذي
يرصد فيه وقوله جل اسمه فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة
فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم ٥ معناه فان تابوا عن الشرك
وتمسكوا بالشريعة باقام الصلوة وايتا الزكاة فلا سبيل لكم عليهم
فان الله يغفر لهم ما قد سلف وقوله جل اسمه وان احد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه ٥ معناه فان
استامنك يا محمد احد من المشركين فاعطه الامان وامنه حتى يسمع كلام
الله ثم رده الى مامنه لينظروا في امرهم ويتفكروا ويختاروا ما يصلح لهم
وقوله تعلى ذلك بانهم قوم لا يعلمون ٥ بين الله تعلى انه يعاملهم على هذا
الوجه لانهم قوم لا يعلمون دين الله ولا يعلمونه وما قراه النبي صلى الله عليه
واله عليهم هو كلام الله على الحقيقة لانه حكاية كلام الله وان كانت القراءة
فعل النبي صلى الله عليه واله وهو كما يقول هذه قصيدة امرئ القيس وخطبة امير
المومنين وكلامه وان كان ما يقوله من الكلام والخطبة فعلك وعلى هذا
يقول ديننا دين محمد على الحقيقة وان كان ما فعله غير ما فعله لما
كانت حكاية له ٥ ودلت الاية على ان كلام الله هو هذه الحروف المنظومة
التي انزلها على الانبيا عليهم السلام لان ما لم يكن بهذه الصفة لم يكن
مسموعا فلو كان كلام الله سبحنه وتعلى صفة قايمة بذات الله
كما قال الجهال لم يكن ذلك مسموعا والله سبحنه يقول حتى يسمع كلام
الله فبان بذلك ان الكلام المسموع هو هذه الحروف المنظومه

وهذه الحروف يكون فعلا من افعال الله وما كان فعلا لم يكن قديما
وانما يكون محدثا وقوله تعلى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند
رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ٥ بين الله تعلى انه لا
ينبغي ان يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا من جرى له
العهد عند المسجد الحرام فاستثناهم من جملة المشركين وفي الاية محذوف
وذلك المحذوف هو العهد لانه على طريق الانكار ان يكون لهم عهد وايجار
هذه والاستثناء في قوله الا الذين عاهدتم على الايجاب لان الكلام الذي
قبله في معنى النفي فكانه قيل ليس يكون للمشركين عهد الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام والذين جرى لهم العهد قيل هم قوم من كنانة وقيل
جملة قريش وقيل قبيلة خزاعة ٥ والمسجد الحرام سمي بحظر صيده
وحظر سفك الدماء فيه وحظر اسد الله ما يستدل به غيره من المساجد
وقوله جل اسمه فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين ٥
معناه فاوفوا بعهدهم ما داموا مستقيمين على العهد غير ناقضين
له لان الله يحب المتقين وقوله جل اسمه كيف وان يظهروا عليكم
لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة ٥ الظهور العلو والغلبة والال العهد
وقيل هو اسم من اسماء الله تعلى ٥ وقيل الال القرابة وقيل الجوار
وقيل اليمين والاصح العهد واصله اللمعان يقال ال يال الا اذا لمع
وفي الاية محذوف وتقديره كيف لهم عهد وان غلبوكم وظفروا
بكم لم يراعوا الا ولا ذمة وقوله تعلى يرضونكم بافواههم وتابى
قلوبهم واكثرهم فاسقون ٥ معناه يقولون لكم بافواههم ما ليس في
قلوبهم ويطلبون بذلك القول مرضاتكم في الظاهر والاعتقاد
على خلافه لكونهم فاسقين متمردين في كفرهم وقوله واكثرهم والمراد
كلهم موضع الخصوص موضع العموم توسعا ومجازا وقوله جل اسمه اشتروا
بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون ٥ معناه

اشتروا بايات الله ثمنا قليلا ٥ وهو انهم باعوا ايات الله بثمن
قليل وهو ما اخذوه من المال وقيل نزلت الاية في الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان
على طعامه لمحاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في قوم من
اليهود دخلوا في العهد وصدوا الناس عن دين الله ٥ والفاء في قوله فصدوا
معناها معنى جواب الجزاء لان اشتراهم هو اداهم الى الصد عن سبيل
الله ٥ وبين الله تعلى ذمهم وبوبخهم انه ساء ما عملوه على سوء هو من
الافعال السيئة القبيحة وقوله تعلى لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة واولئك
هم المعتدون ٥ المعتدى المجاوز عما حد له ٥ بين الله تعلى في هذه الاية
انهم لا يرعون عهدا ولا ذمة في المومنين وانما اعيد ذكر لا يرقبون للعقد
لان الاول كان في صفة جميع الناقضين للعهد ٥ والثاني في صفة الذين اشتروا
بايات الله ثمنا قليلا وقيل الاول في صفة الناقضين عامة والثاني في
اليهود خاصة وقوله تعلى فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكاة فاخوانكم
في الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون ٥ بين ان هولا الذين تابوا ان داموا على
فعل الصلوة التي وردت بها شريعة محمد صلى الله عليه وآله واعطوا زكوة اموالهم
على الحد الذي بينه الله تعلى كانوا اخوانكم في دين الله وانما اعيد ذكر
فان تابوا لا اعادة ذكر لا يرقبون وقد بينا وجه اعادة ذلك ٥
ومعنى الايات بينها المخصوصة لتمييز كل واحدة منها من غيرها
فتظهر مدلولها على ابهم ما كان من الظهور وقوله جل اسمه وان نكثوا
ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا
ايمان لهم لعلهم ينتهون ٥ معناه وان نقضوا عهدهم وايمانهم بعد ان
عقدوا العقد واعطوا صفقة اليمين فقاتلوا ائمة الكفر مثل رؤسا
قريش مثل ابي جهل وامية بن خلف وابي سفيان وسهيل بن عمرو وغيرهم
وهم الذين هموا باخراج الرسول كما نطقت الاية التي بعد هذه
بها ٥ وبين تعلى انه لا ايمان لهم بما يحلفون وما يعقدون من عهد

وعهد فقاتلوهم لكي ينتهوا عما هم عليه وقوله جل اسمه الا تقاتلون
قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم
فالله احق ان تخشوه ان كنتم مومنين ٥ ذكر الله تعلى هذا
على سبيل الحث للمومنين على قتال هولا الكافرين الذين نكثوا ايمانهم
وهموا باخراج الرسول من وطنه وهم الذين بدؤا بنقض عهد الرسول
والمومنين وبين الله في خشيته هولا الكافرين تحسرا لهم ان
الخشية من الله اولى لانه للعذاب الدائم اولى واحرى في جعل
الخشية من المومن بسقوط الايمان وقوله جل اسمه قاتلوهم يعذبهم
الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين ٥
فسر يعذبهم الله بايديكم انكم اذا اتيتموهم بالسلاح من
السيف والنبل والرماح انزل الله بهم العذاب ٥ وقيل هذا
على وجه التوسيع والمجاز ٥ بين الله تعلى انهم اذا قاتلوهم عذبهم
الله بايدي المومنين واخزاهم وشفى صدور المومنين ونصرهم
على الكافرين ٥ وقيل ان شفا صدورهم بخزاعة لانهم
نقضوا العهد بقتالهم ٥ وقيل في اعراب ويخزهم اوجه
احدها الجزم على العطف والنصب على الظرف والثالث الرفع على
الاستيناف وقوله جل اسمه ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله
على من يشاء والله عليم حكيم ٥ بين الله تعلى انه يذهب غيظ
قلوب المومنين وهو عطف على قوله ويشف ٥ وبين انه يتوب على
من يشاء ومعناه ويقبل توبة من يشاء ٥ ووجه اتصال قوله ويتوب
الله بما تقدم اتصال البشارة بان منهم من يتوب ٥ وقيل اتصل
به لانه ليس في قتالهم اصطلاح لاحد منهم عن التوبة ٥ وارتفع ويتوب
تخرجه عن موجب القتال وقوله جل اسمه ام حسبتم ان تتركوا
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا
رسوله ولا المومنين وليجة والله خبير بما تعملون ٥ الوليجة الدخيلة في القوم

من غيرهم وليجة ولما يعلم الله طرفة النفي وهو ابلغ في بابه وتقدير
الآية ام حسبتم ان تتركوا ولما تجاهدوا وتمتنعوا ان تتخذوا من
دون الله وليجة لعلم الله ذلك منكم بخلاف العلم النفي للمعلوم وهذا مثل قوله ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
وقد مر بيانه في سورة آل عمران ومعنى ولما يعلم الله لم يحصل المعلوم موجودا
منكم ونهاهم الله ان يتخذوا غير الرسول والمؤمنين بطانة يفشون
اليهم اسرارهم فكانه قيل لهم لا تحسبوا ان الله يترككم من غير جهاد
ويرضى منكم ان تتخذوا غير الرسول خواصا وبطانة وبين انه عالم
بما تفعلونه لا يخفى عليه خافية والله يجازي كلا بافعاله وقوله جل اسمه
ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر
معناه ليس للمشركين ان يعمروا المسجد وهم يشهدون على انفسهم بالكفر
ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر اخباره بما يبين فيه الخبر دليل على
كفره لا انه يقول بلسانه انه كافر الا انه كما يقال للرجل كلامك يشهد
بالمظالم وقيل معنى شهادتهم بالكفر على نفسه ان النصراني اذا
قيل له ما انت قال نصراني واذا قيل لليهودي ما انت قال يهودي
وللعابد الوثن ما انت قال مشرك وقوله جل اسمه اولئك حبطت
اعمالهم وفي النار هم خالدون منع الله تعالى المشركين من عمارة
المسجد تنزيها للمسجد من نجاسته وبين ان عمل المشرك محبط لا ثواب
له عليه لشركه وانه يكون خالدا في النار ان مات على كفره
وقوله جل اسمه انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام
الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من
المهتدين لما منع الله تعالى المشرك عن عمارة المسجد بين صفة
من له ان يعمر المسجد وهو من آمن بالله وصدق بالبعث والقيمة
واقام الصلوة التي فرضها الله وآتى الزكوة التي اوجبها الله واتبع
صفته هذه لم يخش الا الله والخشية من الله انما تكون بترك

المعاصي خوفا من عقاب الله ومن كان كذلك كان من المهتدين وانما
قال فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ولم يقل فاولئك هم المهتدين
فقيده بلفظة عسى ليكونوا على حذر مما يحبط اعمالهم ويخرجون
من صفة المهتدين وقد يدخل في جملة عمارة المساجد عمارتها بالصلوة
لئن تجدد احوال الطاعة لله من اولي الالباب التي يكون المسجد عامرا
بها لا انها الطاعة المؤدية الى الجنة وقوله جل اسمه اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في
سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين
جاء هذا البيان على وجه الانكار على من سوى بين العامر للمسجد الحرام
والقائم بامر سقاية الحاج وبين من آمن بالله واليوم وجاهد في سبيل
الله لان قوله لا يستوون عند الله يدل على ذلك وفي الآية محذوف
وهو كايمان من آمن بالله فاقيم الاسم مقام المصدر وهو كقول القائل
السخي حاتم وقيل فيه آخر وتقديره وصاحب سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام فقام المصدر مقام الاسم على ان اصل السقاية مصدر
قال الشاعر لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى ولكنما الفتيان كل فتى ندي
وتقديره ما الفتيان فتيان نبات اللحى وسبب نزول الآية
فيما رواه محمد بن عيسى القطعي والكوفي عن الحسن بن محبوب رفعه الى
ابي الطفيل صاحب امير المؤمنين علي عليه السلام قال بينا العباس
بن عبد المطلب واسمعيل بن شيبة بمسجد الرسول صلى الله عليه
اذ خرج علي بن ابي طالب عليه السلام من بيته فقال لاسمعيل لا تدع لهذا
الغلام فيصغر اليه نفسه فقال اسمعيل هذا ابن اخيك وانت احق به
فاقبل علي حتى جلس اليهما وسلم على عمه واساء الكرش ثم سمر اذ قال
العباس انا سيد قريش بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ولنا سقاية
الحاج لا يليها غيرنا فقال بن شيبة بل نحن اعظم قريش خطرا واعزهم
نسبا ولنا مفتاح البيت لا يليه غيرنا فقال علي بن ابي طالب اقلا

العباس

اذ اكما على من هو خير منكما ما الا ومن الك فقال من صنع بكما انسعد
حتى قادكما الى الاسلام فقاما الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكوان
عليا فاخبر العباس النبي صلى الله عليه بقوله فقال صدقت يا عم
النبي ابك كذلك واخبره بن شيبه بما قال فقال كذلك ثم اهل النبي
فاخبره على بما قال فلم يقل النبي عليه السلام صدق على ولا كذب حتى انزل
الله تعالى الايه فتلاها جبريل صلى الله عليه على النبي صلى الله عليه الايه
الى اخرها فقال النبي صلى الله عليه وآله قم يا عم فقد قضى الله بينكم
فمن تامل ذلك علم ما فيه ٥ ومعنى والله لا يهدي القوم الظالمين
لا يهديهم الى طريق الجنة التي هي ثواب الله وقوله جل اسمه الذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم
درجة عند الله واولايك هم الفايزون ٥ معناه ان من كانت هذه
صفته كان اعظم درجة عند الله وانه من الظافرين بما يطلب ٥ وقيل
انما قال اعظم درجة عند الله وان لم يكن درجة عنده لمن كان
بخلاف هذه الصفة على نحو قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
واحسن مقيلا ٥ وان لم يكن في استقرار اهل النار خير كان المراد
ان للمومنين منزلة عند الله وقوله جل اسمه يبشرهم ربهم
برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ٥ معناه يبشر الله
هولا الذين لهم درجة عند الله في [illegible] البشارة ان الله ينعم عليهم
ويرضى عنهم وانه يثيبهم جنات النعيم وقوله جل اسمه خالدين فيها ابدا
ان الله عنده اجر عظيم ٥ بين الله تعالى انهم يكونون في ذلك النعيم
خالدين ابدا وان الله عنده ثواب جزيل للمومنين وقوله جل اسمه
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباكم واخوانكم اوليا ان استحبوا الكفر على
الايمان ٥ يقال في اللغة استحب بمعنى احب ويقال استحب طلب المحبة
وعلى الوجهين جايز في تاويل الايه فنهى الله المومنين عن موالاة ابايهم
واخوانهم اذا كانوا كفارا اعدا الله ورسوله وقوله جل اسمه ومن يتولهم

منكم فاولايك هم الظالمون ٥ معناه ومن تولى المشرك فهو مشرك ومن
تولى الظالم فهو ظالم وقوله جل اسمه قل ان كان اباوكم وابناوكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في
سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين ٥
الاقتراف الاكتساب وقوله فتربصوا انتظروا ٥ بين الله تعالى ان من كان
مومنا فمن حقه ان يختار طاعة الله وطاعة رسوله والجهاد في سبيل
الله فيوثرها على الابا والابنا والاخوان والاهل والقرابات والوطن
والاموال والتجارات ٥ وبين ان من لم يختار شيا من ذلك على دين الله
والجهاد في سبيله فهو المستحق للعقاب وهو عن الايمان بعيد
الذهاب ٥ ومعنى فتربصوا حتى ياتي الله بامره انتظروا حتى ياتي امر الله
وهو فتح مكه وقيل معناه حتى ياتي امره من عقوبة عاجلة او اجلة
وبين ان الله لا يثيب الفاسقين ولا يلطف لهم ما يلطف للمومنين
جزا على ايمانهم واعمالهم ولا يهديهم الى طريق الجنه والذي اقتضى نزول
هذه الايه محبتهم الابا والابنا والاخوان والعشيره والاموال
والاوطان التي سكنتهم وشغلتهم عن الجهاد والهجرة وقوله جل اسمه
لقد نصركم الله في مواطن كثيره ٥ من الله عليهم بانه نصرهم على
الكفار في مواطن كثيره وكان ثمانين موطنا كما وردت الروايه وقوله تعالى
ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيا ٥ حنين واد بين
مكه والطايف ٥ وقيل واد الى جنب ذي المجاز ٥ ومعنى نصركم
يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم اي كثرة عددكم فلم ينفعكم كثرتكم
وكان بلغ عدد المومنين اثني عشر الفا ٥ وكان السبب في انهزامهم
اعجابهم بكثرتهم حتى قال قايلهم لن نغلب اليوم ٥ ويجوز ترك الصرف
حنين على اسم البقعه ٥ قال الشاعر ٥ نصروا نبيهم وشدوا
ازره بحنين يوم تواكل الابطال وقوله تعالى وضاقت عليكم الارض

بما رحبت ثم وليتم مدبرين ٥ الرحب السعة في المكان ٥ ومعناه
ولم يكن لكم موضع للفرار من عدوكم مع سعة الاماكن ثم انهزمتم
اخزا وقوله تعلى ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين
السكينة الرحمة التي تسكن اليها القلوب ٥ وقيل هي الامنة والطمانينة
وقيل الوقار ٥ ومعناه ثم من الله تعالى بان انزل السكينة على رسوله
وعلى المومنين بعد انهزامهم وقوله تعلى وانزل جنودا لم تروها
معناه وانزل من السما ملائكة وانتم لم تروها ٥ وروي ان الملئكة عليهم
السلم لم تقاتل الا يوم بدر ونزلت في يوم حنين وغيره من المواطن
من جهة الخواطر التي تشجع قلوبهم وتجبن عنهم اعداهم لتقع الرعب
في قلوبهم وقوله جل اسمه وعذب الذين كفروا وذلك جزا الكافرين
قيل العذاب ها هنا الاسر والقتل وسلب الاموال مع الصغار
والاذلال وقوله تعلى ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشا
والله غفور رحيم ٥ معناه ثم يقبل الله التوبة ممن يسلم منهم
لانه غفور رحيم ٥ فاما ثم ها هنا للعطف على الفعل الاول كما
ذكرنا في بلد مواضع متقاربة للعطف وشرطت التوبة بالمشية
ها هنا لان منهم من له لطف يصلح به والله تعلى يشا ان يلطف
له ومنهم من لا يلطف في المعلوم يصلح به فلذلك شرطنا التوبة
بالمشية وقوله جل اسمه يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا
يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ٥ انما سمي المشرك نجسا
لان الشرك يجري مجرى القذر الذي يجب تجنبه فسمي نجسا لهذا المعنى
وقيل لا تصافحوهم وان من صافحهم فانه نجس رجس ٥ ونهى الله تعلى
المشركين على ان يقربوا المسجد الحرام وامر المومنين بمنعهم من ذلك
اذا تمكنوا منه ٥ والمراد بالعام هو العام الذي بعث فيه امير المومنين علي عليه
السلم بسورة براة وكان ذلك لتسع مضين من الهجرة وكانت بعده

حجة الوداع وقوله جل اسمه وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من
فضله ان شا الله ان الله عليم حكيم ٥ العيلة الفقر ٥ ومعناه
وان خفتم فقرا فان الله يغنيكم من فضله وقيل كانوا خافوا انقطاع
المتاجر والمنافع اذا منعوا المشركين عن ان يقربوا المسجد الحرام
ويدخلوا مكة فوعدهم الله تعلى بالفضل والغنى وامنهم من الفقر وشرط
الغنى بالمشية لان منهم من لا يبلغ هذا الغنا الموعود به ٥ وقيل ليقطع
الامل الى الله عز وجل كما قال تعلى لتدخلن المسجد الحرام
ان شا الله امنين واختلف العلما في انه هل يجوز ان يقرب
المسجد الحرام مشرك على وجه فقال بعضهم لا يجوز الا ان
يكون عبدا او واحدا من اهل الذمة ٥ وقال غيره لا يجوز
ذلك على وجه ولا يدخله احد من اليهود والنصارى ايضا وهذا
هو الاصح لعموم الظاهر وقال هذا القايل لا يدخلون مسجدا
من المساجد ايضا ٥ وروي رخصة لاهل الذمة في دخوله قدر ما
يترافعون فيه الى الحكام فاذا حكموا بينهم خرجوا وقوله تعلى
قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم
الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى
يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ٥ امر الله تعلى المومنين
بقتال من لا يومن بالله وبالبعث بعد الموت ويستحل ما حرم الله
ورسوله ولا يطيعوا الله في الدين الذي اتى به محمد صلى الله عليه
واله وسلم وهو دين الحق والمعني بذلك اهل الكتاب فلهذا ما قال
من الذين اوتوا الكتاب فدلت الاية على انه قد كان فيهم
من لا يقر بالبعث وله تاويل ٥ فامر الله تعلى بقتالهم الى ان

يعطوا الجزية وهم اذلا صاغرون في تلك الحال ٥ ومن حمله
على العموم فيهم قال انما قيل لاهل الكتاب انهم لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر مع اقرارهم بذلك على طريق الذم لهم
لانهم بمنزلة من لا يقر به في عظم الجرم كما انهم بمنزلة المشركين في
عبادة الله بالكفر ٥ وقيل انما وصفوا بذلك لان اقرارهم بذلك كلا
من غير معرفة فليس اذا بايمان واكثرهم بهذه الصفة والعطا
الجزية يجب ان يكون باليد وقيل واحدة يجب ان يكون حالبا وقيل عن
يد لنفاذ وحال الغصب لاخذه ومعنى الصغار الذل وقيل النكال
الذي يصغر مقدار صاحبه وقوله تعلى وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول الذين
كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون ٥ المضاهاة المشاكلة
وروي ان جماعة من اليهود قالوا عزير ابن الله والدليل عليه ان
اليهود في وقت نزول هذه الاية سمعوا ذلك ولم ينكروه لانهم لو كان
منهم انكار في ذلك لكان يعلمه ظاهرا يسمعونه ويجعلونه شيئا
لتكذيبه كما كانوا يسمعون في كثير من الاشياء وانما انكر اليهود ذلك
في هذا الوقت وهو كقول الخوارج معذب الاطفال وانما قالته الازارقة
منهم فاضيف ذلك الى الجميع ٥ وقيل كان القائل لذلك من اليهود
سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وابن قيس ومالك بن الصيف فانزل
الله تعلى فيهم الاية فاما النصارى فقد قالوا كلهم بان المسيح ابن الله
على الوجه الذي ذهبوا اليه وبينا ذلك فيما مضى وقيل ترك صرف عزير
على قراءة من قرأه لانه معرفة اعجمي ولان الابن ها هنا صفة بين علمين
والخبر محذوف وتقديره معبودنا او نبينا ٥ وقيل حذف النون لالتقا

الساكنين تشبيها بحذف الذي وقوله تعلى وحده ذلك قولهم
بافواههم ٥ معناه ليس يرجع قولهم الى معنى صحيح وهو لا يجاوزوا
افواههم اقوالهم يشبه قول الذين كفروا وقيل شبهه عبدة الاو ثان
وقيل تشبيه قولهم من عبادتهم اللات والعزى وقيل تشبيه قولهم ان
الملئكة بنات الله وقيل هو في تقليدهم اسلافهم في هذا القول
ومعنى قاتلهم الله لعنهم الله ٥ ومعنى يؤفكون كيف يصرفون عن
الحق الى الافك والتكذيب ٥ وقيل معناه قتلهم الله مجاز قاتلهم
بمعنى قتل كقولك عافاه الله اذا اعفاه الله ٥ وقيل هو كالمقاتل المعروف
في عداوة الله وقوله تعلى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله والمسيح ابن مريم ٥ الحبر العالم الذي صناعته تحبير المعاني
بحسن البيان في الذاهب صاحب الخشية ذمهم الله تعلى باتخاذهم
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ٥ وروي عن جعفر بن محمد
عليهما السلم انه قال ما عبدوهم ولكن استحلوا ما حللوا لهم وحرموا على
انفسهم ما حرموه عليهم ٥ وعلى هذا الوجه اتخذوهم اربابا بالمن
للتحليل والتحريم لله تعلى وهكذا حال المقلدين اذا قبلوا ما يجب علمه
بغير دليله واما النصارى فانهم اتخذوا المسيح عليه السلم معبودا ٥ وقد
مر طرف من مذهبهم في سورة البقرة والنساء والمائدة فلا وجه لاعادته
وقوله تعلى وحده وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه
عما يشركون ٥ معناه وامرهم الله تعلى بان يعبدوه وحده ولا يشركوا
بعبادته احدا ثم نزه نفسه عما يشركون به بقوله سبحانه وقوله تعلى وحده
يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ٥ واحد الافواه فوه في اصل الكلام
بحذف الهاء وابدل من الواو الميم لانه حرف صحيح يخرج مخرج الواو ومشاكل

لها فقيل في الاستعمال والمراد بنور الله القرآن وقيل اهل
الاسلام وقيل المراد بنور الله الدلالة والبرهان لانه يهتدى
بها كما يهتدى بالضياء والانوار وخرج هذا الكلام انما على وجه
اللزام لهم انهم يريدون اطفاء ما انار الله من الايات في الدلايل
والبراهين بافواههم وهو تكذيبهم بها وجحدهم لها والمراد السب
عليها وقوله جل اسمه ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون
اصل الامتناع ما يطلب وليس الابا من الكراهة في شي ومعناه
فلا يمكنهم الله مما ارادوه ويريد الله ان يتم نوره على كراهة
منهم وهو كما قال الله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقوله
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون في هذه الاية ٥
وقيل انما جاز ان يقال يابى الله الا ان يتم نوره ولم يجز في الله
ضربت الا الحال لان في معنى الاباء معنى النفي واذا لم يذكر في اللفظ مستثنى
منه لم يدخل الا في الجاحد ويدخل في النفي على معنى الحذف فكانه
قيل من قصد الى ابطال دين الله وان الله لا يمكن منه وقوله جل
اسمه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون المراد بالهدى هاهنا البيان
والمراد بالدين هاهنا العمل الذي يستحق عليه الجزاء وهذه
بشارة بشر الله بها نبيه صلى الله عليه وآله ٥ ومعناه ان
الله تعالى ارسل رسوله صلى الله عليه الى خلقه بالبيان والدلايل
الشرعية التي يستحق على فعلها الجزاء والله تعالى يعلي دين
الاسلام على كل دين بالحجة والغلبة فدلت الاية على صحة

نبوة محمد صلى الله عليه وآله لانه اخبر بظهور دينه على
الاديان كلها وكان كما اخبره على ما اخبر وقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون
اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ٥ بين الله
تعالى انهم لياكلون اموال الناس بالباطل معناه انهم اخذوا
اموال الناس من كل وجه حرام اخذه ليملكوه ووضع
ياكلون موضع يملكون وقد كانوا ياخذون الرشا على
الحكم ٥ وقيل كانوا ياكلون متاع اموال الناس من الاتباع
فكانهم ياكلون الاموال لانها من الماكول وقوله تعالى والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم
بعذاب اليم ٥ الكانز هو الدافن للمال الخازن له فبين الله تعالى
حالهم على وجه الذم فقال من كنز الذهب والفضة ولم
ينفق ذلك في سبيل الله فلهم عذاب اليم في الاخرة والمراد
به دفن ذلك ولم يخرج الزكوة منه والحق اللازم فيه لانه لو
دفن الانسان مالا وقد اخرج زكوته واد حقه لم يكن مذموما
بالاجماع وروي عن جعفر بن محمد عليهما السلم انه قال الكنز
منع الزكوة وروي عن ابن عباس رحمه الله مثله فهذا يدل
على صحة ما قلناه من ان المراد بالكنز هاهنا دفن ما لم يخرج
زكوته وموضع الذين يكنزون من الاعراب نصب بالعطف على اسم
ان ومعناه وياكلها الذين يكنزون وقيل هو رفع على الاستيناف
وقيل انما قال ولا ينفقونها ولم يقل ينفقونهما يعني الذهب والفضة
لانه يرجع الى مدلول عليه كانه قيل ولا ينفقون الكنوز وقيل الكنز

يذكر احدهما عن الاخر كما قال تعلى واذا رأوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها وقوله تعلى يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم ه الاحماء جعل الشيء حارا حاميا قوله قيل
يوم القيمة يذوب الذهب والفضة الذي كنزوها في نار جهنم فتكوى
بها جباه الكافرين وجنوبهم وظهورهم بعد ما لقيهم وقوله تعلى
هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ه معناه يقال لهم بعد
الكي توبيخا لهم ذوقوا ما كنتم تكنزون وقوله تعلى ان عدة الشهور عند
الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموت والارض ه
معناه لما خلق الله السموات والارض جعل عدة الشهور التي
كتبها واوحى بها الى رسوله صلى الله عليه وسلم اثني عشر شهرا ه وقوله تعلى
منها اربعة حرم ه معناه ومن تلك الشهور اربعة حرم كان اهل الجاهلية
يعظمون حرمة الاربعة الاشهر لا يحاربون فيها ثلثة منها متوالية وواحد
فرد وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم فاباح الله تعلى للمسلمين
القتال فيها ونفى تعظيمها في باب الطاعات وترك المعاصي فيها
لانه يجوز ان يجعل الله تعلى في بعض الشهور من الترغيب في الطاعة
والترهيب جزاء عن المعصية اعظم مما يجعل في شهور اخر
كما عظم حرمة يوم الجمعة من بين الايام وعظم حرمة مسجد مكة
ومسجد الرسول عليه السلام من بين المساجد والبقاع فيكون معنى لا اربعة
اشهر حرم ويعظم اسال الى الاثم فيها اعظم مما يعظم في غيرها وكانت
العرب يعظمها حتى لو لقي الرجل فيها قاتل ابيه او ابنه لم يهجه
ولم يتعرض وقوله تعلى ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم ه
بفعل المعاصي وانتهاك الحرمات في هذه الاشهر وضمير فيهن قيل
يرجع الى الشهور كلها وقيل يرجع الى الاربعة الاشهر وقوله جل اسمه

وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين ه
امر الله تعلى المؤمنين جميعا والا لا يتقوا عليهم وصار قوله
كافة من المصادر واقعة موقع الحال الموكدة كقولك اجمعين واتصل
ذكر الشهور قبلها اتصل ذكر وعند الطالب النفسه
بكم المال الشيء عن شرائط الظلم في الشهر الحرام فهذا الظلم
وقوله جل اسمه انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه
عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم
الله ه النسيء التاخير ومنه انسأ الله اجله اذا اخره وكان بنو
كنانة وقريش يحجون في الحج بادرون بمحل الموسم وكانوا يحرمون
ان يوما الا شهرا الحرام عن الوقت الذي وقته الله وقت عليه وكان
الحج يقع في غير وقته ويقع اعتقاد حرمة الشهور في غير اوانها لانه اذا
اخر رجب الى شهر اخر بعد الوقت الذي وقته الله وقيل كانوا
يوخرون الحج في كل سنة شهرا حتى كان يقع تارة في ذي الحجة
وتارة في المحرم وقد قال قايل من كنانة ه السنا الناسئين على معد
شهور الحل نجعلها حراما ه فكانوا لا يراعون عدد الشهور ولا يراعون
الوقت الذي وقته الله فيجعلون شهرا مكان شهر وهذا معنى
قوله ليواطئوا اي ليوافقوا وكان في ذلك تحليل ما حرم الله وتحريم
ما احل الله لان الله كان قد حرم رجب والمحرم شعبان وهولاء
كانوا يحلون ويحرمون بدله شعبان او شهرا اخر تحريما لما حرم الله فبين
الله تعلى ان النسيء الذي يفعلونه زيادة في الكفر وانهم يضلون به
غيرهم من الكافرين وقوله جل اسمه زين لهم سوء اعمالهم والله
لا يهدي القوم الكافرين ه ذكر ذلك على ما لم يسم فاعله ومعناه زين

لهم افعالهم سوء عملهم ٥ وذكر الشيطان زين لهم سوء عملهم
ولمن يا زين الله كان حسنا ولم يكن قبيحا هذا افصح من اعمالهم
وقد قال الله تعالى بل سولت لكم انفسكم امرا وقال زين
لهم الشيطان اعمالهم ٥ وفي الاية دليل على ان الايمان قول وعمل
لانه اذا كان النسيء كفرا كان ضده ايمانا ٥ ومعنى لا يهدي هاهنا
لا يثيب ولا يلطف لهم بلطفه للمؤمنين ٥ النسيء غير مشدد مهموز
اتفاقا عليه من القراء الا ما روي عن ورش بالتشديد من غير همز
وقوله تعالى جده يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل
الله اثاقلتم الى الارض ٥ الثقل الخروج الى الشيء لامر يصعب عليه والتثاقل
تعاطي اظهار ثقل ثقيل وبطيرة التباطي وقرى اثاقلتم تثاقلتم وادغمت
التاء في الثاء لما بينهما من المناسبة ودخلت الف الوصل عليه للابتداء بها
وروي ان هذا التثاقل انما كان منهم حين امروا بالخروج لغزوة تبوك
ومعنى اثاقلتم الى الارض اي الى الاقامة بدياركم ووطنكم ٥ وقيل
كان هذا النفر في وقت ادراك النخل والزرع والثمار فكانه قيل
اثاقلتم الى الارض التي يخرج منها الزروع والثمار وكان الوقت وقت محبة
القعود في الظلال وهذه الاية مخصوصة لانه ليس كل المؤمنين كانوا
متثاقلين اذا دعوا الى الجهاد فكانه قيل لبعضهم ما لكم اذا دعيتم الى
الجهاد اثاقلتم وقوله تعالى جده ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة
فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل ٥ الالف في قوله ارضيتم
الف انكار ٥ ومعناه اخترتم الحيوة الدنيا على الاخرة وركنتم الى الدنيا
ثم بين الله لهم ان متاع الحيوة الدنيا في الاخرة شيء قليل تزهيدا
لهم عن الحيوة الدنيا لما فيها من ملك الاخرة ولا تزن املاك الدنيا

في جنبه شيئا لا يعدله ٥ ولما بلغ امير المؤمنين عليه السلام ان
اصحاب معوية لعنه الله دخلوا الانبار واغاروا على اهلها واخذوا
اموالهم وسبوا المسلمين قام خطيبا ودعا الناس الى قتالهم وبكتهم
بهذه اللفظة فقال لهم اذا استنفرتكم الى الجهاد في الشتاء قلتم
هذا اوان البرد واذا ادعوكم اليه في الصيف قلتم هذا اوان الحر
كما حكى الله عن الذين كانوا قبلكم وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم
اشد حرا لو كانوا يفقهون ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة
فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل ثم قال لهم في اخر الخطبة يا اشباه
الرجال ولا رجال وهذا يدل على امر عظيم لانه لو لم يكن قتال معوية
واصحابه بمثابة قتال اهل الكفر لم يجز من امير المؤمنين عليه السلام
استنفار المسلمين على هذا الوجه وقوله تعالى جده الا تنفروا يعذبكم عذابا
اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير ٥
معناه ان لم تنفروا الى الوجه الذي يدعوكم اليه النبي صلى الله عليه واله
من الجهاد في سبيل الله يعذبكم الله عذابا اليما ويهلككم ويات
بقوم اخرين بدلكم ٥ ومعنى ولا تضروه شيئا ان المنافع
والمضار لا تجوز على الله تعالى لانه غني لا يجوز عليه الحاجة
وهو قادر على كل شيء وهذه الاية ابلغ وعيد وتهديد والضمير
في قوله تضروه عائد على اسم الله تعالى ٥ وقيل عائد على النبي
صلى الله عليه واله وسلم ومعناه ولا تضروه لان الله عصمه من
الناس وقوله تعالى جده الا تنصروه فقد نصره الله اذ
اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار ٥ معناه الا تنصروا
النبي صلى الله عليه واله فان الله قد نصره حين اخرجه

الذين كفروا من مكة وتوجه الى الغار وهذه النصرة نعمة من الله
تعالى ولئن كانت نصرة نعمة لمن نصر احداً طاعة لله كان ذلك
احسانا الى نفسه كنصرة المؤمنين لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم
ومن نصر انسانا لينفعه او يدعوه اليه وكانت الحكمة تقتضي ذلك
كان نعمة عليه كنصر الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله ووجه الدلالة على
ان النبي خرج تلك الليلة من مكة وحده ولم يكن معه غيره فلذلك لو كان
كذلك لقيل اذ اخرجها الذين كفروا فصح بذلك ان صاحبه في الغار لم
يخرج معه من مكة وانه لقيه في الطريق فذهب به معه وقد كان كفار
مكة خرجوا تلك الليلة في طلب النبي صلى الله عليه وآله ومعنى قوله ثاني
اثنين اذ هما في الغار احد اثنين اي كان النبي احد اثنين وللعرب فيها
مذهبان قد يقولون خامس خمسة وهو احد الخمسة على قياس
ثاني اثنين لانه مشتق من المضاف اليه ويقولون خامس اربعة لانه
الذي خمس الاربعة ٥ وكان الغار في جبل مكة يقال له ثور
وقيل مكث النبي صلى الله عليه وآله فيه ثلاثا وقيل نبتت بباب الغار
ثمامة وهي شجرة صغيرة وقيل ان العنكبوت نسجت على باب
الغار وكانت الكفار فوق الجبل تلك الليلة فدخل النبي صلى الله
عليه وآله وسلم الغار وكان صاحبه اظهر الجبن والهلع
من نفسه فقال له النبي صلى الله عليه وآله لا تحزن ان الله معنا ٥ معناه
وقوله جل اسمه لا تحزن ٥ نهي في الظاهر ويحتمل ان يكون قال له
ذلك على وجه تسكين القلب كالناصح المشفق ٥ ويحتمل
ان يكون نهاه عن مكروه والقطع على واحد منهما سبيله
الدليل فدل على انه نهي عن معصية وقوله جل اسمه فانزل الله سكينته

عليه وايده بجنود لم تروها ٥ معناه فانزل الله السكينة على
رسوله وايده بالملائكة عليهم السلام وكلما كان من نصرتهم له
بالبشارة له بالنصر من ربه والقاء الرعب في قلوب المشركين
والناس حتى انصرفوا خائبين فلو كان ما حكى الله من قول النبي لصاحبه
طريقه طريق الشفقة وتسكين القلب الباذل النصح والود
لكان ذلك الصاحب التي هذه حاله (كانت) لا يعرى عن السكينة ووجدنا
الله تعالى انزل السكينة على رسوله وعلى المؤمنين يوم حنين
وكان مقام الغار اصعب من مقام حنين فخرج الله من نصفه
هذا ولم يتكل على التقليد وحسن الظن وقوله تعالى جده وجعل
كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ٥ هذا
ظاهر لانجاب الكافرون ولم يرتفع مرادهم فما قالوا ودبروا
وصارت كلمة الله هي العليا باسلام النبي صلى الله عليه وصدق
الوعد بالبشارة والنصرة والتاييد وقوله تعالى جده انفروا خفافا
وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان
كنتم تعلمون ٥ معناه انفروا في سبيل الله في حال خفة النفس وثقلها
وهذا اجري مجرى التمثيل وقيل في تاويله وجوه احدها شبابا وشيوخا
والثاني اغنياء وفقراء ٥ والثالث مشاغيل وغير مشاغيل والرابع
نشاطا ٥ والخامس ركبانا ومشاة ٥ والسادس ذا صنعة وغير
صنعة فهذه جملة ما قيل في قوله خفافا وثقالا ٥ والوجه في ذلك
الحمل على العموم فامر الله تعالى بالجهاد بالنفس مع الاعداء
والانفاق في سبيله وبين ان الجهاد خير من تركه الى المباح وقيل
معناه ان الخير في الجهاد لا في تركه ان كنتم تعلمون الخير في الجملة

فاعلموا ان هذا خير لكم ومعناه انفع لكم وقيل معنى ان كنتم تعلمون
ان علمتم ان الله صادق فيما وعد المجاهدين من الثواب والجنة
وقوله جل اسمه لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك معناه
لو كان ما تدعوهم اليه يا محمد عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك
من الغنيمة وما تطمع فيه من المال وسفرا سهلا لاطاعوك واتبعوك
ولم يخالفوك وقوله جل اسمه ولكن بعدت عليهم الشقة اصل الشقة
القطعة من الارض التي تشق ركوبها على صاحبها لبعدها
ومعناه ولكن شق عليهم الخروج لبعد المسافة وقوله جل اسمه وسيحلفون
بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم
لكاذبون معناه وهولاء الذين قعدوا عن الجهاد يحلفون بالله انهم
لا يقدرون على الخروج معك الى الجهاد ولو قدروا عليه لخرجوا
وهم يهلكون انفسهم بما يفعلونه من النفاق واليمين بالله كذبا
ومن يعلم بانه عالم بانهم كاذبون في يمينهم وقولهم لا نستطيع الخروج
مع رسول الله صلى الله عليه وآله وقد دلت هذه الاية على بطلان قول
المجبرة فيما ذهبوا اليه من الاستطاعة لان هولاء قالوا لو استطعنا
الخروج لخرجنا فكذبهم الله تعالى في ذلك وبين انهم كانوا يستطيعون
ومذهب المجبرة انهم لو كانوا يستطيعون لحصل الخروج منهم لان
الاستطاعة مع الفعل فاذا شهد الله تعالى انهم كانوا قادرين
على الخروج دل ان القدرة تكون قبل الفعل والثاني انها غير
موجبة للفعل كما قالته المجبرة ودلالة اخرى وهي على صحة نبوة
محمد صلى الله عليه وآله لانه اخبر عن الغيب فكان كما اخبر وهو
الغيب الذي لا يطلع الله عليه الا من ارتضى من رسول كما قال تعالى عالم

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا وقوله جل اسمه
عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم
الكاذبين معناه عفوت عنك ما كان منك من الاذن لهم
في التاخر عن الجهاد لما استاذنوك ليتبين لك المومن من المنافق
والصادق من الكاذب وقد دلت الاية على انه وقع من النبي صلى الله عليه
وآله ما اقتضى من العفو وهو صغير كانه استعمل العجلة في الاذن
قبل التبيين له لانه لا يجوز ان يقول له لم فعلت ما كان لك فعله
وقال بعض العلماء يجوز ان يقول له لم فعلت ما جعلت لك فعله
ما غيره اولى منه فالاية تدل على جواز وقوع الصغائر من الانبيا
صلوات الله عليهم اجمعين وقوله جل اسمه لا يستاذنك الذين يومنون
بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم
بالمتقين وفي هذه الاية مدح للمومنين وعذرهم وتعيير المنافقين
وذمهم حين استاذنوك في القعود عن الجهاد وفي هذا الكلام
حذف وهو لئلا وكراهة ان يجاهدوا كانه قيل لا يستاذنك
المومنون لئلا يجاهدوا وفي قوله والله عليم بالمتقين اخراج
للمنافقين من صفة المومنين ليعلم الله بانهم ليسوا منهم وقوله تعالى
انما يستاذنك الذين لا يومنون بالله واليوم الاخر وارتابت
قلوبهم فهم في ريبهم يترددون اصل الارتياب الاضطراب
في الاعتقاد من جهة التحير والشك بين الله تعالى ان الذين يستاذنو نك
في القعود عن الجهاد من غير عذر هم المنافقون الذين لا يومنون
بالله واليوم الاخر واضطرب اعتقادهم تحيرا وشكا فهم

يترددون في الحيرة والشك فدلت الاية علي بطلان قول اصحاب
المعارف لانهم لو كانوا عارفين بالله وبدينه ما كانت هذه صفتهم
وقوله تعلى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ه العدة والاهبة
والالة بطاينة وهي التوصل بالهيات للامور المستقبلة ه معناه ولو
ارادوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه واله لاتخذوا لذلك عدة
فتركهم العدة دليل على انهم لم يريدوا الخروج معه وقوله تعلى ولكن كره الله انبعاثهم
فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ه الانبعاث الانطلاق في الامر بسرعة
والتثبيط التوقيف عن الامر بالتزهيد فيه ه ومعناه ولكن كره الله خروجهم
لما علم من وقوع الفساد منهم في خروجهم والتضريب بين الناس المودي الى اعظم
الفساد وقيل لهم اقعدوا مع النساء والصبيان فيحتمل ان يكون [illegible] لهم ولو
لهم ذلك ويحتمل ان يكون ذلك من جهة اذن النبي صلى الله عليه واله فيه وقوله تعلى
لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ه اصل الخبال الاضطراب والاستثنا
ها هنا منقطع وتقديره ما زادوكم قوة ولكن طلبوا لكم الخبال فكانهم
كانوا على حال في الراي فقووه حتى ازداد وقوله جل اسمه ولاوضعوا
خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين ه
الايضاع الاسراع في السير ه والفتنة ها هنا المحنة باختلاف الكلمة
والفرقة ه معناه ولاوضعوا خلالكم بالنميمة لافساد ذات بينكم فكان
اسراعهم في الدخول بينهم للتضريب ه وبين الله تعلى انه كان فيهم قائلون
منهم ما يقولون عند سماع قولهم ه وقيل معناه وفيكم عيون وجواسيس
لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم ه وقيل وفيكم عيون منهم ينقلون اخباركم
الي المشركين ه واخبر الله تعلى انه عالم بما يفعله الظالمون وبما هم عليه من
الاحوال هذا وعيد بالغ وقوله تعلى جده لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا

لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ه التقليب
تصريف الشيء بجعل اسفله اعلاه مرة بعد اخرى ه ومعناه انهم [illegible]
المنافقين طلبوا الفتنة من قبل [illegible] الاختلاف الموجب للفرقة بعد
الالفة فعصم الله المومنين من كيد المنافقين ما طلبوه لهم حتى جاء
المنافقون [illegible] امر الله ما وعدك من النصر حتى ظهرت
بعداوتك [illegible] اعلا امرك وهم كارهون وهو معنى
قوله حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون وقوله جل اسمه ومنهم
من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا ه معناه ومنهم
من يقول ائذن لي في التخلف ولا توقعني بالعصيان في المخالفة التي
توجب الفرقة [illegible] ما اكرهه اثمت فيه وعصيت وهذا
معنى قوله ولا تفتني وقيل نزلت الاية في الجد بن قيس قال للنبي صلى الله عليه واله
ائذن لي ولا تفتني ببنات الاصفر [illegible] النساء فرد الله عليه
بقوله الا في الفتنة سقطوا معناه الا وقعوا في الكفر والنفاق
ثم اوعده بقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين ومعناه ظاهر وقوله تعلى
ان تصبك حسنة تسوهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا
امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ه معناه ان اصابتك يا محمد نعمة
وحالة تحسن موقعها عليك ساءهم تلك النعمة واستولى عليهم الغم
والحزن وان اصابتك مصيبة قالوا قد اخذنا حذرنا من قبل عما وقع
به وكانهم قالوا اخذنا امرنا في المواضع المهلكة فسلمنا مما وقعوا
فيه ويتولوا عنك وهم فرحون بما اصابكم وقوله تعلى جده قل لن يصيبنا
الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المومنون ه هذه التسلية
ما كان ينالهم من الغم من قولهم فكانه قال قل يا محمد لهم ان [illegible] يصيبنا

من ضر او نفع فهو ما كتب الله في اللوح المحفوظ من امرنا فهذا بيان
ان العباد ليسوا مهملين من غير ان يرجع امورهم الى التدبير من ربهم
وقيل يحتمل ان يكون معناه قل لن يصيبنا في عاقبة امورنا الا ما كتب
الله لنا من النصر الذي وعدنا في الذي كتبه الله في اللوح المحفوظ
امور العباد وقيل انه يكون ذلك فهو عبرة للملئكة عليهم السلام ٥ ومعنى
مولانا اي الله مالكنا وسيدنا وحافظنا والذي يدفع الضر عنا ٥
وامر الله المؤمنين بالتوكل عليه في كل حال ٥ وقوله عز وجل قل هل تربصون
بنا الا احدى الحسنيين ٥ معناه قل لهم [illegible] ان تربصوا
الا احدى حسنيين وكلاهما لنا فيها نفع وثواب اما ان يقتلونا
فيكون لنا الجنة ونعيمها ٥ واما ان نقتلكم فيكون لنا الظفر
والغنيمة في الدنيا وقوله جل اسمه ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله
بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون ٥ اصل التربص
الانتظار ٥ ومعناه ونحن ننتظر بكم ان يصيبكم الله بعقوبة او موت
من عنده او بعذاب بايدينا بان يامرنا بقتالكم فاذا كان عاقبة تربصكم
بنا ما لنا فيه الحسنى وعاقبة تربصنا بكم العذاب النازل بكم في الدنيا
والاخرة فتربصوا انا معكم متربصون ٥ وهذا ضرب من التهديد والوعيد
وقوله جل اسمه قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين ٥
صيغة الامر بقوله انفقوا طوعا ها هنا بعيد البيان عن توسعة التمكين
من الطاعة والمعصية وهو كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا
للظالمين نارا ومعناه انا اقدرناكم ومكناكم واتجنا عليكم فمن امن اوجبنا له
الثواب ومن كفر اوجبنا له العقاب ٥ وقيل معنى هذه الصيغة الحذف الذي
يدخل لسان الجزاء ومعناه ان انفقتم طوعا او كرها وحالكم حال النفاق فما الله

يتقبل منكم ذلك ولا يوجب لكم عليه ثوابا لانكم فاسقون فدلت الاية
على ان الفاسق لا يستحق بفعل من الطاعة الثواب وقوله تعالى وما
منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ٥ عامل
الاعراب في انهم كفروا منعهم تقديره ما منعهم من قبول نفقاتهم الا انهم كفروا
بالله وبرسوله وقوله جل اسمه ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون
الا وهم كارهون ٥ بين الله تعالى انهم لا يصلون الا وهم كسالى ولا
ينفقون الا وهم كارهون لذلك فكانهم صلوا على غير الوجه الذي امروا به
لان الكسل يبعث على التثاقل عن الصلوة دون النشاط الباعث على
النشاط لها ٥ وبين انه يقع الانفاق منهم في حال الكراهية وهذا
لبيان صفة المؤمنين ٥ وقيل انما جاز ان يقع الانفاق من الكافر طاعة لله
لان العقل يدعو الى التفقه في وجوه البر فهو مطيع لموافقة الارادة
الحادثة الى الفعل بالعقل وليس كذلك الصلوة لان الداعي اليها السمع وقوله تعالى
فلا يعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا ٥
وتزهق انفسهم وهم تقديره لا يعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحيوة الدنيا
انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة ٥ وقيل معناه ليعذبهم في الزكوة
والانفاق في سبيل الله ٥ وقيل ليعذبهم في المصائب وقيل قد يكون في
الحمل على الكفار التشبه بنعمة الاموال وهو معنى قوله انما يريد الله
ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا فلما اباح تعالى للمؤمنين سبي اولاد الكافرين
واستعبادهم وغنيمة اموالهم كان ذلك من اشد العذاب لهم
ويحتمل ان يكون ذلك لانهم سالمو العهود والامام في الدنيا باخراجهم الحقوق
الواجبة من اموالهم وبحملهم اولادهم على الكفر فيعذبون بما يرتكبونه
بسبب اولادهم واموالهم وقيل ليعذبهم بها على الوجه ويكون اللفظ

مجاز او جاز القول لعذبهم فيكون اللام لام العاقبة وقد سبق
لام العاقبة في اخر سورة الاعراف وغيرها من المواضع ه وقد
تعاقب اللامات كما تعاقب بعض الحروف بعضا وقوله جل اسمه وتزهق انفسهم
وهم كافرون ه الزهوق الخروج بصعوبة واصله الهلاك ه ومعناه
تزهق انفسهم وهم على كفرهم ه وتعلقت المجبرة في هذا الموضع بان الله
على ان الله يريد الكفر باطلا لان الكلام في موضع الحال ه ومعناه يريد
الله ان يعذبهم في حال كفرهم وتزهق انفسهم وهم كافرون تعلقت الارادة
بالعذاب والازهاق لاجل انهم كافرون وهذا مثل قول القائل اريد
ان تلعب فهو كافر ويديمه فهو عاص وقوله جل اسمه ويحلفون بالله انهم
لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ه الفرق الخوف والفزع ومعناه هؤلاء
المنافقون يحلفون بالله لكم انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون
انما اظهروا ذلك خوفا من القتل ه ومعنى وما هم منكم في الايمان والطاعة
لله ه وقيل في الدين والاباء وكل ذلك متقارب فاكذبهم الله تعالى في ذلك
لانهم كانوا اهل كفر ونفاق وصار جواب الحلف انّ المكسورة لا استيناف
المحلوف عليه مع فصلين الحلوف كما دخلت لام الابتداء في هذا الموضع
وقوله تعالى جده لو يجدون ملجا او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم
يجمحون ه المغارات المدخل الذي يستتر من دخل فيه ه وقيل المغارات
الغيران والمدخل المسلك الذي يتدسس بالدخول فيه والملجا الموضع
الذي يلجا اليه كالحرز والحصن ه والجماح المضي في الامر والاسراع
فيه ه ومعناه لو وجد هولا المنافقون ملجا وموضعا يستترون فيه
لاسرعوا اليه فرارا من الجهاد وما تدعوهم اليه وقوله جل عز ومنهم
من يلمزك في الصدقات ه اللمز العيب ومعناه منهم من يعيبك

في الصدقات فيقول يأخذها ويعطيها لمن يشاء من قرابته واهل
مودته وقوله جل اسمه فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا
هم يسخطون ه معناه فان اعطي هذا العايب من الصدقة رضي بما يصيبه
وترك العيب وان لم يعط منها سخط فهذا بيان غلبة شرههم وحرصهم
على حطام الدنيا حتى لا يعبوا اجله من لا عتب فيه اذا لم يعطهم بالحرص
وقوله جل اسمه ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله
سيوتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون ه حذف
جواب لو وتقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم واعود عليهم وحذف
الجواب في مثل هذا ابلغ ه ومعنى الاية ولو انهم رضوا بما قسم الله لهم ورغبوا
اليه في كل ما يهمهم من الامر لكان اصلح لهم واعود عليهم وفوضوا اليه امرهم لكان
خيرا لهم وقوله جل اسمه انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين
عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل
فريضة من الله والله عليم حكيم ه الفقير المحتاج الذي كسرت
الحاجة فقاره يقال فقر الرجل فقرا فهو فقير والمسكين هو الذي
اسكنته الحاجة عن حال اهل الثروة وفرق بينهما بوجوه فقيل الفقير الذي
له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له كما قال الشاعر ه
اما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد ه
وجاء القران بخلافه وهو قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر ه وقيل الفقير المتعفف عن السؤال والمسكين
الذي يسأل وكان قائله يذهب الى ذكر المسئلة [?] وقيل
الفقير ذو الزمانة من اهل المسئلة والمسكين الصحيح منهم ه وقيل
الفقير هو المسكين الا انه ذكر بالصفتين لتاكيد امره ه والعاملين

عليهاهم العاملون على الصدقه اعماله لها والسعاه عليها ٥ والمؤلفه
قلوبهم منهم الذين كان النبي صلى الله يعطيهم من الصدقات اسهاماً
لتالفهم الى الاسلام ولم يعد رسول الله صلى الله عليه وآله فيه
الخلاف فذهب بعض العلما الى انهم كانوا اي عهد رسول الله صلى الله عليه
خاصه وذهب بعضهم الى انهم في كل زمان ٥ وروى ذلك جابر
عن الباقر محمد بن علي عليهما السلام ذهب الى هذا الشيخ بان الله تعالى
جعل الصدقه لامرين احدهما سد الخله والثاني التقويه على الاسلام
فاذا كان كذلك صح بقا حكم المولفه قلوبهم في كل زمان ٥ واما الرقاب
فهم المكاتبون يعطون من الصدقات لفك رقابهم ٥ ويجوز عند
جله لجعفر به اشترا العبد بالزكوه واعتاقه ٥ والغارمون هم
اهل الدين في غير سرف ولا معصيه ٥ والمراد بقوله وفي سبيل
الله الوجوه التي فيها عز الاسلام وتقويته وهم الغزاه ومن جرى
مجراهم ٥ وابن السبيل هو المسافر المنقطع به فيحل له اخذ الصدقه
وان كان له مال في وطنه ٥ واختلف العلما في قسم الصدقات
على هولا جميعا اذا لم يوجد وان كان واحد فقال بعضهم يجب ان يقسم
على الجميع لقول الله تعالى فريضه من الله فاذا لم يوجدوا جميعا
في موضع واحد فتفرق عليهم في مواضعهم وقال بعضهم بعضهم على من
يوجد منهم في كل بلده وليس على المعطي للصدقه طلبهم في البلاد وهذا
هو الاقرب وقوله جل اسمه ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن
اصل اذن اذا استمع ٥ معناه ومنهم يعني من المنافقين من يوذي النبي
بقوله هو اذن معناه صاحب اذن يصغي الى كل احد وقوله جل اسمه قل
اذن خير لكم يومن بالله ويومن للمومنين ورحمه للذين امنوا منكم ٥ قرا

نافع اذن خفيفه وقرا القرا في الحمل قوله تعالى يومن بالله
ويومن للمومنين ما اسلفت على معنى انه لا ايمان بالله وتصديقه
للمومنين يعلم فيما يسمع وفي قولهم يصغي الى الوحي من قبل الله
ودخلت اللام هاهنا كما دخلت في قوله ردف لكم وقيل
دخلت للفرق بين ايمان التصديق وايمان الامان وكونه رحمه
للمومنين نعمه عليهم وقوله تعالى والذين يوذون رسول الله
لهم عذاب اليم ٥ معناه ومن اذى الرسول فقد استحق من الله
العذاب الاليم وهو وعيد وتهديد وقوله تعالى يحلفون بالله لكم
ليرضوكم ٥ معناه ان هولا المنافقين يحلفون بالله لكم انهم
على طريقتكم طلبا لمرضاتكم وكذلك اذا انكرتم عليهم فعلا
فعلوه وقولا قالوه حلفوا بالله كاذبين ليرضوا به فيوثرون رضاكم
على رضى الله لجهلهم وشقوتهم وقوله جل اسمه والله ورسوله
احق ان يرضوه ان كانوا مومنين ٥ وكان الاولى ان يطلبوا رضى
الله ورضى رسوله وقد يكون احق من صفه غير الفعل كقولك
زيد احق بالمال وقولك اصلح لا يقع هنا الموقع لانه من صفات
الفعل وقد يقال والله ورسوله احق ان يطاع وقيل انما قال
ان يرضوه ولم يقل يرضوهما لان رضى الرسول رضى الله فترك
ذكره لذلك لحسب قيام الدلاله عليه وقيل ترك ذكر النبي صلى
الله عليه لتعظيما لله بافراد الذكر وقوله جل اسمه الم يعلموا
انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك
الخزي العظيم ٥ المحاده المجاوزه الحد في العداوه ٥ والالف
في قوله الم الف انكار ٥ وقيل انما جاز ان يقال لمن لا يعلم

الذي يمكنه تحصيله عن العلم الذي يمكنه تحصيله
الى العلم استبطا لما في التخلف عن العلم
الا حاد له ومعنى الاية من عادى
ويجب ان يعلمه في وقت الا حاد له ومعنى الاية من عادى
رسول الله صلى الله عليه وآله وعادى اولياء الله فجزاؤه نار جهنم خالدا
خالدا فيها لمخزى مهانا وعامل الاعراب في ان الثانية العامل
ان الاولى على التكرير للتوكيد مع طول الكلام بعد ان قوله نار جهنم
وقيل هو على حذف لام الاضافة على تقدير وكان له نار جهنم او فان
له نار جهنم والخزي هو الهوان بما يستحق من فعله وقوله تعالى يحذر
المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل هذا
على وجه الخبر عنهم بانهم كانوا يحذرون نزول سورة تظهر للناس
ما اضمروه وانطووا عليه بعضهم عن بعض ذلك وتهتك سترهم وقد يحتمل
ان يكون ذلك بمعنى الامر كانه قيل ليحذر المنافقون من نزول
سورة ويصح ذلك لان معنى هذا الكلام مقارن للتهديد
وقوله جل اسمه قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون قوله
استهزءوا تهديد وان كان صيغته الامر وهذا كما قال الله
تعالى لابليس لعنه الله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب
عليهم الاية وكانه قيل لهم انما تحذرونه كائن والله مخرج لذلك
ومظهره للناس وفي استهزائكم استحقاق العذاب الاليم وقوله جل اسمه
ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب هذه الاية سؤال على
وجه اللوم والتوبيخ وهو كقولك لمن ارتكب قبيحا لم فعلت هذا
وسبب ذلك قول من المنافقين قالوا عند خروج رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ~~ذلك فلما سئل~~ الى غزوة تبوك انرجو هذا
الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع

الله نبيه صلى الله عليه وآله على ذلك فلما سئل المنافقون عن
ذلك اجابوا بانا كنا نخوض ونلعب في ذلك فكان الجواب بما صار وبالا
عليهم ولم يرض منهم عذرته وهو معنى قوله تعالى قل ابالله واياته
ورسوله كنتم تستهزءون وقد بينت في سورة البقرة وغيرها حقيقة
الاستهزاء بالله انه ضرب من التوسع المجاز فلا وجه لاعادته هاهنا
وقوله جل اسمه لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم
نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين معناه لا تعتذروا بما قلتموه
واسمه لا يغني ذلك ومعنى ان نعف عن طائفة منكم ان عفا الله
عن طائفة منكم بتوبتهم فانه يعذب طائفة اخرى منكم
باقامتهم على نفاقهم وكفرهم وقوله جل اسمه المنافقون والمنا
بعضهم من بعض معناه بعضهم يضاف الى بعض بالاجماع على النفاق
والكفر وهذا كقول القائل انت مني وانا منك ومعناه امرنا واحد
لا ينفصل وقوله جل اسمه يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف
ويقبضون ايديهم وصفهم الله تعالى بانهم يامرون الناس بما وجب
النهي عنه وهو المنكر وينهونهم عما يجب الامر به وهو الامر
بالمعروف وهذا صفة للمؤمنين ويقبضون ايديهم عن الانفاق في
سبيل الله وقيل يقبضونها عن كل خير وقيل يقبضونها
عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله جل اسمه
نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون معناه تركوا
امر الله حتى صار الامر بمنزلة المنسي لاعراضهم وسهوهم
عنه مجازاهم الله تعالى على تركهم امره بان صيرهم بمنزلة
المنسيين في نار جهنم من ثوابه ورحمته خلودهم فيها وجاهدوا

فعات

من اوجه الكلام فيسمى هذا النسيان نسيانا ووصف المنافق
وان كان كافرا بالفسق لخروجه من دين الله ۝ قوله جل اسمه
وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين
فيها ۝ معناه وعدهم الله جهنم في الآخرة جزاء على كفرهم
ونفاقهم وانهم يكونون خالدين في العذاب ابدا وفصل بين
النفاق والكفر ليبين الوعيد على كل واحد من الصنفين لانه
قد يتوهم المتوهم ان الوعيد عليه من احد الوجهين دون الآخر
قوله جل اسمه هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم ۝
معناه حسبهم نار جهنم جزاء على نفاقهم وكفرهم لشدته احدها
وتضاعف الامها وهذا هو النهاية في باب الوعيد ۝ وبين الله
لعنهم مع ذلك وفي اللعنة غاية الاستخفاف والاهانة والاذلال
في العاقبة ۝ وبين ان عذابهم يكون دائما مقيما كما قال تعالى لا يفتر
عنهم وهم فيه مبلسون ۝ قوله جل اسمه كالذين من قبلكم كانوا اشد
منكم قوة واكثر اموالا واولادا ۝ وجه التشبيه في قوله كالذين
هو انه شبه المنافقين في عدولهم عن امر الله تعالى الى الاستمتاع
بلذات الدنيا بمن كان قبلهم ممن كانوا على مثل هذه الطريقة
معناه ان امرهم جميعا يؤول الى العقاب في الحشر انه مع ان من
كان قبلهم اشد قوة وتمكنا منهم واطول اعمارا واكثر اموالا واولادا
ثم كان عاقبتهم الهلاك والخسران ۝ قوله جل اسمه فاستمتعوا بخلاقهم
فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي
خاضوا ۝ معناه فاستمتع اولئك بنصيبهم من لذات الدنيا
كما استمتعتم انتم بنصيبكم منها وخضتم في الباطل كما خاضوا ۝

اولا كما حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك
هم الخاسرون ۝ معناه كما نزل العذاب باولئك فلا تامنوا
من نزوله بكم ۝ كما حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة فكذلك تحبط
اعمالكم حتى لا تنتفعوا بشيء منها ۝ قوله جل اسمه الم ياتهم نبأ الذين
من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين
والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون ۝ الالف في قوله الم ياتهم الف تقرير
للتنبيه والتحذير ۝ ووجه الاحتجاج عليهم باحوال الاقوام
الذين تقدموهم انهم اذا اهلكوا بعلة تكذيب الرسل وخروجهم
من دين الله فكل قوم ساووهم في هذه العلة فتامل احوالهم
لا يامنوا ان ينزل بهم مثل ما نزل باولئك ۝ والمؤتفكات قوم لوط
ائتفكت بهم الارض اي انقلبت وقيل في مصحف المؤتفكة وفي مصحف
المؤتفكات لانها كانت ثلاث قريات تجمع تارة وتوحد على
الجنس تارة ۝ ومدين اسم البلد الذي كان فيه قوم شعيب
عليه السلام ۝ وبين الله تعالى ان هؤلاء الاقوام اتتهم الرسل
فكذبوا بآيات الله فاهلكهم الله بضروب من العذاب ۝
اهلك قوم نوح بالغرق وقوم هود بالريح واهلك ثمود بالرجفة
والصاعقة ۝ وقوم ابراهيم بالسست وسلب الملك ۝ وقوم
لوط بانقلاب الارض بهم ۝ وقوم مدين بعذاب الظلة انه كان عذاب
يوم عظيم ۝ وبين تعالى ان جميع ما نزل بهم كان عدلا من الله
تعالى لانه كان على وجه الاستحقاق لظلمهم انفسهم بما فعلوه من الكفر
والتكذيب بآيات الله وما ظلمهم الله بما فعل بهم ولكنهم ظلموا انفسهم

طريق

وفي هذه الاية تحذير للمنافقين ان ينزل بهم مثل ما نزل باولئك وفيها
دليل على ان الله تعالى لا يخلق افعال العباد ولا يريد منهم المعاصي
والفواحش لانه لو خلق الكفر فيهم ثم عذبهم على ذلك لكان قد ظلمهم
وقد نفى الله عز نفسه ذلك ولو اراد منهم الكفر والمعاصي كانوا
مطيعين له بذلك لان الطاعة للشي اكثر من موافقة الفعل ارادة
المريد منه ذلك اذا كان المريد فوقه في الرتبة او لم يكن وتعالى المطيع
ظلم والله تعالى عنه **وقوله جل اسمه** والمومنون والمومنات بعضهم
اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويوتون
الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم ۵
لما بين الله تعالى صفة المنافقين في الاية الاولى وما يريد ان يجازيهم به
بين في هذه الاية صفة المومنين وما يريد ان يوتيهم من الثواب في المنزلة
وقوله جل اسمه وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من
الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم ۵ قد بين سبحانه كيفية جري الانهار تحت
الاشجار في غير موضع ورضوان الله اكبر الثواب واعظم لانه لا يوجد شي
من الثواب الا بالرضوان وهو الداعي اليه والموجب له ۵ وقيل لما كان
اخبر بما يصل الى قلوب المومنين من السرور ورضوان الله تعالى
اكبر من جميع ذلك ۵ وروي ان هذه المساكن قصور من اللؤلؤ
والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر واذا وصفها الله تعالى
بالطيب فلا يعرف احد قدرها ۵ وبين تعالى ان من نالها باعده
الله للمومنين فقد فاز فوزا عظيما **وقوله جل اسمه** يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماويهم جهنم وبئس المصير ۵

امر الجهاد مما فيه الامر الشاق من الله تعالى نبيه صلى
الله عليه ان يجاهد الكفار والمنافقين وان يغلظ عليهم الغلظة
في نفسه ويبين ان ماوى المنافقين والكافرين جهنم وانها
بئس المأوى والمصير ۵ والجهاد ثلثة منازل الجهاد باليد فان لم يستطع
فباللسان فان لم يستطع فليكفهر في وجه من يجاهده ۵
وقيل جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان وقيل
جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باقامة الحدود وكانوا
اكثر من يصيب الحدود ۵ ومعنى واغلظ عليهم اي اغلظ عليهم بالقول
والفعل ولا تضعهم من نفسك لينا **وقوله جل اسمه** يحلفون بالله ما
قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم
ينالوا فاخبر الله تعالى عن جسارتهم على اليمين بالله ۵ وبين انهم
يحلفون ما قالوا ما ادعى الرسول والمومنون عليهم انهم قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد ايمانهم وقصدوا الى ما لم ينالوه وكلمة
الكفر كل كلمة فيها جحد النعمة لله تعالى او يكون قد بلغت منزلتها في العظم
وقد كان المنافقون يطعنون بمثل هذه الكلمة في النبوة والاسلام
وروي ان الذي قال هذه الكلمة الجلاس بن سويد فقال ان كان
ما جاء به محمد حقا فنحن شر من الحمير ثم حلف بالله انه ما قال ذلك
وقيل نزلت في عبد الله بن ابي سلول حين قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل ۵ وقيل كان جماعة من المنافقين قالوا ذلك
وقيل قد قال بعضهم شيئا كانوا يعبدون صنما فقالوا ان كان
الظفر لقريش لنظهرن لهم الهتنا الهم عبادة صنم وان كان الظفر
لمحمد صلى الله عليه واله فنحن في جملته فاطلع الله سبحانه نبيه صلى الله عليه واله

على نبيهم يحلفوا بالله انهم ما قالوه فانزل الله الاية وقيل كانوا
هموا بقتل من انكر عليهم ذلك ۝ وقيل هموا بقتل النبي صلى الله عليه وآله
وقيل هموا بما اخبر الله عنهم بقوله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل فلم يقع لهم تمكن منهم وقوله جل اسمه وما نقموا الا ان اغناهم
الله من فضله ۝ تعالى نقم منه اذا عابه ومعناه لم يجدوا شيئا ينقموه
على رسول الله صلى الله عليه وآله الا ان الله اغناهم بما قالوه من
الغنائم التي غنمها اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله فجعلوا بدل
الشكر الكفران والفساد والتعصب بين الناس وهذا هو النهاية
في باب الذم وفي العرف يذكر مثل هذا في نفي العيب فهو كما قال
الله تعالى وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله ولم يكن لهم عيبا قال الشاعر
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ۝
وكان ذلك مدحا لهم وشجاعة لا عيبا ۝ وقال آخر
ولا عيب فيها غير عرق لمعشر كرام وانا لا نخط على النمل ۝ وقد يقول
القائل لا اعرف لنفسي عيبا الا الحلم والزهد والقناعة وكل ذلك
فضل ومدح ۝ وقيل بطروا النعمة فنقموا اشرا وبطرا وقوله تعالى
فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة
وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ۝ معناه فان تابوا من نفاقهم وكفرهم
كان ذلك خيرا لهم والله يتوب عليهم ويغفر ذنوبهم وان تولوا
واقاموا على كفرهم فان الله يعذبهم في الدنيا والاخرة ۝ وقد مر
بيان عذاب الدنيا وعذاب الاخرة معلوم ظاهر ثم لا يكون لهم
ولي ولا ناصر يدفع عذاب الله عنهم وقوله جل اسمه ومنهم
من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ۝

معناه ومن هؤلاء المنافقين من عاهد الله بالايمان المغلظة ان الله
ان اعطاه الغنائم والاموال تصدق منها وسار فيها بسيرة الصالحين
ويجوز ان يعاهد الله من لا يعرفه اذا ذكره باخص اوصافه لان العقد
قد يتعلق بهذا الذكر واللامان كلتاهما لام القسم الا ان الاولى
وقعت موقع القسم ووقعت الاخرى موقع الجواب يعني علينا عهد
الله لنصدقن ان آتانا من فضله ولا يجوز ان تكون اللام الاولى
لام الابتداء لان لام الابتداء لا تدخل الا على الاسم المبتدا وقوله جل اسمه
فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ۝ قيل لما معناه
اذ الا ان لما علم على الجزاء وهو اسم لانه يقع في جواب متى على تقدير
الوقت كقول القائل متى كان هذا فيقول لما كان ذاك وقيل كان
اسم هذا المعاهد ثعلبة آتاه الله ما تمناه على الله فلما اجتمعت
له المواشي بخل باخراج الصدقة منها ۝ فاخبر الله تعالى عن سوء نيته
وسوء فعاله وبين انه اعطاه ما شاء فلم يف بالعهد واعرض عن
ذلك كانه لم يكن له عهد وقوله جل اسمه فاعقبهم نفاقا الى يوم يلقونه
بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ۝ الاعقاب
مصير الشيء الى حاله مخصوصة في العاقبة واعقبهم هذا النفاق
بخلهم بما آتاهم الله واعراضهم عن امر الله لان فعلهم اداهم الى
الشك مما ادى اليهم النبي صلى الله عليه عن الله وتقديره هذا البخل
والاعراض عما عاهده اعقبه نفاقا الى يوم القيامة وهو اليوم
الذي يلقى فيه الله اعقبهم بما وعده ربه فجعله على الحقيقة اعقبه ذلك
وحكم به عليه لانه بفعله ظهر نفاقه ونفاقه اداه الى الشك في
دين الله ۝ وقيل فيه وجه آخر وهو ان الله اعقبهم ذلك جزاء بما

التوبة كما جزم ابليس لما اصر على كفره ووجه هذا القول يصح الدليل
على ان هذا المنافق لا يتوب ابدا وانه يكون مصرا على النفاق الى
القيامة دما على ما جنته يده وكسبه فيكون معنى اعقبهم الله النفاق
الحكم عليهم بالنفاق وضمير يلقونه من ذهب الى ان البخل اعقبهم رده
اليه فقدره الى يوم يلقون جزاء بخلهم ومن ذهب الى ان الله اعقبهم
رد الضمير الى اسم الله ومعناه الى يوم يلقون ما وعدهم ربهم وهذا
مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم معناه وقفوا على الموضع الذي
وعدهم ربهم للمحاسبة فيه وقد بينا ذلك في موضعه في سورة الانعام
فدلت هذه الاية على ان اللقاء ليس معناه الرؤية على حسب ما ذهب
اليه المشبهة لانهم وان قالوا يرى بلا اتصال فلم يقولوا ان المنافقين يرونه
فلو كان معنى اللقاء الرؤية لكان يجب ان يكون المنافق رائيا له يوم القيمة
لقوله الى يوم يلقونه فلما لم يصح هذا علمنا وعند الجميع صح ان معناه يلقون
ما وعدهم وكل ما في القرآن من هذا اللفظ فمعناه يؤول الى ما قلناه ولا تساق هذه
الاية تدل على الجزاء من الله تعالى فان اعقبهم النفاق لاخلافهم الوعد وكذبهم فهي
تلك الكلام لنا ويدل هو ما ذكره اهل الحق وقوله تعالى الم يعلموا ان الله يعلم سرهم
ونجواهم وان الله علام الغيوب ه الالف في قوله الم الف انكار دخلها معنى
التقريع ه ومعناه الم يعلموا ان الله عالم الغيب والشهادة فلا يخفى عليه
السر والاعلان والذي يقتضي ذكر العلم ههنا حال المنافقين في
ابطانهم الكفر سرا واظهارهم الايمان جهرا وكانه قيل لهم ان
المجازي لكم يعلم سركم ونجواكم لانه علام الغيوب وقوله جل اسمه
الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات ه اللمز العيب
والمطوع المتنفل باعطاء الصدقة وزنه متفعل فادغمت التاء في الطاء

لانها من مخرجها فهي على منتهى الاستعلاء والجهد مقدار ما فيه
الطاقة ه ومعنى الاية ان الذين يعيبون المطوعين من المؤمنين في
الصدقة ويسخرون من الذين لا يجدون الا جهدهم فان الله جازيهم
على سخريتهم بعذاب اليم ه وقيل نزلت الاية في بعض الصحابة جاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم باربعة الاف دينار شطر ماله في الصدقة وجاء
ابو عقيل بصاع من تمر فقال المنافقون لصاحب الدنانير انما اعطيتم
الرياء وقالوا للاخر ان الله لغني عما اتيت به وهو معنى قوله والذين لا يجدون
الا جهدهم وقوله جل اسمه يسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم ه
معناه هولاء المنافقون يسخرون من المؤمنين والله جازيهم على سخريتهم
بالعذاب الاليم فسمى جزاء الشيء باسمه وقوله جل اسمه استغفر لهم او لا تستغفر
لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ه وقيل معنى صيغة الامر
ههنا في قوله استغفر لهم للمبالغة في الياس من المغفرة ه وروي
انه قال صلى الله عليه واله وسلم لازيدن على السبعين فانزل الله
تعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم
فلما ايسه من ذلك كف عنه ه وفي هذا الخبر نظر لان من يتعلق به
من يزعم ان ما عدا السبعين خلافه وانه علقه بدليل الاية ليس كذلك
ليس في هذا الخبر ما يوجب فساده لانه لا يجوز ان يكف الشيء ان لم يستغفر
لهم وهو لا يفعل ذلك لو فعل ذلك لم يخل من ان يجاب اليه او لا يجاب
فان اجيب دل على ان الله يغفر للكفار او لا يجاب له فيقبح استغفاره
للكفار لانه يؤدي الى التنفير عنه ه ومن العلة في حرمانهم المغفرة
بقوله ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم
الفاسقين ه معناه لا حكم لهم حكم المهتدين ولا يهديهم الى طريق الجنة

من الله تعالى ان العلة في حرمان مغفرة ثم اصرارهم على نفاقهم
وكفرهم واعراضهم عن التوبة وقوله تعالى فرح المخلفون بمقعدهم خلاف
رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ه قيل
خلاف هاهنا مصدر خالف يخالف مخالفة وخلافا ه ومعنى الاية على
هذا الوجه فذم الذين تخلفوا عن الجهاد خلافا لرسول الله ه وقال بعض اهل
اللغة خلاف هاهنا بمعنى بعده واحتج بقول الشاعر

عفت الربع خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا ه

اراد عفت الربع بعدهم فعلى هذا الوجه معناه فرح الذين تخلفوا
بمقعدهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكرهوا الجهاد بالمال والنفس
وقوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا
يفقهون ه معناه وقال المنافقون للناس لا تنفروا الى العدو
في الحر وكانوا يثبطونهم عن الجهاد في الحر فامر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وآله ان يقول لهم اذا تخلفتم عن الجهاد في الحر استحققتم
عذاب النار التي هي اشد حرا من الحر الذي تتخلفون عن الجهاد لاجله
ان عرفتم ذلك وقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا
يكسبون ه امرهم الله تعالى بالبكاء ونهاهم عن الضحك فدخل في
هذا الكلام معنى التهديد البليغ لانه بين ان ذلك بما هو لا شد جزاء
كسبهم ه واللام في قوله فليضحكوا وكذلك في قوله فليبكوا لام الامر
بصيغة الامر فيه معناه البيان عن حالهم في الضحك بحال المامور
به فيما يؤول اليه من خير او شر على صاحبه فنهوا عن الضحك وامروا
بالبكاء وقوله جل اسمه فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك
للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ه معناه اذا انصرفت يا محمد الى نفرك

وخرجت الى الجهاد بعد ذلك فاستاذنك طائفة من المنافقين الذين تخلفوا
عن الجهاد اولا في الخروج معك ثانيا وقوله جل اسمه فقل لن تخرجوا معي ابدا
ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخا لفين ه
معناه فلا تاذن لهؤلاء الذين يستاذنوك في الخروج معك واقطع
من ذلك طمعهم والعلة فيه هي ان تقول لهم انكم رضيتم بالقعود
مع النساء والصبيان وهم الخالفون اثرتم ذلك على الخروج معي الى الجهاد
ولاجل انكم رضيتم بالقعود اول مرة لا اذن لكم في الخروج معي ابدا الى الجهاد
وقيل الخالفون هاهنا هم المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله
صلى الله عليه واصل الخالف كل من تاخر عن الشاخص ه وفي قوله
فاقعدوا مع الخالفين ابلغ الوعيد والتهديد وقوله تعالى ولا تصل
على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره ه معناه ولا تصل على احد من
المنافقين اذا مات ولا تقم على قبره واكد ذلك بلفظ الابد فنهاه عن
الصلوة عليهم على الوجه الذي كان يصلي على المؤمنين ونهاه ايضا عن
القيام على قبورهم كقيامه على قبور المؤمنين وقوله جل اسمه انهم كفروا
بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ه معناه بيان علة
النهي انهم كفروا بالله فماتوا على كفرهم ونفاقهم فلذلك لا تجوز الصلوة
عليهم ه وموضع مات من الاعراب جر لانه صفة لاحد كانه قال
ولا تصل على احد منهم ميت ه وابدا انتصب بقوله ولا تصل ه وروى
انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وآله اراد ان يصلي على عبد الله
ابن ابي سلول فاخذ جبرئيل عليه السلام بثوبه وقال ولا تصل على احد
منهم مات ابدا ه وروي من وجه اخر وهو ان النبي صلى الله عليه وآله قصد الصلوة عليه
فقال له عمر السر قد نزل ولا تصل على احد منهم مات ابدا فقال مه يا عمر

وما يدريك ما اقول وانما اقول اللهم املا قلبه نارا او جوفه
نارا او اجعل مصيره الى النار فبين انه ليس يصلي عليه وانما
لعنه ويعنت عليه وهكذى الصلوه على كل من مات
وهو عدو لله عند الرسول عليه السلم وقوله تعلى
ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها
في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ه قد مر بيان نظير
هذه الاية في هذه السوره فلا وجه لاعادتها ه وقيل انما كرر
ولا تعجبك للبيان عن قوه هذا المعنى فيما ينبغي ان يحذر منه
مع ان التذكير في موطن بعد احدهما عن الاخر في العاده
بامره ه وقيل يحتمل ان يكون في فريقين من المنافقين كما
قول القائل لا يعجبك حال زيد ولا يعجبك حال عمرو وقوله جل اسمه
واذا انزلت سوره ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك
اولوا الطول منهم ه اي اولوا السعه والغنا ه معناه واذا
انزل الله سوره عليك يامرهم بها بالايمان والجهاد مع الرسول
استاذنك اولوا الطول الاقويا منهم والاغنيا في التاخر والقعود
معمن قعد من النسا والصبيان وهو معنى قوله وقالوا ذرنا
نكن مع القاعدين ه وموضع ان في قوله ان امنوا من الاعراب
نصب بحذف حرف الجر على تقدير بان امنوا بالله وقوله تعلى
رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون
قد مر بيان قوله وطبع على قلوبهم في سوره البقره وغيرها من
السور فلا وجه لاعادته هاهنا وقوله جل اسمه لكن الرسول
والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم

الخيرات واولئك هم المفلحون ه لما ذم الله تعلى المنافقين على
التاخر عن الجهاد مدح المومنين والرسول صلى الله عليه وسلم على جهادهم
بالاموال والانفس ووعدهم بان لهم الخيرات وانهم
الظافرون بما يطلبون من عند الله والخيرات جمع خير
وقوله جل اسمه اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ه معناه هيا الله لهم بساتين
تجري من تحت اشجارها الانهار وانهم يكونون خالدين فيها
لا يخرجون عنها ابدا ه ثم بين ان من نال مثل هذا الثواب فقد
فاز فوزا عظيما وقوله تعلى وجا المعذرون من الاعراب
ليوذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين
كفروا منهم عذاب اليم ه المعذر المقصر مع طلب اقامة العذر
فكان هولا الاعراب اقاموا العذر كذبا واصله من عذر في
الامر تعذيرا اذا قصر ه وقيل المعذرون هم اهل العذر ه
ووجه هذا القول ان يكون معنى المعذرين المعتذرين فادغمت
التاء في الذال يقال اعذر واعتذر بمعنى وهو انه اذا تعذر ومنه
قول لبيد ه الى الحول ثم اسم السلم عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
اي فقد اتى بالعذر ه والوجه الاول هو الاقرب وقوله تعلى
سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم ه معناه ومن اعتذر
كذبا وقعد عن الجهاد وهو كاذب فيما يعتل فيه لكفره ونفاقه
فله عذاب اليم ه وجملة معنى الاية ان الاعراب الذين قعدوا
في امر الجهاد وجاوا يعتذرون العذر كذبا ليتاذن لهم في الخروج
وكانوا قعدوا عن الجهاد وكذبوا فيما اعتلوا به واعتذروا واما الهم

وما ذكرتك ما اقول وانما اقول اللهم املا قلبه نارًا او حرقه
نارًا واجعل مصيره الى النار فمن انه ليس يصلي عليه وانما
يلعنه ويعنت عليه وهكذى الصلوه على كل من مات
وهو عدوٌ لله عند الرسول عليه السلم وقوله تعلى
ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها
في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ۝ قد مر بيان نظير
هذه الايه في هذه السوره فلا وجه لاعادتها ۝ وقيل انما كرر
ولا تعجبك للبيان عن قوه هذا المعنى فيما يجب ان يحذر منه
مع ان التذكير في موطن بعد احدهما عن الاخر يحسن العادة
بامره ۝ وقيل يحتمل ان يكون في قومين لما بعض فيجري مجرا
قول القايل لا يعجبك حال زيد ولا يعجبك حال عمرو وقوله جل اسمه
واذا انزلت سوره ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك
اولوا الطول منهم ۝ اي اولوا السعه والغنا ۝ معناه واذا
انزل الله سوره عليك يامرهم فيها بالايمان والجهاد مع الرسول
استاذنك اولوا الطول الاقويا منهم والاغنيا في التاخر والقعود
معمن قعد من النسا والصبيان وهو معنى قوله وقالوا ذرنا
نكن مع القاعدين ۝ وموضع ان في قوله ان امنوا من الاعراب
نصب بحذف حرف الجر على تقدير بان امنوا بالله وقوله تعلى
رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون
قد مر بيان قوله وطبع على قلوبهم في سوره البقره وغيرها من
السور فلا وجه لاعادته هاهنا وقوله جل اسمه لكن الرسول
والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولايك لهم

الخيرات واولايك هم المفلحون ۝ لما ذم الله تعلى المنافقين على
التاخر عن الجهاد مدح المومنين والرسول صلى الله عليه وسلم على جهادهم
بالاموال والانفس ومدحناهم بان لهم الخيرات وانهم
المفلحون بما يطلبونه من عند الله والخيرات جمع خير
وقوله جل اسمه اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ۝ معناه هيا الله لهم بساتين
تجري من تحت اشجارها الانهار وانهم يكونون خالدين فيها
لا يخرجون عنها ابدا ۝ ثم بين ان من نال مثل هذا الثواب فقد
فاز فوزا عظيما وقوله تعلى وجا المعذرون من الاعراب
ليوذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين
كفروا منهم عذاب اليم ۝ المعذر المقصر مع طلب اقامة العذر
مكان هاولا الاعراب اقاموا العذر كذبا واصله من عذر في
الامر تعذيرا اذا قصر ۝ وقيل المعذرون هم اهل العذر ۝
ووجه هذا القول ان يكون معنى المعذرين المعتذرين فادغمت
التا في الذال يقال اعذر واعتذر بمعنى وهو انه اي تعذر ومنه
قول لبيد ۝ الى الحول ثم اسم السلم عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر ۝
اي فقد اتى بالعذر ۝ والوجه الاول هو الاقرب وقوله تعلى
سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم ۝ معناه ومن اعتذر
كذبا وقعد عن الجهاد وهو كاذب فيما يعلل فيه لكفره ونفاقه
فله عذاب اليم ۝ وجملة معنى الايه ان الاعراب الذين قعدوا
في امر الجهاد وجاوا يعيبون العذر كذبا ليتاذن لهم في الخروج
وكانوا قعدوا عن الجهاد وكذبوا فيما اعتلوا به واعتذروا انما لهم

عذاب اليم من الله تعالى وقوله جل اسمه ليس على الضعفاء ولا
على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا
لله ورسوله ۝ معناه ليس على المرضى ضيق ولا على الذين
ضعفوا عن الجهاد ولا على الذين لا مال لهم لينفقوا في سبيل
الله ولا ياثمون في قعودهم عن الجهاد اذا كانوا ناصحين لله ورسوله
وكانوا مخلصين للعمل وقوله جل اسمه ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم ۝ معناه ليس للعقاب سبيل الى المحسنين المخلصين
وقوله جل اسمه ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما
احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما
ينفقون ۝ معناه ولا ضيق ايضا على الذين جاؤوك ليعطيهم ما يستعينون
به على الجهاد من النفقة والالة وبرء علتهم فما احتاجوا اليه
فهم لا يقدرون عليه ولا يتمكنون منه فاذا لم تجد وامر عندك
ما طلبوه ولم يكن عندك ما تحملهم به بكوا على ما يفوتهم
من الجهاد غما وحزنا وحسرة على انهم لا يقدرون على ما يبذلون
النفقة في سبيل الله ونزلت الاية في نفر من مزينة وقيل انها
في سبعة نفر من قبائل شتى وقيل نزلت في ابي موسى واصحابه وقوله تعالى
انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف
وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ۝ لما بين الله تعالى انه لا سبيل
للعقاب الى من كانت صفته ما نطقت الاية الاولى به بين حال من
للعقاب اليه سبيل بما نطقت به الاية الثانية وهو ان هؤلاء الاغنياء
يتمكنون من الخروج معك الى الجهاد جاؤوك يستاذنونك في القعود
عن الجهاد ثم اصروا بان يكونوا مع النساء والصبيان فلم يخضعوا

من العقاب بالخروج الى الجهاد اخلاصا وبالانفاق في سبيل الله
طلب مرضاته كما يحسن ممن امنه باخلاص الايمان والطاعة ولا يجوز
ان يكون الخوالف من جمع المذكر لانه لا يجوز ان يقال للرجل خالفه
على المبالغة في الذم فاما على فواعل فلم يجئ الا فارس وفوارس وهالك
وهوالك وقد مر بيان معنى الطبع في غير موضع انه على طريق الجزاء لا
على وجه الابتداء وقوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم ۝ معناه
اذا رجعت يا محمد واصحابك الى وطنك من الجهاد وجاء اليك هؤلاء
الذين تخلفوا يعتذرون اليك والى المؤمنين وقوله جل اسمه قل لا
تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله من اخباركم ۝ معناه ولا
تقبل عذرهم اذا اعتذروا وقل لهم لا تعتذروا فانا لا نصدقكم
في اعذاركم ان الله قد اخبرني بخبركم واطلعني على سرائركم
وكذبكم وقوله جل اسمه وسيرى الله عملكم ورسوله ۝ قيل معناه
ان عملكم يجري الظهور على ما ترى حتى كانه يراه الرسول والمؤمنون
وقيل معناه ان الله يرى اعمالكم ويعلمها والرسول صلى الله عليه
والمؤمنون ايضا يعلمونها باعلام الله تعالى اياهم واخباره عنها
وقوله جل اسمه ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم
تعملون ۝ معناه يوم الجزاء تعدون الى عالم الغيب والشهادة بعد
الانشاء ليجازيكم في عملكم وما انطويتم عليه وما اكتسبتموه وقوله تعالى
سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم
انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ۝ معناه هؤلاء
المنافقون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم من منصرفكم
بايمان كاذبة لتعرضوا عنهم ۝ وكان هذا عند انصراف النبي

صلى الله عليه وآله من غزوة تبوك الى المدينة وكان القتال
مع الروم فمن كان تخلف من المنافقين اعتذروا بما حكى الله
عنهم واذن الله نبيه والمؤمنين في الاعراض عنهم ووصفهم بانهم
رجس وان ماواهم في العاقبة جهنم جزاء على ما كسبوه وارتكبوه ٥
وقوله تعلى فاعرضوا عنهم ● وهذا ضرب بليغ من التهديد لهولاء
المنافقين وقوله جل اسمه يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا
عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ● معناه يحلفون لكم
بالله كاذبين ويطلبون بذلك رضاكم عنهم فان رضيتم عنهم بسبب
ما قدموه من الايمان الكاذبة فان الله لا يرضى عنهم لانهم قوم
فاسقون قد اقاموا على كفرهم ونفاقهم وخرجوا عن دين الله ولهذا
سماهم فاسقين مع كونهم منافقين وليس يوجب الرضى الا التوبة والاقلاع
عما هم عليه وقوله جل اسمه الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر
الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم ● هذا
اخبار من الله تعلى عن غلظ اكباد الاعراب وقساوة
قلوبهم وفرط جهلهم بما يلزمهم من الحق وما يؤول اليه عاقبتهم
من الوبال والنكال وهو معنى قوله واجدر الا يعلموا حدود
ما انزل الله الاية ٥ ومعنى اجدر اقرب الى الامر واولى ٥
وموضع ان نصب على تقدير حذف حرف الجر كانه قيل واجدر
بان لا يعلموا وقوله جل اسمه ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ●
المغرم هو الغرم واصل الغرم لزوم الامر ومنه قوله تعلى ان عذابها
كان غراما ٥ ومن الاعراب من اذا انفق بشاء الوجه الذي
ينفقه المومنون عند ذلك غرما اصابه واضر به

ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ٥ اصل
الدائرة الحال المنقلبة من النعمة الى النقمة ومن الحال السنية
الى البلية ٥ واصل التربص التمسك بالشيء لعاقبة ما هو ومعناه
وينتظرون احوال البلاء بكم فجعل الله دائرة السوء عليهم والله
يسمع اقوالهم ويعلم افعالهم فيجازيهم على جميع ذلك وقوله تعلى ومن
الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند
الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته
ان الله غفور رحيم ● لما وصف الله تعلى بعض الاعراب بشدة
النفاق وعابه وصف بعضهم باخلاص الايمان وهم المومنون
منهم ٥ معناه ومن الاعراب من امن بالله وامن بالبعث والقيمة وما
ينفقه في سبيل الله يطلب به القربة والرضى من الله ويطلب صلوات
الرسول ٥ ومعنى صلوات الرسول لهم دعاؤه بالخير والبركة وقيل
استغفاره لهم ثم بين الله تعلى وجوب القربة والرحمة والنعمة لهم
بقوله الا انها قربة لهم الاية وقوله تعلى والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم
ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا ذلك الفوز العظيم ● قيل نزلت الاية في القوم الذين بايعوا
بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية وقيل نزلت في الذين صلوا
القبلتين واولهم علي بن ابي طالب عليه السلم لانه بلا خلاف صلى

المسلمين وهاجر الهجرتين وبايع البيعتين والاخبار في ذلك كثيرة
منها ما رواه ابو الفتح الحسن بن احمد بن علي بن مهران بعكبرا وكان
ذا فنون من العلم ٥ قال حدثنا ابو حفص عمر بن ابراهيم القاضي
قال حدثنا اسمعيل بن محمد قال حدثنا محمد الصلت قال حدثنا الفضل
الحراني قال عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وآله يقول صلت الملائكة علي وعلى علي قبل
الناس سبع سنين وذلك لانه لم يكن يصلي غيرنا ٥ واخبرنا الشريف
ابو محمد الحسين علي الزاهد قال حدثنا ابو جعفر محمد بن ابراهيم
بن محمد بن عبدان بن حلبة القهستاني قال حدثني ابو عبد الله
غسان بن محمد بن غسان قال حدثني ابو سعيد الحسين بن علي بن
زكريا البصري قال حدثنا كامل وطلحة قال حدثنا عباد بن عبد الصمد
ابو معمر عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين وذلك انه لم ترتفع شهادة
ان لا اله الا الله الا مني ومن علي وهذا ادل على انه سبق الناس كلهم
كلهم الى الايمان ومعنى الاية ان الله تعالى بين السابقين الاولين الى
الايمان من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان هم الذين
جروا على منهاج المهاجرين والانصار وسلكوا طريقتهم رضي الله عنهم
لسبقهم الى الايمان بيعتهم بيعة الرضوان ورضوا عنه بما اوجب لهم
من الثواب واعد لهم جنات الى اخر الاية وقوله جل اسمه وممن حولكم

من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة ٥ قد بينا معناه
في هذه السورة وفي غيرها من السور ومعناه حول مدينتكم
منافقون من الاعراب ومن اهل المدينة ايضا منافقون ٥ وقوله تعالى
مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون
الى عذاب عظيم ٥ معنى اللغة مرد على الشيء اذا عتى فيه ومعناه
هؤلاء المنافقون عتوا في نفاقهم وطغوا فيه وانت يا محمد لا تعلمهم
باعيانهم والله يعلمهم والله يعذبهم مرتين في الدنيا وفي القبر يعذبهم
في الدنيا بالفضيحة لان النبي صلى الله عليه وآله ذكر جماعة منهم باعيانهم على حسب
ما عرفه الله والمرة الثانية في القبر ٥ وقيل يعذبهم بالقتل
والسبي والجوع ثم يردون الى عذاب عظيم في الاخرة ٥ وقوله تعالى
واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى
الله ان يتوب عليهم والله غفور رحيم ٥ معناه ومنهم من اعترف
بذنبه واقر بخطيئته خلط عملا صالحا بعمل سيء والله يتوب عليهم
بان يقبل توبتهم ويتجاوز عنهم ما عملوا ٥ وجاء هذا على طريقة العرب
في قولهم خلطت الماء واللبن ويجوز ان يكون على وجه الجمع بين العملين
من غير خلط وفي قوله عسى بان الله يحب ان يكونوا بين الطمع والاشفاق
وقيل عسى من الله واجبة ٥ وقيل نزلت الاية في عشرة انفس
تخلفوا عن غزوة تبوك منهم ابو لبابة ٥ وقيل في سبعة نفر
وكانوا ربطوا انفسهم باسطوانات المسجد الى ان نزلت توبتهم
وقيل كانوا سبعة منهم ابو لبابة وقوله جل اسمه خذ من اموالهم
صدقة تزكيهم بها ٥ اصل التطهير ازالة النجاسة معناه
هاهنا ازالة الذنوب واعطاء الصدقة تكفير لها امر الله

نبيه صلى الله عليه وآله بأخذ من أموالهم الصدقة لنزول عنهم
ما استحقوه على ذنوبهم فجعل زواله بمنزلة التطهير لهم
وقيل هذه الصدقة ليست الزكوة الواجبة وانما هي كفارة
الذنوب التي اصابوها ٥ وقيل هي الزكوة المفروضة وقيل
انما اسند تطهرهم بها لانها صفة الصدقة ايضا الا انه
بعد اجتزى بذكرها في الثاني عن الاول ٥ وقيل يجوز ارتفاعه على
الاستئناف وقيل لا يحسن الانقطاع مع امكان الاتصال ٥
وقوله جل اسمه وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع
عليم ٥ السكن هو ما سكنت اليه النفس فامر الله نبيه صلى
الله عليه وآله ان يدعو لهم عند دفعهم الصدقة اليه لان دعاه
لهم مما تسكن به قلوبهم وتطيب به انفسهم ٥ وقيل ينبغي للمصدق
ان يدعو للمتصدق عند اخذ الصدقة منه لما ذكره الله تعالى
وبين انه سميع لاقوالهم وعليم باحوالهم وقوله جل اسمه الم يعلموا ان الله
هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو
التواب الرحيم ٥ الالف في قوله الم الف تنبيه على ما يجب ان يعلم
به وان كان في صورة الاستفهام ٥ ومعنى اخذ الصدقات
في صفة الله مجاز لانه يضمنها الجزاء عليها وقيل جعل الله اخذ
النبي صلى الله عليه وآله الصدقات واخذ المومنين اخذا له توسعا
ومجازا وروي ان الصدقة تقع في يد الله تعالى قبل ان يصل الى
السائل ومعناه ان الصدقة بمنزلة هذا التنزيل هو ترغيب للعباد
في فعل الصدقات ويرجع معناه الى تضمن الجزاء لان هذه
العبادة لها موقع جليل في الدعاء الى الصدقة وقوله جل اسمه وتعالى

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون وستردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ٥ قد مر بيان
نظير هذه الاية في هذه السورة ٥ وصيغة اعملوا هاهنا
تهديد ووعيد حققوا ان المستغفرين سقطت الاية وقوله جل اسمه
وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم
حكيم ٥ الارجاء تأخير الامر الى وقت ٥ بين الله تعالى ان
الاخرين لا يكل امر الذين تقدم ذكرهم موخرا امرهم الى وقت
وان اهل معاصيهم هم الصنفان اللذان ذكرهما والصنف
الاول الذين اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا
والصنف الثاني المرجون لما احدثت لله فيهم من امره ولم يحكم
عليهم بحكم في الحال فاما ان يتوبوا فيتوب الله عليهم واما لا
يتوبوا فيعذبهم الله فدلت الاية على انه انما يغفر لهم اذا تابوا
لانه ليس للمكلف الا هذان الحكمان ٥ وروي ان هولا المرجين
هم هلال بن امية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك من الاوس والخزرج
وقوله جل اسمه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المومنين
وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ٥ الضرار مجاوزة
الضرر والارصاد الاعداد ٥ هولا قوم من المنافقين بنوا مسجدا
وروي انهم كانوا اثني عشر رجلا من الاوس والخزرج منهم خذام
بن خالد وثعلبة بن حاطب ومعتب وابو حبيبة بن الازعر وعباد بن
حنيف وجارية بن عامر وابناه مجمع وزيد ونبتل بن الحارث
وبجاد بن عثمان ووديعة بن ثابت بنوا مسجدا بالمدينة على سبيل الضرار
بالرسول صلى الله عليه وآله وانه ادوا انهم ان يقطعوا

عن مسجده ويكون مجمعاً لهم في التدبير لهم على النبي صلى الله عليه
والمؤمنين وكانوا يتوقعون أن يجيئهم إلى ذلك المسجد أبو عامر
وهو أبو حنظلة الراهب غسيل الملائكة يوم أحد وإنما قيل له
الراهب لأنه التجأ إلى قيصر ملك الروم وتنصر وترهب وكان
أبو عامر هذا أحد رؤساء الأوس وكان معادياً للنبي صلى الله عليه
لأنه يرى أنه ذهب برياسته فبقي وهو لا يرى المؤمنين يلجأهم ذلك المسجد
ليصلي قوم فيه وقوم في غيره ليختلف الكلمة ويذهب الألفة ويبطل
أكثر الجامع فقصدوا ببناء المسجد إلى هذا أو للكفر وإظهار الطعن
على النبي والمؤمنين ومعنى إرصاداً لمن حارب الله ورسوله أي عدة
والعدو لله أبو عامر ليكون مثوى له إذا الاجتماع معهم حصونهم وكان
وعد لهم [illegible] بأنه سيأتي بجند ويخرج محمداً وأصحابه من المدينة
فبنوا المسجد على انتظار أبي عامر ورقيبه وكان أبو عامر عدواً
لله ورسوله والمؤمنين من أول أمره إلى آخره وهو معنى قوله لمن حارب
الله ورسوله من قبل وإنما قوله تعالى من قبل عند ما كان عند قيصر
وقوله جل اسمه تعالى وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم
لكاذبون ه معناه وهؤلاء المنافقون الذين بنوا هذا المسجد
لا للقصد إلى طاعة الله وطلب الثواب في الجنة فأكذبهم الله تعالى
في قولهم ويمينهم بالله بقوله والله يشهد إنهم لكاذبون وقوله جل اسمه
لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن
تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ه
نهى الله تعالى نبيه والمؤمنين أن يقوموا في المسجد الذي بنوه
أبداً ه وبين أن المسجد الذي بني على إخلاص الإيمان والتقوى أولى

بالقيام فيه وهو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المسجد
الذي بني على النفاق بناه المنافقون للمظاهرة في الجهة فكأنه قيل
لو كان من الحق الذي يجوز لكان هذا أحق ويجوز أن يكون هذا على
بعد من قول القائل [illegible] أصلح من تركه والمسجد الذي بني من أول
يوم هو مسجد [illegible] وقيل في مسجد قباء والأول أقرب
فإنه روي عن أبي سعيد الخدري وأبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قال هو مسجدي هذا وقيل إنما قال في أول يوم مع أن فضل
بعضها أضيف إليه بمعنى أول الأيام إذا ميزت يوماً يوماً كما يقول أعطيت كل رجل
في البلد أي كل الرجال إذا ميزوا رجلاً رجلاً وقوله جل اسمه فيه رجال يحبون
أن يتطهروا الآية ه معناه في المسجد الذي بني على التقوى رجال يحبون
أن يتطهروا الصلاة من الذنوب وقيل يتطهروا بالماء من الغائط والبول
وأن يكون على العموم أولى وبين تعالى أنه يريد ثواب المتطهرين وتحليلهم ه وقوله تعالى
أفمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله
لا يهدي القوم الظالمين الألف في قوله أفمن بنى للإنكار في صورة
استفهام ومعنى خير ها هنا أفضل وهو على وزن فعل وقد ذكر
هذا اللفظ ولا يراد به أفضل مع أن أفضل بعض لما أضيف إليه وقد
بينا ذلك في غير موضع ه ومعنى الإبدال من أسس البناء على تقوى
الله ورضاه أفضل ممن يؤسسه على أصل منهار لا يثبت ولا يستقر
وجرف الوادي جانبه وشفا كل شيء حرفه ه ومعنى هار منهار وانهار
الشيء إذا انصدع بالتهدم وخرج هذا الكلام على وجه المثل فكأنه
قال إن هؤلاء أسسوا قاعدة مسجدهم على معصية الله تعالى فاستحقوا
بذلك الخلود في نار جهنم لأن بناءهم وأساسهم ليس على أساس ثابت وبين

لأنه لا يحب الظالمين ولا يهديهم الى طريق الجنة وقوله تعالى لا يزال
بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم
لا يزال عبارة على الدوام ومعناه بنيانهم دائما يكون ريبة في قلوبهم
وحكم الذي يتوابع قوله بنيانهم حكم الاضافة على معنى الماضي اذ لا يجوز
الاضافة على جهة المستقبل كقول القائل اقبل على عملك وقيل
الريبة التي في قلوبهم هي التردد في العزم وقيل حزازة في قلوبهم وقيل
شك واضطراب وموضع ان تقطع نصب في الاعراب على تقدير الا على
تقطع قلوبهم الا ان حرف الاضافة يحذف مع المصدر ومعناه
حتى تقطع قلوبهم وجاز وقوع الا ان موقع حتى كانها استثنا من الزمان
المستقبل والاستثنا منتهى اليه فاجتمعت مع حتى في هذا الموضع على
هذا المعنى وقوله جل اسمه ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه
حقا في التوراة والانجيل والقرآن معناه ان الله تعالى يضمن الجزا
لمن جاهد بنفسه وماله من المؤمنين الجنة والنعيم الدائم فجعل قيامهم
بما كلفهم من الجهاد بالمال والنفس بمنزلة بيع انفسهم واموالهم من الله وجعل
ما وعدهم عليه من الثواب بمنزلة اشترى الشيء وتوفير الثمن ثم بين
ان هذا الاجر لهم واجب لازم سواء كانوا مقتولين بايدي العدو او كانوا
قاتلين للعدو وهذا معنى قوله فيقتلون ويقتلون وانتصب وعدا
عليه حقا بما دل عليه لفظ اشترى لانه بمنزلة وعد ومنه قوله تعالى
فطرة الله التي فطر الناس عليها وقوله صبغة الله الذي
ومعنى حقا هاهنا ان الوعد الواجب في حكم الله ان
يفعله فكانه اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بما وعدهم تعالى

من الثواب الواجب في حكمته ان يفعله لمن كلفه المشاق
وبين انه كما وعد به اهل القرآن المجاهدين فقد كان وعد مثله
اهل التوراة والانجيل وقوله جل اسمه ومن اوفى بعهده من
الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم
معناه ومن بايع بنفسه وماله من الله فليستبشر به فان له من النفع
والسرور وانواع اللذات ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر وقوله جل اسمه التائبون العابدون الحامدون السائحون
الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن
المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين السائحون
الصائمون وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال سياحة
امتي الصوم مدح الله هؤلاء المذكورين في الاية وبين انهم
استحقوا اطلاق كل واحد من هؤلاء الصفات باصلاحها ما يعطيها
فله الجنة والمنازل الشريفة والدرجات الرفيعة وقال
لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بشر المؤمنين بذلك وقيل ارتفع التائبون
على المدح بتقدير هم التائبون وقيل ارتفع على الابتدا وخبره
محذوف بتقدير التائبون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون
الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله
لهم الجنة وقيل ارتفع التائبون على البدل من الضمير الذي
في يقاتلون كانه قيل التائبون يقاتلون في سبيل الله من هذه صفته وقيل
دخلت الواو في قوله والناهون دون ما تقدم من الصفات لان هذه
الصفات على مصاحبة الفعل الثاني بالواو حتى لا يكاد يذكر على
الانفراد بل يذكر الامر بالمعروف مع النهي عن المنكر وانما دخلت

الواو في الناهون عن المنكر دون ما تقدم من الصفات لئن
هذه الصفة على مصاحبة الفعل الثاني وانما دخلت الواو في قوله
والحافظون لحدود الله لعزيز المعطوف عليه وهو الناهون
وقوله جل اسمه ماكان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين
ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ۵ قوله ما
كان للنبي حظر وبيان انه من فعل بالشرك فعله فقد اتى امرا قبيحا ۵
ومعناه ليس للنبي والمؤمنين ان يستغفروا للمشركين وان كانوا ارحامهم
بعد ان تبين لهم ويظهر من حالهم انهم اعداء الله قد استحقوا عقاب
الله وقوله جل اسمه وتعالى جده وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا
عن موعدة وعدها اياه لانه لما حظر الله على النبي والمؤمنين الاستغفار
للمشركين بين عذر ابرهيم صلى الله عليه في استغفاره لابيه وانما كان
استغفر له لانه كان وعده التوبة والرجوع الى طاعة الله ولم يكن تبين
لابرهيم عليه السلم انه عدو لله لانه كان منافق معه ۵ وقيل كان
ابرهيم عليه السلم استغفر له طمعا في ايمانه ووعده بالاستغفار ۵ لا
استغفارا على شرايط الحكمة ومقتضى الدين فهو قوله تعالى الا عن
موعدة يدل على الانفصال من الشيء كقولك سمعت عن القوس اذا اولت
لموعدة دلت اللام على سبب في [illegible] الى الفعل المؤدي اليه وقوله جل اسمه
فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابرهيم لاواه حليم ۵ معناه فلما
تبين لابرهيم ان آزر عدو لله وانه كان منافقا لما كان بعد له تبرأ منه
وترك الاستغفار له وبين الله تعالى انه كان يحظر على ابرهيم كما كان يحظر
على النبي صلى الله عليه وعلى المؤمنين وان ابرهيم عليه السلم انما استغفر
له بسبب فلما ظهر له انه عدو لله عاد الى الحظر وترك الاستغفار

وقيل انما تبين له انه عدو لله لموته على كفره وقيل تبين له ذلك
بالياس من فلاحه اما باخبار الله واما بالامارات الظاهرة من
احواله ۵ ومعنى الاواه التواب وقيل الرحيم وقيل هو الذي اذا ذكر
النار قال اوه وقيل هو المتوجع المتضرع الى الله تعالى
خوفا واشفاقا من عذاب الله تعالى في اللغة تاوه تاوها اذا توجع
ووصف الله تعالى ابرهيم عليه السلم بانه اواه حليم وقوله جل اسمه
وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان
الله بكل شيء عليم ۵ معنى الاضلال هاهنا الحكم بضلال من عدل
عن طريق الجنة لكفره وفسقه على جهة الذم ومعنى الهداية
هاهنا الحكم [illegible] بالهداية لمن سلك على طريق
الايمان والطاعة ۵ ومعنى الاية وما كان الله ليحكم بالضلال على قوم بعد
ان حكم لهم بالهدى الا من بعد ان يبين لهم طريق التقوى وما يجب عليهم منه فاذا
لم يتق حكم عليه بالضلال ۵ ووجه اتصال الاية بما قبلها ان الله تعالى
لما حظر استغفار المشركين على المؤمنين ذلك وخافوا اثمه فبين تعالى
لهم انه لا يؤاخذهم بذلك الا بعد ان يدلهم على ما يجب ان يتقوه فهذا
بيان ما خاف من ذلك الحال وقيل كان ذلك في تحويل القبلة وتحريم
الخمر وحكم ذلك في بيان من الاول وقوله جل اسمه ان الله له ملك السموات
والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ۵ اصل الملك
اتساع المقدور ۵ بين الله تعالى ان له ملك السموات والارض وهو
القادر على احياء الخلق واماتتهم وقد مر بيان قوله وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير في غير موضع ۵ ووجه اتصال الاية بما قبلها
على ما تقدم ذكره من جهاد المشركين مملوكهم وغير مملوكهم لانهم عبيد

من له ملك السموات والارض يحكم فيهم بما يشاء من تدبير ٥ وقوله جل اسمه لقد
تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة
العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم
رؤف رحيم ٥ العسرة صعوبة الامر وكان ذلك في غزوة
تبوك لانه لحقتهم فيها مشقة شديدة من قلة الماء والزاد والظهر
لكن ذلك كان قد قلّ ٥ وقال عمر بن الخطاب اصابنا في غزوة
تبوك عطش شديد فامطر الله الينا بدعاء النبي صلى الله عليه فعشنا
بذلك فاخبر الله انه تاب على النبي صلى الله عليه وآله وعلى [illegible] في دار
العسرة من المهاجرين والانصار ٥ ومعناه انه قبل توبتهم
وغفر ذنوبهم وقد علمنا بالدليل القاطع انه لا يقع من الانبياء عليهم
السلم كبائر وانما يقع منهم صغائر وان الصغائر وان كانت مغفورة
فانه يجب التوبة منها ٥ وقوله تعلى لقد تاب الله على النبي يدل عليه
انه قد كان وقع منه صغيرة واما المهاجرون والانصار فان
الكبائر والصغائر جائزة عليهم ولا يدرى وقوع الكبائر او الصغائر
وكبائرهم في تلك الحال لكن الله تعلى لم يتب عليهم الا بعد توبتهم
وتوبتهم لا بد من ان يكون لاجل قبح ان يكلوه فبين الله انهم تابوا
بعد ان كاد يميل قلوب فريق منهم عن حسن النية في الجهاد
فندموا على ذلك الى التوبة فقبل الله توبتهم ٥ وجيش تبوك يسمى
جيش العسرة وذلك لغزوهم غزوة العسرة واخبر الله تعلى
انه قبل توبتهم لما تابوا لرافته بهم ورحمته عليهم وقوله تعلى وعلى الثلثة
الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت
عليهم انفسهم ٥ معناه وتاب الله ايضا على الثلثة الذين خلفوا

وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن ربيعة ٥ وقيل معنى خلفوا
انهم خلفوا عن التوبة بما حصل بسبب التخليف عليهم في ذلك وقيل
خلفوا عن غزوة تبوك حتى ضاقت عليهم الارض بسعتها وضاقت صدورهم
ضجرا وغما وقوله جل اسمه وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم
ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم ٥ الظن هاهنا بمعنى العلم ومعناه وايقنوا
ان لا ملجا من الله الا اليه ولا ملجا من عذاب الله الا بالفزع الى التوبة مما ارتكبوه
ثم لطف الله بالتوبة ليتوبوا فسمى لطف التوبة توبة وهو كما يقال في الدعاء
للغير تاب الله عليك ٥ وقيل معناه قبل توبتهم ليتمسكوا بها في مستقبل
عمرهم وقيل ثم قبل توبتهم ليرجعوا على الرضى عنهم فجعل رجوعهم الى
الرضى توبة منهم ٥ وكان سبب ضيق الارض عليهم وضيق انفسهم
ان المؤمنين منعهم الله من مكالمتهم ومتابعتهم ومعاملتهم وامر
ازواجهم باعتزالهم وكان النبي صلى الله عليه معرضا عنهم حتى انزل
الله توبتهم وقوله جل اسمه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ٥
امر الله تعلى المؤمنين بالتقوى وهو ان يجتنبوا المعاصي وامرهم بالكون مع
الصادقين والصادقون هم الانبيا والايمة عليهم السلم والصديقون
من المؤمنين ٥ والفرق بين كن من الصادقين وبين كن مع الصادقين
وبين كن في الصادقين ان مع تفيد المصاحبة ومن بمعنى التبعيض
وفي عن الظرف في الوعا من كان في جملتهم وقد حصل المعاني الثلثة وقيل
انما قيل للمؤمن كن مع الصادقين وان كان صادقا على معنى الزم الصدق
ولا تعدل عنه اذ لا يشرع الكذب رخصة بوجه من الوجوه ٥ وقيل
معناه كن مع النبيين والصادقين في الجنة بالاعمال الصالحة والطاعات
الجليلة في الدنيا مع عن ان حبطها لانها الطريق الى نيل صحبتها ولا في احد

وكان زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام اذا تلا هذه الاية بكى وناح على
نفسه وله دعاء طويل في هذا الباب مفصل بالمواعظ البليغة والحكم
البديعة واولها اللهم ارفعني في درجة هولا واعرضت عن ذكرها تحاشيا للتطويل
وقوله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه معناه لا يحل لاهل المدينة ومن الاعراب الذين هم
حول المدينة ان يتخلفوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه الى العدو ولا
لهم ان يطلبوا المنفعة لنفوسهم دون نفسه ويجوز ان يكون نفيه وقال الجبائي
وهو معنى قوله تعالى ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه وهذه فريضة الزمهم الله اياها كما على النبي في
الدعا الذي اهتدوا به وخرجوا من ظلمة الضلال الى نور الايمان وقوله تعالى ذلك بانهم
لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار
ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر
المحسنين الظما العطش والمخمصة المجاعة والنصب التعب بين الله تعالى
وجوب هذه الفريضة عليهم فقال انما الزمهم ذلك لانهم اذا خرجوا مع الرسول
صلى الله عليه وآله فلا يصيبهم عطش ولا جوع ولا تعب ولا يطؤون باقدامهم
موضعا يكون في ذلك غيظ للكفار وغمهم ولا ينالون منهم نكاية بقتل
او طعن او ضرب وغيرها مما يكون فيه نكاية العدو الا كتب الله لهم ذلك
في الاعمال الصالحة التي يستحق عليها افضل الثواب وارفع الدرجات
وانه لا يضيع ثوابهم عنده لانه يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وانما
يضيع ثواب الكافر والفاسق لكفره وفسقه وقوله تعالى ولا ينفقون نفقة
صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما
كانوا يعملون معناه ولا ينفقون في سبيل الله شيئا قليلا كان او كثيرا ولا
يقطعون واديا بالمشي فيه الى العدو الا كتب الله لهم الاجر وفقا لاعمالهم

فيجازيهم يوم القيامة باحسن ما كانوا يعملون فدلت الاية على
بطلان قول من يقول لا يكون في الافعال حسن وقوله تعالى وما كان
المؤمنون لينفروا كافة معناه وما كان لازما للمؤمنين ان ينفروا الى
الشرك جميعا ويتركوا النبي صلى الله عليه وحده بالمدينة ولكن
ينبغي ليتفقه الباقون بعد نفور المتأخرين وقوله تعالى فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا
رجعوا اليهم لعلهم يحذرون موضع لولا للتحضيض اذا دخل على
الفعل واذا دخلت على الاسم فهو بمعنى امتناع الثاني لاجل الاول
والفقه العلم واصل الفقه العلم على مخصوص العرف وهو العلم بالاحكام
الشرعية ولهذا لا يوصف الله بانه فقيه وان كان عالما بجميع المعلومات
لا بهام ومعنى الاية فلولا نفر من كل فرقة قوم منهم طائفة ليتفقه النافرة
بعد نفرة المتأخرة ليحذروا ما يجب الحذر عنه وقيل معناه انه ينفر
الطائفة من كل قوم ومن كل ناحية الى النبي صلى الله عليه لاستماع كلامه
وفقه ما يخبر به وما يرد به ويتعلموا الاحكام ثم يعلمون ذلك قومهم
اذا رجعوا اليهم وهذا يدل على ان فرض تعلم العلم من فروض الكفايات
اذا قام به قوم سقط عن الباقين وقوله تعالى جده يا ايها الذين امنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع
المتقين امر الله تعالى المؤمنين بقتال الكافرين الذين هم الاقرب
منهم ولم يدل ذلك على سقوط القتال منهم مع من كان بالبعد الا انهم
ان يبتدؤوا الجهاد من يليهم قبل جهاد من بعد لما في ذلك من حسن
التدبير ومقتضى الحكمة ولما في ذلك من الظفر الا اقرب الى بلاد
الاسلام على التدريج وقوله تعالى جده واذا ما انزلت سورة فمنهم

من يقول ايكم زادته هذه ايمانا ٥ قيل انما جاز ما هاهنا
تسلط اذا على الجزا وصلتها كذه والضمير في قوله فمنهم
عايد على المنافقين ٥ ومعنى الاية واذا ما انزلت سورة فمن المنافقين
من يقول لصاحبه على سبيل الانكار والاستهزا ايكم زادته
هذه السورة ايمانا ٥ وقيل قال المنافقون لضعفة المومنين
على وجه الاستهزا وقوله جل اسمه فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم
يستبشرون ٥ بنزول الاية و[illegible] الاية ايمانا على معنى انهم يزدادون
الايمان عند نزول السورة ويزدادون الاخلاص واليقين في تلك الاية
على بطلان قول من يقول ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وقوله جل اسمه واما
الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم
كافرون ٥ ومن كان منافقا زادته السورة رجسا الى رجسه الذي
كان عليه قبل ذلك ٥ ومعناه انه يزداد الرجس عند نزول السورة
لكن السورة لا تزيد الرجس فاضيف الزيادة اليها لانها كانت عند نزولها
توسعا ومجازا ٥ وقد بينا في سورة البقرة معنى المرض في قوله تعالى
في قلوبهم مرض بما فيه كفاية وبين الله تعالى انه اذا بهم مرض قلوبهم
الى ان ماتوا على كفرهم وهو [illegible] ان الموت لحقهم وهم على حال كفرهم
وقوله تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون
هذا متصل بذكر المنافقين ٥ والرؤية هاهنا رؤية القلب وهو العلم
ومعنى الاية او لا يعلمون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين زجرا لهم عن
الكفر والمعصية ثم لا ينزجرون ولا يتذكرون ما يجب تذكره
وهذا انبا عن قساوة قلوبهم وجراتهم على المعاصي ٥ واصل
الفتنة الامتحان وقد بينت ذلك في غير موضع من هذا الكتاب

وقيل هذه المحنة كانت بالقتل والسبي ونصر الله نبيه صلى الله
عليه حتى استعلا على كل من ناواه وعاداه ٥ وقيل كان ذلك بالقحط
والجوع وقيل كان ذلك بالمرض النازل بهم وقيل كان ٥ وقوله جل اسمه واذا ما انزلت
سورة نظر بعضهم الى بعض هل يريكم من احد ثم انصرفوا صرف
الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون ٥ وجه اتصال قوله نظر بعضهم الى
بعض بما قبلها انتصب الحال الدالة [illegible] القول لان النظر قام مقام القول
هل يراكم من احد في المفهوم ٥ ومعنى الاية واذا انزلت سورة نظر
بعض المنافقين الى بعض على سبيل الاستهزا والانكار وقالوا فوقكم
هل يراكم احدا منهم مخافة ان تقفوا على احوالهم وتطلعوا عليها
ثم انصرفوا على تلك الحالة والله صرف قلوبهم عن السورة بالفائدة
التي تحصل في السورة فيحرمونها للمومنين من الاستفادة فتلك الحال عقوبة
على انصرافهم عن تلك الحالة ٥ وبين تعالى انهم يستحقون ذلك لانهم قوم
لا يفقهون من دين الله ما يفقهه المومنون لانهم يصرفون عن موضع
الحجة حتى كان بين المنافقين وبين الحق عداوة لشدة نفورهم عنه وجا قوله
ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم على ازدواج الكلام كقوله تعالى
وجزا سيئة سيئة مثلها لين المزاوج نعود فيه الصيغة والمجانس
يصرف عن صيغة اخرى وقوله جل اسمه لقد جاكم رسول من انفسكم
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رءوف رحيم ٥ امتن الله
عليهم ببعثة الرسول اليهم من انفسهم لانه اقرب الى الالفة
وابعد من اللجاجة والمخالفة فهو صلى الله عليه وآله منهم في شرف
النسب والقرب منهم والاختصاص بهم والعنت الحاق الاذى
المشق للصدر الذي لا يهتدى للمخرج منه ٥ ومعناه هاهنا شديد عليه

من الضرر من ايمانهم في امكان زوال ذلك والعزيز المنيع
اصله ذلك وقد بينت ذلك في غير موضع وقيل انه حريص
عليكم ان تؤمنوا وانه رؤوف رحيم بالمؤمنين مشفق عليهم
وقوله جل اسمه بالمؤمنين رؤوف رحيم على الاستيناف فهذه
كلها صفة للنبي صلى الله عليه وقوله جل اسمه فان تولوا فقل
حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ٥
قيل معناه فان تولوا عن طاعة الله فقل حسبي الله ٥ وقيل
فان تولوا عنك فقل حسبي الله اي كافي الله لا اله الا هو عليه توكلت
ووثقت وفوضت اليه والله رب العرش العظيم ٥ وموضع الجملة
من الاعراب في قوله لا اله الا هو نصب لانه في موضع الحال تقدير
فقل حسبي الله مستحقا لاخلاص العبادة والاقرار بان لا اله
الا هو وفي تخصيصه بالذكر بانه رب العرش العظيم اقوال
احدها انه لما ذكر الاعظم دخل فيه الاصغر فاشتمل على الكلام
الثاني انه خص بالذكر تشريفا له وتفخيما والثالث انه ذكر ذلك
ليدل على انه مالك الملوك لانه رب العرش العظيم ٥ وقد اشبعت
الكلام في العرش فيما مضى فلا وجه لاعادته هاهنا وروى ابي بن كعب
عن النبي صلى الله عليه انه قال من قرا سورة الانفال وبراءة فانا
شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بري من النفاق واعطي من
الاجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات
ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان العرش وحملته
يصلون عليه ايام حيوته السورة التي يذكر فيها يونس
عليه السلام مكية مائة وتسع ايات والفان وثمانمائة وثلثون كلمة

وسبعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا ٥ ٥ ٥
بسم الله الرحمن الرحيم قوله جل اسمه تعالى الر تلك
آيات الكتاب الحكيم ٥ قد بينا في اول السورة سورة البقرة
الغرض في ذكر حروف التهجي في اوايل السور بما فيه كفاية فلا
وجه لاعادته هاهنا وقيل انما قال تلك ولم يقل هذه الآيات
لتقدم الذكر في الر فكانه قال هذه هي الكريمة ٥ وقيل المعنى هذه
آيات ٥ وقيل المعنى الآيات التي تقدم ذكرها واضيفت الآيات
الى الكتاب لانها ابعاض الكتاب والقرآن متصل بالآيات بالحكم
النافية للشبهات في وصف الكتاب بانه حكيم لانه دليل على الحق
بالحكمة ٥ وقيل حكيم هاهنا بمعنى محكم كما قال ابو ذويب
ادعى لك بعد ولم يسعر خليف ٥ اي مخلف من
اخلاف الوعد ٥ وقيل انما لم يعد الر كما عد المر لان آخره لا يشاكل
رؤوس الآي التي بعدها انها بمنزلة المردف بالباء قالوا طه فعد
لانه يشاكل رؤوس الآي التي بعده وقوله تعالى اكان للناس عجبا
ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس خرج هذا الكلام على بيان
حال الجهال في التعجب من الوحي على جهة الانكار كانه قيل أعجبوا
ان اوحينا الى رجل منهم لينذرهم وقوله تعالى وبشر الذين امنوا
ان لهم قدم صدق عند ربهم ٥ امر نبيه صلى الله عليه ان يبشر
المؤمنين بان لهم سابقة باخلاص الطاعة كاخلاص الصدق
من شائب الكذب وقد يقال لفلان قدم في الجاهلية والاسلام
قال حسان بن ثابت لنا القدم العليا اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع
وقال ذو الرمة لكم قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العادي طمت على البحر

وقوله جل اسمه قال الكافرون ان هذا لسحر مبين ٥ معناه
ان كفار قريش نسبوا القرآن الى السحر ٥ وهذا يدل على
تعظيمهم فصاحته ونسبوا النبي صلى الله عليه وآله الى السحر
وهو انه سحره بقول مثل ذلك وتعظيم موقع نظم القرآن في انفسهم
قالوا ذلك فهذا يدل على فساد قول من قال ان العرب لم يكاد
القرآن لم يشتغلوا بمعارضته ٥ ويدل ايضا على بطلان قول
من يقول ان وجه الاعجاز فيه من جهة المنع لانه لو كان كذلك لم
يكن لانه العالي الوجه الذي يتعجب منه حتى انه نسب الى السحر معنى
بل كان كلما كان ركيكا كان اعجب في باب المنع وقوله جل اسمه ان ربكم
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر
الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا
تذكرون ٥ بين الله تعالى في هذه الآية خلقه وافعاله التي تدل على
الاهيته وحكمته وقد مر بيان هذه الجملة في سورة الانعام وغيرها فلا
وجه لاعادته ها هنا واذا كان الله تعالى اثبت الهيته عند الخلق
بالاوصاف واثبت السوء بالوصف ايضا فالامام معصومه ايضا دون
الائمة من يسمى بها ولم تكن لصفة الامامة كان كمن يسمى بالالهية
ولم يكن لصفة الالهية وقوله جل اسمه ما من شفيع الا من بعد اذنه
نظيره قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ٥ وقد مر بيانه في
سورة البقرة في آية الكرسي وقوله جل اسمه ذلكم الله ربكم فاعبدوه
معناه ان الذي خلق السموات والارض وفعل كيت وكيت كما ذكره
في الآية هو الاهكم وخالقكم والمنعم عليكم فاعبدوه ثم ذكر
قوله افلا تذكرون على وجه الانكار عليهم والتعجب من حالهم انهم لا

يتفكرون في خلق السموات والارض ليعرفوا خالقها ومنشيها
وقوله جل اسمه اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا ٥ المرجع
ها هنا الرجوع ومعناه الى الله رجوعكم ٥ وتفسيره انه يرفع
التمكين الذي مكن العباد في دار الدنيا وقيل يرجعون بعد الموت
احياء الى موضع جزائه وقيل المرجع هو موضع الرجوع كانه قال الى
الله موضع رجوعكم ٥ وانتصب وعد الله حقا لانه لما لم يذكر الفعل
اضيف المصدر الى الفاعل وقوله انه يبدأ الخلق ثم يعيده
ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط هذا بيان حال النشأة الاولى
والاخرى ٥ بين تعالى انه ابتدأ الخلق وانه يحييهم بعد الموت والاحيا
لان من قدر على احداث المخلوقات قادر على اعادتهم وبين ان اعادتهم
ليجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالعدل وهو ان يكافيهم على مقدار
اعمالهم ولا ينقص منه شيئا بل يزيدهم من فضله ويكون جزاؤهم ما تشتهي
انفسهم وتلذ اعينهم وقوله جل اسمه والذين كفروا لهم شراب من حميم
وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ٥ لما بين الله تعالى جزاء المؤمنين بين
جزاء الكافرين ان له انواع من العذاب كما ان جزاء المؤمنين انواع
من اللذات والحميم الماء الحار وقوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ٥ بين الله تعالى
موقع نعمته في خلق الشمس والقمر وتقدير منازلهما انه جعل للعباد في
معاملتهم ومعايشهم دينا ودنيا الاهلة والاوقات التي يؤدى فيها
الواجبات داخلة ايضا فيها وقد بينا فيما تقدم تفصيل ضروب المنافع
في الشمس والقمر وفي طول الليل والنهار وقصره وما يتصل به فلا وجه
لاعادته ها هنا ٥ وقيل ان الكاف في قدره يرجع الى القمر لانه

وقدرها لتحصوا شهور الاهلة التي يعمل الناس عليها في المعاملات
بالقمر فكانه قال وقدر القمر ٥ وقيل هو في معنى التثنية الا
انه وحد للاختصار اكتفا بالمعلوم كما قال تعالى والله ورسوله احق
ان يرضوه ولم يقل يرضوهما قال الشاعر   رماني بامر كنت منه
ووالدي بريا ومن جول الطوي رماني ه معناه كنت منه والدي بريا
وقوله جل اسمه ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون
معناه ما خلق الله الشمس والقمر وقدرهما منازل الا للحق لانه
لا باطل في خلقه وصنعه وبين انه يفصل الايات والدلايل لمن ينظر
فيها ليعلم ما دلت عليه وقوله تعالى ان الذين لا يرجون لقانا ورضوا
بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون ٥ معناه
ان الذين لا يخافون عقابنا ه وقد جا الرجا بمعنى الخوف قال الشاعر
اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل ه
ومعناه لا يخاف لسعها وقيل معنى لا يرجون لقانا لا يطمعون في ثوابنا
فجعل لقا ما وعدهم للقاية وجاز ذلك وان كانت الملاقاة من صفة
الاجسام لان ما لا يقدر عليه الا الله يجوز ان يجعل لقاية
تفخيما للشان كما جعل اتيان حامل ايات لله في ظلل من الغمام والملايكة
والرضى بالحيوة الدنيا القناعة بها دون نعيمها من نعيم الاخرة ومعنى
اطمانوا بها ركنوا الى الدنيا امنين الله تعالى ان يكون بهذه صفتهم وكانوا
غافلين عن اياتي فما واهم النار وهو وقوله تعالى اولايك ماواهم النار
بما كانوا يكسبون وقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم
ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم ٥ المراد بالهداية
ههنا الثواب لاهدا الى طريق الجنة ٥ ومعنى الاية ان المومنين

الذين اطاعوا بالاعمال الصالحة يثيبهم على ايمانهم وطاعتهم جنات
تجري من تحتها الانهار وقد بينا وجوه الهداية والضلال في اول سورة
البقرة فلا وجه لاعادته ههنا ٥ وقيل في معنى بايمانهم ههنا وجهان
وهو ان الله تعالى وصفهم بالهداية على جهة المدح لايمانهم بالله وقيل في معنى تجري
من تحتهم الانهار وجهان احدهما انها تجري بين ايديهم وهم يرونها من علو
وهو كقوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا يعني نهرا او هو كقول فرعون
حكاية اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي اي من تحت
بساتينهم وقصورهم وقوله جل اسمه دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم
فيها سلام ٥ الدعوى قول دعا امر ومعنى الاية دعاهم في ملك الكلام سبحانك
اللهم تنزيها لله تعالى عن القبايح ٥ وقيل انما يقولون سبحانك الله لما يرون
من الصور العجيبة وذلك انه قد عبر بهم الطير ٥ وروي انه قد يمر بهم الطير
فيشتهونه فيوتون في حال شهوتهم فيسالون منه شهوتهم فيقولون
سبحانك الله فيحمدون الله عليه لقولهم الحمد لله رب العالمين ٥ واصل التحية
التكرمة بالحال الجليلة حتى ان العرب يسمي الملك التحية كما قال الشاعر
ولكل ما نال الفتى قد نلته الا التحية ٥ يعني الملك   ومعنى قوله وتحيتهم
فيها سلام تحيي بعضهم بعضا بالسلام ويحيون من جهة الله بالسلم
وقوله جل اسمه واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ٥ قرى
ان بالتشديد وقرى بالتخفيف على شبه الفعل قال الشاعر
في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل ه
ومعناه اخر دعواهم قولهم ان الحمد لله رب العالمين على بعد ويحتمل اخر
كلامهم تجري لهم الحمد لله رب العالمين ٥ والميم في قوله اللهم بمعنى يا
فكانهم قالوا يا الله ولم يجعل في موضع يا ليلا يكون بحرف النداء

يجزى من كل اسم وقوله جل اسمه ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير لقضي اليهم اجلهم ه معنى هذا الكلام انهم يطلبون
الخير لقطع اجلهم وفرغ منه بامانيهم وطلبهم للشئ كقول الرجل
داعيا على ولده واهله اللهم لا تبارك فيه والعنه واهلكه وما
جرى هذا المجرى من الالفاظ ونظيره قوله ويدع الانسان بالشر
دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وقوله جل اسمه فنذر الذين لا يرجون
لقاءنا في طغيانهم يعمهون ه الطغيان الغلو في باب الظلم والمعصية
والعمه شدة الحيرة ه ومعناه نخلي الطاغي وطغيانه ونحن
له بالمرصاد نهدده وعيدا ه ومعنى لا يرجون لقاءنا لا
يخافون ما وعدناهم من الجزاء على طغيانهم ونخلي بينهم وبين
طغيانهم وحيرتهم [illegible] فهذا معنى قوله فنذر الذين لا
يرجون لقاءنا الاية وهذا انبا عن خلافهم ولو كان لهم في المعلوم
لطف لفعله تعالى فلما لم يكن في المعلوم لهم لطف ولم يتوبوا
عما هم فيه صاروا المخذولين وقوله جل اسمه واذا مس الانسان الضر
دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم
يدعنا الى ضر مسه ه معناه واذا اصاب الانسان الضر دعانا
لكشفه عنه على اي حال كان مضطجعا او قائما او قاعدا فاذا
استجبنا دعاءه وكشفنا عنه ضره مر بوجهه ناسيا ما كان
منه من الدعاء والتضرع حتى كانه لم يدعنا قط لكشف الضر عنه
وفي الاية دلالة على صحة الدعاء الله لكشف البلاء بقوله كان لم
يدعنا الى ضر مسه مع قوله فيكشف ما تدعون اليه ان شاء
وقوله جل اسمه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ه جا هذا

اللفظ على ما لم يسم فاعله فاضافته الى الشياطين والغواة
لقيام الدلالة على ان الله لا يزين المعاصي واعمال المسرفين
وقد قال في كتابه وزين لهم الشيطان ه والغواة زينوا لهم
اعمالهم ه وفسر التزيين هاهنا هو التحبيب بالشهوة فعلى
هذا الوجه يصح اضافة التزيين الى الله لان الشهوة من فعله تعالى
وقد مر الكلام في ذلك في سورة ال عمران في قوله زين للناس حب
الشهوات الاية وقوله جل اسمه ولقد اهلكنا القرون من قبلكم
لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا كذلك
نجزي القوم المجرمين ه معناه ولقد اهلكنا بالعذاب قبلكم من
كان ظالما بعد ان اكد الحجة عليهم ببعثة الرسل بالدلائل والايات
فلما لم يؤمنوا اخذناهم بالعذاب وكذلك نجزي المجرمين ه وهذا
تحذير لهم ان ينزل بهم اذا كفروا وظلموا مثل ما نزل باولئك
الذين كانوا من قبلهم وقوله جل اسمه ثم جعلناكم خلائف في الارض
من بعدهم لننظر كيف تعملون ه معناه ولما اهلكنا من كان
قبلكم جعلناكم خلفاءهم في الارض بان خلقناكم بعدهم وبلغناكم
وابقيناكم حتى ورثتم مساكنهم وسكنتم ديارهم ومنازلهم ثم
كلفناكم لننظر كيف تعملون على معنى عاملناكم معاملة من يطلب
العلم بما يكون منكم ليجازيكم ه وقد بينا في غير موضع تحقيق هذا
الكلام لان الله تعالى عالم بجميع المعلومات لذاته فلا يحدث

لا علم لي به وقوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون
لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن
أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ٥ معناه
وإذا قرئ عليهم آيات القرآن قال الذين يكذبون البعث والنشور وهم
الذين لا يخافون لقاءنا وعذاب ربهم في الآخرة على تشكيك البعث والتحكم
والإيهام أن ما يقوله محمد قالوا للنبي صلى الله عليه وآله ائت بقرآن غير
هذا الذي أتيت به فطلبوا بذلك ما يطلبه الجاهل المتعنت بأن
يقول ائت بهذه الحجة التي أقمتها فهات حجة أخرى غيرها فإن
كان ما يدعيه حقا ويريد بذلك إنكار ما يليه وإيهام الناس أن الذي
أتى به ليس بحجة فقال قل يا محمد لهم ليس لي أن أبدل ما آتيته من تلقاء نفسي
لا أتبع إلا الوحي الذي يأتيني من ربي وهذا الذي تلوته عليكم هو كلام الله
تعالى وإن أوحي إلي غيره تلوته عليكم وإن لم يوح إلي شيء ما تلوته أتبعت
أمره ودعوتكم إلى ما دعاكم إليه لا أزيد ولا أنقص ولا أخالفه لأن من خالف الله
وعصاه عاقبه يوم القيامة عذابا أليما فمعنى إني لا آمن عذاب ذلك اليوم العظيم
لأنه يوم الجزاء والمكافاة وقوله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم
ولا أدراكم به ٥ معناه قل لهم يا محمد لو شاء الله أن يمنعكم بأنه ما
أتلو عليكم لما أمرني بتلاوته ولا أعلمكم به ٥ ومعنى قوله ولا أدراكم
به هو من الدراية وقوله تعالى فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ٥
معناه فقد لبثت فيكم سنين ولم أدع ما أدعيه الآن من النبوة ٥

ولم أتل عليكم شيئا قلت إنه وحي من عند الله لينزل الله لم يكن أوحى
إلي شيئا ولم يأمرني بأداء شيء ولو شاء الله لما أعلمكم لفعل مثل ما فعل
قبل أن أوحي إلي أفلا تعقلون ٥ وجه ذلك أن عقولكم تدعوكم إلى المعرفة بمثله
وهذا احتجاج بليغ لعمة الله [illegible] عليك الشك وذلك الآية على صحة
المناظرة والحجاج في دين الله وقوله جل اسمه فمن أظلم ممن افترى على الله
كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون ٥ معناه لا أحد أظلم لنفسه
لنفسه ممن افترى على الله الكذب وكذب بآياته وإذا كان كذلك لأنه
ظلم وكفر بالله وهو أعظم ظلم من ليس بكافر ومن ادعى الربوبية فهو
داخل فيه ٥ بين الله تعالى أن من كان مجرما لا يفلح ومعناه لا يظفر بما يطلبه
من جهة الله وإنما يظفر بما عند الله أولياؤه المطيع لربه المؤمن به
وقوله جل اسمه ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله ٥ هذا توبيخ لعبدة الأوثان على عبادتهم
ما لا يستحق العبادة لأن الوثن على صفة تمنع تلك الصفة من عبادته لأنه [لا يضر]
ولا ينفع فمن طلب الخير منه فقد طلبه ممن لا يملكه ومن قدر على النفع والضر
[illegible] على صفة تمنع من عبادته ٥ وإنما قال من دون الله لأن من عبد
الوثن وعبد الله فقد عبد من دون الله خلاص العبادة لربه ٥ وقيل
وجه الشبهة من قولهم إن الأوثان شفعاؤنا عند الله أنهم قدروا أن
عبادتها أزيد في تعظيم الله تعالى فهي أشرف في تعظيم الله من قصده بالعبادة
تخلف(؟) هذه الدرجة محل الشافع لهم عند الله ٥ وقيل شفعاؤهم في إصلاح
معاشهم في الدنيا لأنهم كانوا ينكرون البعث لقوله تعالى وأقسموا بالله جهد
أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا وقوله جل اسمه قل أتنبئون
الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ٥ خرج هذا

الكلام على وجه الالزام لهم لان فيه انكار ما كانوا يخبرون به من
عبادة الاوثان وكونها شفعاء فالمعنى انكم تخبرون بما لا حقيقة
له ولا يعلمه الله وما لا يكون معلوما لله محال الاعتقاد والالف التي في قوله
اتنبئون الله الف انكار في معنى التوبيخ فكانه قيل لهم اتخبرون الله بما
لا يعلمه وما لا يعلمه الله من حقيقة خبرهم كان باطلا وكذبا ثم نزه نفسه
عما اشركوا به بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون لانه الذي يستحق الشكر والعبادة
ولا يستحقه غيره وقوله جل اسمه وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا
الامة هاهنا الجماعة المجتمعة على امر واحد وقيل كان اجتماعهم على
الاسلام ثم اختلفوا وقيل كانوا مجتمعين على الشرك والكفر
الوجه الاخير بعض العلماء لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقد مر شيء من ذلك في سورة البقرة
في قوله كان الناس امة واحدة وقيل اختلفوا اشد الاختلاف
حتى انهم قالوا ان آدم اخ وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من
ربك اي انه لو يعاجل العصاة بالعقوبة لاهلكهم
وقيل لقضى بينهم في اختلافهم بما يضطرهم الى علم المحق من المبطل
وهذا يكون في وقت رفع التكليف وسبقت الكلمة بتاخير ذلك
والاختلاف يكون على ثلاثة اوجه اختلاف التضاد واختلاف
التلاؤم واختلاف التناقض فالحق مع الحق والباطل حتى ادى ذلك
الى العذاب والمنازعات وفي الاية تصبير المؤمنين على ما يقولونه
من اذى الكفار وشرهم وقوله جل اسمه ويقولون لولا انزل عليه
اية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين
معناه وهؤلاء يقولون هلا انزل على محمد صلى الله عليه وآله اية

من ربه فكانهم طلبوا انه يضطر الى المعرفة ولم يطلبوا معجزة
لانه صلى الله عليه قد اتاهم بها وقيل طلبوا اية غير القرآن وقد
تقدم الكلام فيه في هذه السورة وغيرها فامر الله نبيه صلى الله عليه
واله وسلم ان يقول لهم لا يعلم الغيب الا الله فسلموا لله ما لا علم لكم به
وكلوا امره الى تدبيره فانه من الغيوب وقيل هو امر راجع
الى التكليف فلا يعلمه وقوله فانتظروا تهديد وقد مر شيء
نظيره في غير موضع وقوله تعالى واذا اذقنا الناس رحمة من بعد
ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا معناه واذا انعمنا عليهم بعد البلاء
والضر والشدة مكروا او لم يقابلوا النعمة بالشكر وجواب
اذا الاولى اذا الثانية كانه قيل اذا مستهم الضراء مكروا في آياتنا
وقوله جل اسمه قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون
معناه فلا تسارعوا الى المكر فان الله اسرع عقابا لكم على مكركم
فسمى العقاب على المكر باسم المكر توسعا وفيه غاية التهديد والوعيد
وبيان ان الملائكة الذين هم رسل الله عليهم السلام يكتبون عليهم ما
يفعلونه وهو معنى قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون
ما تفعلون وقوله جل اسمه هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا
كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها اصل التسيير التحريك
فمعناه ان الله هو الذي يسر لكم سلوك البراري وركوب
البحار واعطاكم آلة ذلك حتى انكم تركبون السفينة فتجري بكم جريا
على وجه السلامة لان الريح اذا كانت طيبة اجرت السفينة وحركتها
على سبيل الاعتدال فمن عليهم بانه يرسل الرياح طيبة تحرك السفينة
لهم جريا على احسن حال فانهم يكونون في تلك سرور وحبور واما

رجع من الخطاب الى الكناية للتصرف في الكلام مع انه كان
خطابا لمن كان في تلك الحال وخبرا لغيرهم من الناس ٥
وقوله جل اسمه جاءتها ريح عاصف ٥ معناه وهبت بعد ذلك
ريح شديدة لخوفه تعالى ريح عاصف اذا كانت قوية شديدة
الهبوب ٥ وقوله جل اسمه وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط
بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ٥
معناه واضطرب البحر بالامواج لشدة تلك الريح وبلغ ذلك مبلغا
غلب في ظنهم انهم من اهله الغرق هو معنى قوله وظنوا انهم
احيط بهم فدعوا الله عند ذلك دعاء من اخلص دينه لله وقالوا
لله لئن سلمتنا من هذا الامر الذي وقعنا اليه لنشكرنك على
ما بدا نعمت علينا واحبناك الى ما دعوت ٥ ووجه اتصال قوله تعالى
دعوا الله مخلصين بما قبله اتصال الاحق به فكانه قيل لما ظنوا
انه احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين وقوله تعالى فلما انجاهم اذا
هم يبغون في الارض بغير الحق ٥ معناه فلما خلصهم مما دعوا اليه
واجاب دعاهم وسلموا اما لاجله كانوا بصدد عودا الى البغي والمعصية
وارتكاب الباطل الذي هو نقيض الحق وقوله جل اسمه يا ايها الناس
انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم
بما كنتم تعملون ٥ بين الله تعالى ان وبال بغيهم راجع اليهم وعاقبة
طغيانهم العذاب الذي لم يعرفوا انفسهم على ان ما يفعلونه تمتع قليل
في الدنيا وما يستحقون عليه من العذاب دائم لا انقطاع له وهو معنى
قوله ثم الينا مرجعكم الاية ٥ وبين تعالى ان عاقبتهم المصير الى
عرصة القيامة فيجازي كل نفس بما كسبت ٥ وقيل قوله على انفسكم

خبر قوله بغيكم وارتفع متاع على معنى ذلك متاع الحيوة الدنيا
وقيل خبر بغيكم متاع الحيوة الدنيا وقوله جل اسمه انما مثل الحيوة
الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس
والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها
انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان
لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون ٥ المثل الصفة
ها هنا والزخرف حسن الالوان كالزهر الذي يروق البصر ومن
هذا قيل زخرف الارض وزخرف الجنة لاهلها ٥ ومعنى ازينت اخذت
زينتها ٥ ومعنى قادرين عليها ها هنا قادرون على استحصال تلك
الحال ٥ والحصيد المحصود ٥ ومعنى كان لم تغن بالامس كان لم تقم على
تلك الصفة بالامس يقال غني بالمكان اذا اقام به ٥ ومعنى الاية ان
الله تعالى ضرب مثل الحيوة الدنيا تحقيرا لها وتزهيدا فيها عند اهلها
فقال صفة الحيوة الدنيا صفة ماء انزله الله من السماء فصار في الارض منه
عدة انواع النبات التي هي غذاء الناس والانعام ومنافعهم حتى اذا بلغ مبلغا
وافي الاوصاف في العجب وظن اهل الارض انهم قدروا على استحصال تلك الحال وتمكنوا من
التمتع بما شاهدوه فلم يشعروا حتى بلغ ذلك الى الهلاك في انواع النبات امر
الله ليلا او نهارا فازالها عن تلك الحال وبطل ما قدروا انه قد
حصل لهم فشبه الله الحيوة الدنيا بحصول النبات على تلك الاوقات
في باب الاغترار والمصير الى الزوال ٥ وقيل شبه الحيوة بالماء المنزل
على هذا الحد الذي بين فما يكون به من الامتاع ثم الانقطاع ٥ وقيل
قدر الحيوة الدنيا حيوة مقدرة على هذه الاوصاف ٥ والغرض جميع
ما وصف بيان فناء الدنيا بعد زينتها في سرعة كما يصير النبات الحسن حصيدا

مغافصة حتى كأنه لم يكن فضرب المثل لشيء مشاهد ليقع
التفهم به ثم بين تعالى أنه إنما يفصل هذه الآيات لقوم يتفكرون فيها
أولوا الألباب فيزجرهم ذلك عن الاغترار بالدنيا الفانية وإيثارها
على الدار الباقية وقوله جل اسمه وتعالى والله يدعو إلى دار السلام
ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ۝ قيل إن السلام اسم من أسماء الله
وداره الجنة وتسمى الجنة بالسلامة لأنها سلمت من كل آفة والمراد
الله الخلق عن الركون إلى الدنيا المشتملة على الآفات والعاهات
والمصائب والعلات دعاهم إلى دار هي سلامة كلها ونعيم مقيم وصفو
وراحة لا كدر فيها ولا نصب ولا حزن ولا كرب هي الجنة ومعنى ويهدي
من يشاء قيل الهداية هاهنا الألطاف الداعية إلى طريق الجنة يفعلها
الله تعالى لمن علم أنه يلطف له وكأنه قال ويلطف الله لمن علم
أن ما يفعله لطف في فعل الطاعات الموجبة له الجنة ۝ وقيل
الهداية هاهنا الأخذ بهم في الآخرة إلى طريق الجنة وهو الصراط
المستقيم ويدخل الله الجنة من المكلفين من كان مستحقا للثواب
وهو الذي يشاء أن يدخله الجنة ۝ وقد مر في سورة فاتحة الكتاب هذان
الوجهان أحدهما الهداية التي الألطاف تا الدين والثاني الهداية إلى
طريق الجنة ۝ وقيل الهداية هاهنا نصب الدلائل لجميع المكلفين
دون الألطاف والمحاسن فلذلك خص من يشاء وقوله تعالى للذين أحسنوا
الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم
فيها خالدون ۝ معناه للذين أحسنوا بفعل الطاعات الحسنى وهي
الجنة وسمي جزاء الإحسان باسمه لأن جزاء الشيء قد يسمى به في اللغة
كما قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ۝ وقيل الحسنى هي

جامعة للمحاسن من السرور واللذات على أتم ما يكون وأفضله
والحسنى تأنيث الأحسن فبين تعالى أن للمطيع المؤمن جزاء أعماله
وفقا للعمل والزيادة على فضلا من عند الله ۝ وبين تعالى أنه لا يرهق
هؤلاء المطيعين ذلة ولا هوان وأنهم خالدون في الجنة ۝ وأصل الرهق
اللحاق والقتر والغبار كناية عن الذلة والصغار ۝ والزيادة التي
أعدها الله لهم هي المضاعفة المذكورة في قوله تعالى من جاء بالحسنة
فله عشر أمثالها في الحشر لأن الجزء الواحد منها يكون جزاء والتسعة
تكون تفضلا وإن كان ذلك الواحد الذي هو الجزاء أعظم قدرا وخطرا
من الأجزاء التسعة لأنه لا يقترن به التبجيل والتعظيم من الله فكان
الله تعالى يوفي المؤمن في كل وقت ما يستحقه بعمله ويزيده من فضله ما
يشاء كما قال تعالى ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله فتلك الزيادة
تكون من جنس ما يستحقه كما أن الأجير إذا أخذ أجرته ممن استأجره
مثلا عشرة دراهم وأعطاه المستأجر تفضلا زيادة عليه عشرة
دراهم ۝ فأما ما ذهب إليه المشبهة من أن الزيادة هاهنا
رؤية الله تعالى بالبصر فهذا كفر محض وذلك أن اللغة لا
تنطق به لأن الرؤية في اللغة لا تسمى زيادة وقد قامت الدلالة القاطعة
عقلا وسمعا على أن الرؤية بالبصر مستحيلة على الله والله تعالى ليس
مرئيا في ذاته فتأويل الرؤية على ما لا تحتمله العقول ولا تقبله الشرع
من أعظم الخطأ وقوله جل اسمه والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم
قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ۝
لما بين الله تعالى حكم المطيعين المحسنين وجزاءهم بين حكم المسيئين

بان قال ومن عصى واساء وظلم نفسه بترك الطاعة فله جزاء ما
عمل من المعصية مثله ولا زيادة عليه لان التفضل بالعقاب لا يحسن لا
نعمه والباء في قوله بمثلها زايدة وكانه قال ومن عمل سيئة فلا يجازى
الا مثلها في حكمه مخالف لحكم من اطاع لان التفضل بالنفع حسن والضر
قبيح لان الزيادة على المستحق من العقاب ظلم ٥ وقوله تعلى ان
العاصين المسيئين ترهقهم الذلة والصغار والهوان ٥ ومعنى ترهقهم
تلحقهم وتغشاهم وانه لا عاصم لهم يدفع عقاب الله عنهم وقد
اسودت وجوههم حتى كانما اغشيت قطعا من الليل المظلم والقطع
جمع القطعة وصاروا ملازمين للنار خالدين فيها ابدا وخرج لفظ
المظلم على التوحيد لانه حال من الليل ولذلك ذكر اللفظ ايضا وقد
يذكر لفظ مظلم على معنى قول القايل ٥ لو ان مدحة حي منشر
احدا احيا اباكم والبلى الا ماديح ٥ وقوله جل اسمه ويوم نحشرهم
جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم ٥ وقد
يستعمل هذا اللفظ للتهديد بمعنى مكانكم في اللزوم ولا تبرحوا
تهديدا ووعيدا وقوله تعلى فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم
ايانا تعبدون ٥ معنى زيلنا فرقنا بين جنسهم وفي قوله وقال شركاؤهم
اقوال في التاويل قيل وسطوا الاوثان فتقول لهولا المشركين ما
كنا نشعر انكم ايانا تعبدون ٥ وقيل هذا قول الشياطين الذين كانوا
يعبدونهم وقيل معنى هذه المجاحدة على جهة الاهانة لهم والرد
عليهم فكانهم قالوا لهم ما عبدتمونا اذ لم نكن لكم ٥ وقيل انهم يقولون ذلك
منهم في حال الدهش فهو كذب الصبي وقوله تعلى فكفى بالله شهيدا
بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين ٥ هذا تاكيد لجحد عبادتهم

فكانهم قالوا ان كنا غافلين عن عبادتكم كما قلنا وكفى بالله شهيدا
علينا لانه يعلم ذلك ٥ وقيل انما قال بيننا وبينكم ولم يقل علينا
لانه اذا قال بيننا فقد تضمن معنى علينا وزيادة فيكون اعم واحسن
في مثل هذا الموضع وتقديره وان كنا تعبدون ان المخففة عن الثقيلة
ودليله لحاق اللام في الخبر للفرق بين ان التي للجحد وبين ان التي للتاكيد
وقال بعض النحاة انتصب شهيدا على التمييز على معنى كفى بالله من الشهدا
شهيدا وقال غيره انتصب على الحال على معنى كفى بالله في حال الشهادة
شهيدا وقوله جل اسمه هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت ٥ معناه كل نفس
تختبر هنالك جزاء ما عملت بجزاه وتجده على الحد الموعود به ومعنى اسلفت
قدمت وقوله جل اسمه وردوا الى الله مولاهم الحق ٥ معناه وردوا
الى الله مالكهم وسيدهم ٥ وانما قيل ردوا لانهم ذهبوا عن امر
الله واعتدوا عليه وجاز وصف الله بالحق كما جاز وصفه بالعدل
للمبالغة في الوصف لان كل حق من قبله عز وجل ٥ ودلت الاية على ان
اسم المولى يستعمل في معنى الملك والسيد وعلى هذا حمل قول النبي صلى الله عليه
واله وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه وقوله تعلى وضل عنهم ما كانوا يفترون ٥
معناه وبطل ما كانوا يكذبون به في دار الدنيا لخاب فعلهم وضل عنهم
وقوله تعلى قل من يرزقكم من السما والارض امن يملك السمع والابصار ومن
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله
فقل افلا تتقون ٥ رزق السما الغيث الذي يحيى به العباد والبلاد وهي
الحيوان التي تاتي من السما باذن الله ما قسم للعباد ورزق الارض
النبات والثمار وما يصل الى العباد باذن الله ٥ ومعنى الاية قل يا محمد
من الذي يملك الرزق والسمع والابصار حفظها من الافات ومن

يملك احتجاج الحي من الميت والميت من الحي وقد مر بيانه في غير موضع ومن
ملك تدبير الامور على وجه الحكمة والصواب فاذا اقروا بان الله هو
المالك لجميع ذلك فقل لهم ايجابا او بتقدير الحجه عليهم افلا تتقون عذاب الله
سايرك وتعلي بترك الكفر والمعاصي فان الله المالك لجميع ذلك هو الملك
لبعثكم ولحسابكم فيه مجزيكم لابه على سبيل التعظيم طريقة المناظرة
واحتجاجا على القوم ويقدر الحجه بما لا يجدون عنها الا الاقرار به معتدلا ولا
مصرفا وقوله تعالى فذلكم الله ربكم الحق معناه ان المالك لما احتج
عليكم وبغيره من الامور التي لا يقدر عليها الا الله القادر لذاته وعقولكم
تدعوكم الى الاقرار به والاذعان له وهو الله الحق ما الكريم سيدكم وليس بعد
الحق الا الضلال وقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون
ما هاهنا معناها التقرير على موضع الحجه بما لا يجد المحجوج عنه محيصا
الا بالتخليط الذي لا يلتفت اليه والذي يدعوا اليه الحكمه وتوحيد النظر
في الدليل من العلم حق وما الشرك باطل وليس بعد الحق الا الباطل ٥
ومعنى فانى تصرفون يوبخ لهم وتعجيب للخلق من حالهم والصرف عن الحق
الذهاب الى الباطل وقوله تعالى كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا
انهم لا يومنون ٥ التشبيه في قوله كذلك اي المعنى الذي في قوله ليس بعد
الحق الا الضلال يشبه به كلمة الحق في الصحه انهم لا يومنون وقيل ما تقدم
من العصيان يشبه بها الجزا بكلمة العدل في الوقوع على المقدار وفايده
الايه البيان عن الحال التي لا يطلب صاحبها الحق منها لانه لا يجوز ان يكون
في المعلوم انه من بلغ ذلك الحد لم يصح وانما اطلق على الذين فسقوا انهم لا
يومنون لان المعنى انهم تمردوا في كفرهم فلا يرتدون الا ما اكده وقواه
ودعا اليه وقوله تعالى قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده

في الحلق حمسها

قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون ٥ هذه طريقة في النظر
والاحتجاج على المبطل ما لا يجد البته بدا من الاقرار فدلت الايه
الاولى وهذه على صحة الحجاج والمناظرة في باب الدين وشركاؤهم
قيل هم الذين جعلوهم شركا لله في العباده وقيل شركاؤهم الذين
جعلوهم شركا في اموالهم من الاوثان كما حكى الله عنهم بقوله
فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا الايه ٥ ومعنى الايه قل
لهم يا محمد هل من شركائكم من يقدر على ابداع الخلق وايجادهم من
العدم واعادتهم بعد افنائهم كما كانوا اولا فاذا علموا انهم لا يقدرون
على ذلك فلكن عاداتهم للقادر عليه هو الله الواحد القهار ثم وتخجهم وعجب
الخلق من حالهم بقوله فانى تؤفكون معناه فانى تصرفون من الحق الى
الباطل وذلك على ان ذهابهم من الحق الى الباطل انما هو من جهل احا تهم
لشبهة او بدعا الشيطان في الغواه لهم اليه وانما قوله المجبرة من اضافة
ذلك الى الله باطل لانه لو كان الله صرفهم لما ساغ في حكمته ان يوبخهم
عليه ويعجب الخلق من حالهم وقوله جل اسمه قل هل من شركائكم من
يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق ٥ هذه طريقة اخرى وتعليم طريق الا حجاج
والارشاد الى الحق على الخصم والهدايه للشيء الاخذ به في سلوك طريق
التزييل عن طريق الغي ٥ ومعناه قل لهم يا محمد هل من شركائكم من يقدر على
هدايه احد فاذا عجزوا لعدم اثبات هذه الطريقه لشركائهم فقل لهم الله
يهدي للحق ويقدر عليه فان عجزوا لهم يدعوهم الى مثل ما يدعوهم ليعلموا
ان الذي يتمسكوا به باطل بان الحق توحيد الله ومتابعة امره
وقوله تعالى افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان
يهدى فما لكم كيف تحكمون ٥ هذا ايضا وجه حسن في الالزام والرد

ان اتباع من يهتدي للحق ويهدي اليه اولى من اتباع من لا يهدي
ولا يقدر على هداية الغير الا ان يجعل بصفة المهتدي والهادي فيفتقر
الى من يجعله بهذه الصفة ثم انكر عليهم ما حكموا به من اتباع
من لا يهتدي ولا يهدي بقوله فما لكم كيف تحكمون ٥ وذلك الآية على
ان العالم الهادي اولى ان يتبع من المفتقر الى معلم وهاد ليتعلم ويهتدي
وكل من وقع له العلم باحوال علماء الصحابة وانصف من نفسه علم انه لم
يكن بعد النبي صلى الله عليه وعلى اله اولى بالاتباع من علي بن ابي طالب عليه السلام
لكمال علمه بدين الله وتمكنه من الهداية اليه ولهذا خصه النبي صلى الله عليه
من بينهم بان جعله باب علمه بقوله انا مدينة العلم وعلي بابها فلو كان غيره
يشاركه فيه او يقرب منه لم يكن لتخصيصه بما خصه معنى وحاشاه من
المحاباة والمماثلة وقوله جل اسمه وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني
من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون ٥ معناه ليس اكثرهم على ما
يذهبون اليه ويعتقدونه ويعملون به وانما اقتصروا على متابعة
الظن والظن يجوز فهو خلاف العلم وقد بين الله تعالى بقوله ان
الظن لا يغني من الحق شيئا لانه لا يقوم مقام العلم مع وجود العلم
وامكان وجوده ٥ واذا لم يعلموا لم يكن لهم دليل ولا حجة على
ما ذهبوا اليه واعتقدوه وحكموا به وعملوه وفي قوله تعالى ان الله عليم
بما يفعلون ابلغ التهديد والوعيد وقوله تعالى وما كان هذا القران
ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب
لا ريب فيه من رب العالمين ٥ بين الله تعالى منزلة القران بانه حق لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه فنزهه عن الفرية ووصفه بانه مصدق
لما بين يديه من الكتب ومبين له وقد بين شأنه فما بعد في غير موضع وما كان

بهذه الصفة لم يكن الا من عند الله كما قال تعالى ولو كان من
عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فقال الله جل وعلا وانه
لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ٥
واراد بالاختلاف التناقض والاصل الافراد والاحبات
بالقطع له على الكذب والتفصيل بين الفصل وبين المعاني الملتبسة
حتى يظهر كل معنى على حقيقته وقيل في تصديقه لما قبله معنى اخر
سوى ما ذكرناه فيما تقدم وهو انه تصديق بالبعث والنشور والجزا
والحساب ٥ وبينا ايضا في سورة البقرة معنى لا ريب فيه وقوله تعالى
ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله ٥ معنى ام تقريع على موضع
الحجة بعد مضي حجة اخرى على التعدي بل يقولون افتراه فالزموا على هذا
الاصل الفاسد مكان ان ياتوا بمثله وفيه محذوف وتقديره فاتوا
بمثله سورة مثله في البلاغة وهذا احسن وهذا هو التحدي في قوله تعالى
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ٥ هذا نظير قوله
وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ٥ وقد مر بيان ذلك
في سورة البقرة في قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا
بسورة من مثله فلا وجه لاعادته هاهنا وقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه ولما ياتهم تاويله ٥ التاويل المصير الذي يؤول اليه المعنى وهو
منتهى التصريح من التضمين فتاويله ما يصير اليه امره من حيث
شيء ومعناه كذبوا بما لم يعلموا تاويله لاعراضهم عن النظر في
الدلائل وقوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
معناه لا ينبغي ان يامن هؤلاء المكذبون ان ينزل بهم مثل ما انزل بمن كان
قبلهم من المكذبين بان الله الظالمين لا يعصمهم بذلك وقوله تعالى ومنهم

لميزه

من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين وهذا
إخبار عن معلوم الله تعالى فيهم مما جرت عليه أحوالهم في التصديق
بالقرآن والتكذيب به فقال منهم من قد آمن بالقرآن وصدق به ومنهم
من جحده وكذب به والله أعلم بمن يقدم على الفساد ومن يتوب وقوله تعالى
فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم خرج هذا الكلام على وجه الصفة
في المناظرة على وجه الشك في عمله وعملهم معناه فإن كذبوك وأعرضوا
عن قبول ما تدعوهم إليه فقل لهم لي عملي ولكم عملكم وقوله تعالى أنتم
بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون وهذا على صحة ما قلناه في تأويل قوله تعالى
لي عملي ولكم عملكم لأنه لو كان على وجه الشك لم يكن ليقول لهم وأنا بريء مما
تعملون وهذا مثل ما بين للكافرين دينهم الباطل وبين دينه الحق
بما قال لكم دينكم ولي دين وقوله جل وعلا ومنهم من يستمعون إليك
أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون معناه منهم من يصغي إلى كلامك
وإلى ما تتلوه عليهم من الوحي طلبا للطعن فيه فإذا لم يجد ما يطلبه صير
نفسه بمنزلة من لا يسمع لصممه فلهذا قال الله أفأنت تسمع الصم
ولو كانوا لا يعقلون ذما لهم وتوبيخا لأنهم صيروا أنفسهم بمنزلة الصم
إعراضا عن فهم كلامك واستماعه على وجه الانتفاع فلا ينجع فيهم
كلامك لتركهم استعمال عقولهم وكأنهم لا عقل لهم وقوله تعالى ومنهم
من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون وهذا أيضا ذكر على
وجه الذم والتوبيخ لهم ومعناه ومنهم من ينظر إليك وإلى ما تفعله
نظر من يطلب تكذيبك والطعن عليك في طريقتك فهم بمنزلة العمي الذين
لا يبصرون ولا يهتدون الطريق ليهتدي إليه البصير وقوله تعالى إن الله لا
يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون نفى الله الظلم عن نفسه

ونزه ذاته عن فعله وبين أن الظلم من فعل العباد ودلت الآية على أن
الله تعالى لا يفعل الظلم ولا يخلقه في العباد كما قاله الجهال إنه عاقبهم
على فعل نفسه لا على ما فعلوه وهذا عين الظلم وقوله ولكن الناس
أنفسهم يظلمون يدل على أن الظلم من فعل العباد لأنهم ما يظلمون
إلا بما يقع ذلك من جهتهم من المعاصي التي يستحقون عليها العقاب
وقوله جل اسمه ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار
يتعارفون بينهم أصل التعارف اعتراف كل واحد بصاحبه
ومعنى الآية أنه يطول مقامهم في عرصة القيامة وإحاطة علمهم بدوام
بقائهم في الآخرة وقصر بقائهم في الدنيا كأن عندهم كأنهم لم يلبثوا
في الدنيا إلا ساعة من النهار وقوله تعالى قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله وما كانوا مهتدين معناه قد خسر من كذب بلقاء ما
وعده ربه في الآخرة ولم يكن يهتدي إلى ما اهتدى إليه من صدق
به فذكر به نفسه وأراد غيره وقد بينا في مواضع المراد باللقاء
فلا وجه لإعادته وهذا كما حكى الله تعالى عن إبراهيم صلى الله عليه إني ذاهب
إلى ربي ومعناه إلى حيث أمرني ربي وقوله تعالى وإما نرينك بعض الذي
نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون
هذه الرؤية رؤية المشاهدة لأن الرؤية إذا كانت بمعنى العلم لم
يقتصر على مفعول واحد وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله ومعناه
إن أريناك في حياتك بعض ما وعدناهم من العذاب في عاجل الدنيا
أو أخرناه عنهم إلى بعد وفاتك فعلى أي حال لا يفوتونا ومعنى
فإلينا مرجعهم فهو تهديد وتحقيق لحصول الموعود به وأقيمت
ثم هاهنا مقام الواو وتقديره والله شهيد على ما يفعلون

ومعناه يرجع الى العلم بما فعلوه والى الاحتراز به وانه يهددهم به
ومجازيهم على ما يقع منهم فلا يخفى عليه شي من اعمالهم جميعا وقوله تعلى
ولكل امة رسول فاذا جا رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ٥ معناه
لكل قوم مكلفين رسول بعثه الله اليهم فاذا كان يوم القيمة حضر رسولهم
وشهد بما شاهد منهم وقضى الله بينهم بالعدل وهم لا يظلمون في جزاء كل نفس
بما عملت فلا يظلم ربك احدا وقوله تعلى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
معناه ويقولون على وجه الاستهزا والانكار متى يكون ما تعدوننا
به من العذاب لانهم استبعدوا ذلك وكذبوا به وقوله تعلى قل لا املك لنفسي
ضرا ولا نفعا الا ما شا الله ٥ معناه لا املك لنفسي الا ما شا الله ان
يملكني اياه من نفع او ضر وذلك بعينه مما جعل اليه اخره واوجب عليه
مركه ٥ واتصلت الاية بما قبلها اتصال انكار شي توهمه في قوله متى هذا
الوعد فقيل له اني لا املك لنفسي الا ما ملكني الله فكيف املك لكم وقوله تعلى
لكل امة اجل فاذا جا اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ٥
معناه لكل قوم اجل مؤجل ووقت محدود فاذا تم الاجل لم يتاخر ساعة
ولا يتقدم ٥ وقد مر بيان نظيره فيما تقدم وقوله جل اسمه قل ارايتم ان اتاكم
عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون الوقف ها هنا معنى العلم
والبيات هو ما جا ليلا وخبر ان محذوف وتقدير الكلام ان اتيكم ماذا
يستعجل من العذاب المجرمون ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا وقوع قوله
ان اتاكم في وسط الكلام موقع الاعتراض به ٥ ومعنى ماذا ها هنا الانكار
ان يكون في العذاب شي يستعجل وجا اللفظ على صيغة الاستفهام لانه
لا جواب له يصح لصاحبه وقوله تعلى اثم اذا ما وقع امنتم به الان
وقد كنتم به تستعجلون ٥ دخلت الف الاستفهام على الفعل على ان معنى الجملة

الثانية بعد الاولى مع ان للالف صدر الكلام على تقدير اتامنون
حلوله بكم ثم اذا وقع العذاب بكم شاهدتموه قيل لكم الان امنتم به وقد
كنتم به تستعجلون حلوله ونزوله وقيل عامل الاعراب في اذا ما وقع
امنتم به على ان يكون ما صلة ٥ وقيل ما مسلطة على الجزا وقوله
تعلى ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون
عطف ثم على الايمان الواقع في حال الالجا فقيل لهم بعد ذلك هذا القول
على سبيل التوبيخ والتقريع وهو ذوقوا هذا العذاب الذي هو جزا
كسبكم وعملكم وقوله جل اسمه ويستنبونك احق هو قل اي وربي انه
لحق وما انتم بمعجزين ٥ ويستخبرونك عن كون هذا العذاب الذي تهددهم
به احق هو فاخبرهم بانه حق بعد ان تذكر لهم اليمين بالله تعلى تحقيقا للخبر واخبرهم
ان العذاب لا يفوتهم ولا يعجزونه ٥ يقال اعجزه الشي اذا فاته وقوله تعلى
ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به ٥ الافتدا ايقاع الشي بدل
غيره ويدفع المكروه ٥ ومعناه لو كان ما في الارض ملكا للظالم وجعله
فدا النفسه ليتخلص من عذاب الله لم يقبل ذلك منه ولم ينفعه وهو كقوله
تعلى ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ٥ والعدل الفدية وقوله تعلى
جل اسمه واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط
وهم لا يظلمون ٥ معناه اذا راوا العذاب ندموا على ما فعلوه من المعاصي
وقضى الله بينهم بالعدل لجازاه ومكافاه وقوله جل اسمه الا ان لله ما في
السموات والارض بين الله تعلى ان له ما في السموات والارض وقد يفتتح
الكلام في اللغة بالا للتنبيه واتصلت الاية بما قبلها اتصال الايجاب
بعد النفي ليبين الذي قبله بمنزلة انه ليس للظالم حكم يفتدى به لان
جميع الملك لله عز وجل وقيل فيه وجه اخر وهو انه تقدير على ايقاع

ما توعدنا لمن له ما في السموات والارض وقوله جل اسمه الا ان وعد
الله حقٌ ولكن اكثرهم لا يعلمون ه هذا اخبارٌ عن جهلهم بحقيقة
وعد الله للمخلصين ووعيده لهم وقوله تعالى هو يحيي ويميت واليه ترجعون
معناه ان الله هو المحيي للخلق والمميت لهم وعاقبة امرهم الرجوع الى الموضع
الذي لا حكم فيه الا لله وقد تبين لا يدل على انه لا يقدر على الحيوة والموت اصح
انه معنى الا الله تعالى اعني الموت لانه قد يذكر ويراد به الاماتة والله هو
القادر على الاحيا والاماتة وقوله جل اسمه يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين المراد بالموعظة هاهنا
القرآن يقول لهم يا محمد قد جاءكم القرآن وهو موعظة لكم وشفاء لما يخطر بالكم
من الوساوس والضلالة ونعمة للمؤمنين بالقرآن وان كان دلالة للجميع فانما
خص المؤمنين بالذكر لانهم يتلونه وانتفعوا وكان غيرهم ممن لا ينتفع به
ليس ذلك دلالة لهم وقوله جل اسمه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
هو خيرٌ مما يجمعون ه وهو القرآن والايات التي اتى بها من جهة الله خير لكم
من في حكم ما يجمعون من حطام الدنيا ه وروي عن ابي سعيد الخدري وابن
عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا القرآن والاسلام
خيرٌ مما يجمعون من الذهب والفضة ه وقيل انما جاء الاطلاق بانه فضل الله
وان كان هو من فضل الله لانه وقع موقع افضال الله كما وقع النبات موقع
الانبات في قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا ه ووجه آخر وهو ان
اضافته الى الله تعالى بمعنى الملك كما يضاف العبد الى الله بمعنى انه مالك
واللام في قوله فليفرحوا لام الامر واخبر ووقعه في الخطاب ايضا كوقوعه
في الخبر وقوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه
حراما وحلالا ه الالف في قوله ارايتم صيغتها الاستفهام ومعناها

الانكار لان الاية وردت في توبيخ الكافرين وذمهم على ما حرموه
على انفسهم من البحيرة والسائبة وغير ذلك مما قد احله الله وقوله تعالى
قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون ه هذا ايضا على وجه التوبيخ والانكار
كانه قيل لهم اباح الله لكم ما تفعلونه وتضيفونه اليه ام تكذبون على الله
فهذا تقرير عليهم بانهم يكذبون على الله لانه لا دلالة لهم على صحة ما فعلوه
وقالوه وقوله تعالى وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله
لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون معناه ان الذين يفترون
على الله الكذب فاي شيء ظنهم يظنون انه يكون بهم يوم القيامة ويحتمل
ان يكون معنى ما الاستفهام منصوب بقوله ظن ه ومن تعلق ان فضل الله
على عباده ونعمه لديهم لا تحصى كثرة واكثرهم لا يقومون بشكرها وهو كقوله تعالى
وقليل من عبادي الشكور وقوله تعالى وما تكون في شان وما تتلو منه من
قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك
من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ه
الشان معنى مهم معظم ه والافاضة الاخذ في العمل والدخول فيه والعزوب
الذهاب عن المعلوم ه وقيل العزوب الغيبة ه ومعنى الاية وما تكون
انت يا محمد ولا احد من عباد الله في شان مما امر الله به وغيره ولا تكون
من شانه وعمله تلاوة شيء من القرآن الا والله عالم به ولا يخفى عليه شيء في
الارض ولا في السماء ولا مكان ولا اصغر من ذرة ولا اكبر منها ه والكناية
في قوله منه راجع الى القرآن في قول العلما كانت الكناية عنه قبل اظهاره
في الذكر لتفخيم ذكر القرآن بالاضمار ثم الاظهار على نحو النحو في قوله
انه انا الله العزيز ه وقال غيره الضمير في قوله منه عائد الى الشان
كانه قيل من الشان في قرآن وقوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم

ولا هم يحزنون ٥ ولي الله هو المستحق منه الثواب وكرامته
لكونه مطيعا لله ومنقادا لأمره وقيل المتحابون في الله ٥ وورد
في خبر عن النبي صلى الله عليه وقيل هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ٥ فاخبر
الله تعالى انه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى الذين آمنوا
وكانوا يتقون ٥ موضع الذين نصب على انه صفة اولياء الله ٥ وقيل
رفع على المدح ٥ وقيل على الابتدا وخبره البشرى فوصف الله اولياءه
بانهم المومنون المتقون وقوله جل اسمه لهم البشرى في الحيوة الدنيا
وفي الآخرة ٥ اخبر الله تعالى ان لهم البشرى في الدنيا والآخرة
اما البشرى في الحيوة الدنيا فهي بشارة الملائكة عليهم السلام
للمومنين عند موتهم ٥ وقيل هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى
له وجاء في هذا خبر مرفوع ٥ وقيل هي بشارة القرآن بصفة الايمان
وقوله لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ٥ معناه لا خلف
لها ولا موضع عنها لانه لا منها لانها حق والحق لا خلف فيه بوجه ٥
وبين ان نيل ما وعد الله لهم فوز عظيم بقوله ذلك هو الفوز
العظيم وقوله تعالى ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هذه تسلية
للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عما كانوا يوذونه قولا وقوله لا يحزنك لفظه
لفظ النهي والمراد النهي عن السبب المؤدي الى التأذي بالقول وفي تلك
الكلام لا تحزن ها هنا ومعناه لا تكن هاهنا وقوله تعالى ان العزة
لله جميعا هو السميع العليم ٥ العزة القدرة على كل جبار وكسرت
الالف للاستئناف والتذكير لما في الكلام لانها بعد القول لانها ليست
حكاية عنهم والمعنى انه يعزك حتى تصير اعز من كل من ناواك والله
يسمع قولهم ويعلم ضميرهم فيجازيهم بما تقتضيه حالهم وقوله تعالى

الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء ٥ موضع من للعقلاء وقد يضم اليه ما لا يعقل فيعبر
عن الجميع بمن معناه الله مالك من في السموات والارض فامنه بانه يملك دفع
شرهم عنك كما سلاك عن قولهم المودي بقوله ولا يحزنك قولهم ووقع قوله
وما يتبع موقع اي هاهنا على تقدير واي شي يتبع الذين يدعون من دون الله
شركا تقبيحا لشانهم ٥ وقيل معنى ما هاهنا النفي كانه قيل ان الذين اتخذوا
الاصنام الهة اشراكا بالله ما يتبعون شركا على الحقيقة وحكم المعرفة
وانما سموا ذلك بالسهو ضعفه وتقليدا للاسلاف وقوله جل اسمه ان يتبعون
الا الظن وان هم الا يخرصون ٥ معناه ما يتبعون الا الظن وما هم الا كاذبون
في ذلك الظن خلاف العلم كل ما كان على سبيل الظن لم يقع العلم به وما
لم يقع عن علم لم يكن عليه دليل وحجة وقوله تعالى هو الذي جعل لكم الليل
لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ٥ معناه
ان الله تعالى جعل الليل والنهار نعمة من اعظم النعم عليكم لان سكونكم في الليل يزيل
عنكم التعب الذي يلحقكم وجعل النهار بحيث تهتدون فيه بالابصار
على قضاء حوائجكم وسعيكم في مصالحكم وفي ذلك آية للمعتبر والآية يعني
انه لا يقدر عليه الا الله جل ذكره وهذا مثل قوله تعالى وهو الذي جعل
الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ٥ والشكر
تابع للنعمة وقوله جل اسمه قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات
والارض ٥ هذا انكار على من قال ذلك وتوبيخ له قالت قريش الملائكة
بنات الله ثم قالت النصارى المسيح ابن الله ٥ وقال بعض اليهود عزير
ابن الله ثم نزه الله نفسه عما اضافوه اليه وافتروه عليه بقوله سبحانه
وبين انه تعالى غني لا تجوز عليه الحاجة ومن لم تجز عليه الحاجة فكيف يجوز

له الصاحبة والولد وقوله جل اسمه له ما في السموات وما في الارض ۵ قد مر بيان نظيره
في غير موضع وقوله تعالى ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما
لا تعلمون ۵ الالف في قوله اتقولون في صيغة الاستفهام الا انه دخلها معنى
الانكار ومعناه ما عندكم برهان وحجة على ما تقولونه وانما تقولون على
الله ما لا تعلمون وقوله تعالى ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون
معناه اخبرهم ان الذين يفترون على الله انهم لا يظفرون بما يظفر به المؤمنون
ولا ينالون شيئا مما ينال المتقون وقوله تعالى متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم
ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ارتفع متاع بتقدير ذلك متاع
وهو متاع ويحتمل لهم متاع ۵ ومعناه لهم في الدنيا ثم يردون الى اشد
العذاب بكفرهم وتمردهم وقوله تعالى واتل عليهم نبا نوح اذ قال لقومه
يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت
معناه واخبرهم بما قال نوح عليه السلم لقومه وهو انه قال لهم يا قوم
ان كان تعاظم عليكم مقامي وتذكيري بايات الله وثقل على طباعكم
مقامي فيما بينكم وكرهتم مجاورتي فاني توكلت على الله ووضعت امري
اليه فانه يكفيني شركم ويدفع عني باسكم وقوله تعالى فاجمعوا
امركم وشركاءكم معناه قال لهم نوح على وجه التهديد والوعيد
دون الامر لهم اجماعهم وشركاؤهم كان كفرا والكفر لا يجوز ان يامر
الله تعالى بالكفر والاجماع على امر العزم عليه وكانه قال لهم
على سبيل التهديد واعزموا انتم مع شركائكم على ما تريدون العزم
عليه ۵ وعامل الاعراب في قوله وشركاءكم محذوف تقديره وادعوا
شركاءكم وقيل هو مفعول معه تقديره مع شركائكم ۵ وروي الاصمعي
عن نافع فاجمعوا من الجمع وقوله جل اسمه ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم
اقضوا الي ولا تنظرون ۵ الغمة ضيق الامر الذي يوجب الحزن فقال لهم
نوح عليه السلم على وجه التهديد والوعيد لا يكن امركم ضيقا فافعلوا
الي ما شئتم ولا تمهلون فاني فوضت امري الى الله الذي ارسلني والنظر
والانظار الامهال وقوله تعالى فان توليتم فما سالتكم من اجر ان اجري
الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين ۵ معناه فان اعرضتم عما
ادعوكم اليه ولم تقبلوا نصحي فما جئتكم طمعا في مالكم ولا اخذ منكم شيئا
اجرة على ما اتيتكم وانا اجري على الله بما حملته وقوله تعالى فكذبوه
فنجيناه ومن معه في الفلك ۵ معناه فلما كذبوا نوحا عليه السلم نجينا نوحا
ومن كان معه في السفينة من الغرق واغرقنا الباقين وورد في الرواية
الذين كانوا معه في السفينة ثمانين نفسا نجاهم من الغرق بهذا القدر وهلك
اهل الارض كلهم غرقا وجعلنا الناجين خلفا للهالكين في الارض وهو
معنى قوله وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف
كان عاقبة المنذرين وقوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاءوهم
بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ۵
معناه ثم بعثنا من بعد نوح صلى الله عليه رسلا كل رسول الى قومه بالدلائل
والمعجزات فجاءوا الى على عادة من كان قبلهم في تكذيب الرسل والاعراض عن قبول
الحق فعاملناهم بما اجرينا العادة بهم في الاهلاك والعقوبة ۵ والطبع على
القلب ضرب من العقوبة كما قال الله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقد مر
بيان الطبع في غير موضع وقوله تعالى ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى
فرعون وملائه باياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ۵ معناه وبعثنا من
بعدهم الرسل موسى وهارون عليهما السلم الى فرعون وقومه بالايات والمعجزات
فاستكبروا عنها ولم يؤمنوا بها لانهم كانوا مجرمين ۵ وقوله تعالى فلما جاءهم

الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين ٥ معناه ولما جاءهم
الحق من عند الله وهو ما اتاه الله تعالى موسى من المعجزات تعرفنا
لدعواه نسبوا ذلك الى السحر وقالوا ان موسى وهرون لساحران
تموها على القوم ليلا يؤمنوا بها وقوله جل اسمه قال موسى اتقولون للحق
لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون ٥ معناه فقال لهم موسى
عليه السلم لما نسبوا ما ظهر عليه من المعجزات الى السحر والتمويه
اتقولون للحق انه سحر والساحر لا يفلح ابدا فقال لهم ذلك على وجه
الانكار والتقريع وانما اعيد الف الاستفهام في قوله اسحر بعد
ذكرها في قوله اتقولون على وجه التاكيد للتقريع وكانه قال
اتقولون للحق لما جاءكم ان هذا لسحر اسحر هذا ا ك وقيل ذكر
ذلك على وجه التكرير كقول القايل اتقول عندك مال وقيل
اعيد على وجه حكاية قولهم كقول القايل للى قره اذا اتته الحق
هذا فقول ذلك على وجه التعجب منه وقوله تعالى قالوا اجئتنا
لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما
نحن لكما بمؤمنين ٥ اللفت الصرف والالف في قوله اجئتنا الف
انكار على طريق الحجاج وقيل معنى الكبرياء هاهنا الملك ٥ وقيل
العظمة ٥ وقيل السلطان وكل ذلك متقارب بعضه من بعض ٥ ومعناه
ان قوم فرعون قالوا لموسى عليه السلم اجئتنا لتصرفنا عما وجدنا
عليه اباءنا وتريدان تبدع امرا لتكون لكما الكبرياء الملك والعظمة
والسلطان فلا نؤمن لكما ولا نصدقكما وقوله تعالى وقال فرعون
ائتوني بكل ساحر عليم ٥ معناه ان قوم فرعون بعد ما قال لقومه
ان موسى ساحر وليس بذلك عليهم امر جمع السحرة الذين كانوا في

في مملكته الى حضرته مغالبة لموسى صلى الله عليه وتصديقا عند القوم
لما قال لهم وقوله تعالى فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون ٥
في هذا الكلام محذوف وهو فاتوه بهم بدلالة انهم جاءوا وحكى الله تعالى
ما كان منهم وليس قول موسى عليه السلم القوا امرا لهم لان القاهم كان
كفرا او باطلا وانما قال ذلك لهم على وجه التحدي والالزام على تقدير
من كان عنده ما يقاوم المعجز ليظهر ان لا ياتي بما معه حتى يظهر منزلته ٥
وقيل هو امر منه لهم بشرط ان كان معه دليل وحجة وكانه قال ان
كان معكم دليل وبرهان فاتوا به وقوله تعالى فلما القوا قال
موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ٥
ومعناه فلما القوا حبالهم وعصيهم قال لهم موسى ما جئتم به السحر
ويعلمون هو سحر وتمويه وعمل المفسدين لا يودي الى صلاح ولا يرضاه
الله ولا يشاه ولا يحكم له بما يحكم به لاهل الصلاح وسيبطل الله
تمويهكم بما يفعله من المعجزات ويظهر من البرهان وقوله تعالى
ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون احقاق الحق اظهاره وتمكينه
والدلايل الواضحة حتى يرجع الطاعن عليه متحيرا ٥ وقيل احق الحق وعد
لموسى صلى الله عليه ٥ وقيل احقه بكلماته الذي بين به معاني الايات
التي اتاها موسى صلى الله عليه وقيل احقه بما سبق من حكمه في اللوح المحفوظ
فدلت الاية على ان الله تعالى ينصر المحق بالحجة في كل وقت فاما الغلبة
فلا تجب في كل وقت وقوله تعالى فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف
من فرعون وملائهم ان يفتنهم ٥ الذرية هاهنا الجماعة من ابناء القبيلة ٥
وروي ان اباهم كانوا من القبط والامهات من بني اسرايل ٥ وقيل سموا
ذرية لانهم اولاد الذين ارسل اليهم موسى صلى الله عليه فلم الاباء

واجاب لابنا وقيل هم قوم من بني اسرائيل اخذهم فرعون يتعلم
للسحر وجعلهم من اصحابه وعايد الضمير في قوله وملايهم على الذرية
وعلى فرعون وقيل عايد على الفرعون لانهم معلومون ان لم يذكر والفتنة
في الدين هي المحنة التي تصرف عن الدين وقد يكون ذلك بالتعذيب وقد يكون بالاكراه
وقد يكون بالشبهة الداعية الى الضلال معناه ها هنا على خوف من فرعون
ان يكرههم على الانصراف عن الدين وقوله تعالى وان فرعون لعال في الارض
وانه لمن المسرفين معناه انه لمن المستكبرين المفسدين في الارض المعتدين
وقوله جل اسمه وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا
ان كنتم مسلمين معناه ان موسى قال لقومه ان كنتم امنتم بالله فمن حق
المومن بالله ان يتوكل عليه ويفوض امره اليه ويسلم له وقوله تعالى فقالوا
على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين معناه اجابه قومه
بانهم توكلوا على ربهم ودعوا الله بان قالوا لا تجعلنا فتنة للظالمين معناه
لا تمكنهم من ظلمنا بما يحملنا على الانصراف عن ديننا وقيل لا تمكنهم من
ان يظهروا علينا فيروا انهم خير منا وقوله تعالى ونجنا برحمتك من القوم
الكافرين هذا ايضا دعا منهم لله تعالى على وجه الخضوع فيدفع عنهم
شر الكافرين وقوله تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان تبوا لقومكما
بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة وبشر المومنين معناه
امرناهما بان يتخذا لقومهما بمصر بيوتا وان يجعلوا بيوتهم مصلا ومسجدا لانهم
كانوا خايفين فامروا ان يصلوا في بيوتهم وامرهم باقام الصلوة وامر موسى
ان يبشر امته بالجنة والثواب وقوله تعالى وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون
وملاه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك الزينة ما
يتزين به من الحلي وغيرها وقيل الزينة ها هنا الصون والالات وقوله

ليضلوا عن سبيلك وقد بينا معناها في غير موضع من هذا الكتاب
فكان موسى قال ربنا انك اعطيتهم الزينة ليشكروك ويسعوا في سبيلك الا
ان عاقبتهم امرهم الكفر بك والضلال عن دينك فكان ايتا الزينة
والاموال كان كذلك هو كما قال الله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا وهم انما التقطوه ليكون لهم قرة عين وولدا الا انه
لما كان عاقبة الامر العداوة فكانهم التقطوه لذلك وقيل فيه وجه
اخر وهو انك اتيتهم الزينة لئلا يضلوا عن سبيلك فحذفت لا كقوله
يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا عن سبيلك فحذف لا وقوله تعالى
ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين اي لئلا تقولوا وقوله تعالى
ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب
الاليم اصل الطمس محو الاثر دعا موسى وهارون عليهما السلم واجاب
الله دعاهما فقيل صارت اموالهم حجارة وهو الطمس عليها ومعنى واشدد
على قلوبهم صبرهم على الاقامة في بلدهم الذي يطمس فيها على اموالهم لئلا
يخرجوا الى البلاد المخصبة ومعنى فلا يومنوا اي لا يومنوا لا ايمان
الجاء حين نزول العذاب الاليم وهم مع ذلك لا يومنون ايمان اختيار
اصلا وكان موسى عليه السلم على ذلك باخبار الله تعالى وقيل
خرج هذا الكلام مخرج الجواب ومعناه الاخبار كما تقول انظر الى
الشمس تغيب وموضع لا يومنوا من الاعراب يحتمل النصب والجزم فالنصب
على جواب صيغة الامر بالفا وعلى العطف على ليضلوا والجزم على سبيل
الدعا عليهم وقوله تعالى قد اجيبت دعوتكما فاستقيما اي استقيما
على دعائكما لفرعون وقومه الى دين الله على الوجه الذي امركما الله به
وروي ان موسى عليه السلم كان يدعو على فرعون وقومه وكان هرون عليه السلم

يقول امين وقوله جل اسمه ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون معناه
لا تتبعان سبيل الجاهلين بوعدي ووعيدي ولا تخالف لهما ٥ وقيل
مكث فرعون بعد هذه الاية اربعين سنة وقوله جل اسمه وجاوزنا
ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا ٥ قد بينا
هذه القصة في سورة البقرة فلا وجه لاعادته وقوله جل اسمه حتى اذا ادركه
الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من
المسلمين معناه ولما ادرك فرعون الغرق فزع الى الايمان بالله وبموسى
فلم ينفعه لان ايمانه كانت حين الجا قد كانت زالت حالة الاختيار ولم يكن
الحال حال قبول التوبة بحصول الالجاء وزوال التكليف فلم يستحق على ما
فعل ثوابا ولم يكن بدا منه توبة وقوله جل اسمه الان وقد عصيت قبل
وكنت من المفسدين ٥ عامل الاعراب في الاية محذوف وتقديره الان امنت
لانه ظهر منه في تلك الحال ما كان يسمع منه قبل في حال الاختيار
بدلالة قوله الان على تلك الحال فلم يكن في تلك تكليف واختيار لا ان الله قد
امره بالايمان من قبله وكان مخليا فلو كانت تلك الحال التي اظهر
فيها الايمان حال تكليف واختيار لما ساغ في حكمة الله ابطاله ورده
وقيل المخاطب لفرعون بذلك ملك من الملائكة عليهم السلام بامره تعالى لذلك
وقيل خاطبه الله بذلك على وجه الاهانة له والتوبيخ وجعل ذلك معجزة
لموسى صلى الله عليه وقوله جل اسمه فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك اية
وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون ٥ ليس قوله ننجيك من النجاة
لان تلك الا كانت جهة العبرة والنكال وانما معناه نلقيك على نجوة
وهي المكان المرتفع فالقاه الله تعالى من قعر البحر على راس الماء ٥ ومعناه
فاليوم نلقي بدنك دون روحك على نجوة من الارض ليكون علامة وعبرة لمن

ياتي بعدك فتراك على تلك الصفة بعد ما كنت تدعي الربوبية ٥ وقيل معناه
لتكون لبني اسرائيل وذلك انهم لما جاوزوا البحر قالوا لما غاب فرعون
فالقاه الله تعالى على راس الماء فراوه ٥ وهو معنى قوله واغرقنا ال فرعون
وانتم تنظرون ثم بين تعالى ان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون عن ايات الله
لاعراضهم عن النظر والفكر فيها وقوله تعالى ولقد بوانا بني اسرائيل
مبوا صدق ٥ معناه انزلناهم منزل صدق ومكناهم احسن تمكين
ووصف المنزل بالصدق على معنى هو كالصدق في الفضل كما يقال هو حق
صدق وقيل انه صدق فيما يدل عليه من جلالة النعمة وقوله تعالى ورزقناهم
من الطيبات ٥ دل على اتساع ارزاقهم ونعمهم وقوله جل اسمه فما
اختلفوا حتى جاءهم العلم ٥ معناه كان اختلافهم بعد مجيء الحق بظهوره
والشاهد وفيه ضرب من التوبيخ لهم وقوله جل اسمه ان ربك
يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ٥ معناه ان الله يحكم بينهم
يوم القيامة فيما اختلفوا فيه فيجزي كلا بما استحقوا من الجزاء ٥
وقوله جل اسمه فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرءون
الكتاب من قبلك ٥ قيل هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه واله والمراد غيره
كما قال تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ٥ ومعناه فان كنت في
شك ايها السامع مما انزلنا على رسولنا اليك فاسال الذين يقرءون
الكتاب من قبلك وهم من امن من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
وكعب الاحبار وغيرهما عن صحة ذلك وعن ما اتضح لهم ٥ وقيل يسالهم
عن صفة النبي المبشر به في كتبهم ثم انظر فيما وافق تلك الصفة ٥
وقوله جل اسمه لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ٥
معناه لقد جاءك الحق يقينا من عند الله وهو النبي فلا تكن من الشاكين فيه

ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين
هذا الخطاب على ما قال الاول كما بيناه وفيه زجر وتحذير عن التكذيب بآيات
الله وبيان ان من كذب بآيات الله كان من الهالكين الذين خسروا
انفسهم وقد بينا في غير موضع معنى خسران النفس وقوله جل اسمه ان الذين
حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم
معناه ان هؤلاء الذين حقت عليهم كلمات ربك انهم لا يؤمنون وهم موقر
باعيانهم من الكفار كان معلوما لله فيهم انه وان فعل لهم كل لطف
واتاهم كل آية فانهم لا يؤمنون ايمان اختيار واذا رأوا العذاب آمنوا
ايمان اضطرار وهو الايمان الذي لا ينفع وكانه قال وحقت كلمة الله على
المحقين بانهم لا يؤمنون وان فعل الله كل لطف وان اتاهم كل آية حتى يروا العذاب
الاليم فحينئذ يؤمنون ايمان الجاء وهذه الرؤية رؤية العين والالم لا
يرى وانما يرى اسبابه المؤدية اليه ونظير هذه الآية قوله تعالى ان الذين
كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله جل اسمه
فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم
عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين لولا بمعنى هلا وهو
على وجهين تحضيض وتاكيد وذهب اكثر اهل التأويل الى ان المراد به ثمود
الذين اهلكهم الله بالعذاب وهم اهل القرى المذكورة في الآية ومعنى الآية
فلولا اهل قرية سوى قرية يونس آمنوا فنفعهم ايمانهم وزال به العذاب عنهم
كما ان قوم يونس لما احسوا بنزول العذاب آمنوا فزال العذاب عنهم
والاستثناء هاهنا منقطع في اللفظ لانه بعد قرية متصل في المعنى لان معناه
فما كان اهل قرية آمنوا فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس فانتصب لانه منقطع
وهو كما قال النابغة اعيت جوابا وما بالربع من احد الا اوارى

وقوله جل اسمه ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت
تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين معناه لو شاء الله ان يلجئ اهل الارض
الى الايمان لقدر عليه بهذه المشيئة مشيئة الالجاء واقتضى ذكر
ذلك ما تقدم من ذكره من اقامتهم على الكفر حتى الممات لم ينفعه لطف
ولا آية والذي يدل على صحة هذا قوله في آخر الآية افانت تكره الناس حتى
يكونوا مؤمنين معناه لا ينبغي ان تريد اكراههم على الايمان لان
الله يقدر عليه لو كان فعله حكمة مخففة بذلك ما كان يلحق النبي صلى الله عليه
واله من الغم والحزن والحرص على ايمانهم تسلية فدلت الآية على بطلان
قول المجبرة ان الله تعالى لم يزل شائيا وانه لا يوصف بانه قادر على
ان يشاء وقوله جل اسمه وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل
الرجس على الذين لا يعقلون معناه لا يتمكن احد من الايمان الا باطلاق
الله فيه من جهة تمكينه ودواعي عقله الذي جعله الله له فالاذن هاهنا
جهة الاطلاق وقيل الامر والمعنى قريب والرجس العذاب هاهنا ومعناه
ويجعل الله العذاب على الذين لا يعقلون عن امره ونهيه وما يدعوهم
اليه وقيل الرجس السخط هاهنا وقيل فيه وجه آخر وهو ان
الرجس الكفر ومعناه على هذا الوجه ان الله يحكم الكفر حكمهم
بان يحكم بانه اهله ذما لهم وسبا فكانهم لا يعقلون فساد ما
لهم وعينا وليس معناه ان يخلق الكفر فيهم كما قاله المجبرة القائلون
بخلق الافعال وقوله جل اسمه قل انظروا ماذا في السموات والارض وما
تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون معناه تفكروا وانظروا فيهما
من العبر والآيات في الليل والنهار وغيرها من العجائب ومن ثمار
الارض ونباتها فانها تقتضي مدبرا لا يشبه الاشياء ومعنى وما تغني

الآيات والنذر من جعل ما نفيا كان معناه ما يغني عنهم شيئا
دفع الضرر كما يقول القائل ما يغني عنك المال شيئا اذا لم
ينفعه في وجه ومن جعلها معنى الاستفهام كان معنى اي شيء
يغني عنهم احتيال نفع او دفع ضرر اذا لم يستدلوا بهذه الآيات
وقوله جل اسمه فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل
فانتظروا اني معكم من المنتظرين ه معناه ان هؤلاء اذا اقاموا على
طريقة من كان قبلهم فما ينتظرون الا مثل ايام التي نزل فيها العقاب
بمن هو دونهم وعيد بقوله قل فانتظروا وقوله جل اسمه ثم ننجي رسلنا والذين
آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين ه معناه ننجي رسلنا ومن آمن بهم من
العذاب النازل بالامم الضالة كما انجينا نوحا وابراهيم ولوطا وموسى
وهارون ومن آمن بهم ووجه التشبيه في كذلك هو ان نجاة من نجي المؤمنين
كنجاة من مضى نحق على الله ه ومعنى حقا علينا ننجي المؤمنين من
عذاب الكافرين وجاء هذا اللفظ تاكيدا الحق لكن هذا ازيد حقا الان
قوله علينا يقتضي الوجه الاول ه وعامل الاعراب في كذلك يحتمل ان
يكون قوله ننجي الاول على تقدير ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك الانجا
ويحتمل فيه ننجي الثاني على تقدير وكذلك حقا علينا وقوله جل اسمه قل
يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من
دون الله ه معناه من كان شاكا في امري وديني ومقيما على
امره ودينه فعليهم ان لا يطمعوا ان يشكوا في شككهم حتى اعبد
غير الله وقوله جل اسمه ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان
اكون من المؤمنين ه معناه ولكن اعبد القادر على احيائكم واماتتكم
وامرني الله ان اكون مسلما منقادا له مطيعا وقوله تعالى وان اقم

وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ه معناه وامرني ان استقم
بالاقبال على ما امرت به فهو عبارة عن الاقبال على الشان بجمع الهمة ه
وقيل معناه اقم وجهك في الصلوة بالتوجه نحو الكعبة وقوله تعالى ولا
تكونن من المشركين ه نهي عن الاشراك بالله وقوله تعالى ولا تدع من دون
الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين ه معناه
لا تدع من دون الله دعا فيه معنى لا تدع غير الله الها كما يدع المشركون
الوثن الها ه وقيل لا تدعه دعا الاله في العبادة فانه لا ينفعك نفع الاله
وضره فانه لا يستحق العبادة فسواء انفع او لم ينفع ولان عبادة من ينفع
احسن من السفه واعظم السفه من عبادة من لا ينفع ولا يضر
فان فعلت ما نهيتك عنه كنت من الظالمين لنفسك وقوله جل اسمه
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ه معناه ان جعل الله
الضر يمسك فلا يقدر على كشفه الا الله فصار مس معناه حول
البلا عليه القائم مقام الفا وقوله جل اسمه وان يردك بخير فلا راد
لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ه معناه
وان اراد ان يفضل عليك بضرب من النعمة فلا يقدر احد على رده
والذي اقتضى ذلك النفي المتقدم عن عبادة ما لا ينفع ولا يضر ه ومن
الله تعالى ذلك بمن في المعلوم انه مصلحة له وان الله يغفر ذنوب عباده
اذا تابوا وانابوا وقوله جل اسمه قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم
فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل ه
المراد بالحق هاهنا جميع ما اتى به النبي صلى الله عليه من القرآن والاحكام
والآيات التي يهتدى بها الى الحق والصواب فمن يتمسك بما اتى به فقد عمل
لنفع نفسه ونجا ومن ضل عما اتى به النبي صلى الله عليه فقد سعى في هلاك نفسه

فأمر نبيه أن يقول لهم ولست عليكم بوكيل في منعكم عن اعتقاد
الباطل فانظروا لأنفسكم نظر من يطلب لها النجاة فإني لست
بوكيل لكم أي حفيظ من الهلاك كما يحفظ الوكيل المتاع من الهلاك ٥
وقوله جل اسمه واتبع ما يوحى إليك فاصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ٥
معناه واتبع يا محمد ما يوحي الله إليك واصبر على طاعة الله وعلى ما
ينالك من أذى المبطلين الضالين إلى أن يحكم الله بينك وبينهم وإنه
أعدل الحاكمين وفي مانع حميد يا أني لي إلى نفسي أي أخاف أن أجري
وفي رواية أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من قرأ سورة
يونس أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس
وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون ٥ ٥
السورة التي يذكر فيها هود عليه السلام مكية مائة وثلاث وعشرون
آية وألف وستمائة وخمس عشرة كلمة وسبعة آلاف وتسعمائة وسبعة
وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله جل اسمه الر كتاب
أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ٥ قد بينا في أول سورة
البقرة معنى ما قيل في الحروف المقطعة المذكورة في أول السور ولا وجه لإعادته
ها هنا والمراد بالكتاب ها هنا القرآن ومعنى أحكمت آياته بالأمر والنهي
فصلت بالثواب والعقاب وقيل أحكمت آياته منعت من الباطل ثم
فصلت بالحلال والحرام ٥ وأصل الإحكام منع الفعل من الفساد وقيل أحكمت
آياته بالحكمة ثم فصلت بالبيان والتفسير وقوله جل اسمه ألا تعبدوا إلا
الله إنني لكم منه نذير وبشير ٥ يحتمل أن يكون أن بمعنى المصدر كقولك كتبت
إليه ألا تخرج ويجوز أن يكون بمعنى أي ومعنى لا ها هنا الإيجاب ٥ ويجوز أن
العرب أنه لا تعبدوا على خلاف الوجه الأول وهو الإخبار بأنهم لا يعبدون

كما تقول كتبت إليك ألا تخرج على معنى بأنك لا تخرج ٥ ومعنى إنني لكم منه
نذير أن رسول الله مبشر للمطيعين لله بالجنة ومخوف للعاصين
بالنار وقوله جل اسمه وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم
متاعا حسنا إلى أجل مسمى ٥ معناه يمتعكم بالحياة والبقاء والنعمة في
الدنيا إلى أجل مسمى وهو الوقت الذي أمات الحيوة إليه ثم ينقطع ويكون
في الآخرة إلى الأبد وقوله جل اسمه ويؤت كل ذي فضل فضله وإن
تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ٥ معناه ويعطي كل مكلف على
قدر عمله في الآخرة من الثواب دون الدنيا لأنها ليست دار الجزاء وهو
ترغيب في عمل الخير لأنه على مقدار الخير يجازى صاحبه ثم قال فإن أعرضتم
عما أدعوكم إليه ولم تقبلوه فإني أخاف عليكم من انتقام الله يوم القيمة
وقوله تعالى إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ٥ معناه إلى الله مصيركم
بإعادته للجزاء وقيل بإعادته إياكم إلى منزل الابتداء من أنه لا يملك لكم
ضرا ولا نفعا سواه وقوله تعالى ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا
منه ٥ أصل الاستخفاء طلب خفاء النفس ومعنى الآية أنهم يثنون
صدورهم على عداوة النبي صلى الله عليه وآله ويخفون ذلك منه وقيل يثنونها
على ما هم عليه من الكفر وقيل هو ثني صدره على سبيل الإخفاء في
خطابه لكافر مثله وقوله جل اسمه ألا حين يستغشون ثيابهم
يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ٥ الاستغشاء
بالثياب التغطي بها لئلا يراه أحد ولئلا يرى ٥ معناه أنهم يولون ظهورهم
إذا رأوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويغطون أنفسهم لئلا يراهم والله تعالى
عالم بما يسرون كعلمه بما يعلنون وذات الصدر ورعاية عن الأسرار
والمحتمل أن يراد به القلب وفيه ضرب من الوعيد وقوله جل اسمه

وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها
كل في كتاب مبين ٥ معناه ما من شيء حي في الارض الا من الله رزقه
او جده له وقد مر بيان نظير هذه الاية في سورة الانعام ٥ وما
قيل في تاويل المستقر والمستودع فلا وجه لاعادته ها هنا وقوله
جل اسمه وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه
على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ٥ وقد مر بيان معنى قوله خلق السموات
والارض في ستة ايام في غير موضع من هذا الكتاب ٥ ومعنى ان
عرشه كان على الماء في ابتداء الخلقة لها وخلق العرش على الماء
ووقوعه عليه والماء على غير قرار اعظم اعتبارا لذوي الافهام ٥
وقال بعض العلماء هذا يدل على ان الله خلق الملائكة قبل خلق
السموات لان خلق العرش على الماء لا يستدل به ولا وجه له في هذا
مذهب من الحق تقديم خلق ما يدل على الحيوان واختار بعضهم
ذلك للمصلحة في تقديمه والاول اصح واقرب ٥ ومعنى ليبلوكم ليعاملكم
معاملة المختبر ايكم احسن عملا ٥ وقد مر بيان ذلك ايضا في غير موضع
وفيه دليل على قول من قال قد يكون فعل حسن احسن من حسن اخر
وقوله جل اسمه ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين ٥ معناه واذا خوفتهم بالقيامة والبعث
قال الكافرون لكان البعث هذا الذي تقوله تمويه وباطل ظاهر
وقوله جل اسمه ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما
يحبسه ٥ معناه ولئن اخرنا عنهم العذاب الى جماعة معدودة بانه ليس
فيها من يؤمن فاذا صارت الغيرة الى هذه الصفة اهلكوا بالعذاب
كما فعل بقوم نوح لما كذبوا العذاب ٥ ومعنى ليقولن ما يحبسه قالوا

على وجه الاستهزاء والانكار ما الذي يحبس العذاب عنا ان كان
الامر فيه كما تقوله وقوله جل اسمه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون ٥ معناه واذا حق العذاب عليهم فلا
صارف له عنهم واحاط بهم ما استهزؤوا به وانكروه فاخذهم بغتة
وهم لا يشعرون ٥ واللام في قوله ولئن لام القسم لا لام الابتداء
لدخولها على ان التي للجزاء ولام الابتداء انما هي للاسم او ما ضارع
الاسم وجواب الجزاء استغنى عنه بجواب القسم لانه اذا اتى في صدر
الكلام غلب عليه وقوله جل اسمه ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم
نزعناها منه انه ليؤس كفور ٥ هذه صفة من لم يميز الانسان وقلة
صبره في الشدة وترك اعتباره رجوع النعمة اليه بعد زوالها فكانه
قيل اذا زالت النعمة عنه لضرب من المصلحة فلقلة تحصيله ونسي خلقه
قنط من رحمة الله تعالى وقوله جل اسمه ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء
مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور ٥ معناه ولئن
رددنا النعمة اليه بعد سلبها عنه وازالتها كان قوله لقلة تحصيله
ذهب السيئات عني وعاد الى حال التكبر والتطاول ولم يعتبر بسبب ما
مسه ولم يفكر فيه ٥ واصل السيئات التي تسوء صاحبها والمراد بها ها هنا
المرض والفقر وما اشبه ذلك والفخر والتطاول بتعديد المناقب ٥
وقوله جل اسمه الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر
كبير ٥ صح الاستثناء بقوله الا الذين صبروا لان لفظ الانسان ها هنا في
تاويل الجمع كما قال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر ٥ ومن كان مع ما حكاه
يكون خلافا لمن تقدم ذكره لانه اذا انعم الله عليه شكر واذا زالت
منه نعمة صبر لانه يعلم ان ذلك مصلحة فثبت على حاله اماناته وفضله في سائر

عن الانسان

الا حوال من الله تعالى ان من كانت هذه صفته فله عند الله مغفرة
لذنوبه وثواب عظيم **وقوله جل اسمه** فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جا
معه ملك انما انت نذير والله على كل شيء وكيل المعنى ان الله تعالى لنبيه صلى الله عليه
حال ما يلقاه من القوم تسلية له فكانه قال له فلعظم عليك ما
يرد على قلبك من تخليطهم حتى تتوهم انهم يزيلونك عن بعض ما
انزل الله عليك وما انت عليه من امر ربك فدلت الاية على ان
النبي صلى الله عليه وآله توقف بعض الاوقات في اظهار امر امره
الله تعالى باظهاره على وجه جاز التوقف فيه وهو انهم يصر على
وقت معلوم في اظهاره وتوقفا لضيق صدره بما كانوا يقولونه حتى
اتهموه وقالوا لو كان الامر كما تقوله وتدعيه فهلا اوتي من المال
ما يصير به غنيا وهلا انزل معه ملك من السماء يحث يشاهد فسلاه
الله عز ذلك الضيق بقوله انما انت نذير ومعناه وليس عليك الا البلاغ
ومعنى والله على كل شيء وكيل انه بكل شيء حافظ له فيفصل الامر ويبت
في الحكم الكوني بعد الجزاء والفرق بين الضائق والضيق ان ضائقا عارض
خلاف اللازم وضائق هاهنا احسن لانه عارض ولانه اشكل بتارك
وقيل ان سبب ذلك كان في ورود الامر باظهار ولاية امير المؤمنين عليه
السلام فتوقف فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لان قومه كانوا حديثي
العهد بالجاهلية وكان يشق على بعضهم ما لله وفي الله فاولايك
حقدوا عليه فنزلت هذه الاية ثم نزل بعدها الاية وهي قوله يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالاته
والله يعصمك من الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه عند نزول هذه الاية

وهو يقول بتهديد ووعيد لئن يعصوني ويكذبوني احب الي من ان
يعذبني الله بما كان منه ما كان من امر الغدير **وقوله جل اسمه**
ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من
استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين هذه الاية انما التحدي
لمن ادعى ان القران ليس من عند الله وانه افتراه محمد صلى الله عليه
وقد مر نظير هذه في البقرة وهو قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله
ان كنتم صادقين ومعنى ام هاهنا التقرير بصيغة الاستفهام
على تقدير بل يقولون افتراه وقوله فاتوا بعشر سور وانما معناه التحدي
واخرج اللفظ على صيغة الامر فكانه قيل ان اصلهم في التكذيب
يوجب المعارضة ومطالبتهم بها على تقدير الافترا لما ادعوا على النبي
صلى الله عليه وآله ومعنى مثله في البلاغة ولا يكون ان يكون مثله في
الجنس لان مثله في الجنس يكون حكايته وهو مقدور لهم **وقوله تعالى**
فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل
انتم مسلمون قال بعض العلماء هذا الخطاب للمؤمنين فكانه قال لهم
فان لم يستجيبوا لكم الى المعارضة فليعلم الجميع بهذا الدليل
ان القران انزل بعلم الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم على معنى انزله
الله وهو عالم به فاقيم لفظ العلم مقام العالم قال الشاعر
ترتع ما رتعت حتى اذا ادركت فانما هي اقبال وادبار اي مقبلة
ومدبرة قال بعضهم هذا الخطاب للمشركين على معنى فان لم
يستجب لكم من تدعوهم الى المعاونة والمعارضة ولم يتهيا لكم المعارضة
فقد قامت عليكم الحجة فاعلموا انه كلام الله ومعنى بعلم الله قيل انه بعلم

قيل انه يعلم الله انه حق من عند الله ٥ وقيل يعلم الله بمواقع
ما انزله في علو طبقته ٥ واعلموا ان لا اله الا هو واسلموا له لمن
قامت عليه مثل هذه الحجة لزمه الانقياد ٥ قوله تعالى من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ٥ التوفية
تادية الحق على التمام والبخس نقصان الحق ومعناه من كان يريد الحيوة الدنيا
على الاخرة بعمله في الدنيا شيئا من انواع البر وفينا اليهم جزاءه في الدنيا
وليس لهم في الاخرة الا النار ٥ وقيل هذا العمل هو مثل ان يصل الكافر
رحما او يعطي سائلا او يرحم مضطرا او نحو هذا من اعمال البر فيعجل
الله له جزاء عمله في الدنيا اما بسعة الرزق واقرار العين بما خول
ونول او دفع المكاره عنه في الدنيا ٥ وقيل ان هذا في الغزو
مع النبي صلى الله عليه وآله يوفر قسمهم من الغنيمة دون ثواب الاخرة وهذا
الوجه مخصص لانه في صفة المنافقين والاول عام ٥ وجزم نوف لانه
تعبير من يريد الحيوة الدنيا نوف فصارت كان في معنى الزيادة
فلا تعمل فيها ٥ وقيل المعنى يصح له كان كقوله تعالى ان كان قميصه
قد من دبر الاية ٥ والجزم سلبها عن كان لانها ام الافعال وقد
جاء في الشعر صرفه كما قال زهير ٥ ومن هاب اسباب المنايا ينلنه
وتلا امير المؤمنين عليه السلام هذه الاية في كلام له ذكر فيه الزهد
في الدنيا وهو والله ما دنياكم عندي الا كسعفة على منهل حلوا اذ صاح
بهم صائح فانحلوا ولا لذاتها في عيني الا كحميم اشربه غساقا
او علقم اتجرعه زعاقا او سم افعى اسقاه دهاقا او قلادة
نار اوهقها خناقا ولقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من
راقعها ولقد قال لي اقذف بها قذف الاتن لا يرتضيها لراقعها فقلت

له اغرب ٥ عند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلي عنهم
غيابات الكرى ولو شئت لتسربلت بالعبقري المنقوش
من ديباجكم ولاكلت لباب هذا البر بصدور دجاجكم ولشربت
الماء الزلال برقيق زجاجكم ولكن صدق الله جلت عظمته حيث
قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها
وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط
ما صنعوا وباطل ما كانوا يعملون فكيف استطيع الصبر على نار لو
قذفت بشررة الى الارض لاحرقت نبتها ولو اعتصمت نفس بقلة
جبل لانضجها وهج النار في قلتها ٥ وهذا الكلام طويل وانما
اخذت موضع الحاجة اليه ثم ذكر عليه السلام ما جرى بينه وبين
اخيه حين طمع ان يعطيه شيئا من بيت المال زيادة على نصيبه
فاحمى امير المؤمنين عليه السلام حديدة ومس بها جلد عقيل فتالم
منه عقيل فقال عليه السلام اتئن من حديدة احماها انسانها للعبه
وتجرني الى نار سجرها جبارها لغضبه اتئن من الاذى ولا ائن
من لظى فشتان ما بين الرجلين رجل حسب اخاه وقد طمع في شيء قليل
ورجل يؤدي على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويعطيه من بيت
مال المسلمين ما به الفرح لهم للقرابة بينه وبينه وكفى بهذا عبرة
للمعتبرين ٥ قوله جل اسمه اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا
النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ٥ بين الله تعالى
ان من كانت هذه صفته مما ذكره في الاية الاولى فلا نصيب له في
الاخرة وكان ثواب عمله باطلا وذكر لفظ باطل بعد ذكر لفظ
الحبوط للتحقيق ذهاب ثوابه في الاخرة ٥ قوله جل اسمه افمن كان على بينة

من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك
يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه
انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ۝ خبر افمن محذوف وتقديره
أفمن كان على بينة من ربه كمن لا بينة معه ومعناه افمن كان على دلالة وحجة من عند الله
ويتبعه شاهد منه يكون كمن لا دلالة معه ولا شاهد يتبعه في المعنى
واقسم لو شيء اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا ومعناه لو
جاءنا غيرك لدفعناه لكنك انت والذي على بينة من ربه هو النبي صلى الله عليه
ومعنى يتلوه شاهد منه قيل المراد جبرئيل عليه السلام يتلو القرآن وهذا عند
من تأول التلاوة على القراءة ۝ وقيل يتلوه شاهد منه هو لسانه وقيل
يتلوه بعده وهو وصيه وخليفته التابع له وهو امير المؤمنين عليه السلام يدلك
على صحة هذا النص النبي صلى الله عليه واله وسلم بهذا المعنى في غير موضع منها قوله
عليه السلام علي مني وانا منه وفي خبر اخر هو خلق من طينتي وخلقت من طينة
ابراهيم ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ۝ ومنها حديث براءة حين
قال جبرئيل عليه السلام لا يبلغها الا انت او رجل منك فدعا عليا عليه السلام ووجهه
خلف ابي بكر حتى رده وقد حكى الله عن موسى عليه السلام ما دعى به وهو قوله واجعل
لي وزيرا من اهلي هرون اخي ۝ وضمن الله تعالى هذا المعنى مجملا في قوله ان الله اصطفى
ادم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم
وهذا يدل على ان خليفة رسوله شاهده على خلقه وقوله تعالى ومن قبله كتاب
موسى اماما ورحمة ۝ وهو التوراة تشهد بصحته لاجل البشارة التي فيه والنصب
اماما على الظرف الذي في قوله ومن قبله كتاب موسى ۝ وقيل النصب على معنى
ويتلوه شاهد من قبل كتاب موسى اماما ۝ ومعنى اولئك يؤمنون به ان المؤمنين الذين
تمسكوا بالبينة التي عليها رسول الله صلى الله عليه واله هم الذين يؤمنون به ومن يكفر

به من الاحزاب وهم الذين اجتمعوا على عداوة رسول الله صلى الله عليه
واله فالنار موعده ۝ وقيل الخطاب في قوله فلا تك في مرية للرسول والمراد
به سائر المكلفين وكانه قيل ولا تكونوا في شك ان القرآن من عند الله
وانه حق ويحتمل ان يكون المراد به فلا تك ايها السامع في شك ثم بين ان
اكثر الناس لا يؤمنون بالله والنبي والقرآن وقوله تعالى ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد ۝
معناه لا احد اظلم ممن افترى على الله الكذب وخرج الكلام مخرج
الاستفهام للمبالغة في انه اظلم لنفسه من كل ظالم اذ لا يصح
جوابه عمن هو اظلم منه ۝ ومعنى يعرضون على ربهم وقوفهم في الموقف
للمطالبة بالاعمال ۝ وقوله تعالى ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ۝ معناه ويقول الملائكة والانبياء
عليهم السلام لانهم شهداء الله على خلقه على سبيل الذم لهم والتوبيخ هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله عليهم وفي ذلك غاية افتضاحهم في ذلك
الموقف وقوله جل اسمه الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم
بالاخرة هم كافرون ۝ هذه صفة الذين لعنهم الاشهاد وبين انهم الذين
صدوا عن سبيل الله وطلبوا العوج في دين الله وكفروا بالاخرة ۝
والعوج بكسر العين في الدين وبالفتح فيما خالف الاستواء لكونه عمدا
وقوله جل اسمه اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء
ومعنى الاعجاز هو الامتناع من المراد ۝ معناه لا يفوتون الله لانه قادر
على اخذهم بما كسبوا ولا ولي لهم من دون الله يرفع عذاب الله عنهم وقوله
جل اسمه يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون ۝ معنى يضاعف لهم العذاب على قدر كفرهم ومعاصيهم

من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك
يومنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه
انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يومنون ٥ جوابه محذوف وتقديره
أفمن كان على بينة من ربه كمن لا بينة معه ومعناه افمن كان عليه دلالة وحجة من عند الله
وسمعه شاهد منه يكون كمن ليس كذلك [illegible] شاهد تبعه قال الشاعر
واقسم لو شيء اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا ومعناه لو
جاء رسول [illegible] والذي على بينة من ربه هو النبي صلى الله عليه
ومعنى يتلوه شاهد منه قيل المراد جبرئيل عليه السلام يتلو القرآن وهذا عند
من تأول التلاوة على القراءة ٥ وقيل يتلوه شاهد منه هو لسانه وقيل
يتلوه يتبعه وهو وصيه وخليفته التابع له وهو امير المؤمنين عليه السلام يدل
على صحة هذا الخصوص النبي صلى الله عليه وآله بهذا المعنى في غير موضع منها قوله
عليه السلام علي مني وانا منه وفي خبر اخر هو خلق من طينتي وخلقت من طينته
ابراهيم ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ٥ ومنها حديث براءة حين
قال جبرئيل عليه السلام لا يبلغها الا انت او رجل منك فدعا عليا عليه السلام ووجهه
خلف ابي بكر حتى رده وقد حكى الله عن موسى عليه السلام ما دعى به وهو قوله واجعل
لي وزيرا من اهلي هرون اخي ٥ ووصف الله تعالى هذا المعنى مجملا في قوله ان الله اصطفى
ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم
وهذا يدل على ان خليفة رسوله شاهد على خلقه وقوله تعالى ومن قبله كتاب
موسى اماما ورحمة ٥ وهو التوراة تشهد بصحة ما جاء [illegible] ويصح
اماما على الظرف الذي في قوله ومن قبله كتاب موسى ٥ وقيل انتصب على معنى
ونشا هو من قبله كتاب موسى اماما ٥ ومعنى اولئك يؤمنون به ان المؤمنين الذين
تمسكوا بالبينة التي عليها رسول الله صلى الله عليه وآله هم الذين يومنون به ومن يكفر

به من الاحزاب وهم الذين اجتمعوا على عداوة رسول الله صلى الله عليه
وآله فالنار واهل النار ٥ وقيل الخطاب في قوله فلا تك في مرية للرسول والمراد
به سائر المكلفين وكانه قيل ولا تكونوا في شك ان القرآن من عند الله
وانه حق [illegible] فلا تكن ايها السامع في شك ثم بين ان
اكثر الناس لا يومنون بالله والنبي والقرآن وقوله تعالى ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد ٥
معناه لا احد اظلم ممن افترى على الله الكذب بخروج الكلام مخرج
الاستفهام للمبالغة في انه اظلم لنفسه من كل ظالم اذ لا يصح
جوابه عمن هو اظلم منه ٥ ومعنى يعرضون على ربهم وقوفهم في الموقف
للمطالبة بالاعمال ٥ وقوله تعالى ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ٥ معناه ويقول الملئكة والانبيا
عليهم السلام لانهم شهداء الله على خلقه على سبيل الذم لهم والتوبيخ هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله عليهم وفي ذلك غاية الافتضاح في ذلك
الموقف وقوله جل اسمه الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم
بالاخرة هم كافرون ٥ هذه صفة الذين لعنهم الاشهاد وبين انهم الذين
صدوا عن سبيل الله وطلبوا العوج في دين الله وكفروا بالاخرة ٥
والعوج [illegible] في الدين [illegible] لا يستوي [illegible]
وقوله جل اسمه اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء
ومعنى الاعجاز هو الامتناع من المراد ٥ معناه لا يفوتون الله [illegible]
على اخذهم بما كسبوا ولا ولي لهم من الله يدفع عذاب الله عنهم وقوله
جل اسمه يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون ٥ معنى يضاعف لهم العذاب على قدر كفرهم ومعاصيهم

في الدنيا وهو ان يعاقبوا عقابا بعد عقاب من غير ان يعاقبوا عقابا ما
لا يستحقونه وليس معناه ان الكافر اذا استحق جزاء من العذاب في وقت
على فعل فعله فالله يعاقبه جزاءين من العقاب على ذلك الفعل لان هذا يكون
ظلما فذكر مضاعفة العذاب بحسب مضاعفة الكفر والمعاصي الواقعة
منهم ٥ ومعنى انه يثقل عليهم سماع الحق فما كانوا يعرفونه ولا لهم به علم
ولا بصيرة وهو من قول القايل لا استطيع ان امشي معك على معنى يثقل
وقوله جل اسمه اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ٥
معناه ان هولاء الذين تقدم ذكرهم خسروا انفسهم بان اهلكوها بما فعلوه
من المعاصي ذهب عنهم الانتفاع بافترايهم الذي كان منهم في الدنيا ٥ وقيل ذهب
عنهم الاديان التي كانوا يؤملون بها الانتفاع ووجه الاتصالات التي في الاية
صار خسروا صلة للذين وصار انفسهم مفعول الصلة وصار وضل معطوف
الصلة وصار عنهم يتعلق بمعطوف الصلة وصار ما فاعل معطوف الصلة
وصار كانوا صلة فاعل معطوف الصلة وصار يفترون خبر فاعل معطوف
الصلة وهو تمام الاية وقوله جل اسمه لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون ٥
قيل هم فصل من الكلام والاخسرون خبر ان ٥ وقيل هم اسم مبتدا وخبره
الاخسرون والجملة خبر ان وهذا اذا كان فصلا لم يقع في النكرة كقولك كانوا
في الدار هم قايمون فها هنا لا يكون الا ابتداء ولو قلت كانوا في الدار هم
القايمين على الفصل جاز وقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصا
لحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ٥ معناه
ان المومنين المطيعين لله الخاشعين المتواضعين لهم اصحاب الجنة
خالدين فيها ابدا ٥ والاخبات الخشوع وقيل الانابة وقيل الاطمينان
الى ذكر الله تعالى وقيل الخشوع للمحافظة الثابتة في الفعل وقيل السكون

الجوارح على جهة الخشوع لله ٥ وقيل انما قال الى ربهم في موضع
لربهم لان حروف الاضافة يقوم بعضها مقام بعض اذا تقاربت
معانيها كما قال تعالى بان ربك اوحى لها اي اليها وقيل لانهم عدوا
باخباتهم الى الله قصدوا اليه بعبادتهم وقوله تعالى مثل الفريقين
كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون ٥
ضرب الله تعالى مثلا للكافرين الذين تقدم ذكرهم والمومنين
الذين اخبتوا الى ربهم فشبه الكافرين بالعمي والصم وشبه المومنين
بالله بالسامعين المبصرين ودخلت الواو وفيه لعموم التشبيه
على العدين حال الكافرين بحال الاعمى وحال الاصم وبحال من جمع
العمى والصمم ٥ وقيل المعنى واحد وانما دخل الواو لاتصال صفة
الثاني بالاولى بعلاقة وقوله جل اسمه ولقد ارسلنا نوحا الى
قومه اني لكم نذير مبين ٥ اللام في قوله ولقد لام القسم لا تدخل
على الفعل والحرف الذي يختص بالفعل ما يصح معناه معنى قد يقع
الخبر على التقريب من الحال كقول القايل قد ركب الامير بين الله
تعالى انه ارسل نوحا عليه السلام الى قومه منذرا لهم ويخوفهم
بعقاب الله وقوله جل اسمه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم
عذاب يوم اليم ٥ معناه كان في رسالة نوح عليه السلام
انه قال لقومه ان الله قد ارسلني اليكم بان امركم
الا تعبدوا الا اياه واخوفكم بعقابه ان كفرتم وعصيتم
وهو عذاب الاخرة لانه دار الجزاء ويجوز ان يكون موضع ان
نصبا على معنى بان لا تعبدوا الا الله ٥ ويجوز فيه الجزم
على النهي لا تعبدوا وانما قال عليه السلام اخاف عليكم ولن

كان عذاب الكفار على البعض لانه لم يذكر الى ما ذا يؤول حالهم من
كفر وايمان وتوبة والاليم يعني المولم فوصف اليوم به لان الالم
يقع فيه بسبب لا به. وقوله جل اسمه فقالوا ما نراك الا بشرا مثلنا
وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي. الاراذل
من الناس المجهولون الذين جهل ذكرهم. معناه ان قوم نوح قالوا
له عليه السلام لما دعاهم الى الايمان بالله ورسوله انت بشر مثلنا
وما نرى متابعيك الا اراذلنا واذا كانت حالك هذه فمن اي وجه
يجب علينا متابعتك وهذا كان من فرط جهلهم لطريقة الاستدلال
لانهم عدلوا عن النظر في دلايله ومعجزاته المصدقة لدعواه الى الاحتجاج
بما طريقه مراعاة احوال الدنيا في الغنى والفقر والعز والذل عند اهلها
وقوله تعالى بادي الراي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين
بادي الراي او لا الراي على معنى او ليا نراهم برؤيتهم والراي بالروية
قوله تعالى يرونهم مثليهم راي العين وهو نصب على المصدر كقولك ضربت اول
الضرب. وقيل انتصب بقوله اتبعك على معنى هو لا اتبعوك اول الراي من غير
فكر وكانهم اتبعوك اي اتبعوك من غير شديد على تقدير براي غير سديد هو على
سبيل التجوز والمجاز. ومعنى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم
كاذبين. لا نرى لكم علينا زيادة على الخير واتفقوا هذا الجهلهم ايضا
بطريق الاستدلال لانهم لو نظروا الى معجزة نوح عليه السلام لاداهم ذلك
الى العلم بان ما عليه القوم كله فضل ولم يقولوا لهم بل نظنكم كاذبين
وقوله جل اسمه قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني
رحمة من عنده فعميت عليكم. هذه مناظرة حسنة جرت بين
نوح عليه السلام وبين قومه في باب البدء في الزام الحجة البينة

هاهنا هي البرهان من جهة المعجزة. والرحمة هاهنا النعمة
بالنبوة وذكر الرحمة في هذا الموضع للتنبيه على انها انما دعوه
الله التنبيه عليهم فضلا ونوالا لذلك من جهة هدايته الى الحق
بالبرهان المودي الى العلم وانا فاقول فعميت عليكم وان كانوا هم
عموا عنها لين تقديره فعميت عليكم لاجل تكلفكم الاستدلال بالبرهان يق
المودي اليها ويجوز ان يكون هذا جاء على جهة التصرف في
الكلام من غير اخلال بالمعنى لظهوره في باب الافهام كما يقال
ادخلت الخاتم في اصبعي وان كانت الاصبع دخلت فيه.
وقوله تعالى انلزمكموها وانتم لها كارهون. معناه
انضطركم الى موجب البينة من العلم بكونها حسنكم لذلك
سبيل معه تكليفكم الا الاستدلال بالمعجزة المودية الى المعرفة
اذا اضطركم الى حال الضرورة. وقيل معناه انما علي ان ادلكم بالبينة
دللتكم على ان اضطركم الى المعرفة وفي قوله انلزمكموها ثلثة
من المضمرات ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب.
فرتبت ترتيبا حسنا لانه بدا بالمتكلم لاختصاصه بالفعل
ثم المخاطب ثم بالغايب. واجاز بعض النحويين انلزمكموها بالجزم
لجعله بمنزلة عضد وكتف وبينهما فرق لان الاعراب لا يلزم فيه
الثقل كما يلزم في ابتدا الكلمة واجمز مثله في الضرورة في الشعر
وقوله تعالى ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا ان اجري الا على الله. معناه
لا اطلب منكم على ما اتيت به من الرسالة والديانة وتحملته من
المشقة مالا فليس اجري في ذلك الا على الله. وقوله تعالى وما انا
بطارد الذين امنوا لانهم سالوه ان يطردهم اي يطردهم من

من اوسط الناس ليس لهم الا اسراف القوم واستنكافا ان يكونوا
معهم وفي طبقتهم وقصد نوح ذلك قوله تعلى حكاية عنهم انؤمن لك
واتبعك الارذلون فقال لهم نوح عليه السلم لست طارد هولا
المومنين وان كانوا عندكم اراذل الناس لان الله تعلى اوجب
تعظيمهم وان كانوا فقرا وحرم تعظيمكم وان كنتم اغنيا منظورين
لاجل انكم ابنا الدنيا فقرا وان هولا المومنين ملاقوا ربهم
من اجل العذاب من طردهم ومعنى تجهلون ها هنا انكم
تجهلون انكم خير منهم لانهم مومنين بهم فاعرضتم عن النظر في هذا
واخذتم في طريقة التكاثر بالاموال والتنافس فيها وهذا
جهل مفرط **وقوله تعلى** ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون
لفظ النصرة اذا اقترن بحرف من كان معناها المنع من الشي واذا
اقترن بحرف على كان معناه المعونة عليه حتى يغلب واذا اقترن بالى
كان معناه جامعا كما قال تعلى من انصاري الى الله اي مع الله ومعنى الاية ان
طردتهم فمن يدفع عذاب الله عني وقد دلت الاية على بطلان قول المجبرة لانه
اذا كان يصح يشفع لما قال من ينصرني من الله ومعنى تذكرون اي
تتذكرون ذلك فتعرفونه **وقوله تعلى** ولا اقول لكم عندي خزاين
الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يوتيهم
الله خيرا خزاين الله معروف انه لا ان يوجد منها شيا وكانه عليه
قال لا انتفع نفسي فوق قدرها فاقول عندي خزاين الله وقيل معناه لا اقول
عندي خزاين الله فادعوكم على ان اعطيكم منها ولا اقول اني اعلم الغيب
لان الله تعلى يعلمه ولا اقول اني ملك لاني بشر ولا اقول ان الذين

تستحقرونهم وتستخفون بهم حتى انهم اني ان الله لا اكرمهم
ولا اعطيهم ولا اثيبهم **وقوله تعلى** والله اعلم بما في انفسهم اني اذا
لمن الظالمين معناه ان ظاهر حالهم يقتضي استحقاق الثواب
والله اعلم بما في ضمائرهم واني لو فعلت شيا من ذلك من الظالمين
وقوله تعلى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان
كنت من الصادقين قالوا له هذا ضجرا من كلامه وسامة من احتجاجه
واستدلاله ثم قالوا على سبيل الاستعجال لما تهددهم من
العذاب واستهزا به فاتنا بما تعدنا **وقوله تعلى** قل انما ياتيكم به الله
ان شا وما انتم بمعجزين فاجابهم نوح عليه السلم بما حكى الله عنه وهو
ان الله يصيبكم بما اوعدكم به اذا جا وقته فلا تفوتكم ذلك ولا
تفوتونه **وقوله جل اسمه** ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم
ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون الاغوا
التخييب يقال غوى بمعنى خاب واغوى بمعنى خيبه قال الشاعر
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لايما وقال اخر
والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولام المخطي الهبل وهذا
البيت قريب في المعنى من الاول لين [?] معنى الاول عنا [?] انكم يفعلوه متى [?] واذا
لم تفعلوا اراد الله عقابكم وعذبكم وكيف ينفعكم نصحي ان كانت
الحال هذه وجعلت الارادة مشروطة وان كانت واقعة بالظاهرة [?]
بالحجة لانهم ذهبوا الى انه ليس بنصح فقال لو كان نصحا لما انتفع من لا
يقبله فان كان الله يريد ان يخيبكم من رحمته لكفركم به
فلا ينفعكم نصحي والاغوا ها هنا التخييب عن الرحمة ولو كان
الاغوا معناه الاضلال عن الدين كما قالت الجهال لصار الامر والنهي

وبعث الرسل عبثا والله تعالى عنه لانه اذا اراد الله اضلاله
فالنصح وغير النصح سواء وكيف ينفعهم قبول النصح والله يصرفهم
عن قبوله كما قال الجهال ولا ينفعكم نصحي هذا كان معناه لا بد اذا كنتم لا
تتعظون بعظتي ولا تسمعون حجج الله لعزة دينه ولا تصغون الى
الحق والله يعلم منكم ذلك فاذا كانت هذه حالكم استحققتم العذاب
على ما تفعلونه وكيف ينفعكم نصحي فالله تعالى لا يخيب من رحمته
الا من ضل عن دينه واعرض عن قبوله ٥ ومعنى قوله هو ربكم واليه
ترجعون اي الله سيدكم ومالككم وانكم ترجعون الى جزائه
وتحصلون على عقابه حيث لا ينفعكم الاستدلال ما فات
والندم على ما سلف منكم وقوله تعالى ام يقولون افتراه قل
فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون ٥ معنى ضمن هذا الكلام
هو خبر نوح عليه السلام وعيده وتهديده لقومه وكانه قال
ان كنت افتريته فعلي عقاب جرمي وان كانت الاخرى فعليكم
عقاب تكذيبي وتعلمون اوائل قولي وقيل هو خطاب محمد صلى الله عليه
وسلم وكانه قيل [illegible] ولا يستحق ذلك معاقبته
العذاب في الاخرة والعاقبة في الدنيا فهو محتاج قوي ٥ ومعنى وانا بريء مما
تجرمون اي ليس علي من اجرامكم عائد ضرر بل عائد الضرر عليكم
وقوله تعالى واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا
يفعلون ٥ معناه والله اعلم واعلم الله نوحا وعرفه انه لا يؤمن من قومه اكثر
ممن قد امن لانه لا يمكن معرفته من جهة العقول ولا باعترافات بفعلهم
فانه لا يلحقك بؤس وحزن لاجلهم وقوله جل اسمه واصنع الفلك باعيننا
ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ٥ معناه واصنع

الفلك باعيننا بحيث نراها فذكر العين على طريق البلاغة
لبين للعقول دلالة على ان الله تعالى مستحيل عليه درك الجارحة
وقد يقال [illegible] فلان بمرأى ومسمع حيث اراه وقد قيل
بحفظنا اياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك ٥ ومعنى
ووحينا على ما اوحينا اليك ان اصنعها والخبر هاهنا [illegible]
الذين يريد اهلاكهم اخبار لما في معلومه منهم لانهم لا يصلحون
البتة ولا يؤمنون كما نطقت الاية الاولى فلا تخاطبني في احد منهم
بشيء فان العذاب غير مردود عنهم وقوله جل اسمه ويصنع الفلك
وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه ٥ الفلك السفينة
والواحد والجمع فيه سواء والملا الجماعة من اشراف الناس
ومعناه كان نوح صلى الله عليه يصنع السفينة وقومه يمرون به
كانوا يسخرون منه لاجل ما يفعله ٥ وورد في الخبر ان
سخريتهم كان لاجل انه كان عليه السلام يعمل تلك السفينة في البر والماء
هنالك فكانوا اذا مروا به يتضاحكون ويستهزؤون بفعله
ويتعجبون مما هو بصدده لانهم لم يعرفوا عاقبة ذلك ٥ وقيل كان
طول تلك السفينة الف ذراع وعرضها ستمائة ذراع ٥ وقيل كان
طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا [illegible]
وقيل كانت السفينة ثلاث طبقات طبقة للناس وطبقة للطير
وطبقة للدواب والوحوش وقوله جل اسمه قال ان تسخروا منا
فانا نسخر منكم ٥ معناه ان نوحا عليه السلام قال لقومه ان
تسخروا منا بسبب اتخاذنا السفينة وصنعها فانا نسخر منكم
كما هذا على مزاوجة الكلام مع ان السخرية قبيح لا [illegible]

بما نذكر بالذي لكم على سخريتكم على قدر استحقاقكم للذم
ومثله قوله تعالى نسوا الله فانساهم انفسهم ٥ معناه نسوا طاعة
الله بان تركوها فجازاهم الله على نسيانهم اياها ٥ وقيل معناه
ان تستجهلونا فانا نستجهلكم كما تستجهلونا ٥ قوله جل اسمه فسوف
تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ٥ قيل ان
من هاهنا معنى اينا وكانه قيل لهم تهددا وتوعدا فسوف
تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويلزمه عذاب دائم ٥ وقيل من بمعنى
الذي وتقديره فسوف تعلمون الذي ياتيه عذاب يخزيه
قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور ٥ قال ابن عباس
كان التنور تنور الخبز يخرج الماء من موضع لم يعهد الخروج منه
وهو معجزة لنوح عليه السلام وعلامة ليعلم به وقت مجي العذاب
وقيل كان التنور تنور ادم عليه السلام ٥ وروي عن امير المؤمنين
علي صلوات الله عليه انه قال التنور وجه الارض ٥ ومعنى
فار ارتفع ما فيه وعلا ٥ وقيل معنى فار نبع ومعنى الاية
حتى اذا جاء امر الله وهو الطوفان وفار التنور بالماء
قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ٥ معناه امر
نوحا عليه السلام ان يحمل في السفينة من كل صنف من الحيوان
زوجين ذكرا وانثى ٥ واصل الزوج واحد له شكل الا انه كثر
استعماله في الرجل الذي له امراة ٥ وقال بعض العلماء في تاويل
قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين السماء زوج والارض زوج ٥
والشتاء والصيف زوج والليل زوج والنهار زوج ٥ والفرد هو
الله تعالى قوله جل اسمه واهلك الا من سبق عليه القول ومن

امن ٥ معناه واحمل اهلك ايضا في السفينة ومن امن بك الا ابنك
حاما وامراتك فانهما كافران والمستثنى من الاصل ابنه وامراته
وهما المراد بقوله الا من سبق عليه القول ٥ قوله جل اسمه وما امن
معه الا قليل ٥ اخبار من الله تعالى ان الذين امنوا به كانوا عددا قليلا
وورد في بعض الروايات انهم كانوا اربعين نفسا وفي رواية كانوا
ثمانين وفي بعضها ثمانية نفر والاشهر في الروايات ثمانين وهي رواية
ابن عباس ٥ قوله جل اسمه وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها
ومرساها ٥ معنى ذلك ان نوحا عليه السلام قال لقومه لما
قرب وقت الطوفان اركبوا السفينة باسم الله مجراها ومرساها
معنى مجراها اجراؤها ومرساها اثباتها ووقوفها ٥ يقال اجرى
يجري اجراء ومجرى فهما مصدران من اجرى ٥ وقيل مجراها وقت
اجرائها ٥ وقيل هو موضع الاجراء ٥ وقرئ مرساها هذه الوجوه
ايضا واصله ثباتها ٥ ووردت في الروايات ان نوحا عليه السلام
كان اذا اراد ان تجري السفينة قال بسم الله فاذا هي جرت
واذا اراد ان تسكن وتقف قال بسم الله فاذا هي سكنت
ووقفت ٥ وقيل عامل الاعراب في بسم الله اركبوا على تقدير اركبوا
بسم الله ويحتمل ابتدوا بسم الله ويجوز باسم الله اجراها وارساها
ووجه اتصال قوله ان ربي لغفور رحيم بما قبله اتصال المعنى بما يشاكله
وكانه لما ذكر النجاة بالركوب في السفينة ذكر النعمة بالمغفرة
والرحمة لتطلب الطاعة كما طلبت النجاة ٥ قوله جل اسمه وهي تجري
بهم في موج كالجبال ٥ معناه كانت السفينة تجري بهم في موج عظيم
كعظم الجبال ٥ قوله جل اسمه ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني

اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ٥ معناه ونادى نوح ابنه وهو
حام وكان قد اعتزل ناحية ولم يركب السفينة مع من امن بالله
لانه كان كافرا منافقا فقال له ابوه اركب في جملة المومنين ولا تكن
في حزب الكافرين ٥ وفي يا بني ثلاث لغات يا بني بالتصغير وبالكسر
وبالاضافة وقوله جل اسمه ساوي الى جبل يعصمني من الماء هذه
حكاية جواب حام لانه لما امتنع من ركوب السفينة فقال
اوي الى جبل لئلا يصل الماء الي فقال في اللغة اوى الى مكان كذا
اي رجع اليه ٥ ومعنى يعصمني يمنعني لان العصمة المنع في اللغة
وقوله جل اسمه قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم ٥ معناه
ان نوحا عليه السلم قال له لا مانع اليوم من امر الله الذي يريد
ان يفعله الا من رحم الله بان ينجيه ٥ وقيل هذا الاستثنا
منقطع وكانه قيل لا عاصم اليوم لكن من رحم فهو معصوم ٥ وقيل
لا عاصم الا من رحمه بنجاته كانه قيل لا عاصم الا الله ٥ وقيل
الا من رحمه نجاه وهو نوح عليه السلم ولم يكن حام ملجا في تلك الحال
الى ترك الكفر لانه لم يكن حصل له العلم بان الغرق كاين لا محالة
ولم يحصل له توفر الدواعي والسر اذ احصر بعض ايات الله يحصل
الالجاء وقد دعاه نوح عليه السلم الى الركوب في السفينة مع
المومنين لانه كان منافقا ويعده باظهار الايمان ٥ وقد دعاه
ان يومن او لا يركب وقوله جل اسمه وحال بينهما الموج فكان من
المغرقين ٥ معناه منع الموج بين نوح وبين ابنه لان الموج علا
فحال بينه وبين ابنه فغرق وهلك وقوله عز وجل وقيل يا ارض
ابلعي ماءك ويا سما اقلعي وغيض الما وقضي الامر واستوت على الجودي

وقيل بعدا للقوم الظالمين ٥ معناه خرج هذا الكلام مخرج
الامر للمامور على جهة التعظيم لفاعله وهو كقوله كن
فيكون وقد بينا معناه في غير موضع من هذا الكتاب ٥ ومعناه
امسك الله المطر من السما ونشف الى بطن الارض ما فار
من العيون ٥ ومعنى غيض غاب والغيض غيبة الما في الارض
ومعنى وقضي الامر اي وقع الهلاك بقوم نوح والقضا وقوع الامر
على تمام واحكام ٥ واستوت السفينة على الجودي وهو جبل بناحية
امل ٥ ومعنى بعدا للقوم الظالمين ابعدهم عن الخير ويجوز
ان يكون بعدا مذكورا على جهة الدعا ويجوز ان يكون
الله تعالى قال ذلك لهم ويجوز ان يكون ذلك من قول المومنين
والنصب بعدا على المصدر ٥ وفي هذه الاية من عجايب البلاغة
وجوه كثيرة منها مخرج الكلام مخرج الامر على عظم ما بينه ٥
ومنها حسن تقابل المعاني ٥ ومنها حسن البلاغة في الالفاظ ومنها
حسن البيان في تعديد الحال ٥ ومنها الايجاز من غير اخلال ٥ ومنها
تقبل الفهم على اتم الكمال مما عليه هذا الكلام في النظم واللفظ
البديع وقوله جل اسمه ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني
من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين ٥ ههنا
استعمل نوح عليه السلم ما في طبع البشر من التعطف على
الولد وقد قال الله تعالى لنوح احمل فيها من كل زوجين اثنين
واهلك الا من سبق عليه القول فدعا نوح ربه بانك قد وعدتني
انك تنجي اهل بيتي من الغرق وهذا الابن من اهل بيتي ومن
المومنين عندي وقد كان هذا الابن نافق اباه ولم يبن ذلك

بدليل دعا نوح عليه السلم لابنه الذي قد يدعو بما يظهر فيه الشريطة
بدلالة الكلام او احواله ويعرف انه لم يقع الشرط وقوله تعالى
قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح ٥ معناه قال الله
ان ابنك ليس من اهلك الذين وعدتك ان انجيهم من الغرق
وكانه قال ليس من اهل دينك وليس هو على طريقة المومنين
الذين وعدنا تخليصهم من الغرق لانه كان ولده من صلبه
فلم ينفعه النبوة واما معنى انه ليس من المومنين وقد قال بعض
المفسرين انه لم يكن ابنه من صلبه وكان لغير رشده وهذا
لا يليق بالحق لانبيا عليهم السلم والصحيح هو القول الاول
وقوله تعالى انه عمل غير صالح ٥ فحمله على المبالغة من الصفة
كما قالت الخنسا ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار
اي هي مقبلة ومدبرة وهي تصف الناقة وحنينها الى فصيلها
وقيل سوالك هذا عمل غير صالح وقوله تعالى فلا تسالن ما ليس
لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين ٥ فنهاه عن ذلك
معناه فلا تسالني عن ان انجي من ليس اهلا لك حتى تعلم انه مومن
فانى اعظك موعظتي ان تسالني ما لست تعلمه لئلا تكون من
الجاهلين بامر نفسك وحذف لئلا لدلالة الكلام عليه ٥
وقيل معناه لا تعلم ان هذا جائز في حكمتي لان هذا من سوال
الجاهلين فنهاه ٥ عن ذلك والصحيح هو القول الاول وقوله تعالى
قال رب انى اعوذ بك ان اسالك ما ليس لى به علم والا تغفر لى
وترحمني اكن من الخاسرين ٥ معناه ان نوحا عليه السلم
استعاذ بالله من سوال ما لا علم له ٥ ومعنى تعوذه سواله اياه

ان يلطف له حتى لا يقع منه في المستقبل مثل ما وقع فدلت الاية على جواز
وقوع الصغيرة من الانبيا عليهم السلم وبين تعالى انه كان في دعايه لربه
انك ان لم تغفر لي ما وقع مني كنت من الخاسرين وكان لله اعاذه ما تعوذ به
منه له وقوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم
ممن معك ٥ معناه اهبط من الجبل الى الارض بسلامة منا وبنجيتنا اياك قد
رزقناكها ٥ وبركات الله نعمته فكانه قيل انعمنا عليك وعلى جماعات
كانوا معك ٥ وقيل كانت معه جماعات من الحيوانات وعد الله تعالى بان
يبارك فيها حتى تكثر نسلها وقوله تعالى وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا
عذاب اليم هذا اخبار عما يكون في المستقبل ٥ معناه وتكون في الارض
جماعات نمتعهم من الحيوة الدنيا فيعملون المعاصي ولا يتوبون منها
يستحقون عذابا اليما ٥ فنعذبهم في نار جهنم خالدين فيها ابدا
تلك من انبا الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين ٥ الاشارة بقوله تلك الى
الانبيا الذين تقدم ذكرهم على تقدير تلك الانبا من انبا الغيب ونحن
نوحيها اليك وهذه الانبا ما كنت تعلمها ولا تعلمها قومك لولا ان
احان الله بها اذ لا سبيل الى العلم بها الا باحسان الله تعالى ثم
امر نبيه صلى الله عليه واله وسلم بالصبر على ما يرى من اعدا الله الى ان يحكم بينه
وبينهم وبين ان الجنة التي وعد الله انما هي لمن اطاع الله واتقى بان
جانب المعاصي خوفا من عقاب الله وقوله جل اسمه والى عاد اخاهم
هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ٥ معناه وارسلنا
الى قوم عاد اخاهم هودا صلى الله عليه وكان اخاهم نسبا لا دينا
لانهم كانوا كفارا وكان هود عليه السلم نبيا وقد مر بيان ذلك في غير

موضع ٥ وانما صرف عاداً لانه ذهب الى معنى الحي ٥ فدعا هود عليه
السلم الى عبادة الله وحده قومه ونهاهم عن عبادة الاوثان وعبادة كل
معبود من دون الله واختار بعض القرا حمل الصفة ها هنا اعنى قوله غيره
على الموضع لان فيها معنى الاستثنا فكانه قيل ما لكم من اله الا هو والحور في
هذا الاستثنا الحمل على اللفظ الواجب لا تدخله من الزايده وقوله تعلى
ان انتم الا مفترون ٥ معناه ما انتم الا كاذبون في ادعايكم الاها غير
الله وقوله تعلى يا قوم لا اسالكم عليه اجراً ان اجرى الا على الذى فطرنى
افلا تعقلون ٥ معناه ان هوداً قال لقومه لست اطلب منكم
شيا من حطام الدنيا على ما اتيكم به من عند الله ودعوتكم اليه
وما اجرى الا على خالقى الذى ارسلنى اليكم ٥ وفى قوله افلا تعقلون تنبيه
وانكار ومعناه افلا تعلمون ان ما ادعوكم اليه وما اقول وافعل حق
فاذا فكرتم فيه واستدللتم بادلة الاستدلال به علمتم ان جميع
ذلك حق وقوله تعلى ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل
السما عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ٥
معناه ان هوداً عليه السلم قال لقومه توبوا الى الله من ذنوبكم
يوسع عليكم ارزاقكم ٥ والمدرار المطر الذي يدر شيا بعد شى دايما
ويزدكم الله قوة فدل ذلك على ان التوبه وطلب المغفرة يجلب السعة في الرزق
والقوه ثم نهاهم عن الاصرار على المعصيه وعن الاعراض عن دين الله الذى
يدعوكم اليه مصرين على ما انتم عليه من المعاصي وقوله سبحانه قالوا
يا هود ما جيتنا ببينة وما نحن بتاركى الهتنا عن قولك وما نحن لك بمومنين ٥
هذا حكاية جواب قوم هود له فقالوا ما جيتنا بحجة واضحه ولا نترك
عبادة هذه الاوثان لقولك ولسنا نصدقك في قولك وفيما تدعونا اليه

من عبادة الله وحده وقوله تعلى ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا
بسوء ٥ يقال اعتراه الشي اذا جاه واصابه ٥ ومعناه ما نقول
الا ان بعض الهتنا اصابك بجنون وخبل في عقلك فنسبوا كلامه
الى الهذيان والخبل وانما قالوا ما نقول الا هذا وان كانوا قالوا
له اشيا كثيره من غير هذا لان معناه ما نقول في سبب الخلاف
ساوينك الا هذا وقوله تعلى قال انى اشهد الله واشهدوا
انى برى مما تشركون من دونه ٥ معناه انى اشهد الله على برائتى
منكم ومما تعبدون من دونه واشهدكم ايضا على ذلك وقوله تعلى
وقوله تعلى فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون ٥ فكيدونى ليس بامر وانما
هو اخبار عن الثقه بانهم لا يصلون اليه بسو وكيد وهذا موجود
في عرف الكلام ٥ وانما قلنا انه ليس بامر لان كيدهم يكون كفراً
والامر بالكفر كفر وهذا لا يكون على الانبيا عليهم السلم ٥ والانظار
الامهال وانما جاز النصب في قوله من دونه لانه على التخير في الوقف
والوصل فيحسن الوقف على برى مما تشركون ويحسن ان يوصل
بما بعده والوقف وقفان وقف كافي ووقف تام فالوقف
الكافي هو ان يحسن الوقف عليه ولا يحسن استيناف ما بعده
والوقف على برى مما تشركون من هذا الجنس ٥ والوقف التام هو
الذى يحسن الوقف عليه ويحسن استيناف ما بعده بمنزلة قوله واياك
نعبد واياك نستعين ثم استانف قوله اهدنا الصراط المستقيم ٥
وقوله تعلى انى توكلت على الله ربى وربكم ٥ معناه ان هوداً عليه
السلم قال لهم انى فوضت امرى الى الله مالكى ومالككم وسيدى وسيدكم
وقوله تعلى ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربى على صراط

مستقيم ٥ اصل الناصية الاتصال من قولهم مفازة ناصية
معروفة اي متصلة بمفازة ٥ قال الشاعر في ناصيها بلاد بره
والله آخذ ناصية كل دابة من يصرفها على عادة معروفة
في اذلالها وكل دابة بهذه المنزلة في الذلة لله تعالى ثم قال ان
ربي مع تدبيره لخلقه على صراط مستقيم لا اختلاف فيه ولا اضطراب
فهو يجري على سبيل الحكمة والعدل والصواب ٥ وقوله تعالى
فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ٥ معناه فان
اعرضتم عما ادعوكم اليه فليس ذلك لتقصير من جهتي في ابلاغ
لوحي الله وانما هو لسوء اختياركم في الاعراض عن نصحكم
وقوله جل اسمه ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي
على كل شيء حفيظ ٥ معناه فان الله يهلككم ويأتي بقوم اخرين
بعدكم يورثهم دياركم واموالكم ولستم تضرون الله بكفركم
شيئا وانما تضرون به انفسكم والله حفيظ على كل شيء فيحفظ من
الهلاك من يشاء ويهلك من يشاء فهذا معناه ههنا ٥ وقيل
حافظ لاعمال العباد حتى يجازيهم عليها وقيل يحفظهم من ان يصابوا
بشيء وقوله جل اسمه ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة
منا ونجيناهم من عذاب غليظ ٥ معناه ولما انزل الله العذاب بقوم هود
عليه السلام وكان عذابا غليظا شديدا نجا هودا ومن امن معه من
ذلك العذاب فامنهم الله من عذاب الدنيا والاخرة وقوله جل اسمه
وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد ٥
العنيد العاتي الطاغي يقال عرق عنيد اذا كان لا يرقى دمه ٥
معناه ان عادا كذبوا بايات الله وعصوا هودا عليه السلام

ثم عصوا الرسل الذين كانوا قبله وكانت حجتهم قامت عليهم
لانهم دعوا الى عبادة الله كما دعا هود عليه السلام الى ذلك
فخالفوا الرسل على هذا الوجه واتبعوا في ذلك رؤساهم
الضالين الطالحين وقوله جل اسمه واتبعوا في هذه الدنيا
لعنة ويوم القيامة ٥ معناه لعنهم الله في الدنيا والاخرة
وقوله جل اسمه الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود ٥
ذكر هذا على وجه الذم والتوبيخ لهم وانتصب بعدا باضمار
الفعل وتقديره ابعدهم الله بعدا فوقع بعدا موقع الابعاد كما
وقع نباتا موقع الانبات في قوله والله انبتكم من الارض نباتا
وقوله جل اسمه والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره معناه ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وكان
اخاهم نسبا لا دينا وقد مر بيان ذلك في الاية الاولى وبيان
دعوته لقومه ولا وجه لاعادته ٥ وقوله تعالى هو انشاكم من الارض
واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب ٥
قيل معناه ان الله خلق اباكم ادم من التراب فلما كانوا ولده
صح ان يقال لهم ان الله انشاكم من الارض يقول معناه خلقكم
في الارض فاقيم من مقام في كما تعاقب حروف الصفات بعضها بعضا
ومعنى استعمركم فيها جعلكم عمارها بان مكنكم فيها واقدركم
على عمارتها ٥ وقيل استعمركم ههنا بمعنى اعمركم وكانه قيل
اعمركم على معنى ان الارض جعلها لكم طول اعماركم فهو من
العمرى ثم دعاهم الى طلب المغفرة والتوبة من الذنوب بقوله
واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب ٥ اي قريب

اى قريب الرحمة والاجابة وهو من قرب الاسراع لا قرب المكان لان
الله تعالى يستحيل عليه الكون فى المكان وتعالى ذلك علوا ٥ وكان
مستقر ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام وكان عاد باليمن
وقوله جل اسمه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا
ان نعبد ما يعبد اباونا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب ٥
معناه ان قوم صالح عليه السلم قالوا له لما دعاهم الى عبادة الله
وحده والى خلع الانداد قالوا له قد كنت فينا مرجوا من قبل هذا
وقالوا له ذلك لانه كان منه لهم قبل الدعاء منزوه ومعروف
بالامانة والخير فلذلك توهموا واعتقدوا انه بعبادة الاوثان
قريبا الى الخير فلما نهاهم عن ذلك قالوا له قد كنت عندنا برا تقيا
امينا افلم تنهانا عن فعل البر والخير الذى كان يفعله اباونا وانا
لفى شك مما تدعونا اليه مريب ٥ وجعل المريب من صفة الشك مجازا
لان المريب هو الذي فلان يرتيبه وانما قالوا له اننا لفى شك وان كانوا
قد اعتقدوا خلافه على التقدير انما اسبابه لا يوجب العلم وانما
يقتضى الشك وكانوا قالوا ذلك لجهلهم بطريقة الاستدلال واعراضهم
عن النظر فيما اتى به صلى الله عليه وقوله جل اسمه قال يا قوم ارايتم ان كنت
على بينة من ربى واتانى منه رحمة ٥ خرج هذا الكلام مخرج الالزام
ونعوذ بالحجة وليس لقوله ارايتم مفعول لانه يلغا كما يلغا اذا دخل عليه
لام الابتداى وقال القايل ارايت لزيد خير منك ٥ ومعنى الاية كانه
قال ان كنت على بينة من ربى واكرمنى بالنبوة فهل اجبتكم الى ما تدعوني
اليه فقد عصيت ربى ٥ والرحمة النعمة والمراد بها النبوة هاهنا الا يكون
لى ناصر يدفع عذاب الله عنى وقوله تعالى فمن ينصرنى من الله ان

عصيته فما تزيدوننى غير تخسير ٥ دخلت ان فى هذا الكلام
الجزاء وجواب الاولى الفا التى فى قوله فمن ٥ وجواب الثانية محذوف
تقديره ان عصيته فمن ينصرنى الا الله استغنى لاول بظهوره ومن
هاهنا معناها النفى ومخرجها الاستفهام كانه قيل فلا ناصر لى من
الله ان عصيته بعد بينة من ربى ونعمة وقيل جاز الغا ان ايت لدخولها
على جملة قائمة بنفسها من جهة انها تفيد ولو افردت من غيرها وهو
يتعلق بمعناها دون تفصيل لفظها ٥ ومعنى قوله فما تزيدوننى غير
تخسير ما تزدادون الا الخسار ان احببتكم بعبادة ابائكم ما عبدوه
من دون الله وقال تزيدوننى كانهم كانوا يعطونه بذلك ٥
وقيل معناه ان اجبتكم الى ما تدعوننى اليه كنت بمنزلة من يزداد
الخسران ويجوز ان يكون معناه فما تزيدوننى على ما انا عندكم الا الخسرانا
قوله جل اسمه ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل فى
ارض الله كانت اية الله فى تلك الناقة انها خرجت من صخرة وهم
يشاهدونها وكانوا طلبوا من نبيهم ذلك فقالوا له ان كنت صادقا
فى دعواك فادع الله ان يخرج ناقة حاملا من الجبل من الصخرة
الملسا فاخرج الله الناقة منها على تلك الصفة وهم ينظرون
اليها وجعل لها الحيث صار ما القوم جميعا فقسمه بينهم وبين تلك الناقة
فلها شرب يوم ولهم شرب يوم وهذا كان من اعظم الايات وهو
اعجبها ٥ وقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب ٥
نهاهم رسول الله صلى الله عليه صالح عن الاضرار بتلك الناقة
وعن منعها عن الكلا والما واخبرهم بانهم ان فعلوا ذلك
نزل بهم عذاب الله عن قريب ٥ وقوله تعالى فعقروها فقال

تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب ٥ التمتع اصله التلذذ
والمراد بقوله داركم دار الدنيا لا دورهم التي كانوا يسكنونها فقال لهم
نزل العذاب بكم بعد ثلاثة ايام ذلك وعد صدق غير مكذوب وعقر تلك الناقة احمر ثمود
وضربت العرب المثل به في الشوم وكانت علامة نزول العذاب ما قال لهم صالح عليه السلم
ان وجوهكم تصبح في اليوم الاول مصفرة وفي اليوم الثاني محمرة وفي اليوم الثالث مسودة
وهذه طريقة مظاهرة الحجة على العباد المعذبين وقوله جل اسمه فلما جاء امرنا نجينا
صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز ٥
معناه فلما نزل العذاب بقوم صالح انجى صالحا عليه السلم ومن امن معه من ذلك
العذاب ومن الخزي الذي نزل باولئك الكفار ومن نعت الله قوي عزيز
وقد مر في غير موضع معنى العزيز والقوي وقوله جل اسمه واخذ الذين ظلموا
الصيحة فاصبحوا في دارهم جاثمين الصيحة والصياح واحد ولهذا جا
بلفظ مذكر ٥ وربما يونث لفظ الفعل على معنى الاسم وربما يذكر على ظاهر
لفظ الاسم وروي في الرواية ان جبريل عليه السلم صاح بهم صيحة فصاروا
جاثمين على ركبهم هامدين ٥ وقيل يجوز ان يكون الله احدث الصيحة
في حلق حيوان وعند بعض العلماء من المتكلمين لا يكون الصيحة الا حدوث
صوت في حلق حيوان وهم واصل الجثوم السقوط على الوجه وقيل القعود
على الركب ٥ وروي ان الصيحة اسمعهم ليلا فاصبحوا خامدين في ديارهم على هذه
الصفة والعرب يقول في تعظيم الامر واسوء صباحاه
كان لم يغنوا فيها يقال غني بالمكان يعني اذا اقام به ومعناه صاروا
خامدين في تلك البلدان بعد ان كانوا احياء اصحاء سالمين حتى كانهم لم
يكونوا في تلك الديار وعلى هذا المعنى قول قايلهم كانهم لم يحاوروا
ولم يقيموا بهم والوصال مونق ٥ وقول الاخر كان لم يكن بين الحجون الى
الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر ٥

وقوله جل اسمه الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود ٥ معناه ان
قوم صالح عليه السلم كفروا بالله ورسوله فاهلكهم الله بالعذاب
الذي مر بيانه ٥ وقد مر بيان معنى قوله بعدا في الاية التي قبلها فلا وجه
لاعادته وقوله جل اسمه ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى ٥ معناه
ان الملائكة عليهم السلم نزلت ببشارة ابرهيم عليه السلم وكانت تلك البشارة ان
الله يهب له اسحق ولدا ويجعله رسولا وقيل كانت تلك البشارة بشارة
هلاك قوم لوط عليه السلم وقوله جل اسمه قالوا سلاما قال سلام ٥ معناه
ان الملائكة لما دخلوا عليه قالوا سلاما فرد عليهم ابرهيم بقوله سلام ٥
والنصب الاول على معنى قوله سلمت سلاما على معنى الدعاء له والثاني على
معنى عليكم سلام وقال بعض النحويين ارتفع سلام لانه خبر تكرم
تعالى ابرهيم هو لا ان شا الله من السلم وقوله تعالى فما لبث ان جا
بعجل حنيذ ٥ الحنيذ المشوي ٥ وقيل حسن نضيج ٥ ومعناه ان الملائكة عليهم السلم
لما دخلوا على ابرهيم لم يلبث طويلا حتى قدم اليهم عجلا مشويا وكان وجه
تقديم الطعام اليهم انه توهمهم لما اتوه في غير صورهم انهم اضياف ولو علم انهم
ملائكة لعلم انهم لا يطعمون ٥ وقيل اتوه في صورة الادميين واستضافوه
وقوله تعالى فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة
معناه فلما راهم ابرهيم عليه السلم لا يتناولون الطعام استنكرهم واضمر
خوفا والايجاس الاحساس وقيل الاختشاش ٥ وقيل الاضمار ٥ وكان
وجه الخوف منهم لما لم تصل ايديهم الى الطعام وانه راهم شبابا اقويا وكان
ابرهيم عليه السلم منزله طرفا من الاطراف لم يامن لما لم يصيبوا من طعامه ان
ذلك لشر وبلاء ٥ وقيل انه علمت الملائكة عليهم السلم دعوا الله ان يحيي
العجل فطفر العجل حيا الى مرعاه ٥ وقيل كان وجه امتناعهم على سبيل

الاضياف اتوا ابرهيم عليه السلام على صفة لحبها لانه كان عليه السلام يحب
قرى الاضياف وقيل انهم اتوه معجزا من مقدورات الله في صومهم
مع البشارة له بالولد على الكبر وقوله تعالى قالوا لا تخف انا
ارسلنا الى قوم لوط ٥ معناه انهم قالوا لابرهيم صلى الله عليه لما
رأوا فيه امارة الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وقوله جل اسمه
وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ٥
معناه ان امرأة ابرهيم عليه السلام كانت قائمة بحيث ترى الملائكة
فضحكت سرورا بالسلامة وما زاد في ذلك السرور ما كان
من البشارة ٥ وقيل كانت قائمة من وراء الستر تسمع كلام
الملائكة عليهم السلام ٥ وقيل كانت قائمة لخدمة الاضياف وابرهيم
عليه السلام جالس ٥ وفي ضحكت عدة اقوال ٥ روي عن مجاهد انه قال
ضحكت يعني حاضت وانكر ذلك علماء اللغة وكلهم حمله على الضحك
المعروف وخرجوا له وجوها منها انها ضحكت تعجبا من حال قوم
لوط اذ اتاهم العذاب وهم في غفلة ومنها ضحكت تعجبا ان يكون
لها ولد وقد هرما ومنها ضحكت تعجبا من حال الاضياف في امتناعهم
من اكل الطعام وقوله جل اسمه وبشرناها باسحق ٥ بشرت بان
سيمس لها يعقوب قبل ان اسحق وارتفع يعقوب على الاستئناف
وهو بمعنى البشارة وقوله جل اسمه قالت يا ويلتا أألد وانا عجوز
وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب ٥ معنى يا ويلتا ايذان بورود
الامر الفظيع الهائل كما تقول العرب يا لك وآها والالف في قوله يا ويلتا
الف ندبة وجاز ان تكون للاضافة ٥ ومعنى الاية ان المرأة قالت
تعجبا ايكون لي ولد وانا عجوز وبعلي شيخ ولهذا قالت ان هذا لشيء عجيب

ولم يكن ذلك انكارا لمقدورات الله وانما كان تعجبا من وقع البشر
للبشارة به وقد يقع الضحك في مثل ذلك اذا ورد على النفس شيء
من هذا الجنس من غير فكر فيه وكان وقوعه فيما يرى في ابان سنها عجيبا
فضحكت لذلك تعجبا لا انكارا له كما ان موسى عليه السلام ولى مدبرا
لما القى العصا ورآها حية تسعى حتى قيل له اقبل ولا تخف انك من
الآمنين ولم يكن ذلك من موسى لشك في مقدورات الله تعالى وورد
في الخبر انه كان لابرهيم صلى الله عليه في ذلك اليوم مائة سنة ولسارة تسع
وتسعون سنة وروي كان له مائة وعشرون سنة ولها تسعون سنة فلما
رأت المرأة ذلك الامر العجيب وهي هرمة وزوجها هرم ولم تكن
العادة جارية بولادة مثلها فضحكت تعجبا وفرحا به ٥ وقيل تعجبت
من ان يكون ذلك حالها وحال زوجها على ما هما عليه من الكبر
او يكون الولد اذا ارجعهما الله الى حال الشباب وقوله تعالى
قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه
حميد مجيد ٥ الالف في قوله اتعجبين من امر الله الف تنبيه وتوقيف
وان كانت في صيغة الاستفهام وليست الف انكار لما تبين حالها
ومعنى رحمة الله دعاء لهم بالرحمة والبركة ٥ وقيل هو تذكير بنعم الله وبركاته
عليهم والحميد المستحمد الى عباده بكثرة نعمه واحسانه والمجيد الكريم
وقوله جل اسمه فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ٥
الروع الفزع ٥ ومعناه لما علم ابرهيم عليه السلام بسبب مجيء الملائكة عليهم السلام
انهم على الصفة وزال خوفه الذي اوحشه اخذ في المجادلة له وجواب لما محذوف
التقدير فلما ذهب عنه الروع جعل يجادلنا في قوم لوط فحذف الجواب لدلالة
الكلام عليه ٥ ومعناه يجادل رسلنا ٥ وقيل معناه يسائلنا في قوم لوط

وقيل كانت مجادلته للملائكة عليهم السلام ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها ٥ وقيل كان جادلهم ليعلم باي شي استحقوا عذاب الاستيصال وقيل جادلهم ليعلم ان العذاب واقع لا محالة ام هو على سبيل الاخافة لينيبوا الى الطاعة وقوله جل اسمه ان ابراهيم لحليم اواه منيب ٥ الحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة ٥ والاواه الرجاع التاوه خوفا من العذاب وقيل الاواه الدعاء هو الكثير الدعاء ٥ وقيل الاواه المتاوه ٥ والانابة الرجوع الى الطاعة عند الصادق وروي ان ابراهيم عليه السلام كان اذا احمال المراة اه وقوله جل اسمه يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود ٥ معناه اعرض عن هذا الجدال في قوم لوط لان العذاب نازل بهم لا محالة وقد جاء امر الله تعالى للملائكة عليهم السلام بعذاب قوم لوط ٥ وقيل جاء اهلاكهم ما لا مرد له لان عذاب الله نازل بهم لا مرد له وقوله جل اسمه ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب ٥ معناه ولما جاءت الملائكة وهم رسل الله الى قوم لوط عليه السلام سيء بهم ومعناه ساءه مجيئهم والضمير الذي في قوله بهم راجع الى الرسل ويجوز تخفيف الهمزة من سيء بالقاء الحركة على ما قبل الحركة هم ولما راى لوط جمال صورة الرسل وقد التمسوا منه الضيافة وقومه كانوا يسارعون الى امثالهم الفاحشة وضاق بهم ذرعا لهذه العلة وقيل ضاق بهم ذرعه وقيل ضاق بهم ذرعا اي ضاق حفظهم من قومه ذرعا لما لم يجد سبيلا الى حفظهم عن مجاز قومه وقوله تعالى وقال هذا يوم عصيب اي شديد عسير وقوله تعالى وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات ٥ الاهراع الاسراع في المشي وانما اهرعوا لطلب الفاحشة حين اعلمتهم عجوز السوء حالهم وقالت لهم ان ابيات حسن وجوهها ولا

اطيب الجمه ولا الطف منها ابشره ٥ وقد كان هؤلاء القوم قبل مجي الرسل يعملون السيئات ويغشون اسابهم الذكور وقيل انما كان من قبل لانهم كانوا قد الفوا الفاحشة وجاهروا بها ولم يستحيوا عنها وقوله تعالى قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم ٥ عرض لوط عليه السلام بناته عليهم طريقا في تركهم الفاحشة وازجارهم عنها قيل هذه البنات كن بنات صلبه وقيل كانت بنات امته لانهن كانت صلبه في الحكم وقوله تعالى فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد ٥ معناه ان لوطا عليه السلام قال لهم اتقوا عذاب الله بترك هذه الفاحشة ولا تعملوا شيئا تخجلوني بهجر ما سياعن ضيفي ٥ ثم قال على وجه التوبيخ والاستبطاء الرشد اليس منكم رجل رشيد وهؤلاء ان كانوا مشركين فلا يسع في شريعة لوط تزويج المسلمة من المشرك ٥ وروي انه قد كان ذلك جائز في صدر الاسلام ويحتمل ان يكون هذا القول منه مقرونا بشرط الاسلام وكانه قال لهم بناتي ازكى لكم واطهر ان تزوجوهن بشرط الاسلام وهو ان تسلموا وادوا حكم البنات ٥ ولم يجز الخليل وسيبويه هن اطهر لكم بالنصب وقوله جل اسمه قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد ٥ معناه لست بناتك لنا ازواجا لنا فيكون لنا فيهن حق ولسنا نعلمهن بذلك ٥ وقيل معناه ليس لنا فيهن حاجة فجعلوا ما لا حاجة فيه لهم بمنزلة ما لا حق فيه وقوله جل اسمه قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد ٥ جواب ان محذوف كانه قيل لو ان لي بكم قوة لحلت بينكم وبين ما هممتم به من الفساد

او ارجع الى قوم لهم باس وشده وقوه وعزه يعنونني ويستنهم
ازري وقوله جل اسمه قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك
فاسر باهلك بقطع من الليل معناه ان لوطا عليه السلم لما وقف
على ما جاوا له قالوا له ادخلهم فاذن لهم في الدخول عليه فلما دخلوا
طمس جبرئيل عليه السلم على اعينهم وعميت على ابصارهم فجعلت وقالت
الملئكة عليهم السلم للوط اسر باهلك اي اذهب بهم ليلا فان
العذاب نازل بقومك وقت الصبح والقطع هي القطعة العظيمة
تمضي من الليل وقيل هي نصف الليل كانه قطع بنصفين وقيل هو طائفة
من الليل وقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه مصيبها
ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب اي اذا خرجت
باهلك وهم الذين امنوا فقل لهم لا يلتفتوا ولا ينظر احد منهم وراه
وقيل لا يلتفت الى ماله ومتاعه الذي خلفه بالمدينة بعد هم الله
بالخزي على هذا الحال في الخروج عن تلك المدينة واستثنى امراته لانها
كافرة واخبر بانه يصيبها من العذاب لكفرها ما يصيب اولئك
القوم واخبر ان موعد العذاب وقت الصبح ثم قرب ذلك بقوله اليس
الصبح بقريب بهولا الا انه ويكون الرفع في ولا يلتفت على البدل
احد ويجوز النصب على الاستثناء من فاسر باهلك وقوله جل اسمه
فلما جا امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل
منضود ومعناه فلما جا امرنا الملئكة عليهم السلم بعذاب القوم وقيل
لما جا امرنا للعذاب فكانه ليكن هذا على سبيل التعظيم لذلك وطريق
المجاز وقد اشبعنا القول في قوله كن في السبع الاول وهو كما قال القائل
فقالت له العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب

والعين لا قول لهما وانما حالها مقام القول ويجوز ان يكون الامر بمعنى
الهلاك ومعناه حتى جا الهلاك وهذا كما يقال الامر او الشي مما يعني
جعلنا عاليها سافلها اعطينا جبرئيل من القوة ما تمكن معها
من قلب المدينة ظهرا لبطن حتى صار السفل علوا والعلو سفلا
وامطرنا عليهم الحجارة بعد ان صار عاليها سافلها والسجيل حجرة
من حجارة الثلج والبرد وقيل هو فارسي معرب سنك وكل
السيل هو شديد الحجارة قال ابن مقبل ضربا تواصى به الابطال سجينا
الا ان النون قلبت وقيل اصله من سجلته اي ارسلته والسجل
الدلو قال الفضل بن العباس من يساجلني يساجل ماجدا يملا
الدلو الى عقد الكرب وقيل هو من اسجلته اي اعطيته ويقال
من مثل في العطية الاكرات وقيل هو من السجل وهو الكتاب ويقال
من مصوب الحجارة وفي القران كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وهي
حجارة كتب الله ان يعذبهم بها وقيل من سجين اي من جهنم الا بدلت
النون لاما وقيل من سجيلا اي من السما الدنيا وهي تسمى سجيلا ومعنى
منضود نضد بعضه على بعض حتى صار حجرا وقيل منضود في الهائح
مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد المسومة المعلمة ومعناه
جعلت لتلك الاحجار علامات لتدل على انها معدة للعذاب وذكر اهل
التفسير فاهلكهم الله بتلك الاحجار وكانوا اربعة الاف ومعنى
عند ربك في خزائنه التي لا يتصرف فيها احد في شي منها الا باذنه فاذا امر
الملك ان يمطرها على قوم فعل ذلك باذنه وقوله وما هي من الظالمين ببعيد
معناه وما هي من ظالمي قومك ببعيد يا محمد وقوله تعالى والى مدين
اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره معناه وارسلنا

الى مدين شعيبا عليه السلام قيل انهم كانوا من ولد مدين بن ابرهيم عليه
السلام وقيل مدين اسم للقبيلة وقيل اسم للمدينة ومعناه ارسلنا
شعيبا اليهم فدعاهم الى عبادة الله وحده وترك عبادة الانداد
والاصنام وقوله جل اسمه ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم
بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط نهاهم عن تطفيف
المكيال وبخس الميزان قيل ان الخير الذي راهم به رخص السعر
وقيل المال وزينة الدنيا وخوفهم نزول العذاب بهم ان قاموا
على كفرهم ولم يومنوا ولم يتركوا عبادة الاوثان ووصف اليوم
بالاحاطة وان كان من نعت العذاب على الحقيقة لان اليوم محيط
بعذابه فذكر احاطته بعينه وذلك اهول في النفس واظهر في الوصف
وقوله تعالى ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط القسط العدل
يقال اوفى حقه ووفى بمعنى اذا اعطاه تماما ومعناه انه امرهم بتوفية الكيل
تاما والوزن تاما من غير نقص ولا تبخسوا الناس اشياءهم معناه
ولا تنقصوهم حقوقهم فيما تزنون لهم وتكيلون لهم وقوله جل اسمه
ولا تعثوا في الارض مفسدين معناه لا تضطربوا بالقبيح مفسدين
في الارض وقوله تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مومنين تقديره بقية
الله من نعمه خير لكم وقيل بقية طاعة الله لان ثوابها يبقى ابدا
وكانه قيل هذه البقية خير من تعجلكم ان تنفعوا بالبخس والمعصية والنجس
في الكيل والميزان وشرط ذلك بالايمان على معنى ان من كان مومنا
عرف صحته وقوله تعالى وما انا عليكم بحفيظ معناه ولست في مقدوري
ان احفظ عليكم ذلك وجه اتصال ذلك بما قبله انه دعاهم الى حفظ
النعمة بشفقته عليهم بترك المعصية من غير انكار عليه في حفظها

لانه لا يحفظ النعمة عليهم الا الله تعالى ثم انه امرهم بان يطيعوا الله
شكرا لذلك لنعمه وقوله تعالى قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك
ان نترك ما يعبد اباؤنا معناه لما شاهدوا منه فعل الصلوات
والخيرات نسبوا ما امرهم به ونهاهم عنه اليها استكبارا ان
امره اياهم بترك عبادة الاصنام التي كان يعبدها اباؤهم فكانهم
قالوا على طريقة الاستكبار والتعجب ان الذي تفعله هو
من باب الخير وان تصلي وتفعل الخيرات فصلواتك تامرك
بان تنهانا عن فعل الخيرات وليس هذا من طريقة من يفعل الخير
وقيل معناه ادينك يامرك فعبر عن الدين بلفظ الصلوة
وقوله تعالى وان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد
ليس ان الثانية وهي قوله وان نفعل معطوفة على الكلمة ان
الاولى وهي قوله ان نترك بتقدير ان نترك فعل ما نشاء من
اموالنا وانما ارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد الاستهزاء
على تقدير من كان حليما رشيدا فليس يجب ان ينهانا عن الخير
وهو الجهل لهم ظنوا ان ما كانوا يفعلونه من عبادة الاوثان هو طاعة
وخيرة وقيل معناه انك لانت الحليم الرشيد عند قومك والذي
يعلم [illegible] نهيتنا عما تمسكنا به عاملون فاحسناه قيل
جواب ان محذوف وتقديره ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه
رزقا حسنا فلعدل عما انا عليه من عبادة ربي المنعم علي مع هذه
الحال الموجبة لها ووصف الرزق بالحسن لجلالة موقعه عنده وقيل
لموسان عما هو عليه ان كان كل رزق حسن وقيل الرزق ها هنا
النبوة وقيل وجوه البينة التي كان عليها النعم والمعجزة والدلالة

على مدبر العالم قد يرعني لا يشبهه شيء وقوله تعالى وما أريد أن أخالفكم
إلى ما أنهاكم عنه معناه لا أنهاكم عن قبيح وأفعله فأكون كمن ليس
مستبصراً فيه هذا كما قال القائل لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك
إذا فعلت عظيم وقيل لست أنهاكم عن شيء لأجرها إلى نفسي
وقوله تعالى إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت معناه لا أريد إلا
الإصلاح على قدر وسعي وأبذل فيه مجهودي وقوله جل اسمه وما
توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب التوفيق من باب اللطف
وهو فعل ما يتفق عنده استحقاق الثواب بلا فصل وكأنه لا يحصل
حتى ما يستحق به عليه الثواب إلا بلطف من الله وليس يحصل اللطف
للعباد على ما في مقدور الله إنما يحصل على ما في معلوم الله ولهذا
يختص فيكون لواحد دون آخر بما فيه العليم توكلت وإليه أرجع يعني
وثقت وقيل أرجع إلى موضع حكمه بين العباد وقوله جل اسمه ويا قوم
لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود
أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد معناه أنه قال لقومه لا
يحملنكم معاداتي وبغضكم لي على أن تفعلوا ما تستحقون عليه مثل ما
استحقه قوم نوح وصالح عليهما السلام فيصيبكم من العذاب مثل ما أصابهم
وقال وعهدكم بقوم لوط وما نزل بهم قريب وقوله جل اسمه واستغفروا
ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود فدعاهم إلى طلب المغفرة من
الله تعالى والتوبة ليرحمهم الله ويحبهم والودود المحب وقيل هو
المتحبب إلى خلقه بالنعم وقوله جل اسمه قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا
مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا معناه أنهم قالوا لشعيب عليه السلام
نحن لا نعلم كثيرا مما تقول وكأنهم حملوا كلامه على الهذيان ولم يسمعوا إليه

ظاهره وقالوا إنا لنراك فينا ضعيفا وقيل ضعيف البدن وقيل
ضعيف البصر وقوله جل اسمه ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا
بعزيز معناه ولولا رهطك لرجمناك مكان قومك وقبيلتك لرجمناك
بالحجارة وقيل سببناك ولست بعزيز علينا وقوله تعالى قال يا قوم أرهطي
أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا الأعز الأقدر والأمنع
كأنه قال لهم على وجه التوبيخ تراعون حق رهطي ولا تعبدون الله
حق قدره ولا تعرفونه حق معرفته وقوله جل اسمه واتخذتموه وراءكم ظهريا
الظهري جعل الشيء وراء الظهر والهاء التي في قوله اتخذتموه راجعة إلى اسم
الله تعالى وقيل راجعة إلى أمر الله معناه نبذتم أمر الله وما جاء به شعيب
رسول الله وراء ظهوركم وقوله تعالى إن ربي بما تعملون محيط
أي عالم وقوله تعالى ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون
معناه تهديد ووعيد وكأنه قيل لهم قد مكنتكم في الدنيا كما مكنني من
طاعة الله والمكانة الحال التي يتمكن بها صاحبها من عمله وقوله تعالى
من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب وهذا
أيضا تهديد وكأنه قيل لهم فسترون الخزي والهوان في الدنيا
والآخرة وتعلمون غداً من الذي يأتيه عذاب يفضحه ومن الذي كذب
على الله وعلى رسوله ثم شدد التهديد وأكد بقوله وارتقبوا معناه
وانتظروا إنا منتظرون أي انتظروا العذاب الواقع وقوله تعالى
ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ولما جاء أمرنا
بالعذاب نجينا شعيبا ومن آمن من ذلك العذاب وقوله تعالى وأخذت
الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين قد مر بيان ذلك
في هذه السورة وقوله جل اسمه ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان

بسلطان مبين اى السلطان المبين الدلائل المخلصة من التلبيس و التمويه ه معناه
ارسلنا موسى الى فرعون بالمعجزات و الدلائل الواضحة و قوله جل اسمه
الى فرعون و ملائه فاتبعوا امر فرعون و ما امر فرعون برشيد ه اى اتبعوا امر
فرعون و لم يتبعوا امر موسى صلى الله عليه و لم يكن امر فرعون برشيد
لانه لم يدع الى الحق و لم يعد الا البد و قوله تعلى يقدم قومه يوم القيامة
فاوردهم النار و بئس الورد المورود ه و معناه ان فرعون يقدم قومه
يوم القيمة فيوردهم الى النار اى الى جهنم ه قال بعض العلما و بئس
الورد المورود ه مجاز و معناه لبئس وارد النار و قال غيره هو حقيقة
و قوله تعلى و اتبعوا فى هذه لعنة و يوم القيمة بئس الرفد المرفود ه اتبعوا
اللعن هو ان الله لعنهم فى الدنيا و لعنهم الملائكة و المؤمنون و الرفد
العون على الخير و الرفد العطية ايضا ه معناه و لعنهم يوم القيمة فكان
اللعنة حصلت لهم يوم القيمة بدلا من العطية و قوله تعلى ذلك من انبا
القرى نقصه عليك منها قائم و حصيد ه الا اشارة بقوله ذلك الى
الانباء كانه قال ذلك النبأ من انباء القرى و قد تقدم ذكره و معنى
قوله قائم و حصيد الحصيد قطع الزرع و الحصيد هو الزرع المحصود
يقال حصدته احصده اذا قطعته ه و معناه من هذه القرى ما هو معمور و خراب
لان الهلاك قد اتى عليها فلم يعمر بعد و منها قائم على بنائه و ان كان قد
خلى من اهلها و قوله تعلى و ما ظلمناهم و لكن ظلموا انفسهم ه معناه و ما
ظلمناهم حين اهلكناهم و لكن هم الذين ظلموا انفسهم بفعلهم ما استحقوا
به عذاب الاستيصال و قوله جل اسمه فما اغنت عنهم الهتهم التى يدعون
من دون الله من شى لما جاء امر ربك و ما زادوهم غير تتبيب ه معناه ان الهتهم
سناه و معنى من دون الله من منزلة ادنى من منزلة عباد الله و ما زادوهم الاصنام

الا تخسيرا اى هلاكا لانهم استحقوا العذاب لعبادتهم الاصنام
و التباب الهلاك و قوله جل اسمه و كذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى
و هى ظالمة ان اخذه اليم شديد ه معناه و اخذ الله الظالمين
الذين كانوا قبلها و لا و قد ساويتم فى الظلم كان كاخذه و لا
الماضين فى اخذ الله الظالمين و الكافرين بالعذاب اخذا شديدا اليما
و قوله تعلى ان فى ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع
له الناس و ذلك يوم مشهود ه معناه و يوم القيامة مجمع الخلائق
يشهد جميعهم فلا يوم بهذه الصفة سواه و قوله تعلى و ما نؤخره
الا لاجل معدود ه معناه و ما نؤخر الله اقامة القيامة الا لاجل
قد ضربه و وقته فيه و لم يجز فى الحكمة اقامته قبل ذلك لما فى المعلوم
من المصلحة فيه و قوله تعلى يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى
و سعيد ه الضمير الذى فى قوله يأتى حذف الياء لانه قد تقدم الدليل
عليه فى قوله و ذلك يوم مشهود و جاز اضافة اليوم الى الفعل لان اسم
الزمان و بين الفعل و الزمان مناسبة لانه لا يخلو منه و لا يكون حادث
الا فيه و ورد فى الاثار ان فى القيمة وقتا يمنع الخلق عن الكلام
فيه الا بالحق و ذلك معنى قوله لا تكلم نفس الا باذنه و قيل معناه و لا
يتكلمون بكلام ينفع من شفاعة و وسيلة الا باذن الله و معنى
الاذن هاهنا الجاه اى الحسن لانه لا ينفع منهم القبيح و قد رفع التكليف
الا ان حال المكلفين الخلق من وجهين فى القيمة اما مؤمن
مخلص او تائب مستحق للثواب فهو سعيد ه و اما كافر فاسق
مستحق للعقاب فهو شقى و قوله تعلى فاما الذين شقوا ففى النار
لهم فيها زفير و شهيق ه الزفير خروج النفس بصوت من شدة الحزن

حتى يسمع لذلك صلوعه ومنه قول الجعدي ٥ حيط على زفرة فتم
ولم يرجع الى فئة لاهضمه ٥ واصل الزفير الشدة والشهيق صوت
منقطع يخرج من الجوف عند النفس ولا يعظم واصله من الطول ومنه جبل
شاهق وقيل الزفير اول نهيق الحمار والشهيق آخر نهيقه واهل النار
لهم زفير وشهيق من شدة ما هم فيه من الآلام نعوذ بالله منها قوله تعالى
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال
لما يريد ٥ معناه انهم يكونون في النار دائمين فيها ما دامت الارض ارضا
والسماء سماء ٥ وسوى ذلك ما قد علم طول مداه ثم استثنى اشارة بحسن
الزيادة والمضاعفة لا الى نهاية فهو استثناء ابدا من ناقص ومثاله قول
القائل لك عندي الف الا الفين فهذا يكون اقرارا بالف الالف درهم فكانه
قال الا الفين مقدما بمعنى الا هاهنا معنى الواو واذا قال مالك عندي
الف الا الفين فقد اقر بالفين لانه قال مالك عندي شيء سوى الفين ولو قال مالك
عندي الف الا الفان بالرفع فقد اقر بالف فقط ٥ وقيل معنى خالدين فيها
ما دامت السموات اي سموات اهل الآخرة وارضهم الا ما شاء ربك مما قد
كان قبل ان يدخلوها من اوقات وقوفهم في صدر يومهم في الموقف وقد
قال الله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وهذا الاستثناء
منقطع من موجب واكثر ما يكون المنقطع من المنفي وهو بمنزلة قوله
فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ٥ وجه رجوع هذا الاستثناء الى الفعل
لانه بمنزلة ما فعل فيما ليس غير هذه المدة الا ما شاء ربك من الزيادة ثم
بين تعالى انه اذا اراد شيئا فعله لانه لا يجوز عليه البدا والرجوع عما اراده
ولا المنع منه بقوله ان ربك فعال لما يريد ٥ وقوله جل اسمه واما الذين سعدوا ففي الجنة
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ٥

معناه والذين سعدوا يكونون دائمين في الجنة ٥ ومعنى ما هاهنا
المصدر كانه قيل خالدين فيها دوام السموات والارض وكذلك
ما في قوله الا ما شاء ربك كانه قيل الا مشيئة ربك وحسن التقابل مع
الاستثناء المنقطع ولو دل قوله تعالى الا ما شاء ربك في اهل النار انهم
يخرجون منها وقتا لدل قوله في اهل الجنة على انهم يخرجون منها وقتا
والا بطل هذا بطل ذلك ٥ ومعنى مجذوذ مقطوع ٥ وانتصب عطاء على المصدر
كانه قيل اعطاهم النعم عطاء غير مجذوذ ٥ قوله جل اسمه فلا تك في مرية مما
يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم
غير منقوص ٥ معناه فلا تكن في شك مما يعبد هؤلاء انهم على طريق التقليد
لآبائهم في عبادتهم الاصنام وذلك ان التقليد يتبع اعتقاده شبهة
والكسر يتبع على التقليد ثم قال وانا لموفوهم نصيبهم من العقاب من
غير نقص على جهة العفو عنه لعبد يوفقه ما يوفون به من الخير في الدنيا
وقيل لموفوهم نصيبهم من خير او شر وهذه الرواية عن ابن عباس
ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب ٥ معناه ولقد اوحينا الى موسى بما
في كتابه فاختلف قومه فيه ولولا ما سبق علم الله بانه يؤخر الجزاء
الى يوم القيمة لما في ذلك من المصلحة لعجل الثواب والعقاب لاهله ٥ واتصلت
هذه الآية بما قبلها اتصال التشبيه بالحال التي يقيم على التقدير كذب
بالكتاب الذي اتاك كما كذب بكتاب موسى قبلك ٥ قوله جل اسمه
وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير ٥ اللام التي
في قوله لما يحتمل ان يكون لام قسم دخلت على ما التي هي للتوكيد ويحتمل
ان يكون لام الابتداء دخلت على ما التي بمعنى الذي كقوله تعالى ٥

فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقوله وان منكم لمن ليبطئن ولفظ كل
هاهنا معرفة لانه انما حذف منها ما قد عرف كانه قيل وان كل المكلفين
ليوفينهم ربك اعمالهم او كل المختلفين على ما تقدم ذكرهم وان الله عالم
بجميع ما عملوه ولا يخفى عليه خافية ⁂ قرأ نافع وغيره وان كلا بتخفيف
النون فيه اربع قراءات على تخفيف الاول والثاني وبتشديد الاول
والثاني وتشديد الاول وتخفيف الثاني ابو عمرو وتخفيف الاول وتشديد الثاني
عاصم ⁂ وفي لما بالتشديد خمسة اوجه ⁂ الاول انها بمعنى لمن ما فاجتمعت
ثلاث ميمات فحذفت واحدة وادغمت الاولى في الثانية كما قال الشاعر
واني لما اصدر الامر وجهه اذا هو اعيا بالسبيل مصادره ⁂ ثم خففت كما قرأ
بعض القراء والثاني ان لما بمنزلة الا كقول العرب سالتك لما فعلت بمعنى
الا فعلت ⁂ ومثله ان كل نفس لما عليها حافظ لانها دخلت بمعنى ما كلهم الا
ليوفينهم ⁂ والثالث انها شددت للتاكيد وهذا عن المازني ⁂ والرابع
انها من لممت الشيء اذا جمعته الا انها بنيت على فعلى فلم تصرف نحو تترى
كانه قيل وان كلا جميعا ليوفينهم ⁂ والخامس قراءة الزهري لما بالتنوين بمعنى
شديد كقوله تعالى وتاكلون التراث اكلا لما ⁂ وقوله تعالى فاستقم كما امرت
ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ⁂ معناه كن مستمرا على
طاعة الله مداوما عليها وليداوم عليها من تاب معك من الكفر والمعاصي
وخص التائب بالذكر تغليبا للاكثر لان الاول قد دخل فيه على وجه التبع
ومعنى فلا تطغوا في الضلالة وقيل لا تطغوا في الاستقامة بمجاوزة
حدها بالزيادة على ما امرتم فرضا او نفلا ⁂ وقيل لا تطغيكم النعمة
فتخرجوا عن الاستقامة ودلت الاية على ان الحق واحد دون المختلف
فيه ⁂ وقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون

الله من اولياء ثم لا تنصرون ⁂ الركون السكون الى الشيء بالمحبة له
نهى الله تعالى عن الركون الى الظلمة لما فيه ذكر حال التائبين فبين انكم
اذا فعلتم ذلك لم تجدوا ناصرا يدفع عذاب الله عنكم ⁂ وقوله تعالى
واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل امر الله تعالى باقامة
الصلوة طرفي النهار وساعات الليل وهي صلوة المغرب وصلوة
الفجر لانهما يقعان في طرفي النهار وترك ذكر الظهر والعصر
لشهرتهما ولانهما يدخلان في ذلك على وجه التبع للطرف الاخير
لانهما بعد الزوال ويدخل فيه العشاء الاخرة على هذا الوجه لانها
من صلوة ساعات الليل والزلفة المنزلة وجمعها زلف ⁂ ومعناه
اقم الصلوة ساعات من الليل ومنه قول العجاج ⁂ ناج طواه الاين مما وجفا
طي الليالي زلفا فزلفا ⁂ سماوة الهلال حتى احقوقفا ⁂ ومعنى هذه الاية
موافق لمعنى قوله جل وعلا اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل
وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا ⁂ وقوله تعالى ان الحسنات
يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ⁂ قيل معناه تكفير
الصغائر باجتناب الكبائر ⁂ وقيل هو تكفير السيئات بالتوبة
ثم بين انه تذكرة لمن تذكر وعظة لمن اتعظ ⁂ وقوله تعالى
واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ⁂ معناه واصبر على طاعة
الله واصبر عن معصية الله فان الله لا يضيع اجر من احسن
عمله ⁂ وقوله جل اسمه فلولا كان من القرون من قبلكم ينهون
عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم ⁂ معنى لولا هنا
هلا كان والا كان ⁂ واولوا بقية اصحاب جماعة بقية من سلفهم
[illegible] وقيل بقية خيرا من الخير الماضي والباقية ممدوحة كما قال

اولوا بقية

في فلان بقية اى فضل وفي الآية توبيخ وتعجب عن هو كالذين
سلكوا سبيل من كان قبلهم في الفساد وهذا الاستثناء منقطع
لان الجانب لم يتقدم فيه صيغة النهي عن المنكر لانه محرم من ترك
ذلك وقوله جل اسمه واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا
مجرمين معنى اترفوا فيه عودوا الترفه بالنعيم واللذة فهم الذين
ابطرتهم النعمة حتى طغوا وتجبروا وقوله جل اسمه وما كان ربك
ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون معنى انه ان الله تعالى لا يهلك
مع عموم الصلاح وانما يهلك مع عموم الفساد المقتضي لعذاب الاستيصال
ومعنى بظلم هاهنا انه لا يهلك بظلم صغير يكون منهم لانه يكفر
باصلاحهم وقيل لا يهلك بظلم كثير من قليل منهم لا يعتد به في
اصلاح الكثرة وقيل بظلم من الله لان الله لا يظلم الناس شيئا
ولكن انفسهم يظلمون وقوله جل اسمه ولو شاء ربك لجعل الناس امة
واحدة معناه ولو شاء الله ان يلجئهم الى الايمان حتى يكونوا
كلهم مومنين لكان قادرا على ذلك فلم يكن عاجزا الا انه لو
فعل ذلك لبطل الامر والنهي وبعثة الرسل وايجاب الثواب
والعقاب والوعد والوعيد وما ذكر الله تعالى في سياق هذا
الباب لا يعتد بان احسان الشر من الخلق وبعد توبيخهم على ترك
الايمان لا يسع الا الجاء الايمان لخلق فيهم العلم الضروري بانهم ان راموا
مخالفة الله منعوا عنها وقوله جل اسمه ولا يزالون مختلفين الا
من رحم ربك ولذلك خلقهم معناه ولا يزالون مختلفين في الاديان
يهودا ونصارا ومجوسا فهذا اخبار عما عليه الخلق من الاديان
ويذهبون اليه وقيل معنى ولا يزالون مختلفين في الارزاق والاحوال

من تسخير بعضهم لبعض والوجه الاول قريب وقيل قد يدخل
في ذلك اهل الملل المخالفة للاسلام مثل اليهودي يعتقد ان النصرانية
على باطل والنصراني يعتقد ان اليهودية باطل وقوله تعالى الا من
رحم ربك ولذلك خلقهم هذا الاستثناء من المخالفين للباطل
وتقديره الا من رحم ربك بالالطاف من الايمان المودي الى الثواب
ولا يفعل هذا اللطف الا لمن علم انه يفعل الايمان متى علم اللطف
ومعنى ولذلك خلقهم للرحمة خلقهم وان كان لفظ الاشارة
مذكورا وقد يجوز مثل هذا كما قال الله تعالى فلما راى الشمس
بازغة قال هذا ربي وقيل معناه على الاختلاف خلقهم بتقدير
الله في معلومه انهم يكونون كذلك لا ان الله تعالى خلق فيهم افعالهم
كافعال الجهال والوجه الاول اصح وقيل هذه اللام لام العاقبة وقد مر
بيان ذلك في غير موضع من هذا الكتاب وقيل قد تقام اللام مقام على كقولهم
اكرمتك على برك واثرك على برك لي ولا يجوز ان يكون خلقهم للاختلاف
وازاد ذلك منهم انهم لو كانوا كذلك وكانوا مطيعين لم يفعلوا الاختلاف
لان الطاعة هي فعل ما يوافق ارادة الغير منه ولو كانوا مطيعين لم يجز
في حكمة الله يقول وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
ومعنى تمت كلمة ربك ما سبق من وعيده للكفار والفساق والعصاة
وقوله تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فوادك وجاءك
في هذه الحق وموعظة وذكرى للمومنين معناه ان القصص التي نقصها
عليك يثبت قلبك في نصرك ففيها الاعتبار باحوال الرسل لما
فيه من حسن صبرهم على اممهم واجتهادهم في دعائهم الى طاعة الله
مع الحق الذي يتمسك به فيها ومع الوعظ المنير لسلوك طريق الحق

وفيه تسلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانتصب كلا على المصدر
تقديره وكلا القصص نقص عليك وقيل انتصب على المفعول به تقديره
وكل الذي تحتاج إليه نقص عليك ويكون قوله ما نثبت به فؤادك
بدلاً منه والتثبيت تمكين إقامة الشيء ومعنى وجاءك في هذه الحق معناه
وجاءك في هذه السورة الحق والموعظة للمؤمنين وقيل وجاءك في هذه الدنيا
والوجه الأول أصح وأقرب لمكانه قيل وجاءك في هذه السورة مع ما جاءك في
هذه السورة **وقوله جل اسمه** وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا
عاملون وانتظروا إنا منتظرون وهذا تهديد ووعيد وقد مر بيان
نظيره فيما تقدم **وقوله تعالى** وانتظروا معناه انتظروا ما يعدكم
الشيطان من الغرور فإنا منتظرون ما يعدنا ربنا من النصر والعلو
وقيل معناه وانتظروا ما يعدكم ربكم على جهة كم فإنا منتظرون ما
وعدنا من الثواب على الإيمان وطاعتنا **وقوله جل اسمه** ولله غيب السموات
والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل
عما تعملون معناه أن الله هو عالم الغيب وعظم شأن الغيب الذي
احصيه بما ذكره وقد مر بيان رجوع الأمر إليه في غير موضع من هذا
الكتاب **وقوله تعالى** فاعبده أمر بالعبادة لله تعالى وحده لا شريك
له وتفويض أمر إليه وهدد بقوله وما ربك بغافل عما يعملون لأن
معناه لا يخفى على الله شيء من أعمالكم فيجازيكم عليها والفصل الأول
وإيصالها على ما تقدم من ذكر الأمور التي وجب أن يعتمد عليها لأن قوله
وإليه يرجع الأمر كله **وروي عن أبي بن كعب** عن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم أنه قال من قرأ سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات
بعدد من صدق هوداً وكذب به ونوحاً وشعيباً وصالحاً وإبراهيم

صلى الله عليهم وكانوا له عند الله يوم القيامة من الشهداء

**السورة التي يذكر فيها يوسف عليه السلام مكية مائة وإحدى عشرة
آية وألف وسبعمائة وست وسبعون كلمة وسبعة آلاف ومائة
وستون حرفاً** بسم الله الرحمن الرحيم **قوله جل اسمه** الر تلك آيات
الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون قد مر الكلام
في بيان معنى هذه الحروف في غير موضع من هذا الكتاب فلا وجه
لإعادته وأشار بقوله تلك إلى ما تقدم من ذكر السورة التي كانت
قبل سورة يوسف تلك آيات الكتاب المبين وقيل الآيات المذكورة
في القرآن هي آيات الكتاب المبين ولا يعد الر آية لأنها على
حرفين لا تشاكل رؤوس الآي فتجري مجرى الأسماء الناقصة لأنه على
حرفين فأما طه فإنه يعد لأنه تشبه رؤوس الآي **قوله جل اسمه**
إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون سمى الكتاب المنزل على
محمد صلى الله عليه وآله قرآناً ووصفه بأنه عربي لأنه نزل بلسان العرب
والإشارة بالقرآن إلى الآيات التي نزلها على النبي صلى الله عليه وآله
وهو عليه السلام على الناس ونحن الآن نقرأها وهذا القرآن
حروف مقطعة وسور مفصلة وآيات بعضها متقدمة وبعضها
متأخرة وفيها ما هو طويل وفيها ما هو قصير وما كان بهذه الصفة
لم يكن قديماً والقرآن كلام الله ووحيه وتنزيله وكلامه فعل من
أفعاله لأنه حروف منظومة يحدثها الله تعالى وحروف المنظومة من غير
إليه كما أحدثناها الآن ومن قال من الأشعرية وغيرهم أن القرآن
صفة قائمة بذات الله وإن من يقرأه عبارة عنها وليس بقرآن باطل
لأن الله تعالى لا يجوز أن يكون له صفة غيره ولا يجوز أن يكون ما

هو حروف عبارة عن السر لحروف ولان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
اذ جاء به انما اتى بالقران معجزا وسمى الله ما كان يقراه على الناس قرانا
وتحدى العرب بان ياتوا بمثله ولم يتحدهم بان ياتوا بمثل صفته فثبت ان الله
واذا كان القران حروفا واصواتا فلا شك انه غير الله قوله تعالى
لعلكم تعقلون معناه وانزلناه عليك قرانا على لسان العرب لكي
تعقلوا معاني القران فجعلناه عليه بحسن اللسان على مذهب العرب
في الكلام ودل قوله تعالى لعلكم تعقلون على فساد مذهب المجبرة
ان الله خلق كثيرا من الناس ليظلمهم عن الدين ويصرفهم عن معارف
دينه لانه قال انزلت عليهم القران ليعقلوا معناه قوله جل اسمه
نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت من
قبله لمن الغافلين معناه نحن نقص عليك اعظم القصص والخبر واحسن
الباقي قوله بما اوحينا اليك تبينا الحال القصص لان من القصص ما هو قران
وغير قران ودل ذلك ايضا على حدوث القران لان الصفة القائمة
بذات الله لا تكون قصصا ثم قال وكنت يا محمد قبل انزال القران
عليك غافلا عن وجوه الحكمة التي نطق القران بها فدللناك عليها
بالقران ولم تكن لتهتدي اليها لولا هدايتنا واقتضى قوله قرانا بايقاع
الوحي عليه وقيل هو بدل مما في قوله بما اوحينا واجاز بعض النحويين ان
يكون رفعا على تقدير ما هو الا انه لا يقرا الا بالنصب قوله تعالى
اذ قال يوسف لابيه يا ابه اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر
رايتهم لي ساجدين فائدة اذ ههنا اذكر اذ قال يوسف وقيل
نقص عليك هذا القصص ولكن في معنى يذكره واحد عشر كوكبا
المراد به اخوته والشمس والقمر ابواه وقيل ساجدين بالياء والنون

وان كانت ما لا يعقل لان الكواكب وقعت موقع العقلاء فعل
ما يفعل من السجود كما قال تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم فاجروا الكناية مجرى
العقلاء وقيل كرر لفظ رايت للتوكيد لما طال الكلام وقيل انما
كرر ليدل على انه راهم وراى سجودهم والمراد بالسجود ههنا السجود
المعروف بالشرع تكرمة لا عبادة وقيل معناه التواضع والخضوع كما
هو في اللغة وهو كقول القائل تضل الخيل في حجراتها ترى الاكم فيها سجدا
للحوافر وحكوا يا ابت بالكسر ولم يجوزه بعضهم لان التاء عوض من
الاضافة وقال غيره هو جائز حسن لان العوض لا يمنع من الحذف
ويجوز الوقف على التاء لانها مبدلة بعدها ويجوز فيه الفتح لوجهين
احدهما ان يعتمد على حذف الالف فان قدر على هذا لم يجز الوقف
الا بالتاء وان قدر على الاقحام جاز الوقف بالهاء كما قال النابغة
كليني لهم يا اميمة ناصب ودخلت التاء في ابت للعوض من
الاضافة اذ قد يكثر في النداء لزوم معنى الاضافة وكان احق
بهذه العلامة لهذه العلة قوله جل اسمه قال يا بني لا تقصص رؤياك
على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين
معناه قال يعقوب ليوسف عليهما السلام يا بني على وجه اظهار الشفقة
وعليه المنزل لما اخبره برؤياه لا تخبر اخوتك بهذه الرؤيا فاني لا امن
ان يكيدوا لك كيدا والشيطان يدعوهم الى ذلك ويغريهم لفرط
عداوته للمؤمن قوله جل اسمه وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك
من تاويل الاحاديث وجه التشبيه في ذلك تشبيه اعطاء معنى
الرؤيا بعد ذكرها باعطاء الاحسان وما وعد معه من الخلال
الكريمة والخصال الشريفة والاجتباء الاختيار وقيل معناه يحسنك

معاني الامور وقيل بحسابك للنبوة معناه ويعلمك من تعبير الرؤيا
وكان صلى الله عليه اعبر الناس للرؤيا في زمانه وقيل يعلمك تاويل
الاحاديث بآيات الله ودلايله الدالة على وحدانيته وعدله وساير امور
دينه وقوله جل اسمه ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك
من قبل ابرهيم واسحق ان ربك حكيم عليم معناه هذه الرؤيا ايضا
دالة على ان الله يتم نعمته عليك وعلى آل ابيك كما اتم النعمة على ابرهيم
واسحق وان الله عالم بمصالح عباده حكيم في افعاله وقوله جل اسمه لقد كان
في يوسف واخوته آيات للسائلين الآية الحجة والدلالة لها ظاهر الا
ان الآية كاشفة عن المعنى الذي فيه الاعجوبة ووجه الآية في يوسف
واخوته ما كان جرى من اخوته من الامور التي اخبر الله عنها وكان ذلك منهم
حسد الابناء ابيهم اباه وادنايه وتقريبه لهم حتى دعاهم ذلك الحسد الى
فعل تلك الامور العظام ثم آل الامر الى الصفح والعفو عنهم باظهارهم
الندم والتوبة وقوله تعلى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا
منا ونحن عصبة العصبة الجماعة من الواحد الى العشرة وقد كانوا عشرة
اعني الذين شرعوا فيما فعلوا بيوسف عليه السلم معناه ان بعضهم قال
لبعض ان يوسف واخاه احب الى ابينا منا وهو اميل اليهما ونحن عشرة
اولاد وهما اثنان فاثرهما علينا وقوله تعلى ان ابانا لفي ضلال مبين
معناه ان ابانا لفي ذهاب من طريق الصواب الذي فيه التسوية بيننا
في المحبة والعدل في المودة وقيل معناه ان ابانا مخالط في محبته امر الدنيا
لانا انفع له منهما لقيامنا باصلاح ماله ورعي مواشيه ولم يريدوا بذلك الضلال
عن الدين لان القصة ناطقة بمثل الطباع والمحبة التي يدعوا اليها البشر
وليس كلما ذكر لفظ الضلال كان المراد به الضلال عن الدين لان هذا

عرف من جهة الشرع لا من جهة اللغة هذا والادلة القاطعة
الباهرة قايمة على ان الانبيا عليهم السلم لا يضلون عن دين الله وقد
بينت وجوه الضلال والهداية في اول سورة البقرة فاغنى ذلك عن
اعادتها هاهنا وقوله جل اسمه اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم
وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين دلت هذه الآية والتي
بعدها على انهم تشاوروا في امر يوسف عليه السلم فاشار بعضهم الى
قتله او طرحه ارضا بعيدا عن قرب ابيه فيطول عهده فينساه ويميل
اليكم بالمودة التي كانت منه له اذا لم يره ويراكم وهو معنى قوله يخل لكم
وجه ابيكم ثم قال واذا فعلتم ذلك رجعتم الى التوبة والصلاح فيعفو
الله عنكم ففي ذلك بطلان قول الحشوية لانهم قالوا من مات مصرا على
ذنبه غير تايب عنه فانه ينجوا من عذاب الله ويعفو عنه الله تعلى
وقوله تعلى قال قايل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابات الجب
يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين معناه فقال بعضهم في
المشاورة لا تقتلوا يوسف والقوه في الجب والجب البير التي لم تطو بالحجارة
والغيابة الموضع الذي يغيب فيه صاحبه معناه القوه في بير عميق قليل
ماؤها وقيل الغيابة هو قعر الجب وقيل كان اسم هذا القايل روبيل
وكان ابن خالة يوسف وقيل كان اسمه يهودا والسيارة جماعة
المسافرين وقيل السيارة مارة الطريق وكانه قال اطرحوه في
بير ياخذه بعض المسافرين ويذهب به الى ارض اخرى فيحصل غرضكم
من غير قتل فمنعهم من قتله بهذا الوجه وقوله جل اسمه قالوا يا ابانا ما لك لا
تامنا على يوسف وانا له لناصحون هذا الذي حكى الله عنهم هو ابتدا
احتيالهم في الوصول الى بغيتهم والمراد يوسف عليه السلم لانهم قالوا

لابيهم عليه السلام ما الذي منعك من الامن والثقة بنا على يوسف
ونحن له محبون ناصحون ٥ ويجوز لا تامنا بالادغام والاشمام للنون
المدغمة الرفع الا ما روي عن قالون بغير اشمام وقوله تعالى ارسله
معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون ٥ قرا نافع بالياء في كليهما
الباقي يرتع من ارتعى وقوله تعالى قال اني ليحزنني ان تذهبوا
به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون معناه قال لهم ابوهم
يعقوب عليه السلام ان ذهابكم به ليحزنني وغيبته عني تغمني واخشى
انكم تغفلون عنه وتشتغلون بشيء فياكله الذئب وقوله تعالى
قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون ٥ من فرط اهتمامهم
للنصح لابيهم واحبابهم استبعدوا ما قاله ابوهم يعقوب عليه السلام
لخافوا ان ياكله الذئب مع ما هم عليه من الشجاعة والجلادة والنشاط والكفاية
وقوله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابات الجب ٥ جواب لما
محذوف وتقديره فلما ذهبوا به اعظم فتنتهم وعظم ما قصدوا به
ومعنى الايات ان يعقوب عليه السلام لما اعطاهم سؤلهم واجابهم الى
ملتمسهم فذهبوا بيوسف وعقدوا عزمهم على ان يلقوه في البير [illegible]
عزما منهم في قتله وقوله جل اسمه واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا
وهم لا يشعرون قيل معنى قوله واوحينا اليه هو ان الله تعالى اعطى
يوسف النبوة وهو في ذلك الجب الذي طرحه اخوته فيه فاوحى اليه بما اكد
[illegible] واخبره انه ينجيه من محنته ويجعله مستعليا على اخوته وامره
بان يكتم امره الى ان يجمع الله له اخوته فيخبرهم حينئذ بما فعلوه [illegible]
لا يشعرون بما اوحى الله الى يوسف وما اخبره به ٥ وقيل وهم لا
يشعرون بانه يوسف وقت ما انباهم بما حكى الله عنه في هذه السورة

وقوله تعالى وجاؤوا اباهم عشاء يبكون ٥ معناه ولما فرغوا مما
عزموا عليه ودبروه جاؤوا اباهم عليه السلام وقت المساء وهم باكون مستعدون
للحزن وجزع المصيبة كذبا وتلبيسا وقوله جل اسمه قالوا يا ابانا
انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت
بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ٥ قيل معنى نستبق من السباق في الرمي
كانهم قالوا كنا اشتغلنا بالرمي وقيل معناه كنا نستبق في العدو
اينا اسبق عدوا وتركنا يوسف في محطنا وملقى رحلنا فاكله الذئب
ولم يكن واحد منا حاضرا فوجده الذئب وحده فاكله وما انت بمصدق
لنا لفرط محبتك ليوسف وميلك اليه ان كنا صادقين فيما نخبرك
وهذا معنى قوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين يقال امنه اذا
صدقه وقوله تعالى وجاؤوا على قميصه بدم كذب ٥ معنى بدم كذب
مكذوب منه فاخرج اللفظ على المصدر واضيف به على تقدير بدم
ذي كذب وفي هذه طريقتهم اذا بولغ في الصفة ٥ ومعنى الايات
اخوة يوسف اخذوا قميصه فلطخوه بدم سخلة ذبحوها وخفي عليهم ان
يمزقوا القميص وغفلوا عنه فلما راى يعقوب القميص صحيحا قال يا بني
والله ما عهدت الذئب حليما وقيل الايات التي ظهرت في قميص
يوسف ثلاث احداهن انه القي على وجه ابيه فارتد بصيرا فهذه احدى
الايات والمعجزات ٥ والثانية قد القميص من دبر حين تعلقت به زليخا
وذلك اظهر ليوسف براءته وصدقه ٥ والثالثة حين جاؤوا على قميصه
بدم كذب وكان القميص صحيحا غير ممزق وقوله تعالى قال بل
سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما
تصفون الصبر الجميل هو الشريف النفس وارتفع لانه خبر ابتدا

وتعديه فامري صبر جميل. وقيل صبر مبتدأ خبره محذوف على تقدير
فصبر جميل اولى بي من الجزع الذي لا ينبغي لي وهذا استعمل
في لغتهم قال الشاعر يشكو الى جملي طول السرى صبرا جميلا
فكلانا مبتلى ثم قال يعقوب عليه السلام بعد ما قال لبنيه قد زينت
لكم انفسكم امرا فاتبعتموها واطعتم امرها والصبر اولى بي
واستعانتي بالله على ما وصفتموه وقوله جل اسمه وجاءت سيارة فارسلوا
واردهم فادلى دلوه السيارة جماعة المسافرين وقيل السيارة مارة
الطريق والوارد الذي يطلب الماء لاصحابه والادلاء القاء الدلو في البير
معناه وجاءت قافلة الى تلك الناحية التي كانت البير التي طرح يوسف
فيها فارسلوا من يطلب لهم الماء وياتي به فجاء الوارد راس البير التي
كان يوسف عليه السلام فيه فالقى دلوه في البير وورد في الرواية ان
يوسف لما راى الدلو تعلق به وقوله جل اسمه قال يا بشرى هذا غلام معناه
ان الوارد المدلي دلوه قال لاصحابه مبشرا لهم انه وجد عبدا وقيل
ان اسمه البشرى فناداه وقوله جل اسمه واسروه بضاعة والله عليم
بما يعملون الاسرار الاخفاء قيل معناه واسروا المولى ممن معه
على الماء ومن سائر القافلة لئلا يطمعوا في مشاركته لرخص ثمنه
وقيل اسره اخوة يوسف بان كتموا انه اخوهم وادعوا بضاعة لهم
فسكت يوسف عنهم خوفا منهم ان يقتلوه وهذا يدل على جواز
السكوت على الشيء اذا ظن الساكت انه لو نطق ادى ذلك الى مضرة
هي اعظم مما هو فيه ولاجل مثله سكت امير المومنين علي صلوات الله
عليه عند وقوع الفتنة بعد ما قبض صلى الله عليه واله الا ترى
الى وجه الحكمة في سكوت يوسف عليه السلام لما استرق وبيع عبدا

وكذلك كان في سكوت امير المومنين عليه السلام حكمة بالغة
حين خاف ان تجد قبائل العرب الذين حديثو عهد بالاسلام الفرصة فيظهر
الارتداد ويزداد الفتنة لو سل السيف واللسان في ذلك الوقت
ولهذا قال عليه السلام على المنبر بالبصرة بعد حرب الجمل اني اقتديت
بستة من الانبياء عليهم السلام فذكرهم واخرهم يوسف عليه السلام ومن
الله تعالى انه كان عالما بجميع ما يفعلونه وهذا انسه وتهديده
والاشتراء يكتب بالالف وقوله جل اسمه وشروه بثمن بخس دراهم معدودة
وكانوا فيه من الزاهدين معناه شروه باعوه البخس النقصان وورد
في الرواية ان اخوة يوسف باعوا يوسف بعشرين درهما وعدوها
عدا وما وزنوها وزنا وكانوا في ذلك الوقت لا يزنون الدراهم ما
لم تبلغ اوقية وهم يعدون دراهمها ومعنى المعدودة القليلة الخطر
وحضر ذلك المكان الذي نزله القافلة اخوة يوسف وادعوا ان
يوسف عبدهم وابق منهم وباعوه بثمن بخس كما ورد في الرواية وفعلوا
ذلك لزهادتهم فيه وكراهتهم لكونه بين ظهرانيهم ولم يفعلوا
في جميع ما فعلوه باكثر ما حكى الله عنهم وهو قوله ليوسف واخوه احب
الى ابينا منا فحملهم ذلك على ما فعلوا وهو معنى قوله وكانوا فيه من الزاهدين
وفي هذه السورة عجائب جمة وعبر لمن اعتبر الا ترى الى اخوة يوسف كانوا
اولاد الانبياء ابرهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام فحملهم الحسد لميل ابيهم الى
يوسف واثاره عليهم في المودة على ان جفوه ذلك الجفا وطرحوه في غيابات
الجب ثم باعوه بما حكى الله تعالى ولو لم ينطق كتاب الله بذلك وحكى العصام ذلك
لاستبعدنا ذلك كل الاستبعاد ولما نقله اذا جاز على اولاد الانبياء مثل
هذه فهلا جاز على قوم لم يكن بينهم وبين علي وفاطمة والحسن والحسين

عليهم السلام رحمانيه ولا تعطف ولاده ان يحملهم الحسد والبغض على
ما اتاه الله الرسول من النزاهة والرياسة وانهم يريدون الرياسة لا لغيرهم
حتى يكونوا الحبيب بغيرهم ويهم فوقهم الاحاب نشاوا في الجاهلية وعبادة
الاوثان وكان سيف على يقطر دما ولم تاخذه في الله لومة لائم حتى اظهر
الله الدين على يده وقاد الجمع من الكفر الى الايمان فاي دليل دال على عصمتهم
حتى لا يجوز عليهم هذا وما حكى الله عن اولاد يعقوب اعجب من ذلك فانهم
نالوا النبوة بعد ما ارتكبوا ذلك واذا جاز وقوع مثل ما حكى الله عن اولاد
يعقوب يصلح للنبوة فلم يستبعد وقوع ما وقع من اولئك العرب الذين
خرجوا من الجاهلية وصفتهم في القساوة معروف وهذا وقصة السقيفة
ومخاصمة فاطمة عليها السلام القوم فظاهره وتلك الاحوال والاسباب
التي جرت مشهورة وفيه عبرة لمن انصف قوله جل اسمه وقال الذي اشتراه
من مصر لامراته اكرمي مثواه ه ولما حمل يوسف الى مصر فانتهى
الى العزيز الذي كان ملك مصر طلبه للشرى فباعوه منه فاشتراه وقال العزيز
لامراته اكرمي مثواه فالمثوى في اللغة موضع المقام وهذا في اللغة
عبارة عن الاكرام للغير والاحسان اليه قوله جل اسمه عسى ان ينفعنا
او نتخذه ولدا ه من العزيز العلة في قوله لها اكرميه واحسني اليه ليرى
انه لسعى به وقال او نتخذه ولدا فنجعله منزلة الاولاد قوله جل
وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث ه وجه
التشبيه في قوله وكذلك انه شبه التمكين في الارض بالتوفيق الذي ادى به
تصيير الانسان الى ما فيه نجاته من الهلاك والخروج منها الى حاله السلام
في قوله ولنعلمه محمولا على معنى الكلام المتقدم على تقدير زيد ذلك لنمكنه
في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث قوله جل اسمه والله غالب على امره ولكن

اكثر الناس لا يعلمون ه معناه والله قادر على امره من غير ان يمنعه
مانع لما يريده بل يبلغ ما يريده فيه هذا ه وقيل معناه والله غالب على امر
يوسف والكناية راجعة الى يوسف يدبره ويحوطه ويحفظه ولكن
اكثر الناس لا يعلمون وجه الحكمة في ذلك قوله جل اسمه ولما بلغ اشده
اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ه المراد بالاشد كمال القوه
عند بعض اهل اللغة والعلم وهو من حد ثماني عشرة سنة الى ستين سنة
وقيل من عشرين الى ستين وقيل من ثلاث وثلاثين سنة الى خمسين سنة ه
ومعنى الاية ولما بلغ يوسف عليه السلام كمال القوة وبلغ المبلغ الذي يصلح معه
اعطاء النبوة اتيناه الحكم والعلم ه وقيل المراد بالحكم هاهنا هو
القول الفصل الذي يدعوا اليه نعلمه ه وقيل هو الحكم على الناس
وقيل اتيناه الحكمة في فعله بالالطاف ثم بين ان الذي اعطاه يوسف
عليه السلام كان من سني العطاء وكريم الجزاء وان ذلك جزاء من كان
محسنا مثل يوسف عليه السلام قوله جل اسمه وراودته التي هو في بيتها
عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك المراودة المطالبة ومعنى
هيت لك وتعال التغليق تكثير الاغلاق والمبالغة في الايثاق ولفظ
هيت لك موضوع للذكر والانثى والواحد والجميع فيه سواء ه ومعنى ذلك
ان امراة العزيز طلبت يوسف للخلوة بها وامرت بغلق الابواب
وقالت له هلم الى ما ادعوك اليه قوله جل اسمه قال معاذ الله انه ربي
احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ه معناه الجأ واعوذ عياذا بالله ان
اجيب الى ما دعوتني اليه فاعتصم بالله من ذلك فدلت الاية على ان المراة
طلبت منه الفساد وانه اعتصم وامتنع وسيجيء بيان ذلك مصرحا
في هذه السورة ه فمن جوز على يوسف خلاف ذلك ابطل عصمة الانبياء وكذب

عليهم السلام أحرما فيه ولا تعطف ولاده ان يحملهم الحسد والبغض على
ما اتاه الله الرسول من الرتبة والرياسة وانهم يريدون الرياسة لا لغيرهم
حتى يكونوا الحجة على غيرهم وهم قوم الاخوان نشأوا في الجاهلية وعبادة
الاوثان وكان سيف على يقطر دما ولم تأخذه في الله لومة لائم حتى اظهر
الله الدين على يده وقاد الخلق من الكفر الى الايمان فاي دليل دل على عصمتهم
حتى لا يجوز عليهم هذا وما حكى الله عن اولاد يعقوب اعجب من ذلك وهم
نالوا النبوة بعد ما ارتكبوا ذلك واذا جاز وقوع مثل ما حكى الله عنهم
ممن يصلح للنبوة فلم يستبعد وقوع ما وقع من اولئك العرب الذين
خرجوا من الجاهلية وصفتهم في القساوة معروف هذا او قصة السقيفة
ومخاصمة فاطمة عليها السلام القوم فظاهرة وتلك الاحوال والاسباب
التي جرت مشهورة وفيه عبرة لمن انصف قوله جل اسمه وقال الذي اشتراه
من مصر لامرأته اكرمي مثواه ۝ ولما حمل يوسف الى مصر فانتهى خبره
الى العزيز الذي كان ملك مصر طلبه للشرا فباعوه فاشتراه وقال العزيز
لامرأته اكرمي مثواه والمثوى في اللغة موضع المقام وهذا في اللغة
عبارة عن الاكرام للعمر والاحسان اليه قوله جل اسمه عسى ان ينفعنا
او نتخذه ولدا اي ان العزيز العلة في قوله لها اكرمي فيه واحسني اليه ويرى
انه ينتفع به وقيل أي انه يتخذه ولدا فينزله منزلة الاولاد قوله جل
وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث ۝ وجه
التشبيه في قوله وكذلك انه شبه التمكين في الارض بالتوفيق الذي ادى به
تصير الانسان الى ما فيه نجاته من الهلاك والخروج من حال الى حالة واللام
في قوله ولنعلمه محمول على معنى الكلام المقدم على تقدير دبرنا ذلك لنمكنه
في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث قوله جل اسمه والله غالب على امره ولكن

اكثر الناس لا يعلمون ۝ معناه والله قادر على امره من غير ان يمنعه
مانع لما يريده بل يبلغ ما يريده فهو الله ۝ وقيل معناه والله غالب على امر
يوسف والكناية راجعة الى يوسف يدبر امره وحياطته وحفظه ولكن
ان اكثر الناس لا يعلمون وجه الحكمة في ذلك قوله جل اسمه ولما بلغ اشده
آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ۝ المراد بالاشد كمال القوة
عند بعض اهل اللغة والعلم وهو من حد ثماني عشرة سنة الى ستين سنة
وقيل من عشرين الى ستين وقيل من ثلاث وثلاثين سنة الى خمسين سنة ۝
ومعنى الاية ولما بلغ يوسف عليه السلام كمال القوة وبلغ المبلغ الذي يصح معه
اعطاء النبوة آتيناه الحكم والعلم ۝ وقيل المراد بالحكم هاهنا هو
القول الفصل الذي يدعو اليه بعلمه ۝ وقيل هو الحكم على الناس
وقيل آتيناه الحكمة في فعله بالالطاف ثم بين ان الذي اعطاه يوسف
عليه السلام كان من سني العطا وكريم الجزاء وان ذلك جزاء من كان
محسنا مثل يوسف عليه السلام قوله جل اسمه وراودته التي هو في بيتها
عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك المراودة المطالبة ومعنى
هيت لك تعال التغليق تكثير الاغلاق والمبالغة في الايثاق ولفظ
هيت لك موضوع للذكر والانثى والواحد والجميع فيه سواء ومعنى ذلك
ان امرأة العزيز طلبت يوسف للخلوة بها وامرت بغلق الابواب
وقالت له هلم الى ما ادعوك اليه قوله جل اسمه قال معاذ الله انه ربي
احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ۝ معناه الجأ عوذا عياذا بالله ان
اجيب الى ما دعوتني اليه فاعتصم بالله من ذلك فدلت الاية على ان المرأة
طلبت منه الفساد وانه اعتصم وامتنع وسيجيء بيان ذلك مصرحا
في هذه السورة ۝ فمن جوز على يوسف خلاف ذلك ابطل عصمة الانبياء وكذب

بالقرآن ومعنى انه ربي احسن مثواي قيل المراد ان يوسف قال ان
العزيز مالكي الحكيم لان الرب في اللغة هو المالك وانه اكرم مثواي
واحسن الي وبسط يدي ورفع منزلتي وقال بعض العلماء
يحتمل ان يكون اراد بذلك ان الله تعالى هو الذي يملكه على الحقيقة
احسن مثواه والغرض به طول مقامه ثم قال ومن كان ظالما
لا يظفر بما يكون للصالحين عند الله قوله تعالى ولقد همت به وهم
بها لولا ان رأى برهان ربه ه فالهم بالشيء مقاربته من غير دخول
فيه هكذا كانت الحال في همتها الا ان المراة قاربت ذلك بالعزيمة
عليه ولم يعزم يوسف لدلالة قوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
انه من عبادنا المخلصين فاخبر الله بصريح الحق وازال الشبهة في
التاويل والذي يصحح هذا ان قوله تعالى ولقد همت به اطلاق اللفظ
من غير اقتران بشرط وقوله وهم بها لولا ان رأى برهان ربه اقترن
هم يوسف صلى الله عليه بالشرط وهو رؤية البرهان فكان تعالى
لولا رؤيته البرهان لكان يقع منه الهم لكنه لما رأى البرهان لم
يقع منه ذلك ه ومثل هذا قول القائل لقد شتم القوم عمرو وزيدا
وشتمه زيد لولا الحياء والانفة ه فقوله لولا الحياء يدل على انه امتنع من
الشتم ولولا الحياء لشتمه وقال بعض العلماء المراد بالهم ههنا الشهوة
فكان كل واحد منهما اشتهى صاحبه والشهوة من فعل الله تعالى
الا ان المراة لما لم تغلب شهوتها وغلب يوسف صلى الله عليه على شهوته
وضبطها صار محمودا ويجوز في اللغة ان يقال هممت بكذا ولم
افعله ولم اعزم عليه اذا كثرت دواعيه الى ذلك الشيء فيحتمل
ان يكون هم يوسف على هذا الوجه ولولا البرهان لجاز ان يقع منه

صلى الله عليه الخطا والبرهان ههنا هو اللطف الذي لاجله يعصم
الانبياء عليهم السلام واللطف هو ما يقوي الداعي عنده الى فعل خير وهو
حسن او ترك قبيح فاذا فعل الله لطفا ووافق فعل العبد ذلك اللطف
سمي توفيقا وقد مر الكلام في هذا الباب في غير موضع وقيل في هذا
البرهان وجوه احدها انه رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو
عاض على انامله زاجرا له وناهيا ومهددا وذهب الى هذا الحسن
وجماعة من المفسرين ه وقيل انه رأى الملك ه وقيل انه سمع النداء
يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء ه وقيل البرهان
هو الدلالة على ما في الزنا من العقاب وغضب الله فذكرها وهرب
مما دعي اليه وهذا راجع الى اللطف الذي ذكرناه وهو اقرب الوجوه
واصحها لان على تلك الوجوه اعتراضات قادحة قوله جل اسمه
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ه المخلص
المختار قوله جل اسمه واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا
سيدها لدى الباب الاستباق طلب السبق الى الشيء ومعناه ان
يوسف وتلك المراة استبقا فسارعا الى باب البيت للخروج مسارعة
اثنين يعدوان ايهما اسبق الى ما قصد وخرقت المراة قميص يوسف
من دبر فدل هذا على ان يوسف كان السابق ووجد العزيز الذي هو
الملك على الباب الذي استبقا اليه قوله تعالى قالت ما جزاء من
اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ه معناه ان المراة ادعت
على يوسف انه راودها على نفسها وقصدها بالفاحشة وحكمت
بجزاء من يفعل ذلك مستزيدة من العزيز ان يفعل ما حكمت به اما السجن
او العذاب الاليم قوله تعالى قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد

من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان
كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ٥ معناه ان يوسف
انكر دعواها وقلب الدعوى عليها فجرى بين يوسف وبين المراه ما يجري
بين الخصمين اذا ترافعا الى القاضي فاستدعى العزيز الشاهد فشهد ليوسف
شاهد من اهل هذه المراه بما كان فيه براه يوسف وصدق دعواه وهو
ما حكى الله بقوله ان كان قميصه قد من دبر الايه ومعناه شهد
ها هنا حكم وورد في الروايه ان صبيا في المهد من اقربا هذه المراه
حكم بما نطقت الايه به وكان ذلك معجزه اظهرها الله تعالى على نبوه
يوسف صلى الله عليه وقيل كان هذا الشاهد رجلا حكيما
فقال انظروا الى القميص فقال انظروا الى القميص فان كان القد من
من قبل القميص فالمراه صادقه وان كان من دبره فيوسف صادق
وهي كاذبه وان التي في قوله ان كان قميصه للشرط على جهه التقرير
للمعنى الذي يوجبه غيره لا على وجه الشك وهكذا يكون مقدرات
الاستدلال وقوله جل اسمه فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن
ان كيدكن عظيم ٥ معناه فلما راى العزيز القميص وقد قد من دبر
عرف صوره الامر وتبعتها وقال لامراته انه من كيدكن وان كيد النساء
عظيم ويحتمل ان يكون هذه الرويه رويه العين فيكون راى القميص على تلك
الهيئه من القد والخرق ويحتمل ان يكون المراد بالرويه ها هنا معنى العلم
فعلى هذا الوجه يكون عالما بالقد والضمير في قوله انه عايد على ما تقدم ذكره
من الكذب على تعديل الكذب الذي ادعته من مكركن ويجوز ان يكون عايدا
الى السوء الذي تقدم ذكره فيه وان ذلك في يوسف عليه السلام كان منزها ما رمته
وقوله جل اسمه يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من

الخاطيين ٥ معناه لما ظهرت براه يوسف ونزاهته عما ادعي عليه فكانه
قيل له تسليه لما خامر قلبه من الغم يا يوسف اعرض عن هذا على معنى
اجعله بمنزله ما لم يصر في غمه وجهك فلا تذكره ٥ وقيل للمراه لما ظهرت
خيانتها استغفري لذنبك انك من الخاطيين وقيل من الخاطيين دون الخاطيات
تغليبا للمذكر على المونث كما قال ان عبيدك واماك خارجون وقوله تعالى
وقال نسوه في المدينه امراه العزيز تراود فتاها عن نفسه ٥ معناه فلما
فشا خبرها في مصر وانتشر حديثها عيرتها نسا مصر بما فعلت وعبنها
وقوله تعالى قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين ٥ الشغاف قيل هو غلاف
القلب قال النابغه وقد حال هم دون ذلك داخل دخول الشغاف تبتغيه الاصابع
وقرى قد شعفها حبا معناه ذهب بها كل مذهب الحب وهو ماخوذ من
شعف الجبال وهي روسها وانا لنراها في ذهاب عن طريق الرشد ها هنا
وقوله تعالى فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن ٥ معناه فلما بلغ
الى امراه العزيز ان النسا من اهل مصر يلمنها ويعبنها ويعيرنها
تعللت اذ ذاك فاستعدتها ما ارسلت اليهن مستدعيا اياهن
للضيافه فاجبنها وحضرنها وقوله جل اسمه واعتدت لهن متكا
معنى اعتدت الحذف وهيات وهو من العتاد ونظيره اعتدت وفيه
اشتراك اللفظ فقط والمتكا الموضع الذي يتكي عليه وهو النمرق
الذي يتكي عليه وما اشبهه وروي متكا مخففا وقيل المتكا هو
الاترج وهذا الاحتمال ان صح في اللغه وقوله جل اسمه واتت كل واحده
منهن سكينا معناه واعطت كل واحده سكينا ليقطع به الفاكهه
التي قدمتها اليهن وقالت لها اخرجي عليهن وقوله جل اسمه وقالت اخرج
عليهن فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا

من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان
كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ه معناه ان يوسف
انكر دعواها وقلب الدعوى عليها فجرى بين يوسف وبين المراه ما يجري
بين الخصمين اذا ترافعا الى القاضي فاستدعى العزيز الشاهد فشهد ليوسف
شاهد من اهل هذه المراه بما كان فيه براه يوسف وصدق دعواه وهو
ما حكى الله بقوله ان كان قميصه قد من دبر الايه ومعناه شهد
ههنا حكم وورد في الروايه ان صبيا في المهد من قرابة هذه المراه
حكم بما نطقت الايه به وكان ذلك معجزه اظهرها الله تعالى على نبوة
يوسف صلى الله عليه وقيل كان هذا الشاهد رجلا حكيما
فقال انظروا الى القميص فان كان القميص قد من قبل [illegible]
من قبل القميص فالمراه صادقه وان كان من دبره فيوسف صادق
وهي كاذبه وان التي في قوله ان كان قميصه للشرط على جهة التقرير
للمعنى الذي يوجبه غيره لا على وجه الشك وهكذى تكون مقدرات
الاستدلال وقوله جل اسمه فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن
ان كيدكن عظيم ه معناه فلما راى العزيز القميص وقد قد من دبر
عرف صورة الامر وتبعها وقال لامراته انه من كيدكن وان كيدكن
لعظيم ه ويحتمل ان يكون هذه الروية روية العين فيكون راى القميص على تلك
الهيئه من القد والخرق ويحتمل ان يكون المراد بالروية ههنا معنى العلم
فعلى هذا الوجه يكون عالما بالقد والضمير في قوله انه عايد على ما تقدم ذكره
من الكذب على تعديل الكذب الذي ادعته من مكركن ويجوز ان يكون عايدا
الى السر الذي تقدم ذكره فان ذلك ان يوسف عليه السلام كان منزها عما رمته
وقوله جل اسمه يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من

الخاطيين ه معناه لما ظهرت براه يوسف وبراهة عما ادعي عليه فكانه
قيل له سليته لدعا [illegible] من الغرايا يوسف اعرض هذا على معنى
اجعله بمنزلة ما لم [illegible] عنه وجهك فلا تذكره ه وقيل للمراه لما ظهرت
خيانتها استغفري لذنبك انك من الخاطيين وقيل من الخاطيين دون الخاطيات
تغليبا للمذكر على المونث كما قال انه عبيدكم واماكم خارجون وقوله تعالى
وقال نسوه في المدينه امراه العزيز تراود فتاها عن نفسه ه معناه فلما
فشا خبرها في مصر وانتشر حديثها عيرتها نساء مصر بما فعلت وعبنها
وقوله تعالى قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين ه الشغاف قيل هو غلاف
القلب [illegible] وقد [illegible] دون ذلك اعلى مكان الشغاف [illegible]
وقرى قد شعفها حبا معناه ذهب بها كل مذهب الحب وهو ماخوذ من
شعف الجبال وهي روسها وانا لنراها في ذهاب عن طريق الرشد ههنا
ضا وقوله تعالى فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن ه معناه فلما بلغ
الى امراه العزيز ان النساء من اهل مصر يلمنها ويعبنها ويعيرنها
[illegible] ارادت ان تقيم عذرها ههنا ارسلت اليهن مستدعيا لهن
للضيافه فاجتبها وحضرنها وقوله جل اسمه واعتدت لهن متكا
معنى اعتدت اتخذت وهيات وهو من العتاد ونظيره اعدت وفيه
استراك اللفظ فقط والمتكا الموضع الذي يتكى عليه وهو النمرق
الذي يتكى عليه وما اشبهه وروى متكا مخففا وقيل المتكا هو
الاترج وهذا الاحتمال ان صح في اللغه وقوله جل اسمه واتت كل واحده
منهن سكينا معناه واعطت كل واحده سكينا ليقطع به الفاكهه
التي قدمتها اليهن [illegible] وقوله جل اسمه وقالت اخرج
عليهن فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا

بشرا ان هذا الا ملك كريم معناه وامرت امراه العزيز يوسف عليه السلم
ان يخرج من البيت الى تلك النسوه لينظرن اليه ويريهنه فلما خرج
ورانه اكبرنه معناه عظمنه واجللنه وتعجبن من جماله وحسن
وقلن حاش لله تنزيها عن حال البشر لجماله وخروج الحال عن
العاده المعتاده والحال المعهوده وقلن ما هذا من البشر وما
هو الا ملك كريم فدل هذا على ان القوم اعتقدوا في الملك فرط
الحسن والحال الخارج عن العاده المعتاده في البشر ومن احتج
بهذا اللفظ على ان الملك افضل النبي من البشر اخطا لان ذلك
الفضل بفضل الثواب وهذا اورد في الجمال ولا مشاكله بين الامرين
وقيل اكبرن بمعنى حضن قال الشاعر ﴿ ياتي النسا على اطهارهن
ولا ياتي النسا اذا اكبرن اكبارا ﴿ وليس هذا بمعروف عند علما
اللغه وقيل اكبرن امذين قال الشاعر بعضلالين والجال
اذا ما رانا الفحل من فوق قاره صهلن واكبرن المني المدفقا وافصح
في اللغه هذا وما ذكر في الحيض فعساه فعل من شده ما اعظمنه
وانتصب بشرا بفعل ما عمل ليس على لغه اهل الحجاز لانهم ينصبون
بما وليس فاما بنو تميم فلا يعملونها قال الشاعر ﴿ سوى جمعا
ما هذان مستويان ﴿ قال ابو تمام ﴿ ما ما كنك ان حادث وان
خلت من ما وحهي اذا افنيته عوضه هو قوله جل اسمه قالت فذلكن الذي
لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴿ معناه لما رات امراه
العزيز منهن تلك الحاله العجيبه اظهرت لهن سرها واقرت
بمراوده يوسف عليه السلم عما زعمنه به وقالت لهن معتذره عما لمنها عليه
هذا هو الذي لمتنني على محبتي له وميلي اليه وكنت طالبته بالطلب

النسا من الرجال فامتنع ولم يطاوعني فيما امرته به واطلبه
منه امرت بحبسه واهانته واذلاله يدل هذا على انها كانت
باقيه على الحاله الاولى ولم ينقطع طمعها عنه بعد ما جرى قوله تعالى
وليكونا من الصاغرين ﴿ بالالف لانه بمنزله التنوين في انه يجب ان
يكون حاله في الوقف خلاف حاله في الوصل ﴿ قال الاعشى وصل على
حين العشيات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا ﴿ معناه فاعبدن
قوله تعالى قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه ﴿ معناه ان يوسف لما سمع
تهديدها قال داعيا الى الله تعالى ان السجن احب الي من مطاوعتي
لها فيما تدعوني اليه من ركوب الفاحشه وانما قال احب الي وان لم
يكن محبا لما دعته اليه من المعصيه على التقدير لو كان ذلك مما اريده واحبه
واختاره لكانت ارادتي السجن اكثر ويحتمل ان يكون المراد به ايثار
السجن الخير الذي فيه اشد من ايثاري لما يميل طبعي اليه لان فيما يميل الطبع
اليه الهلاك وفي ايثاري السجن النجاه عن الهلاك وكان تعالى توطين
نفسي على السجن احب الي ﴿ وقيل انما قال تدعونني اليه على الجمع لانهن
دعونه مثل ما دعته اليه امراه العزيز ﴿ وقيل انما قال لها لانهن سالنه ان
يجيب الى ما دعته اليه فجعلت كل واحده منهن محل امراه العزيز في هذا
الباب قوله تعالى والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين
اسقا اصب من الصبو وهو رقه الهوى وصار مجزوما لانه جواب الشرط
ومعناه ان يوسف قال داعيا الى الله ان لم تصرف عني كيدهن بلطف من
الطافك صبوت اليهن واكن ممن يستحق صفه الذم بالجهل فاصير بمنزله من اعتقد
الشي على خلاف ما هو به ﴿ وقال بعض العلما في الايه دلاله على انه لا
يصرف احد عن معصيه الله الا بلطف لان يوسف لو لم يعلم ذلك على الجمله

يصح منها ان تخبر به وقوله جل اسمه فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن
انه هو السميع العليم ه بين الله تعلى انه استجاب دعا يوسف فصرف
عنه كيد امراة العزيز وتلك النسوة وهو ما كن يدعونه اليه من
الفاحشة فدلت الاية على براة يوسف صلى الله عليه انه لم يفعل الفاحشة
ولم يقع منه ما اوجب عصا الله وانقطاع الولاية منه وبينه وذلك على
صدق دعواه وانه لم يراودها ولم يقعد اليها و العجب ممن حاشر
مع وضوح هذه الايات وقيام الدلالة على براة الانبيا عليهم السلم على
اضافة القبائح والفواحش اليهم وليس يعجب من الملحدة الذين هم اعدا
دين الله ان يقولوا هذا وانما العجب ممن يقر بالانبيا عليهم السلم
ثم يقول فيهم مثل هذه العظايم ولا قوة الا بالله وليت شعري ما الذي
حملهم عليه التكليف من جهة الله ان يقولوا هذا او يعتقدوه او
طلب ثواب من جحود ذلك على رسل الله ام اى علة تدعوهم الى ذلك
والله المستعان ومعنى السميع العليم ها هنا بانه سميع الدعا
وعليم باخلاصه في دعايه وترك اخلاصه وما يصلح من الاجابة
او تفسيرها ه وقال بعض العلما في الاية دلالة بان المعلوم
ان يكون ه وقال ان الاجابة من الله ثواب لقوله تعلى وما دعا
الكافرين الا في ضلال وقوله جل اسمه ثم بدا لهم من بعد ما راوا
الايات ليسجننه حتى حين ه معناه ثم بدا لهم وظهر من بعد
ما راوا الايات التي حكى الله عنها في باب يوسف وطهارة ذيله ان
يحبسوه ظلما وتلك الايات قد القميص وشهادة الصبي وظهور استعصام
يوسف وقطع النسا ايديهن فاعل بدا مضمر في الفعل وليسجننه يعل
مذكرا فعل المونث لانه لو كان فعل المونث اللواتي هن النسوة كان

ليسجننه والذي يوضح هذا قوله ثم بدا لهم ولم يقل لهن ليسجننه
على هذا الوجه فالملك حبسه متابعة لمراد امراته ه وتصرف
حتى على اربعة اوجه حرف جر وحرف عطف وناصبة للفعل وحرف من
حروف الابتدا فالجارة التي في هذه الاية ه والعاطفة نحو قولهم
خرج الناس حتى الامير والناصبة نحو قوله تعلى حتى ياتي امر الله او
وعد الله ه والتي هي من حروف الابتدا نحو قولهم اسرج القوم حتى
زيد مسرج وقوله جل اسمه ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني
اعصر خمرا وقال الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه
نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين ه وورد في الروايات ان الفتيين
كانا غلامين للعزيز احدهما كان صاحب طعامه وانهى اليه انه حمل الخبز
فوق راسه وان الطير تاكل منه فاستعبر يوسف روياهما وانما
علمه بما كانا يريانه من احسانه الى اهل السجن وكان احسانه في السجن انه
كان يجتهد في عبادة ربه او انه كان يداوي مرضا اهل السجن
ويعالجهم ويعزي مصابهم ويسلي حزينهم وينصف المظلوم والضعيف
ويفعل ما شاكل ذلك وقيل معنى قولهما نراك من المحسنين في عبارة
الرويا لانه كان يعبر الرويا لغيرهما فيحسن التعبير والاول اوجه وان
كان الثاني محتملا وكانوا في ذلك الوقت يسمون المملوك فتى شابا كان
او شيخا ه ومعنى اعصر خمرا اعصر عنبا للخمر وقيل انه سمى العنب
خمرا وقوله جل اسمه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله
قبل ان ياتيكما ه اجابهما يوسف عليه السلم بانه عالم بتعبير الرويا وتفسيرها
فلا ياتيكما طعام ترزقانه في منامكما الا اخبرتكما بتاويله في اليقظة
لعلمي بتاويل الرويا وورد في القصة ان العزيز ملك مصر

إذا أراد قبل أن يأتي إنسان صنع طعاماً معلوماً وأرسل به إليه وعلى هذا الوجه
يكون معنى قوله ترزقانه في اليقظة وقيل إن يوسف صلى الله عليه أخبر
عن الغيب كما كان عيسى صلوات الله عليه يخبر به بقوله وأنبئكم بما تأكلون
وما تدخرون في بيوتكم وعدل في الجواب عن تعبير الرؤيا إلى الإخبار
لهذه الكراهية أن يخبرا علماً أنه يلحق أحدهما من المضرة بتعبيرها على السؤال
وطلب الجواب فأعاد الكلام عليه ليحققا ما خصه الله به من النبوة ويرجعا
إلى طاعة الله ويبين لهما أن الله تعالى علمه ذلك وخصه به وجعله معجزاً
له وهو معنى قوله ذلكما مما علمني ربي **وقوله جل اسمه** إني تركت ملة قوم
لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون هذا حكاية قول يوسف
صلى الله عليه أنه قال لهما إني تركت طاعة قوم لا يؤمنون بالله وينكرون
البعث بعد الموت والنشور بعده فأعرضت عنهم وتبرأت منهم
لكفرهم وطغيانهم **وقوله جل اسمه** واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب
قال بعض العلماء الملة هي مذهب جماعة يحمي بعضها بعضاً في الديانة وأصلها
من الإملال من قوله تعالى فليملل وليه بالعدل فالقائل بهذا كأنه
يذهب إلى أنه شيء من الشرع بعضه يحمي بعضاً ممليه على قومه وهذا
أيضاً حكاية قول يوسف أنه قال لهما إني تبعت دين آبائي إبراهيم
وإسحق ويعقوب عليهم السلام **وقوله جل اسمه** ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء
على وجه من الوجوه لأنه لا برهان عليه ولا دليل ذلك من فضل الله
علينا إذ جعلنا أنبياء ومن فضله على الناس أن بعث إليهم الرسل
مبشرين ومنذرين وإن كان أكثر الناس لا يشكرون ما أنعم
الله به عليهم ويفضله وقيل كأن ما فعله الله تعالى فهو فضل من
فضله لا العقاب الذي يرجونه من الشرك والمعاصي وإن كان

في الخمر فصرف عن البعض **وقوله جل اسمه** يا صاحبي السجن أأرباب
متفرقون خير أم الله الواحد القهار دعا يوسف بهذا الخطاب
الرجلين اللذين استفتياه إلى عبادة الرحمن وزجرهما أن لا يعتقدا
الربوبية إلا لله تعالى إنهما على طريقة الاستدعاء لبطلان تفكرا
أملاك متباينون خير أم الله الملك القاهر الذي لا نظير له وما
يدعونه من دون الله ضعفاً عجزه نظراً وقيل متفرقون يقول إن
كل واحد منهم ما بين ما لا خير له ما يوجب النقص وأصل القاهر القادر
ما يوجب الغلبة **وقوله تعالى** ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم
وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان معناه ما تعبدون من دون
الله إلا أسماء لا حقيقة لها لأنهم يسمون الأصنام آلهة وأسماء شتى
ولا يصح لها معنى إلا أسماء ولا معنى ما سموها به فلم يبق إلا أسماء
فارغ من الفائدة فكأنهم عبدوا أسماء لا حقيقة لها وقيل معناه ما
تعبدون إلا أصحاب أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ولم ينزل الله تعالى على ذلك
برهاناً ودليلاً يصح التعلق به **وقوله تعالى** إن الحكم إلا لله أمر ألا
تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون معناه لا حكم
لغير الله في الأمر والنهي بعبادته والله أمركم بأن تعبدوه وأمر أن لا
تشركوا به شيئاً وما أمركم به من الإخلاص للعبادة له فهو الدين المستقيم
ولكن أكثر الناس غافلون عن علمه **وقوله جل اسمه** يا صاحبي السجن أما
أحدكما فيسقي ربه خمراً قدم يوسف عليه السلام من الكلام قبل أن
عبر الرؤيا ما حكى الله عنه دعاهما إلى دين الله وزجرهما عن معصيته وبيان
حال من يستحق العبادة وحال من لا يستحقها ثم جاء إلى تعبير الرؤيا فقال
لهما أما أحدكما وهو الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزاً العصر

خبزا سوى ما في سنبله الشراب وحل سنده ذلك لبه وأما الآخر
الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزا فصلب وبقي مصلوبا حتى أكل
الطير من رأسه وقوله جل اسمه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان قال أكثر
أهل العلم قوله قضي الأمر يدل على أن ما قاله كان ذلك بوحي من الله إليه
وقيل إنما قال قضي الأمر لأنه لما ورد في الخبر أكثروا رؤياكم وورد
النهي عن أن تقصوا الرؤيا على من لا علم له بالتعبير وروي عن جعفر بن محمد
عليهما السلام أنه قال أكثروا رؤياكم ومن رأى رؤيا استحسنها
فليحمد الله كثيرا ومن رأى رؤيا يكرهها فليتفل عن يساره ثلاث
مرات وقال أعوذ بالله أعوذ بما عاذت به ملائكته المقربون
وأنبياء الله وعباده الصالحون من شر رؤياي التي رأيتها
أن تضرني في دنياي وآخرتي ثم قرأ المعوذتين وآية الكرسي لم يضره
وقوله جل اسمه وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك
معنى الظن هاهنا العلم وقد يستعمل هذا اللفظ في اللغة في
معنى العلم كقوله تعالى حاكيا عمن يؤتى كتابه بيمينه يوم القيامة
إني ظننت أني ملاق حسابيه معناه علمت لأنه لا يجوز أن يكون
ذلك بمعنى التجويز وله نظائر في القرآن ومعناه أن يوسف عليه السلام
قال للذي علم أنه ناج منهما اذكرني عند سيدك وما لحقك وبدل
هذا على أنه كان من المسيئين في ذلك السجن ولولاه لما قال هذا
وقيل إن الظن هاهنا هو على حقيقته الذي هو في التجويز والبدل
عليه هذا القائل أن رؤيا الظن وقال غيره هو ظن لأن
رؤيا الأنبياء عليهم السلام فإنها يقين وقوله جل اسمه فأنساه
الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين البضع قيل

هو من الثلاث إلى العشرة وقيل هو سبع سنين وقيل تسع سنين
والهاء التي في قوله فأنساه قيل هي راجعة إلى يوسف أن الشيطان
أنساه ذكر العزيز لاشتغاله بالله وبما هو فيه حتى بقي في السجن
بضع سنين ولم يعاود ما قاله الذي ظن أنه ناج منهما ولم يذكره
برسالة ولا غيرها وقيل راجعة إلى الفتى الناجي الذي صار ساقيا
نسي الساقي ما قال له يوسف لشغله عن أمر العزيز وبأعمال الشيطان
التي دعاه إليها فلم يذكر ذلك إلى أن رأى الملك الرؤيا وبين ما قال
له يوسف في رؤيا الملك كان بضع سنين وذلك حال يوسف وما
حكى الله في قصته على من لطيف في خلاص يوسف عما وقع إليه بألطف
وجه وأعظم رتبة وهو العلم الذي خصه الله به حتى اضطروا فيه إليه
بعد أن بقي عليه في السجن بضع سنين بعد خروج الساقي وقوله جل اسمه
وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر وأخر يابسات معناه أن الملك الذي هو العزيز رأى في منامه
سبع بقرات سمان وسبع بقرات عجاف هزل يأكل البقرات السمان
ورأى سبع سنبلات خضر أتى عليها سبع سنبلات يابسات فأبطلتها
وقوله جل اسمه يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون
معناه أن الملك قال للقوم الذين كانوا بحضرته عبروا رؤياي إن كنتم
عالمين بالعبارة وقوله جل اسمه قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل
الأحلام بعالمين معناه أن القوم قالوا للملك هذه الرؤيا التي
رأيتها من أحلام النائم لا حقيقة لها في التأويل فشبهوها بضغث
الحشيش التي تقبضها القابض مما لا أصل له مقدار والضغث ملء
الكف من حشيش والحلم ما يرى في المنام وسمي به لأنه حال أناة ولا

جاز عجله ٥ وقد يقال في اللغه جا بالحلواى بالشى الكثير وقد جعل الله
تعلى رويا الملك سببا لخلاص يوسف على حسن وجه وروائع
مزيد وحلاله وهذا من لطيف تدبير الله تعلى في باب عباده
المخلصين وقوله جل اسمه وقال الذى نجا منهما وادكر بعد امة انا
انبئكم بتاويله فارسلون ٥ ادكر اذا كان طلب الذكر ونظيره المدكر
والاستدكار ٥ والامه هاهنا المده والجمله من الحين واصل
الامه في اللغه الجماعه ٥ وقيل بعد امة بعد حين ومعناه ان الفتى
الذى نجا من القتل وصار ساقيا للعزيز قال ارسلون فاني انبئكم
بالخبر الصحيح في تعبير هذه الرويا فذكر يوسف وما كان منه
في تاويل روياه وصاحبه وقوله جل اسمه يوسف ايها الصديق افتنا
في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر
يابسات ٥ لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون ٥ في الايه محذوف
وهو انه ارسل ذلك الفتى فاتى يوسف وقال له يا يوسف الصديق
وهو من احسن الكلام والصديق هو كثير الصدق بالحق
فاتى الفتى بهذا الخطاب على يوسف بما كان ظهر له من حاله وشاهد
من صدقه فما افتاه به وعبره فقص عليه رويا الملك وقال له
افتنا في ذلك حتى ارجع الى الملك من حضرته بما تفتي سبيلا
تاويل ما خبروا به ٥ وقيل انما قال لعلهم يعلمون لان تلك الحال
كانت حال الطمع والاشفاق فكان يطمع في ان يكون
ويشفق ان لا يكون وكان المستفتي في شك من الامر وقد
يكون في بعض الاحوال الشك للمتكلم ويكون في حال الشك
للمخاطب فيما خاطب به وقد بيناه في سورة البقرة [illegible]

ذلك وقوله تعلى قال تزرعون سبع سنين دابا ٥ اصل الداب من
التوالي والاستمرار في الفعل يقال دابت دابا في ذلك دابا زراعه متواليه
موفرا على عادتكم في الزراعه وقوله تعلى فما حصدتم فذروه في سنبله
الا قليلا مما تاكلون معناه فما حصدتم في سبع سنين من الذى تزرعونه
فذروه في سنبله كما هو الا قليلا هو قدر ما تحتاجون اليه للاكل والقوت
وقوله تعلى ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما
تحصنون ٥ اصل الاحصان الاحراز ٥ معناه ثم ياتي سبع سنين بعد السبع
الاولى ويكون سنين ذات صعوبه وشده ويأتي تلك السنون على ما خزنتموه
من الغله فلا يبقى في ايديكم من الغله شي الا شيئا يسيرا وهذه عباره عن
الجدوبه والقحط ووصف السنين باكل السبب كاكل الناس ما كانوا
ادخروه حتى لم يبق منه شي واضاف الاكل الى السنين لهذا الوجه ومثله قول
القايل ٥ نهارك يا مغرور سهو وغفله وليلك نوم والردى لك لازم ٥ معناه
وانت مغرور في نهارك نايم في ليلك وقوله جل اسمه ثم ياتي من بعد ذلك عام
فيه يغاث الناس وفيه يعصرون قال بعض علما اللغه اخذ العام من
العوم لما لاهله فيه من السبح الطويل والاغاثه والخلاص من الشى والنجده
منه يقال ضرب فغوثه اي قال واغوثاه ٥ ومعناه ثم ياتي من بعد تلك السنين
عام يكون فيه خلاص الناس وخلاصهم من القحط والشده ولفظ يعصرون
عباره عن الخصب وكانه قيل يكثر الثمار والاعناب والحبوب في ذلك
العام وبعض الناس يقول الاعناب والسمسم والزيتون وما شاكل ذلك
على حسب عاداتهم واذا اعتصر العنب انما اعتصر نعله وعلامه ٥ ومنه قول عدي
[illegible] ٥ لو بغير الما حلقي شرق كنت كالغصان بالما اعتصاري وقوله جل اسمه
وقال الملك ائتوني به فلما جاه الرسول قال ارجع الى ربك فاساله ما بال

اذا صح [illegible]

النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم معناه لما وقف
الملك على تاويل رؤياه قال لاصحابه احضروا يوسف حتى اراه واخرجوه من
السجن فجاءه الرسول لاخراجه من السجن واحضاره المجلس فقال له يوسف
عليه السلام ارجع الى سيدك وقل له لا احضر مجلسك حتى يسأل النسوة اللاتي
قطعن ايديهن ويبحث عن حالهن حتى يقف على براءة ساحتي وان حبسي كان
ظلما وان الذي حدث به كان من كيد النساء وان الله لعليم بكيدهن كله
وقوله جل اسمه قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا
عليه من سوء معناه ان الملك سأل النسوة فحلف عن الحال فقال لهن ما شأنكن
حين طلبتن من يوسف ما طلبته زليخا وكيف كانت صورة الحال فاخبرني
بها صدقا وكان من جوابهن حاش لله وهو تنزيه معاذ الله تنزيها ليوسف
عما قذف به وتبرئة له عن الفاحشة والقصد اليها واقررن طوعا ببراءته
بعد ذلك اقرت امراة العزيز بالحق واظهرت الصدق ورجعت عما كان
على يوسف من البهتان هو معنى قوله وقوله جل اسمه قالت امراة العزيز
الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه معناه تبين الحق واظهرت بقولها
انا راودته عن نفسه عليه السلام وانه لمن الصادقين اصل حصحص من الحص
يقال حص شعره اذا استاصله فاعترفت امراة العزيز حاشا وبرأت
يوسف عليه السلام مما قذفته به وادعت عليه اولا وقالت انا دعوته الى الفاحشة
وطلبت ذلك منه وانه استعصم وامتنع وكان صادقا فيما قال لانه لم
يفعل ما يلام عليه وقد كانت هذه المراة ادعت عليه اولا انه قصدها بقوله
قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم وكان من جواب
يوسف هي راودتني وانا المراد اودها فاقرت امراة العزيز للنسوة ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم وقالت في هذا الموضع انا راودته عن نفسه

فاستعصم وقالت في هذا الموضع انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فانت
خالي الظهر من هذا الامر ولست اقف على عرض من يدنس يوسف عليه السلام
مع هذه البراهين والادلة والله المستعان وقوله جل اسمه ذلك ليعلم اني
لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين هذا حكاية قول يوسف
صلى الله عليه وان كان ما تقدم حكاية المراة وجاز قطع ذلك على حكاية المراة لظهور
المعنى بالدلالة الظاهرة في ذلك وهذا بيان العزيز في رد الرسول الى الملك والطلب
من الملك ان يبحث عن حال النسوة وحكايته قال فعلت ذلك ليعلم العزيز اني لم
اخنه بالغيب اي بظهر الغيب ولم اخنه لان الله لا يهدي كيد الخائنين معناه
من يهود وخيانة كان محروما من ثواب الله تعالى ومستحقا لعقابه ومعنى
لا يهديه الى طريق الجنة ها هنا وقوله جل اسمه وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي لغفور رحيم هذا ايضا حكاية
قول يوسف فكانه قال لما ظهرت براءته وبراءة ساحته رجع الى حال نفسه
ودواعيها تضرعا واستكانة واظهارا للذل والعبودية فقال
ولست ابرئ نفسي انها تدعو الى خلاف الحكمة لان النفس تنازع الى
السوء لما فيها من شهوة القبائح ولست ابرئ نفسي عن منازعتها
الى السوء وان كنت لا اطاوعها فيما نازعت اليه وقد يقال نفسي
تامرني بكذا وتدعوني الى كذا من جهة شهوتي فقال وان النفس
لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ومعناه الا ما الغم الله بفعل اللطف
الذي يترك الملطوف له فعل القبيح عنده ونبيا الله عليهما السلام بهذه
الصفة وكذلك حجج الله الذين هم الائمة وخلفاء الرسول بعده وقوله جل اسمه
قال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين

امين ه معناه ان الملك قال من بعد ما تبين له براءة يوسف وحال النسوة
فيما فعلن ائتوني يوسف لاجعله صفوة لي وخالصا والاستخلاص طلب خلوص
الشي من شائبة الاشتراك فاراد الملك ان يكون يوسف له خالصا دون
شريك فيه فلما خلص يوسف حضرة الملك وكلمه الملك قال له انك اليوم
لدينا امين مكين لله ولك عندنا منزلة ومكانة وقوله جل اسمه قال اجعلني
على خزائن الارض اني حفيظ عليم ه معناه ان يوسف قال للملك بعد ان
كلمه بما اراد ان يكلمه وبعد مدحه له وثنائه عليه واستخلاصه اياه
اجعلني خازن ارضك وطلب منه ان يوليه امر خزائنه والالف واللام
اللذان دخلتا في الارض وجب تعريفها لا اضافة اليها بدلا منها فكانه
قال اجعلني على خزائن ارضك اني حفيظ لها عليم باحوالها على معنى احفظها
عن من لا يستحقها واعلم وجوه التدبير لها وقيل عليم بالتصرف فيها ومعلوم
ان يوسف رسول الله عليه السلم لم يطلب ان يكون خازنا للعزيز
لحطام الدنيا وطلب نفعها العيشة وانما اراد ذلك لصلاح عباد الله
ووضع الحقوق مواضعها التي زالت عن مواضعها لكونها في يد الملك
واصحابه وعلى هذا الوجه اخذ حجج الله على الفراعنة والطاغين الاول
لانهم استولوا على الحقوق ومنعوها عن مستحقها واستخرجوها
عن ايديهم على احسن وجه واوصلوها الى اربابها وهذا من باب الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وقد اخذ حجج الله تعالى في زمان بخت
نصر عنه الاموال اخذ يعقوب عليه السلم من (?) واخذ يوسف من
العزيز وهكذا جرت هذه الطريقة الى ايام معوية وبني مروان وبني
العباس واخذ الحسن والحسين عليهما السلم واخذ جماعة من اولياء الله
من اولئك الظلمة وكل ذلك على هذا الوجه وقوله جل اسمه وكذلك مكنا

ليوسف في الارض يتبوا منها حيث يشاء ه اصل التمكين الاقدار بما يسهل
به الفعل ويدخل في جملته اعطا القدرة والالة ورفع الموانع ه
والتبوؤ اتخاذ منزل للرجوع اليه ووجه التشبيه في وكذلك على معنى
كما لطفنا ليوسف حتى ظهرت براءته وخلص من ضيق الحبس مكنا
ليوسف في الارض يتصرف فيها كيف يشا وحيث يشا فهو عبارة عن
سعة الملك ونفاذ الامر وقوله جل اسمه نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع
اجر المحسنين ه معناه ننعم على من نشا من عبادنا وهو ممن يستخلصه
للنعمة كانت النعمة نبوة او امامة او ما يجري مجرى ذلك ومن اتى باحسان
يتقرب به الي فاني لا اضيع اجره ولا نضيع له عندي اجره وثوابه وقال
بعض العلما هذه الاية دالة على هذا ان هذا التمكين ثواب له وجزاء على
طاعته واكده بقوله ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون
وقال غيره يحتمل ان يكون الله تعالى قصد بالانعام عليه من غير ان ينقص
شيا من اجره وقوله جل اسمه ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا
يتقون ه من ذهب الى ان ما تقدم ذكره هو الثواب قال معناه وثواب
الاخرة رحمة للمؤمنين المتقين من ثواب الدنيا ومن ذهب الى القول الاخير
قال معناه وثواب الاخرة خير من الدنيا ومنافعها وقوله جل اسمه
وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ه ورد في القصة
ان سبب مجيئهم الى يوسف وقوع الجدب والقحط في بلاد كنعان وهو ما
ذكره يوسف عليه السلم في تاويل الرؤيا وبعثهم ابوهم الى مصر يمتارون
مع العير الخارجة من ناحية كنعان ه واصل الانكار نقيض الاقرار وهو
ابطال المعرفة للشي بالقول فدلت هذه الاية على ان اخوة يوسف لم يبلغ
اليهم خبر يوسف انه صار خازن الملك وتبوا من مملكته حيث شا لانه لو

كان يبلغ ذلك اليهم لما انكروه قوله تعلى ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني
باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين ٥ اصل
الجهاز فاخر المتاع الذي يحمل من بلد الى بلد ٥ معناه ولما شرح
يوسف اخوته بجهازهم الذي لاجله جاوا الى مصر وهو الطعام وقال
اذا انصرفتم الى مصر بعد هذا فاخرجوا معكم اخاكم من ابيكم ولكن
معكم اذا دخلتم مصر الكرة الثانية وكان ذلك الاخ ابن يامين
اخا يوسف من ابيه وامه وكان اخاهم من ابيهم فاشتاق يوسف الى
ان اراد ان يراه وان لم يظهر السبب الذي ظهر وقال لهم الا ترون
اني انصف في الكيل واوفيه ولا انقص وان امير الطعام والخزان امرها
الي ومن وانا خير المنزلين والمنزل هو واضع الشي الى منزله وقد
يكون للشي منزلتان احدهما الاولى والاخرى ثمن وصعهما في الاولى
وهو خير المنزلين وقيل معنى المنزلين المضيفين قوله تعلى فان لم
تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ٥ معناه فان لم تاتوني بهذا الاخ
الذي شانكم ان تحملوه الى حضرتي فلا ابيعكم الطعام ولا اقربكم ولا
احبس لكم فاكد الحجة وخوفهم لئلا يتكلوا على التواني وباب
الاخ وكتم امره واخفاه ولبس عليهم خوفا من ان يهجم عليهم
ما يستتر لاجله اضطر ابيهم لما سبق منهم فيدفعهم ذلك الى مفسدة
اخرى قوله تعلى قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون ٥ معناه انهم
قالوا ليوسف عليه السلم نحن نجتهد في ذلك ونطلب من ابيه ان
يرسله معنا وانا لصادقون به اليك ان ارسله ابوه معنا فخرج الجواب
منهم على هذا الوجه لانهم تاملوا ان يجيبهم ابوهم الى ملتمسهم وهذا
معنى قوله وانا لفاعلون قوله تعلى وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم

في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون ٥
معناه ان يوسف قال لغلمانه الذين يتصرفون تحت امره
اجعلوا بضاعتهم التي حملوها الى بلادهم الى مصر لاشترا الطعام
في رحالهم ومعناه ردوها اليهم من غير ان يشعروا به والرحل
هو الشي المعد من وعا وغيره ٥ ومعنى لعلهم يعرفونها اذا رجعوا
الى وطنهم واهلهم ويكون ذلك سببا للرجوع اليه ويحتمل ان يكون رد
المتاع ليرجعوا اليه بعد ان عرفوا انما عرفوا من اكرم اباهم ويحتمل
ان يكون ليرجعوا منعوا من سبب رده وقيل فعل ذلك لعلمه ان
طلبه اخاهم ليس لهم يعني ما لهم قوله جل اسمه فلما رجعوا الى
ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا
له لحافظون ٥ معناه انهم لما رجعوا الى يعقوب عليه السلم قالوا
يا ابانا منع منا الكيل ان رجعنا الى مصر ولم يكن اخونا معنا
دليلا انما قالوا منع منا الكيل وان كانوا اكالوا لهم لانه كان يكيل
لكل واحد منهم كيل بعير ومنعوا تمام الكيل الذي ارادوه والتاويل
هو الوجه الاول وقوله نكتل جواب ارسل ولهذا صار مجزوما لان
جواب الامر مجزوم واذا لم يكن بالفا واصله نكتال ومعناه فارسل
اخانا معنا نزدد كيل بعير ونحن حافظون له قوله جل اسمه قال هل
امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل معناه ان يعقوب عليه
السلم قال لبنيه هل لا امنكم على هذا الولد الا كما امنتكم على اخيه
يوسف من قبل فذكرهم بذلك ما كان سبق منهم في امر يوسف وما
جاوا به الى ابيهم من الغم قوله جل اسمه فالله خير حفظا وهو ارحم الراحمين ٥
معناه ان يعقوب عليه السلم قال لهم الله خير حفظا وحفيظا قول

القايل حسر في كذي انا اعظم من كذي بعاه والفرق بين خير حافظا
وبين خير حفظا ان الاضافه تدل على ان المعروف حافظ وليس كذلك
التمييز والفرق بين التمييز والحال هو ان الحال يدل على ان الله حافظ
وليس كذلك التمييز لانه يرجع الى من يحفظ بامره من الملايكه عليهم السلم
قوله جل اسمه فلما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم معناه
ولما انصرفوا الى بلادهم ووطنهم وفتحوا رؤوس الاوعيه والحمول وجدوا
بضاعتهم التي حملوها الى مصر في رحالهم قوله جل اسمه قالوا يا ابانا ما نبغي
هذه بضاعتنا ردت الينا قيل قولهم ما استفهام ها هنا كانهم
قالوا لابيهم لما نطلب والحال ما ترى من رد المتاع وقيل هو نفي
النفي على معنى ما نبغي ما اخبرناك به من اكرام عزيز مصر الكذب دليله
بضاعتنا هذه ردت الينا قوله جل اسمه ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد
كيل بعير ذلك كيل يسير معناه نقول مار الطعام يميره ومارا اذا
اشترى الطعام وحمله من بلد الى بلد وخانهم قالوا هذا الذي جئناك
به كيل قليل فيحتاج ان يضاف اليه كيل بعير ليكون كثيرا وقيل معنى
يسيرها هنا على من يكيل لنا قوله جل اسمه قال لن ارسله معكم حتى
تؤتوني موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم معناه ان يعقوب عليه
السلم قال لبنيه لا ارسل معكم اخاكم ابن يامين حتى تحلفوا بالله
وتوكدوا الايمان على انفسكم بما يرجع الى الثقه بانكم تحفظوه
ولا تضيعونه سياحتي تاتوني به فاستثنى من ذلك الا ان
يحاط بكم ما لا يمكنكم دفعه من حادث يعرض لهم او من تغلب
يقهرهم وانما قال موثقا من الله لانه طلب منهم اليمين بالله
وموضع الا ان يحاط من الاعراب نصب بمعنى المفعول على تقدير

الا الاحاطه بكم قوله جل اسمه فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول
وكيل معناه فلما اعطوا اباهم ما طلب منهم من العهد واليمين قال لهم
ابوهم الله على ما نقول وكيل والوكيل هو القايم بالتدبير وهذا تاكيد الامر
الذي طلبه منهم قوله جل اسمه وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقه ~~وما اغني عنكم من الله من شي~~ معناه قال بعض العلما انما
نهاهم عن الدخول من باب واحد خوفا ان يصيبهم العين واجازه بعضهم لما
ورد في الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل انما قال لهم
ذلك لانه خاف عليهم حسد الناس لهم وخاف عليهم ان يبلغ العزيز قوتهم
وشده بطشهم فيعزم على قتلهم خوفا منهم على مملكته قوله جل اسمه
وما اغني عنكم من الله من شي ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه
فليتوكل المتوكلون معناه وما يكون من حكم الله فيكم فليس في
امكاني دفعه وليس الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل
المتوكلون معناه وانا متوكل على الله ومفوض امري اليه وفي هذه
الايه ضروب من الحكمه احدها ان نبي الله امر اولاده بان يتفرقوا
اذا دخلوا مصر ولا يدخلوها مجتمعين فلولا ان في التفرق حكمه
بالغه لما امرهم به والثاني ان ما يكون في معلوم الله انه يكون
لا بد من كونه فان الاحتراز منه حسن والثالث ان العين
والحسد اصلا توثر ولولاه لما قال يعقوب ما قاله والرابع
ان في حكايه ذلك لنا نفعا عظيما في باب الاعتبار والاقتدا قوله جل اسمه
ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شي معناه
ولما دخل اولاد يعقوب مصر على الحد الذي امرهم به ابوهم ما كان يغني
عنهم من الله من شي قوله جل اسمه الا حاجه في نفس يعقوب قضاها معناه

وما كان يعقوب عليه السلام يدفع عنهم شيئا مما قضى الله به وانما
امرهم به لحاجة كانت في نفس يعقوب وقضى تلك الحاجة وهي ما ذكره
من خوف العين والحسد وقوله جل اسمه وانه لذو علم لما علمناه فالذي
امرهم به واراده كان عن علم ووصف يعقوب هاهنا بالعلم ترغيبا في
التمسك في العلم من جهته لانه ليس ممن يعمل على الجهل وانما يعمل على
علم لما علمناه وقوله جل اسمه ولكن اكثر الناس لا يعلمون معناه وان اكثر
الناس غافلون عن علم ذلك وقوله تعالى ولما دخلوا على يوسف آوى اليه
اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون الابتئاس الحزن والاغتمام
معناه ولما توجهوا من مصر ودخلوا على يوسف صلى الله عليه ضم اليه اخاه
وانزله معه واكرمه وعرفه انه اخوه فجاز ان يعرفه وان كان ذلك قد
علم انه اخوه لانه من ابيه وامه لانه كان يجوز ان لا يعلم ان الذي كلمه هو اخوه
قيل انه جاز اخذه بالصواع مع تعريفه اياه انه اخوه لان ذلك كان
بمواطاة بينهما وقيل انما عنى به انا اخوك مكان اخيك الهالك والقول
الاول اقرب ثم قال له فلا تحزن ولا تغتم بما يعملونه وبما ترى وقوله جل اسمه
فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه معناه فلما فرغ من
تجهيزهم وحان وقت سيرهم جعل السقاية التي كانوا يكيلون بها
الطعام في رحل اخيه الذي اواه وضمه اليه واصل السقاية الاناء الذي
يسقى فيه والمراد به صواع الملك وكان الملك يشرب فيه وروي انه
كان من فضة وقيل من ذهب وجعل في ذلك الوقت مكيالا للطعام وقوله
جل اسمه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قال بعض العلماء العير
القافلة الحمير وقال غيره هي القافلة التي فيها الحمال وقيل ان يوسف
عليه السلام امر بجعل السقاية في رحل اخيه كما اخبر الله تعالى ولم يامرهم

يوسف بان يقولوا لهم انكم لسارقون وانما نادى بها الموكلون
بالطعام لما فقدوا الصواع اتهموا القوم وقيل انما نادى بهم على ظاهر الحال
فيما غلب على ظنونهم ولم يكن يوسف عليه السلام امرهم وان علمهم سيقولون
ذلك وقوله تعالى قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون معناه ان اخوة يوسف
اقبلوا عليهم وقالوا لهم ما الذي تفقدونه من ملككم وما الذي ضاع منكم وقوله
تعالى قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم
ومن رد صواع الملك فله حمل بعير من الطعام وقال المتكلم عن الجمع
وانا ضامن للحمل ولذلك وحد لفظ زعيم وقوله جل اسمه قالوا تالله لقد علمتم
ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين تالله قسم وجاز في
القسم بالله ولم يجز بالرحمن لان التا بدل من بدل فهي بدل الواو والواو
بدل من البا فضعف عن التصرف في سائر الاسما وجعلت فيما هو احق
بالقسم وهو اسم الله تعالى ومعناه ان اخوة يوسف قالوا لقد علمتم
انا ما جئنا للفساد ولسنا من اهل السرقة وكان ذلك سببا لهم على ما
شاهدوه من صحة معاملاتهم وشدة توقيهم عما لا يجوز تعاطيه وقيل
جعل علامة صلاحهم انهم ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم وهذا
لا يليق بحال السراق وقوله تعالى قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين معناه
ان الموكلين قالوا لهم ان ظهرت السرقة عليكم وكنتم كاذبين فيما قلتم وبرأتم
منه انفسكم فما جزاء السارق عندكم وقيل جاز ان يكون في ذلك
الحكم على شرع نبي من انبيا الله تعالى وقيل جاز ان يكون ذلك على
عادة الملوك في اهل الجنايات لمصالح العباد وقوله تعالى قالوا جزاؤه من
وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين قالوا جزاؤه ان يؤخذ
من وجد الصواع في رحله فهو جزاؤه عندنا كجزائه عندكم ومن كان

من عادتهم ان يسترقوا السارق وقيل بعد ثان في الاعراب الاول
جزاوه الا استرقاق من وجد في رحله فهذا الجزا جزاوه فيكون مبتدا
ثانيا والفا جواب الجزا والجملة خبرين ومن ها هنا الجمل وجهين احدهما
بمعنى الذي كانه قيل جزا الذي وجد في رحله استرقاقه اي بمعنى الشرط
كانه قيل الجزا السرقة ان وجد في رحل السارق منا فالموجود في رحله جزاوه
استرقاقه ثم قالوا ومن ظلم نجزيه هنا الجزا وقوله جل اسمه فبدا باوعيتهم
قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه معناه ان الطالب للصواع
والمفتش عن حالها بدا باوعيتهم قبل وعا اخيهم ثم استخرجها من وعا
اخيهم فالها التي في استخرجها عائدة على السقاية وقيل عائدة على
الصواع والصواع يذكر ويونث وقوله جل اسمه كذلك كدنا ليوسف ما
كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشا الله والكيد العوض
للغط وقيل العوض للضر في حقيقة وتقديره هذا كدنا اخوته له
بما بيناه في امره حتى اخذ منهم اخاهم بالحكم الذي حكموا به في جزا السارق
وما كان ليوسف ان ياخذ اخاه في عادة الملك في جزا من يسرق الا ان يشا
الله لانه لا امر بذلك الحكم والبلا عليه وقوله جل اسمه نرفع درجات من
نشا معناه نرفعها له بالاثر من وجه الصواب في بلوغ المراد وقوله تعالى
وفوق كل ذي علم عليم معناه وفوق كل ذي علم يعلم عليم وهو الله تعالى
الغني بذاته عن التعليم وقيل وجه اخر وهو وفوق كل ذي علم من رفعه
الله عليم وقد رفعه الله بالعلم من وجه اخر فهو اعلى بذلك الا من الاخر
وقوله جل اسمه قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل معناه ان
اخوة يوسف قالوا ان سرق هذا فقد كان له اخ سرق ايضا قبل
هذا وعنوا به يوسف صلى الله عليه وروي في الروايات ان يوسف صلى الله

كان سرق صنما لجده ابي امه فكسره والقاه في الطريق وقيل كان يسرق
من طعام المائدة للمساكين وقيل ان حدثه حبات في ثيابه منطقة
اسحق لتملكه بالشوق حرصا على اقامته عندها وقوله جل اسمه فاسرها
يوسف في نفسه ولم يبدها لهم معناه ذكره يوسف في نفسه ولم يظهر
لهم وقيل ان الذي اسر في نفسه قولهم انتم شر مكانا على تقدير
انتم شر ممن قلتم فيه هذا القول ومكانكم شر لما ظهر الامر الذي
يقتضي هذا الوصف وانما قال اسرها بالتانيث لاضافة الكلمة الدالة
عليها وهذا كقول حاتم طي اماوي ما يغني الثرا عن الفتى اذا حشرجت
يوما وضاق بها الصدر وقوله تعالى والله اعلم بما تصفون اي تصفون
الكذب وقوله تعالى قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا
مكانه انا نراك من المحسنين معناه انهم استعطفوه بقولهم ان له
ابا شيخا كبيرا اي في قلبه ولا ياخذه رقا وعرضوا انفسهم عليه
لياخذ واحدا منهم بدله ومكانه فقالوا خذ واحدا منا عبدا بدلا
منه فانا نراك محسنا الينا بكيل الطعام لنا ورد بضاعتنا الينا ك
وقوله تعالى قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا
اذا لظالمون معناه انه اجابهم جواب المستعيذ بالله ان ناخذ بريا
بسقيم والعرب تقول معاذ الله ومعاذة الله وعوذ الله وعوذة
الله وعياذ الله ويقولون اللهم عائذا بك اي ادعوك دعا عائذ بك
ثم قال لهم لو فعلنا ما طلبتموه منا كنا من الظالمين وقوله جل اسمه
فلما استياسوا منه خلصوا نجيا اصل الخلوص حصول الشي من غير
خلط وشائبة ومعناه فلما يئسوا من حصول ما طلبوا منه اعتزلوا
من القوم فانفردوا من غيرهم لكون معهم غيرهم يتناجون ويتشاورون

مما وقع وجاء لفظ النجي في اللغة في الواحد والجميع لانه في موضع المصدر
والنجوى والمناجي واحد وجاء في القرآن لفظ النجي للواحد في قوله وقربناه
نجيا وجاء هاهنا للجميع وقد قال الشاعر اني اذا ما القوم
كانوا انجيه واختلف القول اختلاف الارشيه هنالك اوصيني
ولا توصي بيه قوله جل اسمه قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ
عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف معناه ان اكبر
الاخوة قال لهم هذا وورد في الروايات انه اكبرهم سنا كان روبيل
وقيل كان شمعون اكبرهم في العقل والعلم فقال لهم الم تعلموا ان اباكم
اخذ الوثيقة منكم حتى ان يبلغه معكم كما اخذها حين سرح يوسف
معنا وفعلنا ما فعلنا من التفريط والتقصير وقال بعض النحويين ان موضع
ما قبل نصب بقوله تعلموا على تقدير الم تعلموا تفريطكم في يوسف
والتفريط التقصير بترك التقدم في الامر بما هو حقه وقال غيره ارتفع
بالابتدا وخبره من قبل وقيل هي صلة لا موضع لها من الاعراب لانها لم
تقع موقع اسم معرب قوله جل اسمه فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي
او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين معناه انه قال لهم لا ابرح من مكاني
هذا الا باذن ابي او حكم وارد من قبل الله وهو خير الحاكمين وقال بعض
المفسرين اراد بقوله او يحكم الله لي محاربتهم او بغيرها مما اراد به ان يامن اخي على
ابيه صلى الله عليه وقيل انهم ساحروا الجائز بالعزيز فلم يقفوا على ذلك
خوفا ما لحق اباهم من الغم لعلمه بعضهم في الحرب قوله جل اسمه ارجعوا
الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب
حافظين معناه انه قال لاخوته ارجعوا الى ابيكم واشرحوا له هذه الحال
التي ظهرت في قولوا ان ابنك سرق على ما ظهر من الحال وما شهدنا الا بما

الا بما حصل لنا العلم به والغيب باطن الامر في السرقة وانما نقول ذلك
بظاهر الحال وما كنا نشعر ان ابنك سيسرق وهذا معنى قوله وما
كنا للغيب حافظين وقد قرئ سرق بالتشديد على معنى قذف بالسرقة
قوله تعالى واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون
معناه واسئل اهل القرية وهي مصر وهذا توسع ومجاز كانهم قالوا من
سالت من اهل القرية اخبرك بصحة ما قلنا واسئل العير التي كنا فيها وصحبتهم
ايضا حين اقبلنا من مصر ليخبروك بصحة ما قلنا وتبين لك انا لصادقون
قوله تعالى قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل التسويل التزيين وقيل
التسهيل وقيل هو حديث النفس بما يطمع فيه ومعناه زينت لكم انفسكم
امرا ثم قيل فصبر جميل معناه امري صبر واسع لا انه جبر ولو كان امرا لانتصب
كقول الشاعر شكوا الي جملي طول السرى صبرا جميلا فكلانا مبتلا قوله تعالى
عسى الله ان يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم قيل انه اراد يعقوب
عليه السلم بما في يوسف واخوه وروبيل الذي قام بالمكان ينتظر الاذن
اللذا او نزول حكم الله تعالى فيه ومعنى ذكر العليم هاهنا انه العليم
بكنه حزني على فقد اولادي وبصدق ما يقولونه وبكذبه فعسى ان يأتيني بهم
جميعا لانه الحكيم في تدبيره لخلقه قوله جل اسمه وتولى عنهم وقال
يا اسفى على يوسف واعرض يعقوب عليه السلم وقال يا اسفى معناه
واحزناه مخرج الكلام مخرج النداء لا اسف والنداء للاسف على معنى
التنبيه للحال التي هي حال الحزن كانه قال له يا اسف فان لوقتك وقتك
قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم معناه وصارت
البياض في عينيه من غلبة حزنه وكثرة بكائه على يوسف ومعنى
فهو كظيم مسك للحزن في قلبه ولا يبثه الى غيره وقيل كظيم

على الغيظ فلم يفعل بأمّا وقيل كظيم بالغيظ على نفسه لم ارسله مع اخوته
قوله تعالى قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف ٥ معناه لا تزال تذكر يوسف
ومعنى تالله قسم يقال فتئ يفتأ فتأ وفتوءاً وحذفت لا منها لانه جواب القسم
بمعنى النفي المستقبل ولو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون فجاز ذلك لما فيه
من الايجاز عن التبيان قال الشاعر امرؤ القيس ٥ فقلت يمين الله ابرح
قاعداً ولو قطعوا راسي لديك واوصالي ٥ فما لا ابيت ذكره حزناً عن
البكاء والحزن ترجعاناه اشفاقا عليه قوله حل اسمه حتى تكون حرضا او
تكون من الهالكين اصل الحرض فساد الجسم والعقل للحزن والحب والحرض
دون المرض والبلاء ومعناه تبعد ذلك حتى تكون ذا هرم وتكون من
الهالكين الميتين والحرض لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر قوله حل اسمه قال انما اشكو
بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون ٥ معناه انه جعل اشاعته ذكر
ما اصابه في الناس فقال انما اشكو حزني الى الله ولست افعل شيئا توجب اللائمة
والعقوبة ٥ ومعنى واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من احسان الله الي ما يوجب
حسن ظني وقيل معناه اعلم ان رؤيا يوسف صادقة واني
ساجد له وليس احزان نصب يعقوب عليه السلام بما فعل من الحزن والبكاء
حتى ابيضت عيناه لانه اصيب بالمصيبة من احد في زمانه ولم يكن
منهيا عن الحزن والبكاء وانما كان منهيا عن الولولة وما يؤدي
الى الاثم ولم يفعل شيئا من ذلك ولم يعرف يوسف يعقوب حاله لانه كان
محبوسا بضع سنين ومدفوعا الى مكان يغلب في ظنه انه لو اظهر
حاله لادى ذلك الى بلية اعظم مما هو فيه وابوه وانما جاز استخراج
الصواع من رحل اخيه وان كان ظاهره ظاهر التهمة لانه كان
بمواطاة منه لاخيه وكان يجب على الناس ان لا يتهموه لانه جاري

عقولهم ان يكون غيره قد جعل الصواع في رحله فاذا اتهموا قطعا على
ذلك اثموا والذي نال اخوة يوسف من الغم كان جائزا لما كان فيه من
لطيف التدبير وزوال الغصة العظيمة الذي نزل بابيهم وبهم فصار هذا الغم
حسنا لانه تاج البلاء العظيم به ٥ وروي من طريق اهل البيت عليهم السلام
انهم قالوا كان البكاؤون آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة وعلي
بن الحسين زين العابدين صلوات الله عليهم ٥ اما آدم فبكى على خطيئته حتى
اثر ذلك في وجهه ٥ واما يعقوب فبكى على يوسف حتى ابيضت عيناه واما
يوسف فبكى على ابيه وهو في السجن حتى قال له اهل السجن اجعل معنا احد
امرين اما ان تبكي بالليل وتسكت بالنهار واما ان تبكي بالنهار وتسكت
بالليل فصالحهم على ذلك ٥ واما فاطمة عليها السلام فبكت بعد وفاة النبي
صلى الله عليه واله حتى قال لها اهل المدينة مثل ما قال اهل السجن ليوسف ثم
كانت تبكي في المدينة ما تشاء فاذا علمت بضجر اهل المدينة خرجت الى بقيع الغرقد
وبكت حتى تقضي حاجتها من البكاء هو اليوم الذي خرجت ونساء من ابي بكر تلك
المناظرة فلما انصرفت عن وجهه اتت قبر النبي صلى الله عليه واله فاتكت عليه
وهي تقول ٥ ماذا على من شم تربة احمد ان لا يشم مدى الزمان غواليا ٥
٥ صبت علي مصائب لو انها صبت على الايام صرن لياليا ٥
ومن مثل هذا اعرف ما فيه ولم تبق بعد النبي صلى الله عليه واله في اكثر
الروايات اكثر من اربعة اشهر وفعلت ما فعلت وتكلمت بما اشتهر النقل به
ودفنت سرا لحشمها من حسان يتها احد ولم يظهر لقبرها اثر وتولى ذلك
امير المؤمنين عليه السلام وهو لا يفعل الا ما امر وهي عليها السلام
ما كانت توصي الا بما كان حقا ولله رضا ٥ واما علي بن الحسين عليهما السلام
فبكى على قتل ابيه سنين حتى اضجر الخلق وقال له مولا له يوما يا سيدي

انى اعظك ان تكون من الجاهلين قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله
لم اذكر مصرع بنى فاطمة يوم كربلا الا خنقتنى العبرة ولم ير بعد ابيه
منتسبا قط الا فى وقت ما وضع فيه راس عبد الله بن زياد لعنه الله
وكان المختار بن ابى عبيد وجهه اليه وامر ان يوضع على طبق ويغطى
ويوضع وقت افطاره مع بنى عمه ولا قاث به ففعل ذلك فلما كشف عن الطبق
وراى القوم ذلك الراس امسكوا عن الطعام وعرف هو عليه السلام الراس
فقال لهم هلموا الى الطعام فانكم لا تاكلون اهنا من هذا وتبسم عليه السلام من
تأمل يا اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعرف الحق ويهتدى له قوله تعالى
يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه والتحسس طلب الشى بالحاسة
ودل هذا الكلام على ان يعقوب عليه السلام كان ظهر شى من الله الذى
حثهم على طلبهما وتلك الامارات ان التى رءاها غلبت ظنه بان يوسف واخاه
ها فى جملة الاحيا وقوله جل اسمه ولا تايسوا من روح الله انه لا ياس
من روح الله الا القوم الكافرون والروح والفرج بمعنى واحد واصله
من الريح التى ياتى بها نسيم اللذة والراحة وبين انه لا ياس من روح الله
الا الكافرون بالله فان قيل اذا كان الفاسق يايس من روح الله
فكيف يجوز مع هذا اطلاق القول بانه لا ياس من روح الله فى حال التكليف
الا الكافر الذى لا يعرف الله والكلام انما خرج على وجه الحض على طلب
روح الله بذكر كلام يبين معناه ما تقتضيه الغرض فيه ممن لا يعرف
الله ايس من روح الله ويحمل ايضا ان يكون ذلك على التغليب فيه حال
الفاسق على الجملة وقوله جل اسمه فلما دخلوا قالوا يا ايها العزيز مسنا
واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة الضر سوء الحال والمزجاة
القليلة وقيل الردية التى لا توخذ الا بالوكس وقيل مزجاة كاسدة

عزنا فقدوه الا يحتذون بعد تدبرها انهم ذهبوا على الوجه الذى امرهم
به ابوهم حتى دخلوا على يوسف فقالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر
وجئنا ببضاعة قليلة وقوله جل اسمه فاوف لنا الكيل وتصدق علينا
ان الله يجزى المتصدقين معناه ان اولاد يعقوب سالوه ان يتصدق
عليهم ويتجاوز عنهم على ما حملوه من البضاعة والتصدق اعطا الصدقة
يقال تصدق عليه اذا اعطاه وتصدق اذا اخذ الصدقة ممن وجبت عليه
ومنه المصدق وهو العامل الجابى للصدقات ذكر الله تعالى عن اولاد
يعقوب انهم قالوا ليوسف تصدق علينا فان الله يثيب المتصدقين ويجزى
احسن الجزا فان قيل هل كانت الصدقة حلالا لهم او حراما عليهم وعلى
ساير الانبيا عليهم السلام قيل له ليس يمكن القطع على ان الصدقة كانت
حراما على ساير الانبيا واهاليهم الا بدليل قاطع ولا دليل وانما
قطعنا على تحريمها على الرسول صلى الله عليه وآله للدليل الذى قام
لنا عليه فيجوز ان تكون الصدقة حلالا لهم فسالوها اياه ويجوز انها كانت
حراما عليهم فسالوه ان يتفضل بالنقص عن السعر الذى كان للطعام فى
ذلك الوقت وقوله جل اسمه قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم
جاهلون قيل جاء ها هنا للتذكير حالا اقتضت التوبيخ على ما فعلوا
به من القائه فى الجب وساير ما اقدموا عليه وفعلوه به وكذلك ما فعلوا
باخيه من تعريضه بافراده عن اخيه من ابيه وامه مما فعلوه من الجفا
معه حتى اذلوه اذ كان لا يمكنه ان يكلم واحدا منهم الا بكلام المتذلل
للعشرة ومعنى قوله اذ انتم جاهلون من ذهب الى ان ما فعلوه كان
ذلك وافق منهم فى حال صباهم قال هذه الجهالة كانت جهالة الصبى لا جهالة
المعصية قال وهذا يقتضى انهم كانوا فى حال هذا الخطاب ليس جهلا وما كانوا

من قبل ولولا ذلك لقال لهم انتم جاهلون قال ولم يكن هذا توبيخا لهم وانما
ذكرهم ذلك ليعرفوا الحال التي كانوا عليها الان لكن الحال ذكرت
بطريقة النصح لهم وقيل ان يوسف عليه السلام لما قال له اخوته تصدق علينا
اذ الضر مسهم واهليهم ادركته الرقة فدمعت عيناه واعلن ما كان
يكتمه ويخفيه من حالهم وشانهم وقوله جل اسمه قالوا ائنك لانت يوسف قال
انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا
يضيع اجر المحسنين لما خاطبهم يوسف عليه السلام قالوا له على وجه
الاستفهام ائنك لانت يوسف فاجابهم بانه يوسف وهذا اخي قد من
الله علينا وانعم بان لطف لنا في الالتقا والاجتماع بعد التفريق
وخلصنا من الغم ومن كان تقيا صابرا فان الله لا يضيع اجره ولا
يحرمه نعمه وفي ائنك اربعة اوجه في العربية تحقيق الهمزتين والثاني
ادخال الالف بينهما والثالث تليين الثانية والرابع ان تكون بهمزة واحدة
وقوله جل اسمه قالوا تالله لقد اثرك الله علينا وان كنا لخاطئين
معناه انهم اقروا له بان الله اختاره عليهم وشرفه وذكروا القسم
بالله تاكيدا للاقرار واعترفوا بخطيئتهم فمن ذهب الى انهم كانوا اطفالا
ما وقع منهم ذلك صبيانا قال انما كانوا خاطئين لانهم اقاموا على كتمان
امره مع ما كانوا يرونه من فرط امر ابيهم عليه بعد حزنه وجهلهم من حد الصبي
وهذا يدل على انهم في حال بلوغهم كانوا خاطئين فمن ذهب الى
انهم كانوا بالغين في الوقت الذي فعلوا بيوسف ما فعلوه حمل الاية على
الظاهر والزمهم الخطية وقد تقدم الكلام في هذا الباب في اول
هذه السورة وهذه مسلة غامضة على اصول اهل العدل يجب الاتقاف
عن اطلاقها لا نجوز اطلاقه فيمن جاز وانما عليه السلام وقوله جل اسمه قال لا تثريب

عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين معناه ان يوسف
عليه السلام قال لهم لا تعيير لكم ولا توبيخ من جهتي بما سلف منكم قاله
عفوا عنهم وصفحا ثم قال لا تثريب تعيير بها اذا عيره ووبخه وقيل لا
مكروه عليكم بتوبيخ ولا تعيير وقيل لا تخليط بوجه مكروه الله
تعالى يغفر لكم ذنوبكم اذا تبتم وقوله جل اسمه اذهبوا بقميصي هذا
فالقوه على وجه ابي يات بصيرا قيل كان في القميص ليدل على معرفته
بان يرد الله تعالى على يعقوب بصره حين القي على وجهه وقيل لولا ان الله
تعالى اعلمه ذلك لما علم انه يرجع اليه بصره فجعل الله القميص علامة ليعلم انه
يوسف وقيل القاه على وجهه وقوله جل اسمه واتوني باهلكم اجمعين معناه ايتوني بحضرتي
جميع من كان بحضرته الى منزلي لا اهله وقوله جل اسمه ولما فصلت العير قال ابوهم
اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون اصل الفصل القطع والحاجز
بين الشيئين وبطريقه الفرقة ومعناه لما انفصلت العير من مصر وخرجوا
منها شم يعقوب ريح يوسف عليهما السلام فكان الريح من الجنة باذن الله
تعالى من مسيرة ثمان ليالي وقيل من مسيرة شهر واصل التفنيد
تضعيف الراي في التكذيب والتسفيه في اللوم ويقال افنده الدهر
اذا افسده قال الشاعر الدهر يعل حالاته وانه اذا كلف
الانسان بالدهر افنده قيل معناه لولا ان تسفهون وقيل تهرمون
وقيل تضعفون رايي وقيل تكذبون وقيل تفسرون تفندون على هذا الوجه
وقيل انما قال يعقوب عليه السلام هذا القول لمن حضره من اهله وقرابته
دون ولده لانهم غابوا عنه وهم بناحية مصر وقوله جل اسمه قالوا تالله انك لفي
ضلالك القديم الضلال الذهاب عن جهة الصواب وبطريقه الضياع
والهلاك قال بعض العلما هذه كلمة قالوها وشافهوا بها نبي الله يعقوب

على جهة الغلطة ولم يكن يسوغ لهم ان يقولها الاصح انهم قالوها على
جهة الشفقة اسفا عليه لما راوا من شدة محبته ليوسف وما ساله من
الغم بفقده وقيل كان عندهم في هذا الراى ان يوسف قد مات وانه في لهوه
بذكره ذاهب عن الصواب في امره فلهذا قالوا له انك لفي ضلالك القديم
قوله جل اسمه فلما ان جا البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا
البشير على وزن فعيل من المبشر يا من كذى بشرة بشيره فاما البشر هو
معنى استبشر بذلك عليه قوله تعلى واستبشروا بالجنة التي كنتم توعدون
وقيل كان المبشر يهودا بن يعقوب القى القميص على وجه يعقوب فرجع
عن بصره ما فقد عشيه ورحل من الحلاوة وعاد البصر الى حاله الاولى
مصيا فلما ان ذلك يعقوب صلى الله عليه قال الم اقل لكم اني اعلم من
رويا يوسف ما لا تعلمونه وهذا الذي ظهر من الامر العجيب هو من ذلك وقيل
اراد به اني اعلم من بلوى الانبيا عليهم السلم بالشدايد والمحن الى ان يصيرون
اليها منها الى الفرج والمخلص ما لا تعلمونه وا موضع ان هاهنا
الاعراب انما تزاد مع لما وحتى للتوكيد على جهة الصلة كما قال تعالى
ولما ان جات رسلنا وفي موضع اخر ولما جات رسلنا قوله جل اسمه
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين لما ظهر الامر الكل
اعتراف اولاد يعقوب بجرمهم وفزعوا الى ابيهم في الاستغفار لهم وان كانت
المعصية قد تقع بالتوبة لاجل المظلمة التي تتعلق بصفح المظلوم وسوال ربه ان
لا ياخذه بظلمه اذا راه صاحبه منه عند توبته والاستغفار قد يكون طلبا
للمغفرة بالوقف لما نزل منزلة الخطية وقد يكون الاستغفار طلب
المغفرة بفعل التوبة ولهذا جاز ان يستغفر لغيره فلا جرم ان يتوبه
عبره قوله جل اسمه قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم

وقد ورد في التواريخ ان يعقوب عليه السلم اخر الدعا الى وقت السحر بقوله
سوف استغفر لكم ربي لان ذلك الوقت ارجى لاجابة الدعا واقرب له وقيل
اخر الى ليلة الجمعة قال ابن عباس رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قوله جل اسمه
فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه [illegible] في الاية محذوف لما ان جا البشير وجاهم
الى الانتقال الى مصر واجابوا الى ذلك فانتقلوا ووجه ترتيب الاية في دخول مصر
بعد الدخول على يوسف صلى الله عليه ان يوسف عليه السلم خرج مستقبلا لابيه
واخوته واهليته وخرج معه اهل البلد فلما رجع قال لهم ادخلوا مصر ان
شا الله امنين وقيل قال لهما ادخلوا مصر يعني من زينتها امنين ومعنى اوى
اليه ابويه جعل لهما ماوى وابواه يعقوب وخالته لان امه ماتت وتزوج يعقوب
خالته وذلك في احدى الروايات وقيل كانت امه في الاحيا في ذلك الوقت والاحيا
الوجه الاخير لان وجه الاول يسميها ابا مجاز قوله جل اسمه ورفع ابويه على
العرش وخروا له سجدا معناه ان يوسف عليه السلم عظم قدر ابويه
ورفع منزلتها وسجد ابواه لله تعلى وتوجها نحوه بالسجود تحية له كما
فعلت الملايكة عليهم السلم حين سجدوا لادم عليه السلم لان السجود لغير الله يكون
وابواه سجد الله شكرا وقد بينت وجه الكلام فيه في قصة الملايكة وادم
عليه السلم قوله جل اسمه وقال يا ابت هذا تاويل رويای من قبل قد جعلها ربي
حقا معناه هذا الذي تراه من العز والرفعة هو تاويل رويای التي اريتها
وقصصتها عليك وقد حققه الله رويای قوله جل اسمه وقد احسن بي اذ اخرجني
من السجن وجا بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
معناه وهذا من احسان الله الي اذ لطف لي في الخلاص وسهل الالتقا
بعد الفراق بعد ان سجنوا بمصر وكنتم بالبادية فقير وكلنا مدفوع الى الم
والقلق وكان ذلك من بعد ان اوقع الشيطان بيني وبين اخوتي الفساد

جني

بان عاجه اباهم بالوسوسة على فعل ما ان تكبوه قوله جل اسمه ان ربي
لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم ۝ معناه انه لطيف التدبير عليم
بمصالح عباده حكيم في افعاله ۝ انما لم يتسل يعقوب عليه السلام الا ان
تاويل الرويا سيكون لا محالة لان رؤيا الانبيا عليهم السلام يكون صادقة غير
كاذبة لانما وقعت في حال الصبي وطول الغيبة وشدة المحنة توجب الحزن
فلا ينفع التسلي ۝ وقيل كانت المدة بين الرويا وتاويلها اربعين سنة ۝ وقيل
ثمانين سنة ۝ وقيل ثماني عشرة سنة وهو الاصح قوله جل اسمه رب قد اتيتني
من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث هذا اعتراف منه بنعم الله تعالى والطافه
له والاحاديث اخبار الغيب بعيب الامور وما يجري مجراه ۝ معنى الاية ان
يوسف عليه السلام قال معترفا بانعم الله عليه رب قد مكنتني من الملك
وعلمتني تاويل الرويا مع ما اتيتني من وجوه الحكم وفنون العلم قوله جل
فاطر السموات والارض انت ولي في الدنيا والاخرة ۝ هذا اثنا منه على
الله تعالى ۝ ومعناه يا خالق السموات والارض مبدعها لها من غير اصل
ابدعها منها انت مالكي وسيدي وناصري ومدبر اموري على حد
الحكمة في الدنيا والاخرة قوله تعالى توفني مسلما والحقني بالصالحين
معناه اجعل لي لطفا امسك عنده بما فيه نجاتي الى وقت المات واحشرني
في زمرة الانبيا عليهم السلام وهم الصالحون على الحقيقة قوله تعالى
ذلك من انبا الغيب نوحيه اليك اشار بذلك الى ما تقدم ذكره من القصص
والاخبار ۝ ومعناه ان الذي اوحيناه اليك من هذه الامور هو اخبار الغيب
الذي لا يطلع عليه الله تعالى الا الرسل قوله تعالى وما كنت لديهم اذ
اجمعوا امرهم وهم يمكرون ۝ معناه وما كنت حاضرهم ومشاهدا لهم
وقت مكرهم بيوسف عليه السلام وعزمهم على ما عزموا عليه فدل ذلك على

ان ما اخبره هو من الغيب الذي لا يعلمه الا الله تعالى وجعله دليلا
على صحة نبوة محمد صلى الله عليه ومكرهم بيوسف هو القاوهم في غيابة
الجب ۝ وقيل هو احتيالهم في امره حتى القوه في الجب ثم باعوه وفعلوا جميع
ما حكى الله عنهم قوله جل اسمه وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين في
ضمن هذا تسلية له عليه السلام لما كان يتداخله من الغم باعراض الكافرين
عما يدعوهم اليه من الايمان بالله والتمسك بنبيه وكانه قال له اكثر
الناس بعد لو تبعوا عن الهوى الى الباطل والجاورون [illegible]
وان وجب على النبي ان يدعوهم الى دين الله لا اتباعهم شهواتهم
[illegible] على انفسهم وساوس [illegible] الشياطين قوله جل اسمه وما تسألهم
عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين ۝ معناه ولست اعراضهم عن دين
الله اشفاقا من ان يلزمهم ان يعطوك مالا على تبليغهم ما تدعوهم اليه
لكن اعراضهم عنه لالفهم الكفر وطاعتهم دواعيه على ان ما تسألهم من
الرسالة ليس الا ذكر للعالمين وعظة لهم وسهام نشاته ونحو ذا
قوله جل اسمه وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم
عنها معرضون ۝ معنى كاين كم والاصل فيها اي دخلت عليها الكاف
للتفخيم والابهام ۝ ومعنى الاية وكم من دلالة نصبها الله تعالى في
السموات والارض اقامها ليعتبر الخلق بها ويتفكروا فيها فيعلمون
ان للسموات والارض خالقا ومدبرا قادرا عليما حكيما لا يشبه
الخلق ولا يشبهونه وهم يشاهدونها ولا يعتبرون بها ولا يفكرون
فيها وقد قال الله تعالى وجعلنا السما سقفا محفوظا وهم عن اياتها
معرضون وتدخل في ذلك دلالات من اهلكهم الله من الامم الماضية
لان الله تعالى قال اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين

كان عاقبة الذين من قبلهم ونظائر ذلك كثير في القرآن قوله جل اسمه
وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ٥ لإشراكهم الأوثان في العبادة
وقيل ما يؤمن أكثرهم بالله ومن الإقرار بأن الله خلقهم وخلق السموات
والأرض إلا وهم مشركون بعبادتهم الوثن وقد حكى الله عنهم ذلك بقوله
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ٥ وقيل هم أهل الكتاب فيهم إيمان وشرك
قال الله تعالى منكراً عليهم وموبخاً لهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
وكانوا آمنوا بموسى وكفروا بمحمد صلى الله عليهما قوله جل اسمه أفأمنوا أن تأتيهم غاشية
من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون ٥ الغاشية المجللة
للشيء بانبساطها عليه ٥ ومعناه ومن لا يأمن على نفسه من عذاب الله
أن يغشاه ومن إتيان الساعة بغتة كيف يسوغ لنفسه أن يقيم على الكفر
بالله ورسوله وهو لا يعلم متى تقوم القيامة عليه قوله جل اسمه قل هذه
سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ٥ السبيل في اللغة يؤنث
لفظه ويذكر قال الشاعر فلا تبعد فكل فتى أناس سيصبح سالكا
تلك السبيل والخطاب في هذه الآية لنبينا محمد صلى الله عليه وآله
أمره الله تعالى أن يقول لهم إن الذي أدعوكم إليه هو دين الإسلام والشرائع
التي أتيت بها هي ديني وسبيلي وأنا أدعوكم إلى توحيد الله وأنا ومن
اتبعني على بصيرة ومعرفة بما تمسكنا به والبصيرة المعرفة التي تميز بها
الحق من الباطل بالإيمان دعاه إلى الحق ودعاه لماله فيلحظ ودعاه بأتيه النصح
له قوله جل اسمه وسبحان الله وما أنا من المشركين ٥ هذا تعليم الله
وأمر بأن يقول وكأنه قال له قل سبحان الله تنزيهاً له عما قاله المشركون
وأظهر البراءة من المشركين بقولك وما أنا من المشركين ٥ وقيل لم يدخل
الألف واللام في سبحان الله لأنها من المصادر فلما أخرج بهذا المعنى

من الظن أخرج عن التصرف ليؤذن بذلك الإخراج قوله جل اسمه وما
أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى ٥ خرج هذا الكلام
مخرج الجواب ردّ على قريش وقالوا لو أراد الله أن يبعث إلينا نبيا لبعث
ملكا فقال الله رداً عليهم لم يبعث قبلك يا محمد رسولا إلا من البشر لا
من الملائكة ولا من الجن ولا من النساء قوله جل اسمه أفلم يسيروا في الأرض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هذا حض لهم وبعث على
الاعتبار بأن من أهلكهم الله بكفرهم وعصيانهم وإنكارهم
الرسل الذين بعثوا إليهم لئلا يأمنوا أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك لأجل
تكذيبهم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وتكذيبهم القيامة ٥ ولدار الآخرة
خير للذين اتقوا أفلا يعقلون معناه وما أعد الله لعباده
المؤمنين في الآخرة خير وأنفع مما ركنوا إليه واغتروا به من عرض الدنيا
وحطامها ثم قال تعالى على وجه التعجب للخلق عن حالهم أفلا تعقلون
معناه ومن كان عاقلا ناظراً بعين عقله في حال الدنيا والآخرة علم
أن نفع الآخرة خير له من نفع الدنيا وما وعد الله في الآخرة خير مما
ركنوا إليه من هذه الحيوة الدنيا قوله جل اسمه حتى إذا استيأس الرسل
وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم
المجرمين ٥ الظن هاهنا بمعنى العلم معناه حتى إذا يئس الرسل من
إيمان قومهم وأيقنوا أنهم لا يفلحون جاءهم نصرنا ٥ قد قرئ كُذِبوا بالتخفيف
والتشديد ووجه من قرأ بضم الكاف والتخفيف هو أن الأمم ظنوا أن الرسل
كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله وإهلاك عدوهم ٥ ووجه من قرأه بالتشديد
أن الرسل أيقنوا أن الأمم كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله وإهلاك
عدوهم وأيسوا من إيمانهم وإفلاحهم فيكون الظن بمعنى العلم ومعنى فنجي من

نشاء ننجي من عذابنا من نشاء ولا يشاء الله أن ينجي من عذابه إلا
من تاب واستحق المغفرة ويبين أنه إذا أراد الله عذاب قوم سحقه
من عباده كما قال وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من
دونه من وال وهذا وعيد في غاية التهديد ومن زعم أن النون
في ننجي مدغمة فقد أخطأ لأن النون الأولى متحركة فلا تدغم في الثانية
وقوله جل اسمه لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ه العبرة الدلالة
والهداية ولها نظيره ه ومعناه في قصة يوسف وإخوته عبرة للعقلاء
وقوله تعالى ما كان حديثا يفترى ه معناه ولم يكن ذلك حديثا يفترى
مخترصا كما زعم الجاحدون المنكرون ه وقوله جل اسمه ولكن تصديق
الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ه معناه ولكن مصدقا
للكتب التي أنزلت من التوراة والإنجيل وسائر كتب الله وسائر الأخبار عن
الأنبياء الماضين والأمور التي جرت في أيامهم وما أوحى الله تعالى إليهم وهذا
القرآن مع كونه مصدقا لما قبله فهو مفصل لكل شيء ودلالة ونعمة للمؤمنين وخص
المؤمنين بالذكر وإن كان القرآن دلالة لهم ولغيرهم بشر نفعه لهم بالذكر
لأنهم ينتفعون به واهتدوا واستبصروا به ه ووجه الاعتبار بقصتهم هو أن الذي
قدر على إعزاز يوسف بعد إلقائه في الجب وبعد جميع ما ناله ما وصف
الله القادر على إعزاز محمد صلى الله عليه وآله وإعلاء كلمته ونفاذ أمره
وروى أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله علموا أرقاءكم
سورة يوسف فأيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه
سكرات الموت وأعطاه القوة ألا يحسد مسلما ه السورة التي يذكر
فيها الرعد ثلاث وأربعون آية مدنية وثمانمائة وخمس وخمسون كلمة
وثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف ه

ه

بسم الله الرحمن الرحيم قوله جل اسمه المر تلك آيات
الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس
لا يؤمنون ه قد مر تأويل الحروف المذكورة في أوائل السور في غير موضع
فلا وجه لإعادته ومعنى تلك آيات الكتاب هذه آيات الكتاب التي تقدمت
صفتها لما قصا من الهدى ابتدأ بقول القائل تلك الدلالة التي وصفتها بأنه
لا غنى عنها تنبيها عليها وتفخيما لشأنها ه وقيل المراد بالكتاب هاهنا
القرآن وقيل التوراة والإنجيل ويبين أن الذي أنزل إليك حق ولكن أكثر
الناس لا يؤمنون به ه وموضع والذي أنزل من الإعراب يحتمل وجهين
الرفع والجر فالرفع على أنه مبتدأ وخبره الحق ه والجر على أنه عطف على
الكتاب وقوله جل اسمه الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى
على العرش ه معناه هو الذي رفع السماوات بلا عمد تحتها وأنتم ترونها
وفيه تنبيه العباد أنه لو كان لم ترونه بل جعل أجساما موقوفة بلا علاقة
فوقها ولا عماد تحتها ه وقال بعض المفسرين بعمد لا ترونها وهذا
فاسد لأنه لو كان تحتها عمد لكانت أجساما عظيمة مرئية وكانت
تلك الأجسام التي هي عمد محتاجة إلى عمد أخرى فيتمادى ذلك إلى ما لا
نهاية له وقوله جل اسمه ثم استوى على العرش ه بالتدبير المستقيم من
جهته لجميع الأمور ه والاستواء على الشيء الاستيلاء عليه بالاقتدار
ونفوذ الأمر والشأن ه ودخول ثم في هذا الكلام على معنى ثم استوى
على العرش بالتدبير للأجسام التي قد كونها فهي تدل على حدوث التدبير
وقيل إنما هو لتسخير الشمس والقمر لكنه قدم في صدر الكلام كما قال
لنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والمعنى حتى يجاهد من نعلم من المجاهدين
وهذا الذي ذكره من التدبير لا على وجه التقديم والتأخير وقوله تعالى

وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ه المسخر المهيا لان
يجري بمشيئته من غير معاناة كتسخير النار للاضاءة والايضاح والماء
للجريان ه والاجل الوقت المضروب لحدوث امر وانقطاعه وقد جعل
الله لكل شي حدا ووقتا واجلا ه فاجل الدنيا الوقت المضروب لحدوثها
والوقت المضروب لانقطاعها ه ودخلت الالف واللام في الشمس وان كانت
واحدة لان في اسمها معنى الصفة اذ لو وجد مثلها لكان شمسا وكذلك
القمر لو خلق الله مثله لكان قمرا وليس كذلك زيد وعمرو قوله جل اسمه يدبر
الامر يفصل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون معناه ويفصل الايات
ويبينها لكم ويدبر الامر بلفظ التدبير كي يتفكروا فيها فيقع لكم علم
اليقين بما وعدكم ربكم في الاخرة قوله جل اسمه وهو الذي مد الارض
وجعل فيها رواسي وانهارا ه المد البسط ومعناه ان الله هو الذي
بسط الارض وجعل فيها جبالا ثابتات هي اوتاد الارض وجعل في الارض
انهارا جارية والرواسي جمع الراسية وهي الثابتة قوله تعالى ومن كل
الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ه اصل الزوج الشكل له قرين او شقيق
يقال في اللغة زاوج بين الاشيا اذا ميزها على النظم والنظير كالذكر
والانثى والرطب واليابس والحلو والحامض ه ومعناه جعل فيها لونين
وضربين من النبات لان هذا اللفظ قد يذكر ويراد به الذكور والاناث
نحو قوله تعالى ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين ه وقد ذكر
هذا على وجه التاكيد لتمكين المعنى في النفس قوله جل اسمه يغشي الليل النهار
ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ه معناه ياتي بالليل عقيب النهار
وبالنهار عقيب الليل وبين ان جميع ما خلق الله من هذه الاشيا دلالات
وعبر اولي يتفكروا فيه عبرة قوله جل اسمه وفي الارض قطع متجاورات

وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء
واحد ه الصنوان المثل الاصل وهو الفسيلة تكون في اصل النخلة
يقال لابن اخي الرجل صنو ابيه اي لصنو ابيه وصنوان جمع صنو ه وقيل
الصنوان النخلات التي اصلها واحد وقيل الصنوان النخلتان اصلهما
واحد ه ومعنى الاية وفي الارض قطع متجاورات متلاصقات قطعة سبخة
وقطعة عذبة وفيها بساتين فيها اعناب وزرع ونخيل متلاصقة
تسقى هذه الزروع والنخيل والكروم بماء واحد قوله تعالى ونفضل
بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون معناه
ونفضل الله بعض هذه الاشيا على بعض ~~في الاكل ان في ذلك~~
~~لايات لقوم يعقلون~~ طعمه وما خلق الله في الارض من الزروع
والنخيل والكروم على الصفة التي وصفها دلالات وعبر لمن نظر
فيها بعقله واستدل بها على وحدانية الله جل ذكره واذا استدل
بها عرف صانعه وخالقه ومالكه ودلت هذه الاية على بطلان قول
من قال بالطبع والخاصية لانه لو صح ما ذهبوا اليه لوجب اذا كان الارض
والماء واحدا ان لا يثبت منها الا لون واحد وفي ثبات الالوان المختلفة
منها وطعمها دلالة على انه فعل قادر مختار يفعل ما يشا
على اي وجه يشا قوله جل اسمه وان تعجب فعجب قولهم اذا كنا ترابا انا
لفي خلق جديد ه في الاية مدح وذم مدح النبي صلى الله عليه وآله
بتعجبه من عبادتهم ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا وذم الكفار لانهم
يكذبون بعد الاماتة ويعادون فانكروا النشاة الاخرة مع علمهم بالنشاة
الاولى وهذا الباب ——— ينبغي للعاقل ان يتامله ويتفكر
فيه ولا يغفل عنه وهو لا الجهال توهموا انهم اذا صاروا ترابا بعد

لان يصيروا الى ما كانوا عليه من حال الحيوة ولو اعتبروا بالنشاة
الاولى لعلمهم ابدعوا من لا شي لما بعدت النشاة الثانية عندهم
اليه وهذا معنى قوله تعالى حكاية عنهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد
وقوله جل اسمه أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال في اعناقهم
وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ٥ قيل ذكر الغل في الاعناق
هاهنا على طريق المثل كانه قيل هولاء الذين كفروا بمنزلة من في
اعناقهم اغلال لما لزمهم من كفرهم بالله تعالى ٥ وقيل ذكر على
وجه التحقيق وهو العذاب في النار كانه قيل هولاء الكفار [illegible]
في النار معذبون بالاغلال وقوله جل اسمه ويستعجلونك بالسيئة قبل
الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات ٥ واصل المثلات العقوبات
واحدها مثلة يقال مثلت به اذا عذبته وامثلته من صاحبه اى امثلته
اذا اقصصته منه ٥ ومعناه هولاء الجهال يطلبون حصول ما يسوءهم
من العذاب قبل الاحسان بالامهال لهم والانظار انكارا لما يتوعدون
به من نزول العذاب واستبعادا له وفي حكم الله ان يمهلهم للتوبة
ثم ياخذ من قام منهم على القبيح بالعقوبة ـــ ان النبي صلى الله
عليه وآله وسلم كان اذا اخبرهم بنزول العذاب بهم طلبوه متعجلين له انكارا
واستهزاء واستبعادا وقوله جل اسمه وقد خلت من قبلهم المثلات
معناه ينكرون ما يوعدون به من نزول العذاب ويستبعدونه
وقد علموا ما نزل بامثالهم قبلهم من العقوبات ـــ وقوله جل اسمه وان ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ٥ معناه
يغفر لهم الكبيرة التي فعلوها وطلبوا بها العقوبة بالتوبة ٥ وقيل
يغفر لهم الصغيرة التي طلبوا بها العقوبة وان كان عقابه شديدا لمن

عصاه واحدا ولم يتب وقوله جل اسمه ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد ٥ معناه هولاء
الكافرون يقولون هلا انزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم آية من الآيات
التي يقترحونها ويطلبونها دون القرآن الذي انزل عليه وهذا الذي
يقترحونه فهو مثل ما حكى الله تعالى عنهم بقوله وقالوا لن نؤمن لك حتى
تفجر لنا من الارض ينبوعا الى آخر الآيات فخاطب نبيه بانه
انما انت رسول الى الخلق مثل الرسل الذين من قبلك ولكل قوم هاد
يهديهم الى طريق الرشد واختلف المفسرون في الهادي هاهنا
فقال بعضهم هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو الله تعالى وقيل
هادي لكل امة وقيل هو الحجة الداعي الى الحق يدعوهم بما يعطى من
الآيات لا بما يقترحونه ويتحكمون فيه وقوله جل اسمه الله يعلم ما تحمل
كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ٥
اصل الغيض ذهاب المائع في العمق الغامض يقال غاض الماء
وغاض الدم في الرحم وكذلك غاضت النطفة ٥ ومعنى الآية ان الله تعالى
يعلم ما تحمل كل انثى من ذكر وانثى وما تغيض الارحام وما تزداد لا الله
علام الغيوب ٥ وقيل معنى ما تغيض وما تنقص من الاشهر التسعة
او تزداد لان الولد قد يولد لستة اشهر فيعيش وقد يولد لسنتين
او لعشر ٥ وقيل معنى ما تغيض هو ما تسقط وما تزداد هو التام
وقيل ما تغيض ينقص من النطفة وظهور دم الحيض ينقص بذلك الارحام
لانه لا يغتذي بها في الحمل وينقص حال الولد وما تزداد من الاشهر في
حال الولد ومعنى وكل شيء عنده بمقدار المقدار المثال يقدر به
غيره فكانه قال ما يفعله الله هو على مقدار ما تدعو اليه الحكمة

من غير نقصان ولا زيادة وقيل كل شيء عنده بمقدار في الاجل والرزق
وقوله جل اسمه عالم الغيب والشهادة قيل عالم المعدوم والموجود
وقيل الغيب هو السر والشهادة هي العلانية وقوله تعالى الكبير المتعال
معنى الكبير هو الاصل المختص بصفة مقدار كبيره بالاضافة اليه المتعالي
المقتدر بما استحال ان يكون اعلى منه في الاقتدار وقيل المتعالي هو المتعالي
عما يقول المشركون وقيل معنى الكبير المتعال العظيم الشان العظيم
المملكة المقتدر على كل شيء وقوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن
جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار السارب الجاري وخروجه
الى امر ستر عنه وقيل هو السالك في سربه اي في مذهبه وقيل
الظاهر من خفي كان منه ومعنى الاية ان الله تعالى يعلم الانسان على
تصرف احواله مسرا او معلنا ومستترا او ساربا بالنهار والسر
والعلانية سواء عنده في الظهور فمن كانت هذه صفته يحقق ان يحذر
جزاؤه على ما صار معلوما له من حال العباد فالظاهر في الطرقات
والمستخفي في الظلمات والجاهر بنطقه والمضمر في نفسه في معلوم الله
تعالى سواء لا يخفى عليه شيء وقيل معنى وسارب بالنهار مستترا بالنهار
وهو جائز في اللغة ويقال انسرب الوحش اذا دخل في كناسه وقوله تعالى
له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله اصل المعقب
الناس الذي يجيء عقيبه يقال عقبه يعقبه اذا جاء بعده فالمعقبات
المتناوبات خلف يعقب بعضها بعضا كل واحد يجيء بدلا من الاخر والمراد بالمعقبات
في هذا الموضع الملائكة عليهم السلام ملائكة الليل يعقب ملائكة النهار وملائكة
النهار يعقب ملائكة الليل وقيل هم اربعة املاك يجتمعون عند صلاة
الفجر على هذا التاويل في قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا اي تشهده

ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل المعقبات الامراء والولاة والقول الاول
هو الظاهر والضمير في قوله له عائد على من في قوله من اسر القول ومن
جهر به الاية ومعناه عليه حفظة يحفظونه وقيل الضمير عائد على
اسم الله تعالى في قوله عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ومعناه له موكلون
وكلهم بالخلق وقيل الضمير عائد على اسم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انما
انت منذر معناه له الولاة والامراء والتاويل الاول هو الاصح والثاني هو
الوجه ومعنى يحفظونه من امر الله اي بامر الله فاقيم من ههنا مقام
الباء لان حروف الصفات بعضها يقوم مقام بعض في اللغة وهو كقول
القائل العرب احببتك عن دعائك اي بدعائك وقيل من ههنا ليست
على البدل لان الملائكة يحفظونه من امر الله ومن يستعمل بمعنى عن كما يقال
اطعمه من جوع وعن جوع وقيل يحفظونه من امر الله من الجن وقوله جل اسمه
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم معناه ان الله لا يزيل
نعمه عن قوم الا بعد ان يغيروا على انفسهم بالمعاصي ونظيره قوله تعالى
ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم ان
الله لا يجوز عليه المنافع والمضار ولا الاعطاء يضره ولا المنع ينفعه فما
يفعله من النعم وما يزيله فللمصالح وقوله جل اسمه واذا اراد الله بقوم سوءا
فلا مرد له وما لهم من دونه من وال معناه واذا اراد الله ان ينزل العذاب
بقوم وان يذيقهم ضرا بعد نفع وشدة بعد رخاء لم يكن لاحد رده ودفعه
ولا ناصر له ولا ولي من دون الله ينصره فيدفع عنه عذاب الله وفي الاية حجة
على المجبرة فيما ذهبوا اليه من اجازة تعذيب اطفال الكفار لانهم لم يغيروا
ما بانفسهم حتى يفوتهم منافع الجنة ونعيمها وقوله جل اسمه هو الذي يريكم
البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال قيل معناه يريكم البرق خوفا من

الصواعق التي تسقط مع البرق وطمعًا في الغيث المزيل للجدب والقحط
وقيل خوفًا للمسافر من أذاه وطمعًا للمقيم في سعة الرزق والانشاء
والاختراع واحد وهو احداث الشيء من غير سبب والله تعالى الخالق
السحاب وخالق المطر فيها وذلك ثقلها قوله جل اسمه ويسبح الرعد
بحمده والملائكة من خيفته الخيفة مصدر الحالة فهو كالجلسة والركبة اي
حالة من الركوب حسنة ومعنى تسبيح الرعد بحمده تسبيحا فيه من الدلالة
على وجوب تعظيم الله ووجوب حمده على نعمه وافضاله فكان الرعد من هذا
الوجه مسبح لله وقيل تسبيحه ما فيه من الآية التي تدعو الى تسبيح الله وهذا
اذا كان الرعد هو الصوت الهائل وقيل الرعد ملك يزجر السحاب بالصوت
الذي يسمع وهو تسبيح الله تعالى بما ذكره من تعظيم الله تعالى فعلى هذا
التسبيح هو ما يفعله المكلف من الملائكة تسبيح الله خوفا من ترك تعظيم الله
قوله جل اسمه ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو
شديد المحال معناه ويصيب الله بالصاعقة من يشاء من خلقه على وجه المصلحة
والعبرة وهؤلاء الجهال يجادلون اهل التوحيد عن مذهبهم بجحد الهم في الله والله
شديد المحال وهو الاخذ بالعقاب من قولهم ماحلته وعلته اذا علته في هلاكه
وقيل نزلت الآية في رجل من الطغاة جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال
يا محمد مم ربك امن لؤلؤ او من ياقوت ام من ذهب ام فضة فارسل الله عليه صاعقة
فاهلكته وقيل نزلت في اربد وعامر بن الطفيل وهما من جملة المستهزئين الذين
انزل الله فيهما انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر الآية قوله جل
له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء
ليبلغ فاه وما هو ببالغه فقيل دعوة الحق شهادة ان لا اله الا الله على اخلاص التوحيد
وقيل دعوة الحق هي الدعوة التي يدعى بها على اخلاص التوحيد ابدا وقيل دعوة الحق

كل دعوة تكون حقا يجوز ان تضاف الى الله تعالى لانه تبارك هو لا
الكفار الذين يدعون الاوثان لحاجاتهم وقيل الذين يدعونهم اربابا
والهة من دون الله كانه قيل يدعون لغير الله معرضين عن دعائهم له
فانهم دونها هنا مقام غيره وقيل يدعون من دونه معناه يدعون
غيره وهو الذين يدعونهم لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه
من غدران يتناول الا انه ليبلغ فاه ببسط كفه ولا يبلغ وهذا مثله وقيل
كباسط كفيه الى الماء فمات قبل ان يصل اليه والعرب تضرب
المثل لمن سعى ما لا يدركه بالقابض على الماء قوله جل اسمه وما دعاء الكافرين
الا في ضلال معناه وما دعاؤهم الا في ضياع وبطلان قوله جل اسمه
ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها قيل المؤمن يسجد
طوعا والكافر يسجد كرها بالسيف ومعناه ان السجود واجب لله
تعالى فالمؤمن يسجد له طوعا والكافر يؤخذ بالسجود كرها كانه قيل
ما كان الحكم في وجوب السجود لله تعالى وقيل المؤمن يسجد طوعا
والكافر في حكم الساجد كرها لما فيه من الحاجة والذلة الداعية
الى الخضوع لله تعالى والطوع هو الانقياد للامر من قبل النفس
والكره بعضه وهو الانجرار للامر على اباء النفس قوله جل اسمه وظلالهم
بالغدو والآصال الظلال جمع الظل والآصال جمع اصيل واصل جمع
اصل وهو العشي ومعناه يسجد ظلالهم بالغدو والآصال لما فيها من
الدلالة الداعية الى صانع غير مصنوع له القدرة والعزة وقيل سجود الكل
يكون بالتذلل بالغداة والعشي للتصريف من عافية الى مرض ومن غنى الى فقر
ومن حياة الى موت فهذا تذلل من يتصرف به هذه الاحوال فلا يمكنه
الامتناع واصل السجود التذلل والخضوع كتذلل الاكم للحوافر التي تطؤها

قال الشاعر   ترى الاكم فيها سجدا للحوافر ٥ وفي الظل عبرة واضحة
ظاهرة لانه يعتبر بان شعاع الشمس فيتقلص ويطول بانحطاطها
ويمتد وقوله جل اسمه قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم
من دونه اوليا لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ٥ امر الله نبيه صلى الله
عليه والسلم ان يقول لهولا الكفار على وجه المعترض عليهم الحجة
من خالق السموات والارض ولا بد للكفار ان علموا ان الاوثان لم تخلق
السموات والارض ثم امره ان يقول لهم ان الله هو الخالق المالك للسموات
والارض وهذا كالتنبيه لمن علم السول وامكنه ان يقيمه على علم ما
يمكنه علمه او على تذكر ما علمه وامره ان يقول لهم على وجه الانكار
عليهم والتقريع لهم باتخاذهم الاوثان الهة من دون الله افاتخذتم من دونه اوليا
وهي الاوثان التي لا تملك نفعا ولا ضرا وقوله جل اسمه قل هل يستوي الاعمى والبصير
ام هل تستوي الظلمات والنور ٥ انزل الله المومن منزلة البصير الذي يمشي
في النور وانزل الكافر منزلة الاعمى الذي يمشي في الظلمات وكما ان معلوما
لهم ان البصير والاعمى لا يستويان وان النور والظلمة لا يتساويان فكذلك
المومن والكافر وقوله جل اسمه ام جعلوا لله شركا خلقوا كخلقه فتشابه
الخلق عليهم ٥ معناه وهل خلق الاوثان التي اتخذتموها الهة من دون
الله مثل السموات والارض والحيوانات حتى يشتبه الخلق عليهم
ولا يمكنهم تمييزها وفي ذلك بيان عجزهم وبيان جهل اولايك الكفار
باتخاذهم الاوثان الهة وقوله جل اسمه قل الله خالق كل شي وهو الواحد
القهار ٥ لما نفى الله عن الاوثان خلق الاجسام من الحيوانات والجمادات
صرح بكونه خالقا لها واوقع لفظ كل شي على ما صح المدح بخلقه لان
الاية خرجت مخرج المدح فبطل بذلك ما قالته المجبرة ان افعال العباد

داخلة فيها لانها اشيا لانه لا يحسن المدح بخلق السفه والعبث والظلم
والكفر والخضوع والتواضع تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ووصف
دونه خالقا لما يستحق به العبادة دون الاوثان التي لا تملك ضرا ولا نفعا
وبين انه عز وجل واحد قاهر وقد مر بيان هذين الاسمين في غير موضع وقوله
انزل من السما ما فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما
توقدون عليه في النار ابتغا حلية او متاع زبد مثله ٥ معناه انزل الله من
السما المطر فكثر حتى سالت الاودية ٥ ومن له ان يربو على الما ثم فار
وما خالط الما اذا اوقد تحته حتى يغلي من اجله تقدر الاودية على كبرها وصغرها
فعلى ذلك السيل زبدا اي زايدا والزبد الرابي هو الزايد بانتفاخه حتى
يربو على الما ثم فار وما خالط الما اذا اوقد تحته حتى يغلي طلبا لحلية
يتزين بها او متاع شبه ذلك فمن انه يربو على هذا الذي يوقد تحته
يغلي وما خالطه زبد مثل الزابد الذي اجتمع وربا على الما الجاري في الاودية
وقوله تعالى واما الزبد فيذهب جفا واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض
الجفا هو ما رواه الوادي يقال اجفات القدر اذا غلت حتى ابيضت ما
تحتها من الزبد وسكنت فلم يبق فيها شي ٥ ومعناه فما كان جفا يذهب على
وجه الما ولا ينتفع به وينتفع الناس من ما الاودية الذي يوقدون عليه ما هو
من الحلية والامتعة فان ذلك يمكث في الارض ويبقى في ايدي الناس وينتفعون
به فجعل الله تعالى هذا مثلا للحق والباطل والكفر والايمان وما يجازى كل
واحد منهما في القيمة من ثواب وعقاب فصار الباطل في خبر الزبد الذي يضمحل
ويذهب فلا ينتفع به وصار الحق في خبر الحاصل الباقي وهذا معنى قوله تعالى
كذلك يضرب الله الامثال ٥ بين تعالى ان الذي ذكره في الاية انما هو على طريق
المثل الذي هو احسن معنى واوجز لفظا واوضح دلالة وقوله جل اسمه الذين

استجابوا لربهم الحسنى ٥ اصل الحسنى المنفعة العظيمة في الحسن وهي الجنة
ومعناه للذين اجابوا الله الى ما دعاهم اليه من طاعته الثواب الدائم فسمى
الثواب على الفعل الحسن الذي فعلوه الحسنى كما سمي جزاء الشي باسمه
وقوله جل اسمه والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به ٥ معناه والذين لم يجيبوا الله الى ما دعاهم اليه من معرفته وطاعته
وترك مخالفته لو افتدوا به ما يملكونه وكان جميع ما في الارض لهم ومثله
معه لم يغن عنهم شيا ولم ينجهم من عذاب الله ولا يقبل احد اخذ الشي بدلا
من الاخرة وقوله جل اسمه اولئك الذين لهم سوء الحساب وماواهم جهنم وبئس المهاد
اي مصيرهم الى النار ولبئس المهاد النار ٥ وقيل سوء الحساب المواخذة
بالذنب الذي لا يغفره وقيل معناه مواخذة العبد بالتقريع والتوبيخ
افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب
الالف في قوله افمن الف انكار وان خرجت على صورة الاستفهام
وهذا مثل ضربه الله للمومن العالم بدين الله والكافر الجاهل بالله فهو
في بابه فشبه الجاهل بالاعمى والعالم بالبصير ومعناه لا يستوي العالم بدين الله
والجاهل به في استحقاق الجزاء والمدح والذم ٥ ثم بين تعالى انه يتفكر في
هذا ويعتبر به من كان عاقلا مستعملا العقل وقوله جل اسمه الذين يوفون
بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ٥ هذه صفة المومنين الموافين بدين الله
ومعناه المومنون هم الذين يوفون بما عاهدوا الله عليه ولا ينقضونه وقد مر
بيان معنى عهد الله في غير موضع من هذا الكتاب وقوله جل اسمه والذين يصلون
ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ٥ معناه ومن
صفة اولئك المومنين انهم يصلون ما امرهم الله بصلته وقيل يصلون الرحم
ويصلون محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لان الله تعالى امرهم بصلته ومتابعته

على دينه ويخشون مع ذلك عذاب الله باجتنابهم المعاصي ويخافون سوء الحساب
وقد مر بيانه في الاية الاولى وقوله جل اسمه والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا
الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية معناه وهولا المومنون الذين تقدم
ذكرهم من صفتهم انهم يصبرون على فعل ما اوجبه الله وندب اليه ويصبرون عما
كرهه الله وسخطه وطلبوا بذلك ابتغاء عظمة ربهم ورحمة ربهم والعرب
تقول ذلك في تعظيم الشي فيذكرون الوجه ويريدون به عينه كما يقولون هذا
وجه الراي وان ارادوا به نفس الراي وتعظيمه ثم قال ومن صفتهم اقام الصلوة
على الحد الذي اوجبه الله تعالى والانفاق مما رزقهم الله سرا وعلانية في
الوجوه التي ندب الله اليها وقوله جل اسمه ويدرون بالحسنة السيئة اولئك
لهم عقبى الدار ٥ معناه ولهم الثواب ونعم الجنة دائما ابدا ٥ وتفسيره يعني
في التي نعدها وقوله جل اسمه جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابايهم وازواجهم
وذرياتهم والمليكة يدخلون عليهم من كل باب ٥ اصل العدن الاقامة ومعنى
هذه الاية هو تفسير قوله تعالى واولئك لهم عقبى الدار فبين ان لهم جنات
عدن يخلدون فيها ومن كان مستحقا لدخول تلك الجنة من ابايهم وازواجهم
واولادهم يكونون معهم فيها وذلك على انه يكون ثواب المطيع سروره
بما يراه لمن المومنين يسرون بما يرون في الجنة من صالحي ابايهم وازواجهم
واولادهم ويكون ايضا من جملة ثوابهم تحية المليكة لهم تعظيما وتشريفا
لهم يدخلون عليهم من كل باب من ابواب تلك الجنان على سبيل التعظيم
لهم بالتحية والاكرام وهو قوله والمليكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم وقوله جل اسمه سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ٥ معناه ان
المليكة اذا دخلوا على المومنين من ابواب الجنة قالوا لهم سلام عليكم بما
صبرتم وسلام يدل على السلامة لكم بما صبرتم ٥ وقيل يعني محذوف

على العدين هذه الكرامة لكم بما صبرتم وما التي في قوله بما يحتمل ان يكون
بمعنى المصدر اي بصبركم ويجوز ان يكون بمعنى الذي كانه قيل بالذي صبرتم
وقوله جل اسمه والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر
الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ه
لما بين الله تعالى في الاية الاولى صفة المومنين المتقين وما اعد لهم من الكرامات
في الجنة بين في هذه الاية حال الكافرين الجاهلين بالله وبدينه وما اعد لهم من
العذاب الاليم واللعنة وسوء الدار في جهنم ه ومن حيث استحقاقهم لذلك بقوله
والذين ينقضون عهد الله من بعد ان وثق عليهم الحجج ويقطعون ما امر الله به
ان يوصل وامرهم بصلته وهذه الصفة ضد الصفة التي تقدم ذكرها
وقوله جل اسمه الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ه ومعنى قوله يقدر ههنا
يضيق وهو نقيض يبسط قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه
الله ه وقد بينا معنى الرزق في سورة البقرة وغيرها ه والرزق رزقان
رزق تطلبه ورزق يطلبك فهو يبسطه ويضيقه يتعلقان بالمصالح
والله تعالى قد يجعل السعة في الرزق في الزرع والمواشي والتجارات وغيرها
من الوجوه لمن يشاء وهو الذي المعلوم من حاله ان المصلحة له ان يوسع
عليه ويضيقه على من يشاء وهو الذي المعلوم من حاله ان لا يصلح له الا
ذلك وقوله جل اسمه وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة
الا متاع ه معناه وفرحوا برزق الدنيا ونسوا فناءها وبقاء الاخرة
وما الحيوة الدنيا في جنب بقاء الاخرة الا قليل ذاهب وقوله جل اسمه
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي
اليه من اناب ه بين الله تعالى ان قوما من الكفار طلبوا ايات مثل احياء الموتى
وما جرى مجراه غير الايات التي جاء بها محمد صلى الله عليه واله وسلم على سبيل

التعنت ولم يستدلوا بما جاءهم به قالوا هذا القول جهلا امر نبيه ان
يقول لهم ان الله يضل من يشاء معناه يعاقب من يشاء على ضلاله وهو المعرض
عن ايات الله التارك الاستدلال بها ويثيب من يشاء وهو من اناب الى
الله ورجع واستدل بايات الله وتمسك بها وقد بينا وجوه الهداية
والاضلال في اول سورة البقرة بيانا شافيا فالهداية ههنا هي الدلالة
المودية الى طريق الحق بدلالة الصاحبة وفي الاخرة الى طريق الجنة ومن
هداه الله الى طريق الجنة فقد اثابه كما قال تعالى يهديهم ربهم بايمانهم تجري
من تحتهم الانهار في جنات النعيم وقوله جل اسمه الذين امنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب ه وصف الله تعالى في هذه
الاية المومنين بانهم الذين تسكن قلوبهم بذكر الله وبين ان من كان
مومنا بالله يجب ان يكون حاله هكذا ه وطعن بعض الملحدين في ذلك
بان قال قد وصفهم في اية بالخوف والوجل وهي قوله انما المومنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وفي هذه الاية بالسكون والاطمينان
وهذان لا يجتمعان فتسبب بذلك الى الطعن في كتاب الله تعالى وسوء
الثناء وهذا الذي قدره طعنا ليس بطعن لان الله تعالى انما يقول
وجلت قلوبهم ان المومنين اذا ذكر الله وذكر عقابه للعصاة وجلت
قلوبهم واذا ذكرت نعم الله للمومنين اطمانت قلوبهم وسكنت اذا لم
يعرفوا من انفسهم معصية ويجوز ان يكونوا من اهل تلك الصفة والله
غفور رحيم لمن تاب وشديد العقاب لمن استحقه ومن ذكر ثواب
الله وعقابه فقد ذكر الله وقوله جل اسمه الذين امنوا وعملوا الصالحات
طوبى لهم وحسن ماب ه معنى طوبى لهم ههنا تطيب العيش وقيل
طوبى شجرة في الجنة ه وقيل هو اسم الاطيبة عن صفة الجنة ومعناه

انما الطيب الاشيا الطيبة وقيل معناه العيش الطيب لهم ولهم حسن المرجع وهو
الجنة هاهنا وقوله جل اسمه كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها
امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن وقال بعض العلما
كل جنس من اجناس الحيوان امة والعرب امة والعجم امة والزنج امة
والترك امة ووجه التشبيه في قوله كذلك هي ان النعمة على من ارسل
اليه النبي كالنعمة على من تقدم ذكره بالثواب وحسن المآب وقيل وجه
ارسلناك في امة كما ارسلنا الانبيا عليهم السلام قبلك في الامم وقيل انما
خص ذكر الرحمن هاهنا من جملة اسما الله لان اهل الجاهلية من قريش قالوا نعرف
الله ولا نعرف الرحمن ولهذا قالوا ما حكى الله عنهم واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا وقوله جل اسمه قل هو ربي لا اله
الا هو عليه توكلت واليه متاب المتاب التوبة وامر نبيه صلى الله عليه وسلم
ان يقول لهم ان الرحمن الذي كفرتم به هو ربي دون يكم والهي والاهكم ولا
اله الا هو وانا اتوكل عليه في اموري كلها واتوب اليه وقوله جل اسمه ولو ان
قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا
عظم الله تعالى شان القران ووصفه به هاهنا فكانه قال لو سيرت الجبال
بالقران اذا قرئ عليها لما فيه من انواع الحكم او قطعت به الارض او كلم
به الموتى لكان بهذا القران فحذف الجواب لما تقدم من دلالة الكلام عليه
وقيل جوابه ولو ان قرانا سيرت به الجبال لكان هذا القران اي لو قرانا
تسير به الجبال لكان هذا القران لا غير لعظم شانه وجوامع كلمه وحكمه
وقيل يجوز ان يكون جوابه يكفرون بالرحمن لاقتضا ما تقدم من الكلام
له وقال بعض العلما دل هذا على انه ليس في كلام الله عز وجل الذي
انزل على رسوله ما هو اعظم شانا من القران وقوله جل اسمه بل لله الامر جميعا

بين هاهنا ان جميع ما ذكره من تسيير الجبال وتقطيع الارض
واحيا الموتى وكل تدبير يجري هذا المجرى فانه لله عز وجل لانه لا يقدر
عليه ولا يملكه سواه وقيل معناه انهم يكفرون بالذي انزل القران
وهو الذي يملك امورهم وامور جميع الخلائق وتدبيرها وقوله جل اسمه افلم ييئس الذين
امنوا ان لو يشا الله لهدى الناس جميعا معنى افلم ييئس هاهنا افلم يعلم
الذين امنوا الا ان العالم بان الشي لا يكون يائسا منه والعالم بانه لا يكون ييئس
من ان يكون فاجرى هذا الاسم على العلم توسعا وقد قال الشاعر
اقول لاهل الشعب اذ ييسرونني الم تيئسوا اني ابن فارس زهدم اي الم
تعلموا وقيل معنى افلم ييئس افلم ينقطع طمعهم من خلافه وهذا اعلام فيه
ان العلم بالشي يوجب اليأس من خلافه ومعنى لهدى الناس جميعا لو شا
الله لهداهم بالالجا الى الاهتدا وقيل معناه فلو شا الله لهدى الناس
الى جنته ودار كرامته ابتدا لكنه كلفهم لينالوا الجنة ثوابا على اعمالهم
ولا ينقطع عنهم ولو فعله ابتدا لكان تفضلا ولجاز انقطاعه وقوله جل اسمه
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم
حتى ياتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد اصل القارعة النازلة التي
تزعج بالنقمة ومعناه ولا يزال هولا الكافرون تاتيهم العقوبات الشديدة
الصعبة من وجوه مختلفة لكفرهم بالله زجرا لهم عن الكفر ودعا الى التوحيد
تصيبهم ذلك في انفسهم او اخوانهم او عشيرتهم وهذا مثل ما فعل
الله تعالى باهل مكة في ايام رسول الله صلى الله عليه وآله من ضيق المعاش
وما فعل بفرعون وقومه وغيرهم ومعنى قوله تعالى او تحل قريبا من دارهم
قيل معناه او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم وقيل المراد بقوله حتى ياتي
وعد الله هاهنا فتح مكة وقيل المراد القيمة وقوله جل اسمه ولقد استهزئ

برسلٍ من قبلك فامليت للذين كفروا ٥ هذا تسلية للنبي صلى الله عليه
عما كان يلقاه من كفار قريش وجهال قومه فصبره في هذا كما قال في اية اخرى
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والاصل في الاملا التاخير وها هنا هو
تاخير بعد المده ومعناه امهلتهم في الدنيا وانعمت عليهم مده مع استهزائهم(?)
برسلي لازيدهم في بغيهم(?) ولتكون عليهم الحجه فيما يلزمهم من شكري وقوله تعالى ثم اخذتهم
فكيف كان عقاب ٥ العقاب الهلاك لما اصروا على كفرهم فانظروا في اثارهم
لتعلموا كيف كان عقابي لهم وقوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله
شركا ٥ معناه افمن هو قائم بالتدبير في جزائها بما كسبت وخبره محذوف
وتقديره افمن هو قائم كمن ليس هو بهذه الصفه ومن ليس بهذه الصفه
الاصنام التي اتخذوها الهه من دون الله وهو معنى قوله وجعلوا لله شركا
فكانه قال من كان مدبرا لكل نفس وحافظا لها وعليها ومجازيا احق واولى
ان يعبد ام ليس بهذه الصفه وقوله تعالى قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض
ام بظاهر من القول ٥ معناه سموهم ابشيء يحقونه من الاسما التي هي صفات
ثم انظروا هل تدل صفاتهم على انه يجوز ان يعبد ام لا ٥ ثم قيل لهم
الا ان يصفوهم بما لا يصح ان يعلم فيخرجوا الى التجاهل ثم قيل لهم الا ان يقتصروا
على ظاهر القول من غير رجوع الى حقيقته وهو ان سموها الهه من غير
ان يكون لها صفه الالهيه ٥ وقيل بظاهر من القول الذي انزله على انبيائه
فاذا علمتم ان الله تعالى لم ينزل على ذلك حجه فكيف يصح اثباتها الهه وقوله تعالى
بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ٥ معناه زين لهم الشيطان(?)
مكرهم وكذلك غواتهم من الجن والانس كما قال تعالى في موضع اخر
وزين لهم الشيطان اعمالهم وقد قال الله تعالى في موضع اخر وزين لهم
الشيطان اعمالهم وقد قال بل سولت لكم انفسكم امرا ٥ وقوله تعالى

ومن يضلل الله فما له من هاد ٥ معناه ها هنا ومن اضله الله بان حكم
عليه بانه ضال فلا ينفعه هدايه احد لانه اذا كان ضالا فمن وصفه بانه
هاد لم ينفعه ٥ وقيل اضله الله عن طريق الجنه الى طريق النار وهو العقاب
لا مسبب له وقد ذكرت هذين الوجهين في تفسيرنا لفظ الضلال في اول
سوره البقره وقوله تعالى لهم عذاب في الحيوه الدنيا ولعذاب الاخره
اشق وما لهم من الله من واق ٥ عذاب الدنيا لهم هو لعن الله اياهم
وبغضه لهم وامره المومنين بمعاداتهم واذلالهم ٥ وعذاب الاخره
هو عذاب جهنم ٥ واخبر بانهم يعذبهم عذاب الدنيا وعذاب الاخره ٥ وبين
ان عذاب الاخره اشد من الدنيا وان الله اذا عذبهم في الاخره فلا واقي لعذاب
الله عنهم ولا دافع يقال في اللغه وقاه الشر يقيه وقايه وهو واق اذا منعه
عنه ودفعه وقوله جل اسمه مثل الجنه التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار ٥
قيل معنى مثل ها هنا شبه وقيل معناه صفه الجنه ومنه قوله تعالى ولله
المثل الاعلى وخبر مثل الجنه محذوف وتقديره مثل الجنه التي طعامها
كذى وشرابها كذى وقصورها كذى وحدها(?) كذى احل مثل
وقيل التقدير صفه الجنه التي وعد المتقون صفه جنه تجري من تحتها الانهار
وقيل فيما يقص عليكم مثل الجنه وقوله جل اسمه اكلها دايم وظلها ٥ معناه
ان ثمارها دايم لا انقطاع لها كما ينقطع ثمار الدنيا من عدم اوانها وكذلك
ظلها دايم وقيل المراد به انه لا ينقطع بموت ولا غيره من الافات وقوله تعالى
تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ٥ معناه تلك
الجنه عقبى المتقين وماواهم وعاقبه امرهم ومصيرهم والكافرون عاقبه
امرهم النار نعوذ بالله منها وقوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما
انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه ٥ قيل معناه ومنهم اهل الاوثان

والانجيل يفرحون بما انزل اليك مثل القرآن فصار الفرح مضافا الى
من آمن من اهل الكتاب وقيل اليهود والنصارى يفرحون بما انزل اليك
لانه مصدق لما معهم ومن الاحزاب من الذين اجتمعوا على عداوة الرسول صلى
الله عليه وسلم من ينكر بعضه وهو ما خالف دينهم وما يكون فيما يحتمل على نفيه فانكار
بعضه يكون انكار معانيه ه واصل الحزب الجماعة التي تقدم ذكر الثانيه يقال
لحزب القوم لحزبانه وقيل ان مشركي العرب تحزبوا مع اليهود على عداوة النبي
صلى الله عليه وآله وسلم والمشركون انكروا القرآن لما فيه من بطلان شركهم
واليهود فرحوا بنزول القرآن لاجل ما كان فيه من تصديق ما معهم قوله تعالى
قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب ه المآب
المرجع والمصير يقال آب يؤوب اوبا اذا رجع امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
ان يقول لهم امرني الله ان ادعوكم الى عبادته وكلفني عبادته كما كلفكم
ونهيتنا ان نشرك به امرني ونهاكم عن الشرك به ومرجعي ومرجعكم
الى المعاد للفصل والحكم والجزاء قوله جل اسمه وكذلك انزلناه حكما
عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي
ولا واق ه وجه التشبيه في قوله وكذلك انه تعالى شبه انزاله حكما
عربيا بانزاله كما انعم على الانعام به على العباد ه وقيل شبهه انزاله
حكما عربيا بما انزله الى من تقدم من الانبيا عليهم السلام واصل الحكم
القطع بالمعنى على ما تدعو اليه الحكمة والكلام العربي هو الكائن
على مذاهب العرب في الكلام ومعنى قوله ولئن اتبعت اهواءهم ان
تبعت يا محمد اهواء الكفار وتركت تبليغ رسالتي والقيام بما يجب
عليك اقامته طلبا لمرضاتهم استحققت العذاب ولم تجد
دافعا للعذاب عنك قد مر بيان معنى مثل هذا الخطاب مع ان

الله عالم بان نبيه عليه السلام لا يفعل شيئا من ذلك في غير موضع فلا وجه
لاعادته ها هنا قوله جل اسمه لقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم
ازواجا وذرية ه معناه وقد ارسلنا قبلك رسلا من البشر الى الامم
الخالية وكانت لهم ازواج واولاد كما كان لك فحكمك فيهم عليهم
في طلب الآيات كما لحكمهم [illegible] فيها قوله جل اسمه وما كان لرسول
ان يأتي باية الا باذن الله لكل اجل كتاب ه المراد بالاذن ها هنا الاطلاق
معناه وما كان لرسول ان يأتي باية الا بعد ان يسمح الله له بها او يامرهم
ويطلق الاذن لهم ان يسالوه تلك الاية لانهم ان سالوه ذلك قبل الاذن
لم يامنوا ان لا تكون مصلحة للعباد في انشاء تلك الاية فيؤدي ذلك
الى التنفير عن القبول عن الانبيا عليهم السلام والله تعالى لا يخبر من
المعجزات ه ومعنى لكل اجل كتاب لكل اجل امة ومدة كتاب كتبه الله فيه
ذلك من وقته ومقداره واجل كل شي وقته وانما كتب الله ذلك لاعتبار
الملائكة عليهم السلام ليستدلوا به على ان الله عالم بالاشياء من المعلومات ما
كان فيما يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون وانه لا يخفى عليه شي ه
قوله جل اسمه يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ه قيل فيه
وجوه احدها يمحو الله ما يشاء من طاعات عباده اذا ابطلوها بمعاصيهم
وسوء عملهم وكذلك يمحو ما يشاء من معاصيهم وسيئاتهم بما يعملونه
من التوبة عنها ه والثاني انه يمحو ما علم المصلحة في محوه وهو ما نسخه
من الاحكام ويثبت ما علم المصلحة في اثباته وهو الناسخ والمنسوخ هو
المحو والمثبت هو الناسخ ه والوجه الثالث ———— هو الخلاف الذي
في السقاوة والسعادة فزعم بعضهم ان المحو والاثبات يلحقان
السقا والسعادة ه وروي عن ابن عباس وغيره ان ذلك لا يكون

فان صح القول الاول رجع حقيقته الى ما ذكرنا من اعمال العباد وقد حكى
الله تعالى عن قوم انهم يقولون وهم في النار ربنا غلبت علينا شقوتنا
وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فلو كانت الشقاوة
لحقتهم ابتدا كما قاله الجهال من المجبرة والحشوية من غير عمل حصل منهم لم يكن
لقولهم وكنا قوما ضالين وقولهم فان عدنا فانا ظالمون معنى فسياق الاية
الى اخرها يدل على صحة قولنا لانهم انما ضلوا بعملهم ولم يعملوا اسباب
السعادة لاجله فاي فايدة يكون في قولهم فان عدنا فانا ظالمون وهذا
اعتراف منهم بانهم فعلوا الضلال وظلموا انفسهم والوجه الرابع هو ان
السقم بعد العافية والعافية بعد السقم وضيق الرزق بعد السعة وسعة
الرزق بعد الضيق وما شاكل ذلك يجوز ان يدخل في المحو والاثبات انما
واتصلت الاية بما قبلها اتصال ازالة الايهام عما تقدم من الذكر وذلك
انه لما قيل لكل اجل كتاب اقتضى ذلك انه يدخل فيه اعمال العباد وبين الله
تعالى انه يمحو ما يشا ويثبت لئلا يتوهم متوهم ان المعصية مثبتة بعد التوبة
والحسنة بعد عملها وان كانت مثبتة في ام الكتاب قبل ذلك
لبيان ان الله كان يعلم انهم سيعملونها وانه بعد وقوعها انهم قد عملوها
وقوله جل اسمه وعنده ام الكتاب معناه اصل الكتاب وهو الكتاب
الذي كتب الله فيه جميع ما يكون وقيل انه سائر الكتب انما سميت
عند ما انزل الله من الهها الى الرسل عليهم السلام وروي عن عمران بن الحصين
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال كان الله ولا شي ثم خلق الذكر وهو
الكلام وهو المكتوب في الكتب وذلك يدل على ان كلام الله مخلوق وانما دل
الله ذلك في ما كتبه لانه خلقه للملائكة عليهم السلام ليستدلوا بما كتب الله فيه على ان
الله علام الغيوب وانه عالم بسائر المعلومات وليعتبروا به ويعرفوا ذلك

لعقابهم في حياتهم وبعد موتهم فسيوديهم الى ضروب من المعارف
وان ما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا
الحساب معناه ان نرينك في حياتك يا محمد بعض ما نعد الكفار
من العقوبات مثل قتلهم بايدي المومنين والامر للمومنين بان يستذلوهم
ويسبوا اموالهم وما جانس ذلك او قبل ذلك فانهم لا يعجزون بل يفعل بهم
ما استحقوه من العذاب وليس عليك الا تبليغ الرسالة وعلينا محاسبتهم ومجازاتهم
باعمالهم وقوله جل اسمه اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها قيل
فيه وجوه احدها اولم يروا انما نفعله في الارض من نقصانها معناه ننقصها
بالفتوح على المسلمين من ارض المشركين وقيل ننقصها بموت اهلها وهو
الثاني والثالث ننقصها بموت العلماء والرابع ننقصها بخرابها وقوله جل
والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب قد مر بيان معناه في غير
موضع وقوله جل اسمه وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا قد مر
بيان المكر في غير موضع ايضا من الله تعالى ان الذين كانوا قبل هولاء مكروا
بالمومنين فرجع وبال مكرهم عليهم بان جازاهم الله على مكرهم وهو
كما قال في سورة ال عمران ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين
يعلم ما تكسب كل نفس اتصل هذا بما قبله على معنى يعلم ما تكسب كل نفس
من المكر وغيره وقيل معناه يجازي كل نفس بما كسبت من مكر من هو
عالم به وقوله جل اسمه وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار معناه يعلم
هولاء الكفار عند موتهم ويوم القيمة لمن عاقبة الدار وهي الاخرة من ثواب
وعقاب وهذا تهديد بليغ وقوله جل اسمه ويقول الذين كفروا لست
مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
هذا تعليم من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وجه الاحتجاج على من جحد نبوته

فان صح القول الاول رجع حقيقته الى ما ذكرنا من اعمال العباد وحكى
الله تعالى عن قوم انهم يقولون وهم في النار ربنا غلبت علينا شقوتنا
وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فلو كانت الشقاوة
لحقتهم ابتدا كما قاله الجهال من المجبرة والحشوية من غير عمل حصل منهم لم يكن
لقولهم وكنا قوما ضالين وقولهم فان عدنا فانا ظالمون معنى فسياق الاية
الى اخرها يدل على صحة قولنا لانهم انما ضلوا بعملهم ولم يعملوا لسبيل الخير
الشقاوة لاجله فاي فايدة يكون في قولهم فان عدنا فانا ظالمون وهذا
اعتراف منهم بانهم فعلوا الضلال وظلموا انفسهم ه والوجه الرابع هو ان
السقم بعد العافية والعافية بعد السقم وضيق الرزق بعد السعة وسعة
الرزق بعد الضيق وما شاكل ذلك يجوز ان يدخل في المحو والاثبات ايضا
واتصلت الاية بما قبلها اتصال ازالة الايهام عما تقدم من الذكر وذلك
انه لما قيل لكل اجل كتاب اقتضى ذلك ان يدخل فيه اعمال العباد ه وبين الله
تعالى انه يمحو ما يشا ويثبت لئلا يتوهم متوهم ان المعصية مثبتة بعد التوبة
وان الحسنة بعد عملها وان كانت مثبتة في ام الكتاب قبل ذلك
ليبين انما اثبت كان صورته انهم يستعملونها وانه بعد وقوعها انهم قد عملوها
وقوله جل اسمه وعنده ام الكتاب ه معناه اصل الكتاب وهو الكتاب
الذي كتب الله فيه جميع ما يكون ه وقيل ان سائر الكتب انما سميت
عندنا انه اذا الله انزلها الى الرسل عليهم السلام ه وروي عن عمران بن الحصين
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال كان الله ولا شي ثم خلق الذكر وهو
الكلام وهو المكتوب في الكتب فدل ذلك على ان كلام الله مخلوق وانما دل
الله ذلك في ابتدا خلقه الملايكة عليهم السلام ليستدلوا بما كتبه الله فيه على ان
الله علام الغيوب وانه عالم بسائر المعلومات وليعتبروا به ويصيروا

لعقابهم في تكاليفهم وبعدهم فيسوء بهم الى ضروب من المعارف ه
واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا
الحساب ه معناه ان اريناك في حياتك يا محمد بعض ما نعد الكفار
من العقوبات مثل قتلهم بايدي المومنين والامر للمومنين بان يستذلوهم
ويسبوا اموالهم وما جانس ذلك او قبل ذلك فانهم لا يعجزوننا ونحن نفعل بهم
ما استحقوه من العذاب وليس عليك الا تبليغ الرسالة وعلينا محاسبتهم ومجازاتهم
باعمالهم وقوله جل اسمه اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها ه قيل
فيه وجوه احدها اولم يروا انا نفعل في الارض من نقصانها معناه ننقصها
بالفتوح على المسلمين من ارض المشركين ه وقيل ننقصها بموت اهلها وهو
الثاني والثالث ننقصها بموت العلماء ه والرابع ننقصها بخرابها وقوله جل
والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ه قد مر بيان معناه في غير
موضع ه وقوله جل اسمه وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا ه قد مر
بيان المكر ايضا في غير موضع ه من الله تعالى ان الذين كانوا قبل هولا مكروا
بالمومنين فرجع وبال مكرهم عليهم بان جازاهم الله على مكرهم وهو
كما قال في سورة العمران ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ه
يعلم ما تكسب كل نفس اتصل هذا بما قبله على معنى يعلم ما تكسب كل نفس
من المكر وغيره وقيل معناه ليجازي كل نفس بما كسبت من مكر من هو
عالم به وقوله جل اسمه وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار ه معناه يعلم
هولا الكفار عند موتهم ويوم القيمة لمن عاقبة الدار وهي الاخرة من ثواب
وعقاب وهذا تهديد بليغ وقوله جل اسمه ويقول الذين كفروا لست
مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
هو علم من الله تعالى للرسول صلى الله عليه وآله وحجة الاحتجاج على من جحد نبوته

بسلب له وفعل له هولا الكفار جحد واسوتك وانكروها وان المدعى
لها وعليك قام البرهان على دعواك فما يظهر كفى بالله الذى ارسلني
شاهدا لصحة ما ادعيته وكفى شهيدا به شهادة الله ومن عنده علم
الكتاب وجه شهادة الله المعجزات عليه القائمة مقام قوله جل وعلا
صدق محمد فان كان محمد كاذبا في دعواه لمعجزة في حكمة الله تعالى ان
يظهر المعجز على الكذاب لئن يصدق الكاذب كذب والله تعالى عنه ومن رجع
الى العقل عرف حكمة الله علما انما يفعل القبيح واذا ظهر المعجز على محمد كان
ذلك اثبت شهادة واصحها واعدلها بصحة ما ادعاه فاما شهادة من عنده
علم الكتاب فقد اختلف العلما فيمن عنده علم الكتاب
قال بعضهم المراد به علما الكتاب المنزل قبل القرآن التوراة والانجيل فكانه
قال كفى بذلك شهادة الله وشهادة من عنده علم التوراة والانجيل وهم الذين
امنوا بالقرآن وكانوا من اهل التوراة والانجيل مثل عبد الله بن سلام وسلمان
الفارسي وتميم الداري وغيرهم من علما اهل الكتاب لان اليهود كانوا
مقرين بانهم كانوا اهل العلم وكانوا يقرون عليهم التوراة وكان فيه
ما يدل على صحة نبوة محمد وصحة دين الاسلام الذى اتى به على الوجه الذى لا يمكن
جحده وانكاره اذا انصفوه وقال علما آل محمد صلى الله عليه وآله
ومن عنده علم الكتاب المعني به الاوصيا والائمة من آل محمد عليه وعليهم السلام
اولهم امير المومنين علي عليه السلام لان هذه الشهادة كانت شهادة بصحة نبوة
محمد عن جهة الاعجاز والاعجاز ظهر من جهة القرآن والمراد بالكتاب هاهنا
هو القرآن والعالم بالقرآن على الوجه الذى انزل الله وبما فيه من انواع الاحكام
والحكم ليس بعد النبي عليه السلام الا وصيه وهو علي عليه السلام لحكم علي
في حصول علم القرآن بكماله كحكم وصي سليمان عليه السلام وهو آصف بن برخيا

في حصول علم كتاب سليمان بكماله له الا ترى الله تعالى قال حاكيا لما قال سليمان
لقومه ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال عفريت من
الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين قال الذى
عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وكان ذلك
معجزا لسليمان اظهره الله تعالى على يد وصيه الذى كان عنده علم كتاب سليمان عليه
السلام عنده ونبينا صلى الله عليه وآله افضل من سليمان ووصي محمد عليه السلام
اعلى خلق الله بعد محمد بجميع دينه ودلالة الكتاب القاطعة عليه فاذا جعله
الله تعالى شاهدا لمحمد فاي حجة في هذا وقد قال الله تعالى افمن كان على بينة من
ربه ويتلوه شاهد منه وقد قال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم
وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض وقد ثبت وبان بقوله بعضها من بعض
وذكر في سورة براءة ما كان من قصة بعث النبي بكر حكاية جبريل عليه السلام
ورده وقوله للنبي عليه السلام لا يبلغها الا انت او رجل منك فيه كفاية
لهذه الرتبة العالية لامير المومنين عليه السلام كما رتبه الله في اختصاصه
من جملة البشر بكونه ناصرا للنبي صلى الله عليه وآله على الوجه الذى كان
جبرئيل عليه السلام ناصرا له وقوله تعالى فان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه
وجبريل وصالح المومنين فسمى الله تعالى عليا عليه السلام صالح المومنين كما
سماه رسوله امير المومنين ومن كانت له هذه الرتبة وصارت
طاعته مقرونة بطاعة الله ورسوله مفروضة على خلقه لا يدعي ان
يجب بكونه شاهدا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ويكون شهادته مقرونة
بشهادة الله سبحانه لان امير المومنين عليه السلام افتخر على المنبر بحضرة الجماعة
بكونه صالح المومنين فقال انا اخو رسول الله ومن هاشم سنامها الاكبر وفي
نصل بطويه السورة وتناطبيم جزئيه القدر وصالح المومنين منه الآيات

وفي ان اعتبر لمعتبر والو سبر وشبر وقالع باب خيبر والناطق بالحكم
على المنبر ولم ينكر عليه ذلك احد من الحاضرين والغايبين وروى
ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من قرا سورة
الرعد اعطي عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة
وكان يوم القيامة من الموفين بعهد الله

السورة التي يذكر فيها ابراهيم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم قوله جل اسمه الر كتاب انزلناه اليك لتخرج
الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد قد
مر بيان معنى هذه الحروف المذكورة في اوايل السور في غير موضع فلا وجه
لاعادته هاهنا ومعناه انزلت عليك يا محمد كتابا وهو القران معجزا
ودالا على صحة نبوتك فيه بيان معالم الدين لتخرج الناس بالدعوة والعظة
والافهام والدلايل من ظلمات الضلال الى نور الهدى باذن الله العزيز الحميد
قوله جل اسمه الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين
من عذاب شديد معناه ان الله تعالى رب الخلق ومالكهم وسيدهم هو
الله المالك ما في السموات والارض والمستولي عليه ومن كفر به فانه يعذبه
عذابا شديدا في نار جهنم ولفظ الويل مستعمل في الجالب للعذاب
قوله جل اسمه الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة ويصدون عن
سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد قوله الذين صفة
الكافرين ومعناه هؤلاء الكفار الذين اختاروا الحيوة الدنيا على
الاخرة وصدوا الناس عن دين الله بالاغوا والدعا الى غير السوا وطلبوا
العوج في دين الله تعنتا فهم في ذهاب بعيد عن الحق والعوج بكسر العين
يكون مستعملا في الدين فاما العوج بفتح العين فيستعمل في الحايط واشباه ما

كان قايما وهو ما خالف الاستوا قوله جل اسمه وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه ليبين لهم معناه وما ارسلنا رسولا الى قوم الا وكان خاطبهم بلغتهم
ليفهموا منه ما يدعوهم اليه ويعلمهم ولا ينفر طبعهم عنه قوله جل اسمه فيضل
الله من يشا ويهدي من يشا وهو العزيز الحكيم فمن خالف منهم وعصى الله
فالله يعذبه وقوله تعالى فيضل الله من يشا هو يضله عن طريق الجنة جزا بما فعله
من الكفر والمعصية والله يشا ان يعاقب من كانت هذه صفته وسمى الله
العقاب ضلالا لانه كان جزا على الضلال فقوله ان المجرمين في ضلال وسعر
ومن امن منهم واهتدى يثيبه الله الجنة وهو الذي يشا الله ان يثيبه وقد
مر ايضا في مواضع من هذا الكتاب مثل ذلك بينا في اول سورة البقرة
في معنى الضلال والهدى بيانا شافيا فلا وجه لاعادته هاهنا ومعنى
العزيز الحكيم قد مر ايضا في مواضع من هذا الكتاب قوله جل اسمه ولقد ارسلنا
موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور معناه وارسلناه الى قومه
ليخرجهم من الضلال الى الهدى بالدعا والارشاد والدلالة والبيان
قوله تعالى وذكرهم بايام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور قيل
معناه وامرناه ان يذكر قومه نعم الله عليهم وقيل معناه وذكرهم
نعم الله تعالى لعاد وثمود وغيرهم من الامم الماضية والقرون الخالية التي
نزل العذاب بهم في الايام الماضية وفي تذكير ايامهم دلالة وعبرة للصابر على طاعة الله
والصابر عن معصية الله والمكثر شكر الله تعالى قوله جل اسمه واذ قال موسى
لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون يسومونكم سوء
العذاب معناه واذكر اذ قال موسى لقومه وهم بنو اسرايل اشكروا
نعمة الله عليكم بان خلصكم من ايدي ال فرعون بعدما كنتم مقهورين مستضعفين
في ايديهم ومعنى يسومونكم سوء العذاب يولونكم اشد العذاب [illegible]

الحسف والصبر اذا خلفه وقوله جل اسمه ويذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم معناه كان من عذابهم ذبح الذكران من اولادهم واستخدام
الاناث منهم وقوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم معناه وفي انجاء الله
اياكم من فرعون نعمة عظيمة من الله عليكم والبلاء النعمة وقوله تعالى
واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد تأذن
هاهنا بمعنى اذن واعلم والعرب قد تستعمل لفظ تفعل بمعنى افعل كما قالوا
توعد بمعنى اوعد ومعناه قد اعلمكم ربكم فيما انزل في التوراة انكم
اذا شكرتم نعمته زادكم نعمه وان كفرتم نعمته عاقبكم بالعذاب
الشديد وفي الاية ترغيب وترهيب وقوله جل اسمه وقال موسى ان تكفروا
انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد معناه قال لهم موسى
عليه السلام ان كفرتم يا قوم وكفر كل من في الارض من عباد الله فان
الله غني عنكم وعنهم فلا تضرونه بكفركم به فانما تضرون به انفسكم
لان المنافع والمضار لا تجوز على ربكم وخالقكم وبينا معنى العزيز الحميد
في غير موضع وقوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود
والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات قيل
المعنى بقوله الم يأتكم امة محمد صلى الله عليه معناه الم تسمعوا ولم
تعلموا ما حل بالامم الماضية من عذاب الله لما كفروا بما جاءتهم
رسلهم اليهم وهم كانوا في الكثرة والعدة بحيث لا تعرف كنه ذلك
الا الله جل وعلا وقوله تعالى فردوا ايديهم في افواههم معناه عضوا
على ايديهم غيظا مما دعاهم اليه رسلهم وهذا مثل ما حكى الله عن
قوم واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم الاية
وقوله تعالى وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه

مريب معناه ان قوما اولئك الامم قالوا للرسل انا كفرنا بما ارسلتم به
الينا ولفي شك وتهمة مما تدعوننا اليه وامرتمونا به تعالى ارتاب يرتاب اذا
اتى بريبة وقوله جل اسمه قالت لهم رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض
يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى معناه قالت لهم
رسلهم جوابا عما قالوا على وجه الانكار عليهم لا ينبغي لعاقل ان يشك في الله
تعالى مع ما نصب من الادلة على معرفته ووحدانيته وعدله وحكمته كاختراع السموات
والارض وما فيهما من عجيب الصنع وان الله خالقها ومنشيها ومدبرها وعقولكم تشهد
بعجزكم وعجز امثالكم عن فعل مثلها ومن حسن نظره لكم يدعوكم بما
نصب من الادلة وما بعثكم عليه على السنة الرسل عليهم السلام الى ما
فيه مغفرة ذنوبكم ان تبتم وقبلتم ما جاءكم به الرسل ونظرتم في الادلة
ويؤخركم في الانعام عليكم بالعمر الطويل في الدنيا وهو معنى قوله ويؤخركم الى
اجل مسمى وقوله جل اسمه قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما
كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين معناه ان الله تعالى حكى جواب القوم
للرسل عليهم السلام قالوا لهم ما انتم الا بشر مثلنا فمن اي وجه تجب طاعتكم
علينا وانتم حسبتم تصدونا عن سلوك طريقة اباءنا وهذا غاية فرط الجهل
منهم لانهم قدروا ان الرسول يجب ان يكون من غير جنس المرسل اليه
ومع ذلك جهلوا طريقة النبوة لانها لا تثبت الا بدلالة الاعجاز واظهر
الله المعجزات على اولئك الرسل عليهم السلام فتركوا النظر فيها وعدلوا
الى تقليد ابائهم ولا عذر اضعف من النظر في معجزاتهم اقترحوا عليهم الايات
لحجة غير الذي اتوا بها وهو معنى قوله فاتونا بسلطان مبين اي بحجة واضحة
وهذا مثل ما قالت قريش لنبينا صلى الله عليه واله وسلم لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى اخر الايات وقوله جل اسمه قالت لهم رسلهم

ان نحن الا بشر مثلكم وهذا حكاية جواب الرسل لهم ثانيا ومعنى
قالت لهم رسلهم ما نحن الا بشر مثلكم في الخلقة والبشرية واحدة
وقوله جل اسمه ولكن الله يمن على من يشاء من عباده معناه ذلك الله انعم
علينا ومن وافضل بان خصنا واكرمنا بالرسالة من بين البشر لما
كان في معلوم من المصلحة فيه وقوله تعالى وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان
الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون معناه وما نطلب من الايات
فالله قادر عليه ولا سبيل لنا اليه لانا بشر مثلكم ولا يفعل الله ذلك
الا اذا علمه لطفا ومصلحة لعباده في الدين ولا يفعل شيئا من ذلك باقتراح
عباده وتحكمهم واذا اظهر الله علينا شيئا منه وجب انا ناتيكم
وانا انما ناتيكم به بامر الله واذنه واطلاقه ومن حق المؤمن بالله ان يتوكل
على الله ويفوض امره اليه وقوله جل اسمه وما لنا الا نتوكل على الله
وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل
المتوكلون معناه ان الرسل عليهم السلام قالوا لقومهم وما الذي
يمنعنا من التوكل على الله في سائر امورنا ومن الصبر على ما ينالنا
من اذاكم واذا احتملناه فذاك لان الله تعالى ظفرنا بما وعدنا الله
هذا وقد انعم علينا بان اجتبانا واصطفانا ودلنا على ما يهدي
اليه وارشدنا عليه وانعم علينا بضروب من النعم واذا كان حال الله
هذه معنا لا نرجو سوى الله ولا نتوكل الا عليه فان اولى الناس
بالتوكل عليه رسل الله عليهم السلام وقد دلت هذه الايات على صحة
المناظرة في باب الدين لانه لو لم يجز ذلك لما حكى الله عن الانبياء عليهم
السلام وامهم ما حكاه بطريقة الاحتجاج على الرسل صلى الله عليهم
اجمعين وقوله جل اسمه وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا

او لتعودن في ملتنا معناه ان الذين كفروا في زمان دعاية الانبياء
عليهم السلام قالوا لرسلهم ان لم ترجعوا الى ديننا اخرجناكم من بلادنا
وقيل انما قالوا او لتعودن في ملتنا وان لم يكونوا على دينهم
من قبل بتعريض اوانها ما الا انهم كانوا عليها حقيقة وقوله جل اسمه
فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من
بعدهم معناه ان الله تعالى امن رسوله من خوفهم بان بشرهم
انه يهلك الظالمين الذين وعدوهم ويمكن رسله من بلادهم يملكونها
ويتصرفون فيها كيف شاءوا وقوله جل اسمه ذلك لمن خاف مقامي وخاف
وعيد معناه وسعد الله بذلك على من كان موقنا بما وعده الله
ومجانبا عما سخط الله وقوله جل اسمه واستفتحوا وخاب كل جبار
عنيد الاستفتاح طلب الفتح وهو النصرة ومعناه ان الانبياء
عليهم السلام طلبوا النصر من الله فاعطاهم الله وخاب
من كان جبارا عنيدا وهم الكفار الذين عادوا الرسل واصل
الخيبة ضد الظفر بالبغية وقيل استفتح الكفار البلاء وهو
كما حكى الله عنهم في موضع آخر ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين
على وجه الاستهزاء والانكار لما توعدهم به الرسل عليهم السلام وكذلك
قوله حكاية عنهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين استعدادا
لذلك وخاب الجبار المتكبر عن طاعة الله والعنيد المجاوز عن الحق في
عنده وعلوا به يقال عرق عاند وعنيد اذا كان لا يرقى دمه وروي ان
يزيد بن معاوية عليه لعاين الله تترى استفتح بكتاب الله تعالى لما
قتل الحسين بن علي صلوات الله عليهما فخرجت هذه الآية في الوجه
الذي عقد الضمير اعني قوله واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزق

المسموع انه ان الفاعل بهذه الفعالة الوليد بن يزيد الزنديق [illegible]

المصحف غيظاً ما خرج قاله عليه وانشا يقول
اتوعد كل جبار عنيد فها انا ذاك جبار عنيد
اذا حشر الخلائق يوم حشر فقل يا رب حرقني الوليد
وقوله جل اسمه من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد ه لفظ ورا
في اللغة مستعمل في الضدين قد يكون بمعنى امام ويكون بمعنى خلف وكلاهما
يقول اطبقت النار عليه فمن خلفه نار ومن امامه نار وكذلك من
فوقه نار ومن تحته نار كما قال تعالى لهم من جهنم مهاد ومن
فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين نعوذ بالله من نار جهنم ه وس
تعالى انه اذا غلبه العطش يسقى ما يسيل الصديد ه واصل الصديد
هو ما يسيل من الجرح مدة رقيقة مخالطة بالدم وقوله جل اسمه يتجرعه
ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه
عذاب غليظ ه التجرع هو شرب الشراب المشروب جرعة جرعة على
وجه التكره له وبنفر الطبع منه والاساغة ساغ الماء في حلقه اذا
انحدر الى موقعه على وجه السهولة من غير تعب واساغه صاحبه
ومعنى الاية ان الذي يسقى الصديد يتجرعه يشرب من الشراب ما يكرهه
ويبغضه طبعه ولا يكاد يسيغه اي لا يقارب ان يشربه تكرها له
وتقديره لا يسع ذلك في حلقه اساغة ما يستسيغه من الماء البارد العذب
والمحض منه وقد غلبه العطش ه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يقرب اليه الصديد فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقع
فروة راسه فاذا شربه قطع امعاه حتى يخرج من دبره وهو قوله وسقوا
ماء حميما فقطع امعاءهم ه وقوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه
بئس الشراب وساءت مرتفقا ه وقوله تعالى والذين كفروا قطعت لهم ثياب

من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود
ولهم مقامع من حديد ه وقوله جل اسمه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو
بميت ومن ورائه عذاب غليظ ه معناه يأتيه الموت من كل مكان
من جسده حتى من اطراف شعره وقيل معناه ويأتيه الموت من كل جهة
عن يمينه وشماله وامامه وخلفه وفوقه وتحته وتقديره ان العذاب
يبلغ منه المبلغ الذي عنده تخرج روحه ثم لا تخرج حتى يصير ميتا فيستريح
لانه معذب ابدا لا يفتر عنه لحظة كما قال الله تعالى لا يفتر عنهم وهم
فيه مبلسون وهذا معنى قوله وما هو بميت ومن بعد ذلك عذاب غليظ
وهو معنى قوله تعالى ومن ورائه عذاب غليظ ه وقوله جل اسمه مثل الذين
كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ه
شبه الله تعالى اعمال الكافر التي قدر ان يجز عليها اجرا في حبوطها
وجعلها هباء منثورا يوم القيامة كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من
عمل فجعلناه هباء منثورا شبهها بالرماد الذي تعرضت به الريح السريعة
الهبوب فكما لا يبقى شيء من الرماد مع تلك الريح فلذلك لا يبقى شيء من
اعمالهم ه وقوله تعالى لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال
البعيد ه معناه لا يقدرون على شيء ما قدموا ان يكون لهم من الجزاء
على اعمالهم على وجه الكرامة والنعمة ه وقوله ذلك هو الضلال
البعيد هو الذهاب عن الطريقة التي يمكن ان يكون له لانه كان في ضلال
بعيد عن الحق وانه يقع مثلا على تقديره فيما تتلى عليكم مثل الذين كفروا
ويجوز ان يكون ارتفع اعمالهم على البدل المشتمل عليه المعنى ه وقوله جل اسمه
الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ه معناه الم تعلم ايها السامع
ان الذي قدر على خلق السموات والارض لا من شيء لقادر على ان

سعادتكم ما توعدكم به في قوله جل اسمه ان يشا يذهبكم ويات بخلق
جديد وما ذلك على الله بعزيز ه معناه ان القادر على خلق السموات
والارض قادر على اهلاككم وان يشا خلق جديد بعدكم ولا يتعذر عليه
هذا ولا يمتنع فدلت الاية على ان القادر على الشي الذي يبقى قادر على افنائه
اذا كان بحيث لا يتغير عليه الحال في قوله جل اسمه وبرزوا لله جميعا فقال
الضعفا للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من
عذاب الله من شي ه معناه ان هولا الكفار اذا برزوا يوم القيامة
وهو خروجهم من بطن الارض وحصولهم في عرصة القيمة احيا ودعوا الى المحاسبة
فقال الضعفا الذين كانوا اتباع الرؤسا في دار الدنيا للرؤسا انا كنا
لكم تبعا في دار الدنيا والتبع هاهنا جمع التابع كغائب وغيب ويجوز
ان يكون مصدر او صفة به ومعناه كنا نطيعكم فيما تامروننا وننقاد
لكم فهل في وسعكم وامكانكم ان تدفعوا عنا بعض ما يدفعنا اليه من
عذاب الله في قوله جل اسمه قالوا لو هدانا الله لهديناكم ه معناه لو هدانا
الله الى ما تطلبونه منا من طريق التخلص من العذاب لهديناكم
وخلصناكم من ذلك وهذه الهداية ليست هداية الى الدين لان
الاخرة ليست دار تكليف وانما هي دار الجزاء على الاعمال وجوابهم انما يكون
مطابقا لسؤالهم وسؤالهم دفع العذاب لا غير في قوله جل اسمه سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص ه المحيص هو المعدل يقال حاص عن
الشي اذا عدل عنه وقال استوى الجزع والصبر والجزع هاهنا في العذاب
لانه سوا صبرنا ام جزعنا فلا خلاص لنا فهذا اياس واقناط من الله
والرحمة والخلاص في قوله جل اسمه وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله
وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم ه معناه ان الشيطان يقول يوم

القيامة اذا حصل اهل النار في النار لاوليائه من الجن والانس ان الله
وعدكم وعد الحق على لسان الرسل في الدنيا ووعدتكم وعد الباطل
وقد اخلفتكم موعدي ولا يمكنني الوفا به فيعترف في النار بكفره
وضلالته واضلاله في قوله جل وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي ه معناه ويقول الشيطان لاوليائه ولم يكن لي عليكم
في دار الدنيا سلطان ولا غلبة ولا قدرة على اجباركم واكراهكم
ولم يكن مني الا وسواس ودعوة لكم الى الكفر والباطل فلما دعوتكم
استجبتم لي واطعتموني وكنتم قادرين على عصياني وترك اجابتي ه ومعناه
مضمر في قوله تعالى فلا تلوموني ولوموا انفسكم ه معناه لوموا انفسكم
على اجابتكم فلو لم يكونوا قادرين على خلاف ما دعاهم اليه لم يكن الكفر فعلا
لهم ولما استحقوا اللائمة وكانوا معذورين في قوله جل اسمه ما انا بمصرخكم
وما انتم بمصرخي ه الاصراخ في اللغة اغاثة ه ومعناه ان الشيطان يقول
لهم ليس في قدرتي ان اغيثكم واخلصكم من عذاب الله فان قدرتم ان
تغيثوني فقد استوينا واشتركنا في العذاب في قوله جل اسمه اني كفرت
بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم ه معناه والشيطان
يقول لاوليائه اني بري من اشراككم اياي بربكم ه والظالمون لهم
عذاب اليم اي مولم فاذا اعترفوا في النار بانهم فعلوا الكفر والضلال
وانهم استحقوا العقاب بفعلهم فبطل به قول من يقول ان الله خلق
فيهم الكفر ولم يعطهم قدرة الايمان مع انه امرهم بالايمان ه
في قوله جل اسمه وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام ه لما بين الله
تعالى في الاية الاولى حال اوليا الشيطان بين في هذه الاية حال اوليائه

المتقين بان ماواهم جنات تجري من تحت اشجارها الانهار وانهم
يكونون خالدين فيها والملائكة يحيونهم بالسلام ويحيي بعضهم بعضا به كما
قال تعالى حاكيا والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار ٥ قوله جل اسمه الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة
كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء ٥ ضرب الله الكلمة
الطيبة فقال الم تعلم ايها النبي وايها السامع كيف ضرب الله المثل
بالكلمة الطيبة وهي كلمة الايمان وشبه كلمة الدعوة الى الله والى دينه
بالشجرة الطيبة والعالي من فرعها في السما والثابت اصلها في الثرى ٥
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انها شجرة النخلة وروي عن بن عباس رضي الله
قال انها شجرة في الجنة ٥ قوله جل اسمه تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ٥
معناه تلك الشجرة تعطي ثمرها في كل حين باذن الله اي بعلمه وقيل الحين
ستة اشهر وقيل غدوة وعشية وقيل من اكل النخلة الطلع والرطب
والبسر والتمر فهو دايم لا ينقطع على هذا الوجه ٥ وعند اهل اللغة الحين عبارة
عن الوقت ٥ قوله جل اسمه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ٥
معناه والله تعالى انما يضرب الامثال للناس لكي يتفكروا فيها ويعتبروا
بها ٥ قوله جل اسمه ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق
الارض ما لها من قرار ٥ الكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر وهي خبيثة بمعناها
والشجرة الخبيثة التي ضرب الله المثل بها قيل هي شجرة الحنظل وقيل
هي شجرة لم تخلق ٥ والاجتثاث الاقتلاع ٥ لما شبه الله في الاية
الاولى كلمة الايمان بالشجرة الطيبة النافعة شبه كلمة الكفر في
الاية الثانية بالشجرة الخبيثة الضارة التي لا ثبات لها ٥ ومعنى
اجتثت اقتلعت ٥ قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت

في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ٥ معناه يجعل الله المومن ثابتا بالايمان
الذي فعله بالقول الثابت حتى يوصله الى مراده ويعينه ويلطف
به اعدا الله له والقول الثابت في الحيوة الدنيا ٥ قيل هو السوال في القبر
اذا جاءه الملكان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك ٥ وتثبيته
في الاخرة لاجل اثباتهم بالقول الثابت وهو ما يكون عند المحاسبة والمسايلة
يكون المومن ثابتا قدمه الى ان يدخل جنات النعيم ٥ قوله تعالى ويضل الله
الظالمين ويفعل الله ما يشاء ٥ معناه ويعاقب الله الظالمين لان
الاضلال بعد وقوع الظلم من العبد لا يكون الا الجزا وجزا الظالم
العقاب ٥ والله تعالى يفعل ما يشا وذلك الا دليل على ان الله لا يشا
الا ما هو حكمة وصواب ٥ قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا
واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها فبئس القرار ٥ هذا تعجب
للعباد مما فعل هولا الكفار فجعلوا بدل الشكر الذي وجب عليهم
لنعم الله كفرانا ٥ وهولا كفار قريش في قول امير المومنين عليه
السلم واكثر الصحابة رحمهم الله لان الله تعالى انعم عليهم
بان بعث الرسول منهم وكان ذلك شرفا فكفروا به وبسائر
نعم الله تعالى ودعوا الناس الى الكفر بمحمد والى الاعراض عن
دينه وكان فيه استحقاق الخلود في دار البوار وهي دار الهلاك
وهو معنى قوله واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها فبئس
القرار ٥ قوله تعالى وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا
فان مصيركم الى النار ٥ الانداد جمع الند وهو المثل والشبه ٥
معناه وجعلوا لله شركا ليضلوا به الخلق عن دين الله هذا
اذا كانت لام الضلال واما اذا كان من الضلال كان معناه ليضلوهم

عن دين الله واللام التي في قوله ليضلوا لام العاقبة فكانه قيل فعلوا
ذلك وعاقبتهم الضلال عن دين الله وفي قوله قل تمتعوا فان
مصيركم الى النار تهديد ووعيد بالغ فكانه قيل لهم قل لهم
تمتعوا متاع قليل في الدنيا ثم مصيركم في الاخرة الى النار قوله قل
لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
امر الله تعالى محمد صلى الله عليه واله وسلم ان يامر المومنين بالله وبرسوله
باقام الصلوة التي امرهم رسول الله وبالانفاق من المال الذي رزقهم الله
تعالى في وجوه البر في سبيل الله في السر والعلانية قوله تعالى من قبل ان ياتي
يوم لا بيع فيه ولا خلال الخلال الخلة وهي اصفا المودة ومعناه
فليفعلوا ما امروا به قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه اي يوم القيمة وهو يوم لا
يكون فيه بيع ولا ابتياع ما يلزم العبد منه ولا فدا فيجد السبيل الى المفاداه
ليتخلص من العذاب ولا اصطفاه ولا اصدقا يغني عن احد شيا كما
في دار الدنيا فمن لم يتفق في الدنيا على الايمان وطاعة الرحمن كانت
نفسه رهينة بعذاب الله قوله تعالى الله الذي خلق السموات
والارض وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر
لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار من الله تعالى ان
الذي خلق السموات والارض وفيه ساير ما احصى القدرة على خلقها
ولم يقدر عليها سواه وانزل من السما ما ان اريد به المطر وقد بينا
في غير موضع من هذا الكتاب معنى انزل الما من السما انه من السحاب
او غير السحاب ومن انه اخرج بعد وقوع المطر على الارض
منها انواع الثمرات رزقا للعباد وانه سخر السفن في البحر
وهي تجري في البحر بامره ومعناه انه جعل في الما اعتمادات الدافعه

للسفينة وحرك الهوا حتى دفع السفن في السير والريح هو الهوا
المتحرك وكما سخر السفن في البحر سخر الانهار الجارية بالمنافع
للعباد قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دايبين وسخر لكم
الليل والنهار معنى دايبين مستمرين واصل الدووب في اللغة من
دووب الشي في العمل على عادة جارية فيه ومعناه وسخر لكم الشمس
والقمر يجريان على عادة مستمرة وسخر الليل والنهار يختلفان
ويتعاقبان قوله تعالى واتاكم من كل ما سالتموه معناه واعطاكم من
كل ما سالتموه والعبد قد يسال الله العافية فيعطيه ويسال النجاة
من الشدة فيعطيه ويسال المال والولد فيعطيه ويسال العز
والعلو فيعطيه ويساله تيسير الامور وشرح الصدر فيعطيه
فيعطي الله العبد ما ساله اللهم الا ان يكون مفسدة له غير مصلحة
ولا يعطيه ثم مع ما يكون مفسدة له ويكون نعمة عليه فكانه
قيل لهم وان نعمه تكن من طاعة الله وشكر نعمه مع كثرة نعمه
عليكم قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان
لظلوم كفار معناه وقد اكثر الله من النعم ما لو اراد
احصاه وعده لتعذر عليه ذلك وعجز عنه وروي عن بعض
العلما انه قال ان نعم الله تعالى اكثر من ان تحصيها العدد ولكن
اصبحوا تائبين وامسوا تائبين ومن الله تعالى ان الانسان كثير
الظلم لنفسه كثير الكفر لربه قوله تعالى واذ قال ابرهيم رب
اجعل هذا البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام حكى الله
تعالى ان النبي صلى الله عليه واله وسلم دعا ابرهيم عليه السلم لاولاده
حكاية قال اذكر اذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد امنا يعني

مكة وباعدني وبني باللطف والتوفيق عن عبادة الاصنام لانه
لو منعهم عن عبادة الاصنام جبرا لم يكن لهم فيه مدح ولا عليه
ثواب وبينا في غير موضع ان الانبيا عليهم السلم لا يسئلون الله
بعبادة شيئا الا بعد ان ياذن الله لهم فيه وبينا العلة فيه ودعا
ابرهيم لاولاده الذين ذكر الله انه يدعو لهم بما دعا ودعا بان
ذريته لان اكثر ذريته عبدوا الاصنام وقليل منهم لم يعبدوا
واستجاب الله دعوته فيهم فمن لم يعبد الصنم من اولاده دخل
تحت الاجابة ومن عصر النبي صلى الله عليه واله دخل تحت هذه
الاجابة الوصي بلا خلاف وقوله جل اسمه رب انهن اضللن كثيرا من
الناس ٥ الصنم الذي هو جماد لا يضل احدا وقد يضل الانسان
بسببه وهوان يعبده ويتخذه الاها فلما ضل الناس بسبب عبادتهم
لها واضيف الاضلال اليها توسعا ومجازا او ذكرت هذه الطريقة
في تقاسيم الضلال والاضلال وقوله جل اسمه فمن تبعني فانه مني ومن
عصاني فانك غفور رحيم ٥ معناه فمن اتبعني على ديني ولم يعبد
الصنم من اولادي فهو مني ومن كفر بك من ذريتي وعصى وطغى
فانت اعلم بحاله فان تاب وامن فانك غفور رحيم لمن تاب ومن اصر
على المعصية ولم يستحق فيه نافذ ووعيدك لاحق ٥ وليس
المراد بقوله فانه مني ~~ومن كفر بك من ذريتي~~ من اولادي من لم
يطعه على دينه من اولاده لم يخرج من كونه ولدا له ولم ينقطع عنه
نسبه وانما المراد بقوله فانه مني ما نطقت به الاية وهي قوله ان
الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران فالاية مستقصى بل المراد
به الاختصاص بالعصمة والطهارة والديانة والاحسان بالنبوة والامامة

والى هذا اشار النبي صلى الله عليه بقوله علي مني وانا منه خلق من
طينتي وخلقت من طينة ابرهيم ذرية بعضها من بعض وقوله في
قصة براءة حكاية عن جبرئيل لا يبلغها الا انت او رجل منك وقد
مر الكلام في جميع ذلك مستوفيا وقوله جل اسمه ربنا اني اسكنت من ذريتي
بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ٥ هذه حكاية قول
ابرهيم صلى الله عليه حين ما نقل اسمعيل وامه هاجر الى
مكة قال يا رب انك تعلم اني اسكنت من ذريتي بواد غير
ذي زرع عند بيتك المحرم ولا نبات فيه ولا شجر ولا ثمار
وانما هو وادي بيتك المحرم وسمي البيت بهذا الاسم
لانه حرم فيه من التصرف ما احل في غيره وقوله تعالى ربنا ليقيموا
الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم
من الثمرات لعلهم يشكرون ٥ معناه اني اسكنت ذريتي
جوارك وعند بيتك المحرم ليقيموا الصلوة فيها ويعبدوك
حق عبادتك فاعطف قلوب عبادك عليهم ليعزوا واحقهم
وارزقهم من الثمرات التي رزقتها عبادك لكي يشكروك
على نعمتك وقوله جل اسمه ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما
يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السما ٥ معناه ان ابرهيم
قال ربنا انك عالم بكل شيء ظاهرا كان وباطنا ولا يخفى عليك شيء
في الارض ولا في السما وانت عالم بذلك وانت علام الغيوب وقوله
جل اسمه الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي
لسميع الدعاء ٥ هذه حكاية شكر ابرهيم عليه السلم الله تعلى

على ما وهب لي من الولد بعد ان كبر وطعن في سنه وان الله
لسميع الدعا لمن دعاه بحسب من علمه في اجابته المصلحه ٥ وذكر
انه بشر ابرهيم صلى الله عليه واله بالولد بعد ان اتى عليه
مايه وسبع عشره سنه وقوله جل اسمه رب اجعلني مقيم الصلوه
ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاي ٥ معناه اللهم اجعل لي ولذريتي
لطفا امسك به في اقامه الصلوه والعباده وليستجب دعاي
وهو معنى قوله وتقبل دعاي واصل التقبل اخذ العمل على طريق
ايجاب الجزا مقابلة له وقوله جل اسمه ربنا اغفر لي ولوالدي
وللمومنين يوم يقوم الحساب ٥ معناه ان ابرهيم صلى الله
عليه واله دعا بهذا الدعا فقال رب اغفر لي ولوالدي وللمومنين
بك الى يوم القيمه وقد بينا القصه على اي وجه دعا لابيه وان
استغفاره لها عن ذلك الاستغفار الذي كان لازر
في كل موضع ذكر ازر بلفظ الاب مفردا ولا وجه لاعادته
هاهنا وقوله تعلى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما
يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ٥ معناه لا تظنن ايها
السامع ان امهال الله تعلى للظالمين وسعيتطاباهم وترك
اخذهم في الحال بظلمهم لاجل انه غافل منهم وانه خفي عليه ظلمهم
وانما اخر عذابهم الى يوم القيامه ولصعوبته وشده اهواله
تذهب فيه الابصار ومعناه تبقى بحيره لا لمع لها ولا طرف
وقوله جل اسمه مهطعين مقنعي روسهم لا يرتد اليهم طرفهم ٥ قيل معنى
مهطعين مسرعين ٥ وقيل المهطع هو الدايم النظر بالطرف وهو معنى

سعوين البصر ٥ وقيل المهطع المطرق الذي لا يرفع راسه وقيل
المقنع الذي يرفع راسه ٥ قال الراجز انقض نحوي راسه واقنعا
كانه ابصر شيا اطمعا ٥ ومعنى لا يرتد اليهم طرفهم ان ابصارهم
بقيت لا تطرف لها كعين الدهش المتحير وقوله تعلى وافيدتهم
هوا ٥ قيل معناه منخرقه خلاف الهوا لا تعي شيا للرعب الذي
احلها ٥ وقيل معناه قلوبهم فارغه من كل شي الا من ذكر اجابه
الداعي الى الحساب ٥ وقيل معناه تردد افيدتهم في اجوافهم
لا تستقر في مكان وقيل خرجت افيدتهم الى الحناجر لا تنفصل
عنها ولا تعود الى قرارها وكل ذلك تشبيه لها بهذا الجو والقول
الاول اعرف في كلام العرب في الهوا قال قايلهم
كان الرحل منها فوق صعل من الظلمان جوجوه هوا
وقوله جل اسمه وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا
ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل ٥ معناه خوف
الناس يا محمد بعذاب الله والعامل في يوم انذرهم وكانه قيل
انذرهم عذاب الله قبل ان يغشاهم ويجاهم يوم يقولون فيه
اذا راوا العذاب ربنا اخرنا الى اجل غير بعيد لنومن بك ونتبع
رسلك ٥ وفي هذه الايه حجه على المجبره في قولهم ان الله يكلف عباده
اسامي لاحره لان هولا سالوا ان يردهم الى دار التكليف
ليومنوا فيها وفيه ابطال قولهم ان الله كلف الكفار الايمان ولم
يعطهم القدره عليه لانه لو كان في دار الدنيا كذلك كانوا سالوا
الله ان يردهم الى الدنيا حتى يفعلوا ما لم يكونوا قادرين عليه ٥
والنصب يوم لانه المفعول به لا على الظرف لانه لم يومر بالانذار في

ذلك اليوم قوله جل اسمه أولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال
معناه انه يقال لهم يوم القيمة على وجه التقريع الستم حلفتم في دار الدنيا
انه لا زوال لكم ولا انتقال من الدنيا الى الاخرة وقيل معناه وحلفتم
حلفتم انه لا زوال لكم الى العذاب قوله جل اسمه وسكنتم في مساكن الذين
ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال اتصاله
بما قبله على ان ما لكم كمثلهم في الاهلاك اذا اقمتم على مثل ما اقاموا عليه من
العناد وهو على اتصال موجب المعنى الاول ويجوز ان يكون اتصال
الحجاج بوعيد الله على مكرهم انه عالم انه لا يخفى عليه بوجه من الوجوه
قوله جل اسمه وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم
لتزول منه الجبال قرى لتزول بفتح الاولى ورفع الثانية وقرى بكسر اللام
الاولى وفتح الثانية والفرق بينهما ان وجه قراءة الاولى وهو الكسائي
على تقدير ان مكرهم يزول منه الجبال على سبيل الاستعظام للمكر فكانه
قيل يزول الجبال من هذا المكر لعظمه والشاهد لما ذهب اليه قول
الاعشى لئن كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم اني عنكم غير مفحم
ووجه القراءة الثانية على معنى ما كان مكرهم لتزول منه الجبال وتقديره ولا
يبطل حجج الاسلام والقرآن لانه ثابت بالدليل والبرهان قوله جل اسمه فلا تحسبن
الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام معناه ولا تظنن ايها السامع
ان الله مخلف وعده فان الله لا يخلف رسله من انتقام اعدائهم والاكرام
لاوليائهم والله قادر لا يغالب والجزاء لمن يستحق الجزاء والانتقام الجزاء
بضرب من المضار قوله جل اسمه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وبرزوا لله الواحد القهار قيل في كيفية تبديل الارض وجوه منها انه

تبدل الارض بغيرها بان ترفع الصورة التي كانت عليها الى صورة
غيرها وقيل تبدل بان تكون ارض القيمة بيضاء كالفضة لم يعمل
عليها خطيئة وهذه الرواية عن ابن عباس وابن مسعود وانس بن مالك
ومنها ان ارض القيمة هي هذه الارض التي نحن عليها الا انها تغير الى صورة
اخرى وهو كما يقال في العرف والعادة اذا خاط الانسان من قميص قباء
او من قباء قميصا لبس ثوبا اخر والثوب اصله واحد وقد قال الله تعالى
ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا وهذا هو تغيير الصورة والكلام في تبديل
السماء كالكلام في تبديل الارض وبين تعالى انه يحيي جميع الخلق بعد ان
صاروا رفاتا وترابا فيخرجون من بطن الارض الى عرصة القيمة للحساب
والجزاء ليجزي كل نفس ما كسبت قوله جل اسمه وترى المجرمين يومئذ مقرنين
في الاصفاد الصفد القيد في اللغة ومعناه ان المجرمين في القيمة يقرن
ايديهم بالغل الى اعناقهم وقيل يقرن بعضهم الى بعض بالسلاسل قوله جل اسمه
سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار السربال القميص وقيل
انما جعل سرابيلهم من قطران لان النار تكون اسرع اليها وبين تعالى
ان النار تغشى وجوههم وتصير النار كالغشاوة لها قوله جل اسمه ليجزي
الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب وقد ذكرنا الحساب
في غير موضع فلا وجه لاعادته قوله جل اسمه هذا بلاغ للناس يعني به
الانذار بالنار وما يوجب الخلاص مما ذكر من الانعام الذي لا يقدر عليه
الا الله تعالى والبلاغ هو ما يبلغ به الى الغير قوله جل اسمه وليعلموا انما
هو اله واحد معناه هذا القرآن نزل لينذر الناس به وبين الدلائل
التي اذا نظروا فيها علموا ان الله لا اله الا هو وحده لا شريك له ولا نظير

وقوله جل اسمه وليذكر اولوا الالباب ه معناه وليتذكر العقلا
ما يجب تذكره ويتدبروا القران ليعرفوا وحدانية الله وعدله
وحكمته وما لاجله بعث الرسل وفي الاية حجة على المجبرة وقولهم
ان الله اراد من النصارى ان يقولوا ان الله ثالث ثلاثة لان الله
بين انه انزل القران ليعلم ان الله واحد وان ارادتهم ذلك تعالى الله
عما يقولون علوا كبيرا وفيها حجة على اصحاب المعارف فان الله
تعالى يقول ليتذكروا الدلايل فيعرفون بها الله تعالى ويعرفون دينه
وهم يقولون انهم يعلمون ذلك اضطرارا وروى ابي بن
كعب عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه قال من قرا سورة
ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد
من لم يعبدها ه سورة التي يذكر فيها الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله جل اسمه وتعالى الر تلك ايات الكتاب
وقران مبين ه قد تقدم بيان معاني هذه الحروف المذكورة في
اوايل السور بما فيه كفاية فكان الله تعالى قال في هذا المواضع تلك الايات
التي وعدناك انزلها على محمد صلى الله عليه واله وسلم هي ايات القران الذي
انزلته عليه والكتاب ان كان المراد به القران فذكر بلفظين ليجمع بين
الوصفين لان لفظ الكتاب يفيد انه مما يكتب ولفظ القران يفيد انه
مما يولف ويجمع بعضا الى بعض وان كان الوصف واحدا قوله تعالى ربما يود
الذين كفروا لو كانوا مسلمين ه قيل يود هو التمني هاهنا ومعناه اذا
راى المشركون يوم القيامة المومنين وهم يدخلون الجنة ودوا
انهم كانوا مسلمين في الدنيا ولفظ رب وان كان لما وقع وحصل بالصدق

الوعد كانه عيان قد كان ه وقيل انما اذا دخلت على رب غيرت
معناها فدخلت على المستقبل وغيرت المعنى وربما ان كان للتقليل
فاستعمل في هذا الموضع لانه ابلغ في التهديد كما يقول القايل لغيره ربما
ندمت على هذا وهو يعلم انه يندم ندما طويلا ويريد به تكثير ندم قليل
يكفي كثيره ه وقيل انما ذكر بلفظ القليل لان العذاب يشغلهم عن
التمني ذلك الا في القليل وقوله جل اسمه ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل
فسوف يعلمون ه هذا تهديد ووعيد بليغ ومعناه ذرهم واكلهم وتمتعهم
بلذات الدنيا فانما يعقبه من العقاب ما لا قبل لهم به ولا طاقة وذرهم
باشتغالهم باموالهم فانهم يعلمون بلا ما كانوا فيه ووباله اذا ذاقوا
العذاب ه والالهى الشغل يقال الهاه يلهيه الهاء اذا اشغله وقوله جل اسمه
وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ه معناه ولم يهلك اهل قرية
الا ولها كتاب معلوم عند الله ه ومعناه كتاب اجلهم في سابق علم الله
بسبقه انه قيل اذا المستحق فمنهم من يصلح بالتوبة والانابة اتاهم امر الله وهم في
غفلة فاخذهم العذاب بغتة وقوله جل اسمه ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون
معناه اذا جا اجلهم المعلوم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ه
وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ه اخبر الله تعالى عن جهل
هولا الكفار بحال الانبيا عليهم السلام وموقع انعام الله تعالى في بعثتهم
ومعناه انهم قالوا لمحمد صلى الله عليه واله انك لمجنون فيما تامرنا به وتنهانا عنه
وقوله جل اسمه لوما تاتينا بالملايكة ان كنت من الصادقين لوما ولولا وهلا
في اللغة نظاير ومعناه ان كنت صادقا في دعواك فهلا احضرت الملايكة
الذين تدعي انهم ينزلون عليك بالوحي وكان هذا الحكم منهم على وجه الجهل
والطيرة قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك لو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون

وقد مر بيان ذلك في سورة الانعام وقوله جل اسمه ما ننزل الملائكة الا
بالحق وما كانوا اذا منظرين معناه ما ننزل الملائكة الا بالحق الذي
لا يجتمع معه الباطل طرفة عين ومعناه انا لو انزلنا الملائكة عليهم السلام على
الوجه الذي سالوه وتحكموا فيه لم نمهلهم بعد ذلك وهو معنى قوله وما كانوا
اذا منظرين اي ممهلين ونظيره ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون
وقيل معناه ما ننزل الملائكة الا بالعذاب لاستيصالهم ان لم يومنوا
كما فعل على من كان قبلهم وجئناهم الايات التي سالوها واقترحوها
ثم لم يومنوا وقوله جل اسمه انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون المراد
بالذكر هاهنا القرآن ومعناه انا نحن نزلنا عليك القرآن يا محمد وانا له
لحافظون حتى يجري يوم القيمة به كانه قيل حفظه لقيام الحجة به على من لزمه
دعوة النبي صلى الله عليه وآله وقيل حافظون له من الزيادة والنقصان
وقيل حفظه من ان ينالوه ايدي المشركين فيمنعون الناس من قراءته
وفهم ما فيه وقوله جل اسمه ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين
معناه ولقد ارسلنا قبلك الرسل الى الامم الماضية والشيع هي
الامم وقوله جل اسمه وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن معناه
وما ارسلنا من رسول الى امة الا استهزؤوا به وما اتاهم من عند الله
وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله عما يلحقه ممن يكذبه ويستهزئ به
وقوله جل اسمه كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يومنون به وقد خلت
سنة الاولين قيل ان الهاء التي في قوله نسلكه راجعة الى الذكر
فكانه قال ان الذكر الذي انزلناه اليك نسلكه في قلوب المجرمين
على معنى اسماع النبي صلى الله عليه وآله ذلك لهم وانه اذا اسمعهم وعرفوا معناه
ادى ذلك الى قلوبهم وقد نسلك ذلك في قلوبهم بما خلق فيها من الحفظ

له والعلم به والحفظ له والعلم بما اسمعهم من الكلام على ترتيبه
والمراد بقوله نسلكه في قلوبهم ليومنوا به وهم لا يومنون به ولو
كان الامر كما قالته المجبرة انه نسلك الكفر في قلوبهم لم يكن لقوله
لا يومنون على وجه الذم لهم معنى لانه اذا سلك الكفر في قلوبهم كانوا
مضطرين اليه واذا اضطروا اليه لم يمكنهم بعد الايمان والذم لمن يسلك
الطريق قبيح هذا ولم يجر للكفر ذكر فيرجع الهاء التي في قوله نسلكه
اليه فواعجبا من جرأة هؤلاء على دين الله يزيدون في كتاب الله ويصرفون
من غير ما لاني واكثر ذلك وقيل وجه آخر وهو نسلك الاستهزاء
في قلوب المجرمين باحضار ذلك على بالهم ليخشوه والقول الاول اقرب
ومعنى وقد خلت سنة الاولين معناه العادة في اهلاكهم قد جرت لما
كذبوا الرسل وانكروا الآيات واستهزؤوا بها فلا يامن هؤلاء يا محمد
مثله اذا اقاموا على مثل ما اقاموا عليه وقوله جل اسمه ولو فتحنا عليهم بابا
من السماء فظلوا فيه يعرجون العروج الصعود في الهوا معناه ولو
فتحنا بابا من السماء وهؤلاء المشركون يرون الملائكة يعرجون لقال ضل
يوس تفعل كذا او بات ليلته تفعل كذا وقوله جل اسمه لقالوا انما
سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون اصل السكر اذا حال
اللطف في المشام ومعناه واذا راوا ذلك قالوا سكرت ابصارنا
بما دخلت من اللطف في مساماتها حتى منعها من رؤية الاشياء
على حقيقتها وقيل فظل هؤلاء المشركون يعرجون فيه ولقالوا
مع ذلك نحن مسحورون سواء كان الوجه الاول او الثاني فهذا اخبار عن
فرط جهلهم وانكارهم للحق وقوله جل اسمه ولقد جعلنا في السماء بروجا
وزيناها للناظرين البروج منازل النجوم هاهنا وهذا مثل قوله ولقد

زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ومعناه وزينا
السماء الدنيا بالنجوم عبرة للناظرين وقوله جل اسمه وحفظناها من كل
شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين ومعناه
وحفظنا السماء من الشيطان الرجيم هو المرجوم فجعل الله النجوم رجوما
للشياطين واصل الرجم الرمي ومعنى الا من استرق السمع ان الشياطين
وهو ان الشيطان يقرب من السماء لاستراق الخبر من الملائكة عليهم السلام
فيرمى ذلك الشيطان بشهاب وقيل الشهاب وجوه احدها انه عمود
من نور لشدة ضيائه كانه نار وقيل الشهاب هو كوكب ينقض على الشيطان
وقيل الشهاب يحرق ولا يقتل وقيل يقتل وكانت العادة حرسا للشياطين
قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وآله بالقرب من السماء واستماع اخبارها
فمنعوا عند ذلك حين بعث محمد صلى الله عليه وآله وهذه القصة مذكورة في سورة
الجن ونظير هذه الاية قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا
من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب
دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب ولا
يكون طلب الشياطين لاستراق السمع بعد علمهم بمنعهم بالشهب خروجا
عن صفة العقل لانهم يطمعون في السلامة من بعض الجهات وكانوا
يترصدون لاستراق السمع من الملائكة ليفسدوا على عباد الله بدعائهم
اياهم الى الضلال على وجه الايهام بانهم يعلمون الغيب لانهم كانوا اذا وقفوا
على شيء من اخبار السماء فاخبروا به في الارض وكان ذلك عيبا للعباد
فاوهموا انهم يعلمون الغيب فيؤدي ذلك الى ضروب من الفساد
وقوله جل اسمه والارض مددناها والقينا فيها رواسي ه اي الجبال
ومعناه وبسطنا الارض بسطا ليستقر الخلق عليها والقينا فيها الجبال

وقيل الجبال اوتاد الارض وقيل جعلت علامة يهتدى بها الى الارض
وقوله جل اسمه وانبتنا فيها من كل شيء موزون ه قيل معناه انبتنا فيها
معلوما لانه على مقدار ما تدعو اليه الحكمة وقيل المراد به انه انبت
الاشياء التي توزن وانه للاول اظهر واحسن معنى وقوله جل اسمه
وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ه المعيشة طلب اسباب
الرزق مدة الحياة ومعناه وبينا لكم معايشكم وجعلنا لكم
[illegible] لستم له برازقين وهم العبيد والاماء والدواب والانعام
التي على الله رزقها كما قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ومن في
موضع نصب لانه عطف على معايش وقوله جل اسمه وان من شيء الا عندنا
خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ه المراد بالخزائن ههنا المقدورات
شبه المقدورات بالخزائن التي تحتوي على الذخائر ومعناه ما من شيء ينتفع
للعباد [illegible] الا ونحن مقدورون على ذلك [illegible] عليهم وموجده من
الارزاق وضروب النعم والمنافع لسائر الحيوانات وقوله جل اسمه وما ننزله
الا بقدر معلوم لانه اصلح في باب التكليف والتعبد وقد قيل ويجوز ان
يكون المراد به ما في السماء لانه مخزون في السماء الى ان ينزل الى الغيم ثم ينزل
منه الى الارض وقوله جل اسمه وارسلنا الرياح لواقح ه قيل اللواقح هي الرياح
التي تلقح السحاب حتى يحمل الماء اي يلقي اليها نطفة كما تلقح الناقة والنخلة
النخل اذا القي الماء اليها معناه وارسلنا الرياح التي صفتها ما ذكرناه
وقيل لواقح في معنى موضع ملاقح ومعناه انها تلقح السحاب بالماء وقيل
معناه انها لاقحة فحملها الماء وتلقيحه بالقائها اياه الى السحاب وقوله جل اسمه
فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين ه معناه وانزلنا
من السماء ماء فجعلناه سقيا لكم وهذا كما يقال اسقاه الله اذا [illegible] له ماء

يرزقاه ومن لعباده انهم غير قادرين عليه وهو معنى قوله وما انتم له
بخازنين ولستم قادرين على ذلك ولا مالكين له وقوله جل اسمه
وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ه جمع الله تعالى في هذه الاية
حال الاحيا واسبابها وعاقبتها وقال نحن القادرون على الاحيا
والاماتة ويفني كل شي ويبقى الله جل وعلا وهو معنى قوله ونحن
الوارثون لان الله الوارث الاملاك كلها الى ان يفنيها بعدها ه
وقوله جل اسمه ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين ه
معناه ولقد علمنا من مضى من الخلايق ومن بقي ه وقيل معناه علمنا
اول الخلق واخره ه وقيل علمنا المستقدمين في الخير والمبطئين
عنه وقوله جل اسمه وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ه معناه
وان الله تعالى هو الذي يعيد الخلق بعد افنائهم وهو العليم بعواقب
الامور والعالم بسائر المعلومات على التفصيل وهو الحكيم في اقواله
وافعاله فلا يفعل ما هو خارج عن الحكمة وفي خلق الاحيا واماتتهم
واعادتهم بعد افنائهم ابلغ الحكمة لمن نظر فيه وتفكر وتدبر
وقوله جل اسمه ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون ه المراد
بالانسان هاهنا ادم صلى الله عليه وهو ابو البشر والصلصال في
اللغة الطين اليابس الذي اذا نقر سمعت له صلصلة وقيل هو
مثل الخزف ه وقيل الصلصال هو المنتن والوجه الاول اصح والحما الطين
المتغير الذي يضرب الى السواد والمسنون المصبوب تقول سننت
الما اذا صببته وقيل المسنون الرطب وقيل المتغير من قولهم سننت
الحديد على المسن اذا غيرتها بالتحديد ومعناه خلقنا ادم عليه السلم
من طين بهذه الصفة وقوله جل اسمه والجان خلقناه من قبل من نار السموم ه

معناه وخلقنا الجان قبل ادم من النار والمراد به ابليس وقيل انه
خلق ابليس من نار حارة وورد في الاثار ان هذا السموم جزو
من سبعين جزوا من السموم التي الجان منها ه وروي ان ادم عليه السلم
خلق من الطين على هيئة صورة الانسان وترك حتى جف وكانت
الريح اذا هبت عليه سمع له صلصلة وقوله جل اسمه واذ قال ربك للملئكة
اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون ه معناه ان الله اخبر
الملئكة عليهم السلم قبل ان يخلق ادم انه يريد ان يخلق بشرا
من طين بهذه الصفة وقوله جل اسمه فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين ه معناه فاذا سويت خلقه وجعلت فيه الروح
فاسجدوا له ه وقد مر بيان معناه وكيفيته في غير موضع من هذا الكتاب
وقوله تعالى فسجد الملئكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين ه
معناه فسجد الملئكة كلهم ولم يسجد ابليس وقد بينا فيما تقدم من سورة
البقرة وغيرها ان هذا الاستثنا ليس من الجنس وان ابليس لم يكن
من الملئكة وقوله جل اسمه قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين معناه
ان الله تعالى قال يا ابليس ما الذي منعك عن السجود لادم وقوله جل اسمه
قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون ه معناه
لست اسجد لبشر خلقته من طين وخلقتني من نار فقدر عند نفسه
ان النار خير وارفع قدرا من الطين فسوغ لنفسه الامتناع
من السجود وقوله جل اسمه قال اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة
الى يوم الدين ه الرجيم هاهنا هو المرجوم بالذم والشتم واللعن والله
لعنه ولعنه المومنين الا ان مدته الى اخر وقت التكليف ه ويوم الدين
يوم الجزا وهو يوم القيمة بهم يوم الدين يرد الى عذاب النار والهاوية وقوله

واهبط منها ان اخرجه الى الجنة اي اهبط منزلته الى السما وقيل اخرجه
الى السما اي انزل من السما الى الارض ٥ قوله جل اسمه قال انظرني الى يوم
يبعثون ٥ هذا اخبار عن سوال ابليس من الله تعالى الى يوم
القيمة فسأل الله تعالى ان يبقيه حيا الى يوم القيمة ٥ وقال بعض
العلما يجوز ان يكون الله كلمه على لسان رسله ويجوز ان يكون
كلمه بالانكار عليه والاهانة له كما يقول لاهل النار اخسئوا فيها
ولا تكلمون ٥ قوله جل اسمه قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ٥
يوم القيمة قال انظر وامهل في رفع العذاب عنه في السعة له الى اخر
وقت التكليف وقيل الوقت المعلوم يوم القيمة ٥ ويوم يبعثون
يوم القيامة ٥ وقال بعض العلما الوقت المعلوم هاهنا هو اليوم
الذي في معلوم الله تعالى ان ابليس يموت فيه ٥ قوله جل اسمه قال رب بما
اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين ٥ معناه انه قال
رب بما خيبتني من رحمتك يقال اغواه اذا خيبه ومنه قول القايل
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما ٥
وقيل انما اغويتني اي لما نسبتني الى الغي يقال اغواه اذا نسبه الى الغي
وحكم عليه به وكانه قال لاجل انك اغويتني لازينن لعبادك في الارض
المعاصي وادعوهم الى ما فيه خسرهم والحكم عليهم بالضلال وفي هذا
غاية الخسارة والجرأة على الله ٥ قوله جل اسمه الا عبادك منهم المخلصين ٥
معناه انه لما قال لاغوينهم اجمعين استثنى من ذلك عباد الله المخلصين
لعلمه بانهم لا يطيعونه ولا يعصون الله وان بذل مجهوده في الدعا
الى المعصية ٥ قوله جل اسمه قال هذا صراط علي مستقيم ٥ معناه
ان الله تعالى قال لابليس تهديدا وتوعدا هذا صراط علي مستقيم وهذا

اللفظ يستعمل في باب الوعيد كما يقال لمن يهدد طريقك علي ومصيرك
الي ومعناه مصير جميع العباد الي معادا يوم معلوم فمن اطاعك
عذبته العذاب الاليم ومن عصاك هديته الطريق المستقيم وهو طريق
الجنة ومنه يعدل بالكفار والفساق الى الجحيم ٥ وقيل المراد
بالصراط المستقيم هاهنا الدين المستقيم ٥ ومعناه ان الله تعالى
بين الدليل ونفى الشبهة عنه فمن استدل بما نصبه الله من الادلة اهتدى
الى الدين المستقيم ٥ وفي الاهتداء اليه والتمسك به الخلاص من
وساوس الشيطان فيما يدعوا اليه ٥ قوله جل اسمه ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ٥ معناه لا سلطان
لك على من اخلص العبادة لي من عبادي لانه لا يطاوعك ولا يتبع
وساوسك ٥ ثم استثنى الغاوي من خلقه وبين ان سلطانه انما
يكون على من كان غاويا لانه يتبع دواعي شهواته ويعدل عن
الهدى الى ما يدعوا اليه الهوى فحينئذ يبسط الشيطان عليه
بان يغويه بالوسوسة في نفسه ويزين له المعصية في عينه وفي دعوته
قوله جل اسمه وان جهنم لموعدهم اجمعين معناه ان جهنم مأوى
جميع الغاوين من الكفرة والفسقة من الجن والانس اجمعين ٥
قوله جل اسمه لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ٥
بين الله تعالى ان جهنم دركات كما ان الجنة درجات فجهنم
تشتمل على سبع دركات وسمى لكل باب منهم جزء مقسوم
بين الله تعالى ان جهنم دركات لكل دركة منها باب ٥ ومعناه
ان اهل جهنم يعذبون في اطباق النيران على مقادير اجرامهم
لكل قوم باب وجزء مقسوم من العذاب فقوم في الدرك الاسفل

وقوم في لظى وقوم في الهاوية وقوم في سقر فعلى هذا الترتيب القسمة
نعوذ بالله منها وقوله جل اسمه ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها
بسلام آمنين ۝ لما بين الله تعالى حال اهل الجنة ترهيبا اولا ذكر وعدا
في الثاني فقال ان مصير المتقين الى جنات فيها عيون جارية
واشجار مثمرة كما قال تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود
وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا
ممنوعة ونظايرها من الايات في صفة الجنة فيقوم القائم بها فيقال
للمتقين ادخلوا الجنات بسلام من كل ضر وآفة وامن من كل خوف
وقوله جل اسمه ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين
معناه قد صفا قلوبهم وخلاها من كل ما كانت فيه في دار التكليف
من الغل والحقد وكل سبب في اعتقاد باطل فصار المتقون في
تلك الجنات اخوانا متقابلين في اتم الانس والسرور والسلامة
والحبور ونظيره قوله على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين
وقوله جل اسمه لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين ۝ معناه لا
يمس اهل الجنة في الجنة تعب ولا نصب ولا اذى ولا الم بوجه من
الوجوه والجنة كلها لذة وراحة ونعيمها دايم لا انقطاع له ولا
نفاد وقوله جل اسمه نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب
الاليم ۝ جمع الله تعالى في هذه الاية من ذكر الرحمة والنعمة والوعد
والوعيد والترغيب والترهيب واتباعها بكلمتين وهذا من ابدع
الايجاز والطف الاختصار فقال لنبيه صلى الله عليه وآله اخبر عبادي
اني انا الغفور الرحيم لمن اناب في المنعم عليه وان عذابي لمن اصر
على المعصية ولم يتب هو العذاب الاليم وقوله جل اسمه ونبئهم عن ضيف

ابرهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا
لا توجل ۝ معناه واخبرهم يا محمد بقصة ضيف ابرهيم صلى الله عليه
وقد مر بيانها في سورة هود ۝ وبين انهم دخلوا على ابرهيم وقالوا
سلاما معناه سلموا عليه وانتصب سلاما على معنى سلمت سلاما
فقال ابرهيم انا منكم وجلون اي خائفون لانه لم يعهد اضيافا فاسلم
وهذا مثل قوله هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين اذ دخلوا
عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون الى قوله فاوجس
منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم وقوله جل اسمه قالوا لا
توجل انا نبشرك بغلام عليم ۝ معناه ان ضيف ابرهيم قالوا لا
تخف فانا جئناك ببشارة من عند الله وهي ان نهب لك غلاما عليما
فامنوه من الخوف الذي دخله بهذا القول والوجل الخوف في اللغة
وقوله جل اسمه قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون ۝ قيل
انما قال ابشرتموني على وجه التعجب لانه عجب مما بشر به لكبره فلهذا
قال فبم تبشرون ۝ كانه قال ابشرتموني بهذا على راس الكبر وقيل
استفهمهم بذلك فقال بامر الله تبشرون وقوله جل اسمه قالوا بشرناك
بالحق فلا تكن من القانطين ۝ معناه ان الملايكة عليهم قالوا لابرهيم
بشرناك بهذه البشارة بامر الله فلا تكن من الايسين وان كان من عادة
الناس الياس من مثله في حال الكبر وقوله جل اسمه قال ومن يقنط من
رحمة ربه الا الضالون ۝ معناه ان ابرهيم عليه السلام قال في
الجواب لا اياس من نعمة الله الا الضال السالك لطريق الضلالة وفي هذا
اوضح الدليل على ان الذي قاله اولا انما قال على وجه التعجب لا على وجه
الانكار والشك في قدرة الله وقوله جل اسمه فما خطبكم ايها المرسلون

الخطب الامر الجليل فاستفهم منهم ابرهيم عليه السلم الامر الذي لاجله
جاوا له وارسلوا وقوله جل اسمه قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين معناه ارسلنا لنهلك قوم لوط
الا ال لوط وهم الذين امنوا به فانهم ينجون من الهلاك الا امراته
قدرنا انها لمن الغابرين معناه وامراة لوط لا ينجوا من الهلاك
والعذاب لانها كافرة مستحقة للهلاك كما استحق القوم الذين
نهلكهم واذا اخرجنا من المدينة ال لوط لينجوا من الهلاك فيبقى هذه
المراة في المدينة مع القوم المستحقين للهلاك ومعنى قدرنا هاهنا كتبنا
انها من الغابرين واصل التقدير في اللغة جعل الشي على مقدار غيره
لتظهر المساواة وقد يستعمل هذا اللفظ في الكتابة كما قال القايل
واعلم بان ذا الجلال قد قدره في الصحف الاولى كان يسطر وقوله جل
فلما جا ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون معناه فلما جا
الرسل وهم الملايكة عليهم السلم الى لوط قال لهم انكم قوم منكرون
وانما قال لهم هذا لانهم دخلوا عليه في صورة لم ير مثلهم من الانس
وكانه قال لهم انتم قوم لا اعرفكم ولا اعهد قوما على صورتكم
واراد بقوله منكرون هذا المعنى هذا اللفظ قد يستعمل في غير هذا
الوجه ايضا وقوله جل اسمه قالوا بل جيناك بما كانوا فيه يمترون
معناه ان الرسل قالوا للوط عليهم السلم قد جيناك بالعذاب الذي
كان قومك يشكون فيه ويستبعدونه ويكذبونه والامترا
في الشي الشك فيه فلما اخبروه بذلك عرفهم وعرف ما جاوا
له وسكن منهم وقد كان خافهم اولا وقوله جل اسمه واتيناك بالحق
وانا لصادقون معناه جيناك بالحق فالعذاب نازل بهم لا محالة

وقوله جل اسمه فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم معناه
فاخرج اهلك من المدينة بالليل فان موعد العذاب النازل
باهل المدينة الصبح والقطع جمع قطعة كقولك تمرة وتمر ومعناه
بقطعة مضى من الليل وقيل بعض الليل وقيل بعد من الليل وقيل
اذا بقي من الليل قطعة ومضى اكثره فامر الله لوطا عليه السلم
ان يقدم قومه ويكون هو خلفهم ويمضون لشانهم ولا يقفون لشي
ولا يعرجون عليه كما يقال امض لشانك ولا تقف لشي فهذا معنى قوله
ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تومرون وقيل معناه ولا يلتفت
منكم احد الى خلفه لئلا يرى هول العذاب النازل بهم فلا يحتمله
نفسه ولا يطيق روبته وقوله جل اسمه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر
هولا مقطوع مصبحين معناه واوحينا الى لوط واخبرناه واعلمناه
انا نهلك قومك وقت الصبح بعذاب الاستيصال وهذا معنى
قطع دابرهم وقد بينا معنى هذا الكلام وحقيقته في اللغة
في سورة الانعام وموضع ان من الاعراب نصب على البدل
من الامر وهو قوله وقضينا اليه ذلك الامر ان ويجوز ان
ينصب على نزع الخافض منه على تقدير بان دابر هولا مقطوع
وقوله جل اسمه وجا اهل المدينة يستبشرون معناه وجا اليهم
المفسدون على وجه البطر والفرح والسرور بمجي اوليك
النفر اليهم بانهم غلمان لما ارادوهم بالريبة والاستبشار
استجلاب السرور بالبشارة وقوله جل اسمه قال ان هولا ضيفي
فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون معناه قال لهم لوط
عليه السلم لا تقصدوا اضيافي بما عادتكم القصد اليه ولفظ

الخطب الا الامر الجليل فاستفهم منهم ابرهيم عليه السلم الامر الذي لاجله
جاوا له وارسلوا (وقوله جل اسمه) قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين معناه ارسلنا لنهلك قوم لوط
الا ال لوط وهم الذين امنوا به فانهم ينجون من الهلاك الا امراته
قدرنا انها لمن الغابرين معناه وامراة لوط لا تنجو من الهلاك
والعذاب لانها كافرة مستحقة للهلاك كما استحق القوم الذين
نهلكهم واذا اخرجنا من المدينة ال لوط تنجو من الهلاك فتبقى هذه
المراة في المدينة مع القوم المستحقين للهلاك ومعنى قدرنا هاهنا كتبنا
انها من الغابرين واصل التقدير في اللغة جعل الشي على مقدار غيره
لتظهر المساواة وقد يستعمل هذا اللفظ في الكتابة كما قال القايل
واعلم بان ذا الجلال قد قدره في الصحف الاولى كان يسطر (وقوله جل)
فلما جا ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون معناه فلما جاء
الرسل وهم الملايكة عليهم السلم الى لوط قال لهم انكم قوم منكرون
وانما قال لهم هذا لانهم دخلوا عليه في صورة لم ير مثلهم من الانس
وكانه قال لهم انتم قوم لا اعرفكم ولا اعهد قوما على صورتكم
واراد بقوله منكرون هذا الذي هذا اللفظ قد يستعمل في غير هذا
الوجه ايضا (وقوله جل اسمه) قالوا بل جيناك بما كانوا فيه يمترون
معناه ان الرسل قالوا للوط عليه السلم قد جيناك بالعذاب الذي
كان قومك يشكون فيه ويستبعدونه ويكذبونه والامترا
في الشي الشك فيه فلما اخبروه بذلك عرفهم وعرف ما جاوا
له وسكن منهم وقد كان خاف اولا (وقوله جل اسمه) واتيناك بالحق
وانا لصادقون معناه جيناك بالحق فالعذاب نازل بهم لا محالة

(وقوله جل اسمه) فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم معناه
فاخرج اهلك من المدينة بالليل فان موعد العذاب النازل
باهل المدينة الصبح والقطع جمع قطعة كقولك تمرة وتمر ومعناه
قطعة مضى من الليل وقيل بعض الليل وقيل بعد من الليل وقيل
اذا بقي من الليل قطعة ومضى اكثره فامر الله لوطا عليه السلم
ان يقدم قومه ويكون هو خلفهم ويمضون لشانهم ولا يقفون لشي
ولا يعرجون عليه كما يقال امض لشانك ولا تقف لشي فهذا معنى قوله
ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تومرون وقيل معناه ولا يلتفت
منكم احد الى خلفه لئلا يرى هول العذاب النازل بهم فلا يحتمله
نفسه ولا يطيق رويته (وقوله جل اسمه) وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر
هولا مقطوع مصبحين معناه واوحينا الى لوط واخبرناه واعلمناه
انا نهلك قومك وقت الصبح بعذاب الاستيصال فهذا معنى
قطع دابرهم وقد بينا معنى هذا الكلام وحقيقته في اللغة
في سورة الانعام وموضع ان من الاعراب نصب على البدل
من الامر وهو قوله وقضينا اليه ذلك الامر ان ويجوز ان
ينصب على نزع الخافض منه على تقدير بان دابر هولا مقطوع
(وقوله جل اسمه) وجا اهل المدينة يستبشرون معناه وجاهم
المفسدون على وجه البطر والفرح والسرور يحيى اولايك
يعزرا منهم بانهم غلمان لما رادوهم بالريبة والاستبشار
استجلاب السرور بالبشارة (وقوله جل اسمه) قال ان هولا ضيفي
فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون معناه قال لهم لوط
عليه السلم لا تقصدوا اضيافي عادتكم القصد اليه ولفظ

الصنف يقع على الواحد والاثنين والجميع فانكروا فعلمتم ذلك
كان خزيا وفضيحة فاتقوا عذاب الله بترك ذلك ولا تعجلوا الاقوام
عليه فتفضحهم رسول الله ونهاهم عن ذلك القبيح فلم يستحيوا ولم
ينتهوا وقوله جل اسمه قالوا اولم ننهك عن العالمين ، العالم الجماعة
من الناس والعالمون جميعهم ، ومعناه الا ولانك المعتدين قالوا
للوط عليه السلام جوابا عن قوله فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون
السنا قد نهيناك عن ان تؤتي اليك وتجير من تقصده بهذا
الباب فيمنعنا عنهم وعما نريده منهم وهذا كان تهددا منهم
له وقوله جل اسمه قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين ، معناه ان لوطا
عليه السلام عرض عليهم بناته وقال لهم تزوجوهن بهن لتستغنوا
بهن عن الحرام والامر القطيع الشنيع ، وكانه كان في شرعه
لوط عليه السلام وشيعته من قال كن بنات القوم الذين اسوا امته
وسائرهم في الحكم كن كبنات لوط عليه السلام وقيل معنى ان كنتم فاعلين
فيه كناية عن النكاح والجماع ، وقيل قال ذلك لرؤساهم الذين كانوا
يكفون اتباعهم عما ارادوا كفهم عنه وقوله تعالى لعمرك انهم لفي
سكرتهم يعمهون ، اصل العمر مدة البقاء فقال لنبينا محمد صلى الله
عليه واله وعطيا له واجلالا اقسمنا بالعمر ومدة بقائك حيا يا محمد
وقيل وحياتك يا محمد وهذه الرواية عن ابن عباس ، والسكرة غمور
السهو في النفس ومعناه انه ذكر شبه الذين نزل
العذاب بهم كانوا في سكرة وغفلة مفرطة في باب الجهل وكانوا
مترددون متحيرين ، واصل العمه التردد في التحير يقال عمه يعمه عمها
وقوله جل اسمه فاخذتهم الصيحة مشرقين ، معناه اخذتهم الصيحة وهم قد دخلوا

في الاشراق وموعد العذاب كان الصبح فمن ذلك العذاب كان الصيحة
وهو ان جبرئيل عليه السلام صاح عليهم صيحة خمدوا لها وقوله جل اسمه
فجعلنا عاليها سافلها ، معناه امرنا جبرئيل عليه السلام والملائكة صلوات
الله عليهم بقلع المدينتين باهلها وقلبهما بان جعل اعلاها اسفلها وقومناهم
على ذلك وقوله جل اسمه وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ، وقد بينا معنى السجيل
في سورة هود ، وورد في الرواية انه امطر من المدينة على الحجر قبل الصبح
وقوله جل اسمه ان في ذلك لآيات للمتوسمين ، قيل المتوسم هو الناظر في الشيء الدالة
على مدلوله ، وقيل المتوسم المتعرف وقيل المعتبر وقيل المتفكر وقيل الناظر
وقيل المتبصر وقوله جل اسمه وانها لبسبيل مقيم ، قيل ان الاعتبار بها ممكن
لبيان الاثار التي يستدل بها قائمة ثابتة وقوله جل اسمه ان في ذلك لآية للمؤمنين ،
معناه وفي ذلك دلالة للمؤمنين ايضا فاضيفت الدلالة الى المؤمنين على وجه الاطلاق
لان المؤمن هو الذي يصلح للاستدلال والكافر يضاف الى من وجه واحد
وانه بحيث يتمكن من الاستدلال بها ان احتاج ان يستدل وقوله جل اسمه
وان كان اصحاب الايكة لظالمين ، الايكة الشجرة وقيل الشجر الملتف
وجمعها ايك كقولك شجرة وشجر ، واصحاب الايكة اصحاب الشجر وهم القوم
الذين ارسل الله اليهم شعيبا عليه السلام وارسل الى اهل مدين ايضا
فاما اهل مدين فاهلكوا بالصيحة واما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة التي
احترقوا بنارها وقوله جل اسمه فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ، معناه انتقمنا
من اصحاب الايكة بان اهلكناهم فانزلنا العذاب بهم مقام الانتقام
لانهم عذبوا واهلكوا بكفرهم وطغيانهم والامام المقدم الذي يتبعه من بعده
والهاء الكناية في قوله وانهما راجعة الى المدينتين مدينة قوم لوط ومدينة
اصحاب الايكة ، ومعنى قوله لبامام مبين انهما على معنى طريق يتبع ذلك

المعنى فيما دل عليه وذلك المعنى هو انقلاب المدينة واسقالها وما حل باهلها
وقيل لبامام مبين انهما على معنى لبطريق يؤم ويتبع ويهتدى به وقيل الامام
المراد به الكتاب السابق قوله جل اسمه ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين
قيل الحجر هي مدينة ثمود وقيل هم اصحاب الوادي واصل الحجر من الحظر
يقال حجر عليه اذا احظر عليه قوله جل اسمه وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها
معرضين معناه انهم كذبوا الرسل واعرضوا عن الاستدلال بالآيات آيات الله
والايمان بها قوله جل اسمه وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين معناه
ونحتوا بيوتا في الجبال وكانوا آمنين عند انفسهم من ان تسقط عليهم
تلك البيوت وقيل آمنين من الخراب وقيل من العذاب وقيل من الموت
لانهم كانوا غافلين عن هذه الحوادث قوله تعالى فاخذتهم الصيحة مصبحين
معناه فاخذتهم وقت الصباح قوله تعالى فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
معناه لم يجدوا شيئا مما كسبوه يدفع العذاب عنهم قوله تعالى وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق اخبر الله تعالى بانه لم يخلق السموات والارض
الا بالحق وقد مر بيان معناه في غير موضع ووجه اتصال قوله وما خلقنا السموات
والارض بما قبله هو ان الامم الذين تقدم ذكرهم لما خالفوا الحق اهلكوا
لان الله تعالى ما خلق السموات والارض الا بالحق قوله تعالى وان الساعة
لآتية فاصفح الصفح الجميل معناه واعلم ان الساعة آتية للجزاء والمكافاة
وجميع ما خلق يرجع الى عالم به ومدبر له وهو معنى قوله هو الخلاق العليم
وقيل وجه الاتصال ما اهلكناهم الا بالحق كما انا لم نخلق السموات والارض الا
بالحق قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل امره بالاعراض عنهم وعن قتالهم والاشتغال
بهم وهذه الآية عند بعض العلماء منسوخة بآية السيف وعند غيره هي فيما بين
النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبينهم لا فيما امر به عليه السلام من جهادهم والصفح

قد يكون بمعنى الاعراض عن الشيء ويكون بمعنى العفو قوله تعالى ان ربك
هو الخلاق العليم لفظ فعال وفعيل انما يكون للمبالغة في الصفة والخلاق
هو الكثير الخلق والعليم هو البالغ في صفة العلم قوله جل اسمه ولقد آتيناك
سبعا من المثاني والقرآن العظيم السبع المثاني هي السبع الطوال وهي
سبع سور من البقرة الى [illegible] سبع سور بين الله تعالى انه اعطى محمدا صلى الله
سبعا من المثاني والقرآن العظيم منا منه وفضلا وقيل المراد بالمثاني
فاتحة الكتاب وسميت بها لانها تثنى يقرأ بها في كل صلوة وقيل مثاني
القرآن سمي بذلك لما يثنى من الاخبار والامثال والعبر وقيل مثاني القرآن
لما فيها من الحكم المصدقة وقد قال القائل انشدكم بمنزل الفرقان
ام الكتاب السبع والمثاني ومثاني من القرآن والسبع الطوال المثاني
ولتزيل الفصل بين المثاني ولفظ القرآن بالواو على ان المثاني ليست من
القرآن كما لا يدل قوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل ان جبريل
ليس من الملائكة عليهم السلام قوله جل اسمه لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم نهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عن النظر الى ما آتاه الله
غيره من زينة الدنيا فكانه قيل له ارض بما اعطيناك ولا تمدن ما
متعنا على غيرك ونظير ذلك قوله تعالى في سورة طه ولا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا الآية قوله تعالى
ولا تحزن عليهم قيل معناه ولا تحزن على ما متعنا به عليهم حزنك فان
في سبيل المصالح لا يعلمها الا الله والله يفعل ذلك للمصلحة وقيل لا تحزن
عليهم بانهم يصيرون اليه من العذاب لا لم يقروا بنبوتك قوله تعالى واخفض
جناحك للمؤمنين معناه كن رؤفا بهم رحيما وقالينا عطوفا عليهم
عليهم قوله جل اسمه وقل اني انا النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين امر الله

سيد صلى الله عليه ان يقول للناس اني انا النذير الظاهر انذر الذي انذركم
الى الله واخوفكم بعذاب الله ان ينزل بكم كما انزل على المقتسمين
معناه بعضهم اهل هذا الكتاب اليهود والنصارى فاقتسموا ما انزل الله
اليهم فامنوا ببعضه وكفروا ببعضه معناه فانزلنا عليك الكتاب كما انزلنا
على المقتسمين وقيل هم قوم صالح تقاسموا كما حكى الله عنهم قالوا تقاسموا
بالله لنبيتنه واهله ليلا وقيل هم قوم اقتسموا طرق مكة يصدون الناس
عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان بعضهم يقول انه ساحر وبعضهم يقول
كاهن وبعضهم يقول انه مجنون فانزل الله بهم عذابا اهلكهم وهذه
الزوجية عن القرآن قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين الذين صفة المقتسمين
وعضين واحدها عضة كعزة وعزين وثبة وثبين قال الله تعالى فما
للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين واصل عضة منقوصة
الواو كعزة وعزين ومعنى جعلهم القرآن عضين انهم جعلوه متفرقا
امنوا ببعضه وكفروا ببعضه وقيل جعلوه عضين بان قالوا سحر
وكهانة وقوله جل اسمه فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون هذا
السؤال يكون يوم القيمة وهو سؤال التوبيخ والتقريع فيقال لهم اعضيتم
القرآن وما حجتكم في ذلك فيظهر خزيهم عند عدم الجواب وقوله جل اسمه
فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين وكانوا
هاولا خمسة نفر من قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن ربيعة والاسود
بن يغوث والحرث بن عيطلة فاهلكهم الله جميعا فاهلك الوليد
بالصاعقة وهو اخو لبيد بن ربيعة العامري واهلك واحدا بداء البطن
واصاب واحدا رجله شوكة فمات منه واهلك بعضهم بالطاعون
وقصتهم مشهورة وورد في الرواية ان جبريل صلى الله عليه اتى النبي صلى الله

فقال له اشير الى بطن فلان والى قدم فلان والى فلان فجعل حسبما
قال له فاهلك الله كل واحد منهم على ذلك الوجه الذي اشار اليه
وقوله جل اسمه الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون معناه
هولا جعلوا لله شريكا فجازاهم الله يوم القيمة بعذاب من اشرك به
تذكير عظم جرمهم وفيه تهديد بليغ وقد جاز ان يقول اصدع بما
تؤمر ولا يقول بما تؤمر به كما يقول امرتك وامرتك به واكبرتك
واكبرت بك قال الشاعر اذا قالت حذام فانصتوها فان القول ما قالت حذام
فقال فانصتوها بدل قوله فانصتوا لها وقيل هو راجع الى المصدر
كما قال القائل امرتك امرا حازما فعصيتني فاصبحت مسلوب الامارة نادما
وقوله جل اسمه ولقد نعلم انه يضيق صدرك بما يقولون معناه ونحن نعلم ضيق
صدرك بما نالك من اذى هولا المستهزئين بك ومعاداتهم اياك فاصبر على
ذلك لتنال جسيم الثواب فحذف الصبر لدلالة الكلام عليه وقوله جل اسمه
فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين
معناه اشتغل بتحميد الله والتسبيح له وهو التنزيه واشكر الله على نعمه
والايه واعبده حق عبادته الى ان ياتيك الموت فانك ميت وانهم ميتون
وسمي الموت يقينا لانه لا يشك فيه احد من العقلا موحدا كان او ملحدا
بارا كان او فاجرا وروى ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله
انه قال من قرأ سورة الحجر اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار
والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم السورة التي يذكر فيها
النحل

ا د ا ر

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله جل اسمه أتى أمر الله فلا
تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ٥ أصل الإتيان المصير إلى جهة
الشيء وكان أمر الله صائر إلى جهة هؤلاء الذين خوطبوا بهذا الخطاب وذلك
الأمر الذي هو عقابهم على الإشراك به والتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وآله
وقيل أمره فرائضه وأحكامه ٥ والقول الأول أقرب لأن الكفار كانوا يستعجلون
العذاب تكذيبا وإنكارا فكأنه قيل لهم قد أتى العذاب فلا تستعجلوه كما
قال تعالى حاكيا ويستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين الآية ٥ وقيل
المراد بأمره القيامة وكأنه قال إن الله تعالى يأتي بأمره في وقته الذي هو حقه
فلا تستعجلوا ثم نزه نفسه من كل القبائح بقوله سبحانه وتعالى ٥ ومعنى تعالى
تعاظم بأعلى صفات المدح وتقديره عظم عما يقولون وجل وعلا عما يشركون
وقوله جل اسمه ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه
لا إله إلا أنا فاتقون معناه أن الملائكة تنزل بالروح بأمر الله على من يشاء من
عباده ٥ وقيل في الروح وجوه أحدها أنه البيان عن الحق الذي يجب اتباعه
والعمل به ٥ والثاني أنه الوحي ٥ والثالث أنه كلام الله عز وجل ومعنى
الآية أن الله يخص برسالته من يشاء من عباده ويأمر رسله بأن
الخلق وأعلمهم أنه لا إله إلا الله وأنه يجب أن يتقوا عذابه بترك
الإشراك به والتجنب عن معاصيه وقوله جل اسمه خلق الإنسان من
نطفة فإذا هو خصيم مبين ٥ بين الله أنه خلق حيوانا على صورة
الإنسان من نطفة من ماء مهين ثم ربّاه على امتداد الأيام إلى
أن يكمل عقله ويعطيه القدرة والآلات ويعلمه البيان ويهديه
إلى طريق المحاجة والخصام ليفرق بين الحق والباطل فأي دليل لمن أراد
أن يستدل به على معرفة الله الخالق البارئ المصور أدل من هذا

والعجب وقيل في هذا الثناء وجوه أحدها أنه تصريف الخلق في قدرة
الله تعالى في إخراجه من النطفة صورة بهذه الصفة ٥ والثاني تعريف
حال نعمة الله في تبليغه من خلقه من نطفة هذه المنزلة والثالث تعريف
فاحش ما ارتكبه الإنسان من تضييع حق نعمة الله بتمكينه خلقه من الخصام
والبيان وقوله جل اسمه والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون
الأنعام تتناول أصناف الإبل والبقر والغنم وسميت بهذا الاسم للين مسها
وخرج منه لذلك الحافر لصلابة وقعه ٥ والدفء الحر المعتدل والمراد
بالدفء هاهنا اللباس كأنه سمي بالمصدر من قولهم دفؤ يومنا دفاء ونظيره
الكن وقيل الدفء هو ما أخذته من صوف النعم فبين أنه خلق الأنعام
للخلق ولهم فيها منافع يأكلون من لحومها ويشربون من ألبانها
ويستدفئون بأوبارها وشعورها ويتخذون منها البيوت والفرش
وفيها منافع كثيرة من وجوه أخر وقوله جل اسمه ولكم فيها جمال حين تريحون
وحين تسرحون السروح خروج الماشية إلى المرعى بالغداة والإراحة
رجوعها من المرعى عشية ومعناه ولكم في الإبل والبقر والغنم جمال
وهو ما لصاحبها من حسن التجمل إذا راحت إبله وبقره قد امتلأت ضروعها
ممتلئة من اللبن وحشوها السمن وما طرها السمن وقوله جل اسمه وتحمل
أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس معناه وتحمل الإبل أثقالكم
إلى بلد بعيد لم تكونوا تبلغوه إلا بالمشقة والتعب والنصب فبين الله
تعالى أن التي ذكرها هي نعم أنعم الله بها عليكم وقوله جل اسمه إن ربكم لرؤوف
رحيم معناه أن الذي خلقكم وسيدكم رؤوف رحيم بكم معناه محسن إليكم ومنعم
عليكم ومتفضل كريم وقوله جل اسمه والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
ويخلق ما لا تعلمون معناه خلق الله لكم منا عليكم وإنعاما الخيل والبغال والحمير

لتركوها انعاما عند الحاجة الى ركوبها وحملوها اثقالكم ويسعوا بها
من وجوه كثيرة فعضها مع كونه تركوا بالهوى نبه لكم الخيل وما يقوم
في الزينة مقامها وخلق لكم من الدواب في الانعام لمنافعكم ومصالحكم ما لا
تعلمونه ويهتدون الى وجه السوال منه عن الله جل وعلا وقوله جل اسمه
وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين معناه
وعلى الله بيان سبيل الحق لانه القادر على انه يبين طريق الحق من طريق
الباطل وطريق الهدى من طريق الضلالة ويقال في اللغة جار عن الشي اذا
عدل عنه والله تعالى يدعو الى طريق الجنة الهدى ٥ والشيطان
والغواة يدعون الى طريق الباطل وفي قوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين
هاهنا بيان الاقتدار على تقديره ولو شاء الله ان يلجيكم الى طريق الجنة
حتى لا يمكنكم العدول عنها لقدرة عليكم الا ان الحكمة لا تقتضي فعله
مع الزام التكليف فاما كان التاويل هذا النزل الدليل فقد دل على ان
الله قد هدى كل مكلف الى ما كلفه ونصب الدليل عليه وبعث الرسول
لذلك وهو قوله لنبيه عليه السلم وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقام الدليل
ايضا على ان قوله لهداكم ليس معناه انه يخلق الايمان فيكم الا ان يكون
المراد به طريق الجنة كما بيناه وقيل معنى الهداية هاهنا هو الهداية
الى طريق الثواب وهو طريق الجنة فكانه قال الله تعالى قادر
على ان يدخلكم جميعا الجنة لو كانت الحكمة لم يمنع منه لان التفضل
بالثواب لا يصح في الحكمة لان الثواب يتبع الاستحقاق وقوله تعالى
هو الذي انزل من السما ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون
الاسامة رعي الماشية يقال اسام الماشية اسامة اذا امكنها
من الرعي وقيل اصله الابعاد في الرعي ٥ وقيل اصله التسويم وهو

العلامة ٥ ومعناه ان الله تعالى انزل من السما ما انعاما وافضالا
منه ذلك الما يكون استقاعكم بالشرب وسقي الزرع فاجرى العادة بان
ينبت الزرع والشجر بعد وقوع ذلك الما على الارض وينبت الشجر وبالنبات
يحصلها من رعي سايمتكم وقد بينا الكلام في قوله بان هذه البهائم
هي قائمة مقام السبب المولد للشي لا في سورة البقرة فلا وجه لاعادته
هاهنا وقوله تعالى ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن
كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ٥ ومعناه وينبت الله بعد
نزول الما من السما الى الارض في الارض الزرع والزيتون والنخل والعنب
وصنوفا كثيرة من الثمرات يخرجها من الاشجار وفي ذلك وضح الدلالة
لمن استدل بها على توحيد الله تعالى وعدله وحكمته وصفاته التي هي
كونه عالما قادرا حيا وما جرى مجراها وقوله جل اسمه وسخر لكم الليل
والنهار وجعلها خلفة يخلف احدها صاحبه وفي تسخيره ذلك لكم ضروب
من المنافع وكذلك سخر الشمس والقمر والنجوم وفي ذلك ايضا دلالة
واضحة للعقلا على معرفة الله الواحد القهار ٥ وقد مر بيان نظيره
هذه الاية في غير موضع وقوله جل اسمه وما ذرا لكم في الارض مختلفا
الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون معناه ومن نعم الله عليكم
ان خلق لكم من الارض انواعا من النبات والشجر والثمار الى الوانها
وطعومها مختلفة وكذلك روايحها لتستدلوا بذلك على ان الله
واحد قادر حي عالم سميع بصير لا يشبه الخلق ولا يشبهه شي وقوله جل اسمه
وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
معناه وسخر لكم البحر لركوب السفينة واصطياد سموكه ومكنكم
من وجوه التصرف فيه طوعا لاخراج اللالي والمرجان يحملون

وعبرة من وجوه المنافع وقوله جل اسمه وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون ه الفلك السفن والواحد والجمع
فيه سوا معناه وسخر لكم السفن في البحر لتركبوها وتطلبوا فضل
الرزق بركوبها ويعدد لك لتشكروا على النعمة عليكم وقوله جل اسمه
والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون
الرواسي الجبال ه معناه وخلق الله في الارض جبالا لاجلها اوتاد الارض
لئلا تميد بكم الارض وتمنعكم من التصرف فيها ه وجعل فيها انهارا
جارية لتنتفعوا بها ه وجعل لكم في الارض طرقا وفجاجا تسلكونها
وتهتدوا الى وجوه تصرفكم فيها وانصب انهارا على تدبر
وجعل الدلالة عليه انهارا وسبلا وقوله جل اسمه وعلامات وبالنجم هم
يهتدون ه معناه نصب الله الدلايل وقيل العلامات الجبال هاهنا
وجعل النجوم بحيث يهتدى بها في البر والبحر وعدد الله تعالى انواع
النعم تذكيرا للخلق وتنبيها على معرفة ما يجب عليهم معرفته من
توحيده وعدله وحكمته وما يجب لخلقه ثم انكر عليهم ما فعلوه
من الكفر به والاشراك في عبادته من لا يستحق العبادة بقوله تعالى افمن
يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون ومن لهم سبحانه اتخاذ ما لا يخلق شيا
ولا يقدر عليه معبودا مع الله الخالق لكل شي القادر عليه وانه كيف
يجوز ان تسوى بين من نعم ومن لا يقدر على الانعام والعبادة
والشكر ثم اعجبهم من حالهم التي هم عليها من ترك النظر وعلى انهم كانوا
قادرين على النظر متمكنين منه وقوله جل اسمه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان
الله لغفور رحيم ه قد مر بيان نظيره في سورة ابرهيم عليه السلام والله
وقوله جل اسمه والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ه معناه لا يخفى على الله شي من

افعال خلقه ما اسروه وما اظهروه وقولهم بالمرصاد ه
وقوله تعالى والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيا وهم
يخلقون اموات غير احيا وما يشعرون ه بين الله تعالى ان الاصنام
التي تعبدونها من دون الله لا يقدرون على خلق شي وهي في انفسها
مخلوقة وسمى الاوثان بالاموات لانها في حكم الاموات وحيث لا علم
بها ولا تقدر وقيل انما وصفها بغير احيا على جهة تاكيد ما صارت به
كالاموات اذ قد يقال للحي انه كالميت في التعبير ان يقل وتهم ه وقيل
انما ذكر الاوثان في الاية الاولى والثانية بلفظ موضوعة للعقلا وهو
قوله من وهو لانه لما ذكر بلفظ الخلق وهو من فعل العالم اجرا عليه هذا
اللفظ ايضا وقيل هو على تقدير من يعلم كيف يخلق وقوله جل اسمه
وما يشعرون ايان يبعثون ه معناه ولا يعلمون متى يبعثون وايان ومتى واحد في اللغة
الا ان متى لفظا واصح لانه اكثر في الاستعمال وقوله جل اسمه الهكم اله
واحد فالذين لا يومنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ه
معناه الذي يستحق العبادة بالنعم وافضل هو الواحد الذي
لا نظير له ولا مثل والذين لا يصدقون بالقيمة لم يعرفوا الله لاستكبارهم
واعراضهم عن التفكر في الدلايل الموصلة الى العلم بالله وفي الاية حجة
على اصحاب المعارف لقوله تعالى قلوبهم منكرة لان الانكار نقيض
المعرفة وقوله جل اسمه لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
انه لا يحب المستكبرين ه ان الله يعلم ما يسرونه وما يعلنونه ولا
يخفى عليه خافية وهو المجازي بكل ما كسب وعمل وتضمنت الاية انه اوقع الوعيد
الا انه يعني قوله لا جرم وبينا اصل هذه الكلمة
في سورة هود وغيرها ه ومعنى لا يحب لا يريد ان يثيبهم ويكرمهم

لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين
معناه ان الله يعلم ما يسرونه وما يعلنونه ولا يخفى عليه خافية
وهو المجازي لكل ما كسب وعمل فهي مضمنة الاية وقوله جل اسمه
واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين معناه
واذا قيل لهم ما الذي انزل الله تعالى قالوا انزل اساطير الاولين
اي احاديث الاولين وسميت اساطير لانهم كانوا يسطرونها في الكتب
فوصفوا كتاب الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بما
يوصف الهذيانات والترهات جهلا منهم به وواحد الاساطير اسطارة
واسطورة وقوله جل اسمه ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة
هذه اللام تسمى لام العاقبة وهو مثل قوله فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا معناه عاقبة امرهم ان حملوا عقاب
معاصيهم وكانه قيل هم حملوا المعاصي تامة على امر وجوهها
وعاقبة امرهم يؤول الى العذاب المستحق على معاصيهم فشبه
ما استحقوه من العقاب على ترك المعاصي بحمل الثقيل وقوله تعالى
ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون معناه
وحملوا اثاما من اوزار الذين اضلوهم عن دين الله بغير علم كان
عندهم وتفسير ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال ايما داع دعا الى هدى فاتبع فله مثل اجورهم من غير ان ينقص
من اجورهم وايما داع دعا الى الضلالة فاتبع فان عليه مثل اوزارهم
من غير ان ينقص من اوزارهم شيء فهذه حال رؤساء الضلالة يحملون
اوزار ما فعلوه من المعاصي ويحملون من اوزار من اتبع دعوتهم
وقبل منهم ما دعوه اليه فكانهم ضلوا واضلوا فاجتمع شيئان اثنان

ثم قال الا ساء ما يزرون عظاما لما فعلوه وتوعدا بليغا على ما
ارتكبوه وقد مر بيان نظيره في غير موضع وقوله تعالى قد مكر
الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد المراد بالقواعد
الاصول والاساس وواحد القواعد قاعدة وهو الاصل
والاساس ومعنى فاتى الله اي اتى امر الله وهو ما احدث
في تلك الابنية من الزلازل والحركات حتى تهدمت وسقطت
عليهم وذلك ان دلائل العقول قائمة على ان الله تعالى لا يجوز
عليه الدخول في شيء ولا الخروج عن شيء ولا يجوز ان يكون معناه
ان الله خرج من قواعد بنيانهم كما يخرج الشيء من تحت الشيء
ومعنى الاية انه قد كان قبل هؤلاء الكفار كفار مكروا برسل
الله وبالغوا في اذيته استكبارا وتجبرا فاخذهم الله بالعذاب
والنكال بان سقط عليهم سقوف بيوتهم حتى هلكوا تحتها
وهو نظير ما فعل باهل لوط فجعل المدينة عاليها سافلها وهو
معنى قوله فاتى الله بنيانهم من القواعد وقوله جل اسمه فخر عليهم السقف
من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون معنى خر سقط
والذين خر عليهم السقف من فوقهم هو نمرود بن كنعان وقومه
وقيل بخت نصر وقومه وذكر لفظ من فوقهم مع ذكر خر عليهم
السقف على وجه التاكيد لذلك المعنى وهو معنى قول القائل لغيره
فلتات فعلت كذى وقيل ذكر ذلك ليدل على انهم كانوا
تحته لانه قد يقول القائل تهدمت البيوت على فلان وان لم
يكن تحتهم ثم بين انه اخذهم العذاب مفاجاة من حيث
ظنوا انهم في امان منه وقوله جل اسمه ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول

لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين
معناه ان الله يعلم ما يسرونه وما يعلنونه ولا يخفى عليه خافيه
وهو المجازي بكل ما كسب وعمل فيقتضيه الايه وقوله جل اسمه
واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين معناه
واذا قيل لهم ما الذي انزل الله تعلى قالوا انزل اساطير الاولين
اي احاديث الاولين وسميت اساطير لانهم كانوا اسطروه وهذا الكتب
فوصفوا كتاب الله المنزل على رسوله صلى الله عليه واله وسلم بما
يوصف الهذيان والترهات جهلا منهم به وواحد الاساطير اسطاره
واسطوره وقوله جل اسمه ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمه
هذه اللام تسمى لام العاقبه وهو مثل قوله فالتقطه ال فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا معناه عاقبة امرهم لا حمل عقاب
معاصيهم وكانه قيل هم احملوا المعاصي تامة على ابروحوها
وعاقبة امرهم يؤول الى العذاب المستحق على معاصيهم فشبه
ما استحقوه من العقاب على ترك المعاصي بالحمل الثقيل وقوله تعلى
ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون معناه
ويحملوا ايضا من اوزار الذين اضلوهم عن دين الله بغير علم كان
عندهم وتفسير ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم
انه قال ايما داع دعا الى هدى فاتبع فله مثل اجورهم من غير ان ينقص
من اجورهم وايما داع دعا الى الضلالة فاتبع فان عليه مثل اوزارهم
من غير ان ينقص من اوزارهم شي فهذه حال روسا الضلالة يحملون
اوزار ما فعلوه من المعاصي ويحملون من اوزار من اتبع دعوتهم
وقبل منهم ما دعوه اليه فكانهم ضلوا واضلوا فاجتمع شيان اثمان

ثم قال الا ساء ما يزرون اي ساء الحمل ما يحملوه وتوعدا بليغا على ما
ارتكبوه وقد مر بيان نظيره في غير موضع وقوله تعلى قد مكر
الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد المراد بالقواعد
الاصول والاساس واحد القواعد قاعده وهو الاصل
والاساس ومعنى فاتى الله اي اتى امر الله وهو ما احدث
في تلك الابنيه من الزلازل والحركات حتى تهدمت وسقطت
عليهم وذلك ان دلايل العقول قايمة على ان الله تعلى لا يجوز
عليه الدخول في شي ولا الخروج عن شي ولا يجوز ان يكون معناه
ان الله خرج من قواعد بنيانهم كما يخرج الشي من الشي
ومعنى الايه انه قد كان قبل هولاء الكفار كفار مكروا برسل
الله وباوليائه استكبارا وتجبرا فاخذهم الله بالعذاب
والنكال بان سقط عليهم سقوف بيوتهم حتى هلكوا تحتها
وهو نظير ما فعل باهل لوط فجعل المدينة عاليها سافلها وهو
معنى قوله فاتى الله بنيانهم من القواعد وقوله جل اسمه فخر عليهم السقف
من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون معنى خر سقط
والذين خر عليهم السقف من فوقهم هو نمروذ بن كنعان وقومه
وقيل بخت نصر وقومه وذكر لفظ من فوقهم مع ذكر خر عليهم
السقف على وجه التاكيد لذلك المعنى وهو معنى قول القايل لغيره
بلثالث تعلن كذى وقيل ذكر ذلك ليدل على انهم كانوا
تحته لانه قد يقول القايل تهدمت الدار على بني فلان وان لم
يكن تحتهم ثم بين انه اخذهم العذاب مفاجاة من حيث
ظنوا انهم في امان منه وقوله جل اسمه ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول

اين شركاي الذين كنتم تشاقون فيهم ه معناه يعد هذا العذاب يخزيهم
الله يوم القيمه ويقول لهم اين الشركا الذين اتخذتموهم تعبدونهم من
دون الله وكنتم تخالفون فيهم وتعادون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم
وتكونون في غير شق المومنين وهو معنى تشاقون فيهم والمشاقه
المعاداه والمخالفه وقوله جل اسمه قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم
والسوء على الكافرين ه معناه ان هولا الكفار اذا دعوا الى هذا القول
الذي ذكر الله قال لهم عند ذلك اولوا العلم بدين الله على وجه التقريع ان
الخزي اليوم والسوء على الكافرين ليكون حسرتهم اشد والم قلوبهم اصعب
وقوله جل اسمه الذين تتوفاهم الملئكه ظالمي انفسهم ه موضع الذين صفة الكافرين
الذين تقدم ذكرهم واخبر الله تعالى ان الملئكه عليهم السلم تقبض ارواحهم في
حال بقائهم على الكفر والظلم لانفسهم للكباير التي ارتكبوها ولم يتوبوا
عنها وموضع ظالمي النصب على الحال وهو مثل قوله تعالى وتزهق انفسهم
وهم كافرون ه وقوله جل اسمه فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان
الله عليم بما كنتم تعملون ه معناه استسلموا لامر الله وعذابه النازل
بهم اذ لا محيص عنه وقالوا ما كنا نعمل من سوء اذ دوا به
عند انفسنا في دار الدنيا لانهم لم يعلموا السوء ويكونوا كاذبين
لانه في الاخرة ملجون الى ترك الكذب والقبايح ه وقال بعض
العلما ان للخلق في الاخرة مواطن يفحى بعضها ملجون دون بعض ه
وقوله بلى معناه ان الملئكه عليهم السلم تحبسهم بان يقولوا لهم بلى
قد عملتم السوء واخبر الله عز كريه ان الله عليم بما عملتم فلا يخفى
عليه شي فيجازيكم بما استحققتم فوليتا لا ايه على انه قد يكون
كافرا او فاسقا من لا يعلم ان ما يفعله كفر او فسق لاعراضه

عن طريقة النظر فيما يفعله مع تمكنه من معرفة ما يفعله وانه اخر
المعاندين وقوله جل اسمه فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس
مثوى المتكبرين ه يحتمل ان تكون المراد به يقال لهم يوم القيمه ادخلوا
ابواب جهنم وبئس المنزل والمقام من نار جهنم للمتكبرين الذين كذبوا
الرسل وجحدوا الايات واعرضوا عن قبول الحق وقوله جل اسمه وقيل
للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا ه معناه وقيل للذين
خافوا المعصية خوفا من عذاب الله وهم المومنون المخلصون ماذا انزل
عليكم قالوا في الجواب انزل الله علينا خيرا ه وقيل انما ارتفع قوله اساطير
الاولين في جواب المستكبرين حين قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا
اساطير الاولين لانه على تقدير ما الذي انزل ربكم فقالوا اساطير
فيكون في امر كالذي ه وقيل انتصب خيرا على تقدير ان يكون ذا وما
اسم واحد وقيل ان المتكبرين جحدوا التنزيل وقالوا ما انزل خيرا
وقوله تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ه معناه للمحسنين في دار
الدنيا حسنة جزا لهم وهو الثواب في الاخرة وكذلك قوله ولدار الاخرة
خير على معنى ان للمحسن احسان في الاخرة واذا دار الاخرة خير من
دار الدنيا فاشار الى النعم التي اعدت للمتقين انها خير من نعم الدنيا ه ويحتمل
ان يكون قوله ولدار الاخرة خير على وجه الحكايه ويحتمل ان يكون من كلام
الله على وجه الابتدا وهو الاقرب ه وقوله جل اسمه جنات عدن يدخلونها
تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين ه قيل
انما ارتفع جنات عدن لانه خبر ابتدا محذوف كانه قيل تلك جنات
عدن وقيل ارتفع لانه ابتدا وخبره ما بعده وقيل ارتفع لانه خبر ولنعم
دار المتقين ه بين الله تعالى ان جزا المتقين في الاخرة جنات عدن وهي بساتين

يكون مقامهم فيها دائما والعدن في الاقامه ثم وصف البساتين بان الانهار تجري
من تحت الاشجار والمعنى في تلك البساتين من ضروب النعم واللذات ما يشاوونه
ويشتهونه ولا يتاخر عنهم شي ارادوه ومثل ذلك يجزي المتقين مثل ما
وصفه وقوله جل اسمه الذين يتوفاهم الملائكة طيبين هذه الصفه بعض
صفة الظالمين الذين تقدم ذكرهم ومعناه ان الملائكة عليهم السلام تقبض
ارواح المتقين في حال ما هم مومنين صالحين خلاف من يتوفاهم الملائكة
مستمرين ظالمين بافعالهم القبيحه ووصف المومنين بانهم طيبون باعمالهم الحسنه
الجميله والكافرون وصفوا بما تقدم من ذكرهم في الاية الاولى وقوله تعالى
يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنه بما كنتم تعملون معناه ان الملائكة تحييهم
وتبشرهم بهذا اللفظ وقوله جل اسمه هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكه
او ياتي امر ربك معناه هولا الكفار المذكورون هل ينتظرون الا
ان تاتيهم الملائكه لقبض ارواحهم في الموت على الكفر الذي تقدم وصفه
او ياتي امر ربك وهو العذاب وهذا تهديد لهم بالغ وقد مر بيان
نظيره في غير موضع وقوله جل اسمه كذلك فعل الذين من قبلهم معناه
هولا فيما عملوا به واقدموا عليه اخوانهم من الكفار الذين كانوا قبلهم وقوله
تعالى وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون معناه ولما اخذهم الله بالعذاب
لم يكن الله ليظلمهم ولكنهم ظلموا انفسهم بانكارهم ما استحقوا لاجله
ذلك العذاب وقوله جل اسمه فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا
به يستهزئون معناه فاصابهم عقاب ما عملوا من السيئات وما
فعلوه من الاستهزاء بايات الله ورسله وبينا في غير موضع حقيقه
لفظ حاق في اللغه فلا وجه لاعادته هاهنا وقوله جل اسمه وقال الذين
اشركوا لو شا الله ما عبدنا من دونه من شي نحن ولا اباونا ولا حرمنا

من دونه من شي معناه ان المشركين قالوا ان شركهم بالله وعبادتهم
الاوثان بمشية الله ولو كره الله ذلك لما اشركنا ولا اباونا ولا
حرمنا شيا مما حرمناه وكذبهم الله في ذلك وقد مر بيان ذلك في
سورة الانعام في قوله سيقول الذين اشركوا لو شا الله ما اشركنا وهذه
الايه نظير تلك الايه فمن قال من هذه الامه ان المعاصي بمشية الله
فانهم اقتدوا بمن قد حكى الله عنهم ما حكى ويكذبهم الله اياهم من
من ادل الدلائل على ان المعاصي ليست بمشية الله وارادته ولو لم
يكن على بطلان هذا القول الا هذه الايه لكفى فكيف والادلة
العقليه والسمعيه على بطلان ذلك اكثر من ان تحصى كثره وقوله جل اسمه
كذلك فعل الذين من قبلهم معناه من كان قبلهم من اخوانهم من المشركين
فعلوا امثال ما فعل هولا وقالوا مثل قولهم وهذا نظير قوله كذب الذين
من قبلهم حتى ذاقوا باسنا وقوله جل اسمه فهل على الرسل الا البلاغ المبين
معناه ليس على الرسل الا ابلاغ الرساله وليس عليهم من حساب
من ارسل اليهم شي ولا هم ماخوذون بهم وهذا تسليه للرسول عما كان
يداخله من كفر الكفار واستعظامهم ذلك وقوله جل اسمه ولقد بعثنا
في كل امه رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت معناه ولقد
امرنا في كل امه بعثنا اليهم رسولا على لسان رسلهم بلزوم عباده الله
على وجه الاخلاص ووجه الاخلاص اجتناب عباده الطاغوت وقد بينا
حقيقه هذا اللفظ واصله وما قيل في تفسيره في سورة البقره في اية
الكرسي مستقصى وقوله جل اسمه فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت
عليه الضلاله معناه فمن المامورين بعباده الله من اطاع الله وامتثل
بامره واهتدى بهدى الله فاستحق هدى الله الذي هو اللطف والثواب

وقد بينا في اول سورة البقرة وجوه الهدى ووجوه الضلالة واقسامها
فلهذا اجملنا القول فيها هاهنا ومنهم من وجب عليه العقاب لما فعل
من الكفر والرد لايات الله والمخالفة لامره والمراد بالضلال هاهنا
العقاب وقد يسمى في اللغة الشيء باسم غيره اذا كان منه بسبب
ولهذا لما قال الله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر يعني في العذاب
فيسمى العقاب على ضلالة العبد عن دين الله ضلالا ويحتمل
ان يكون معنى قوله تعالى حقت عليه الضلالة انه استحق الضلال عن طريق
الجنة بما قدم من الكفر بالله والرد لرسله وقوله تعالى فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين جاء هذا على وجه التحذير والانذار
وكانه قيل لهم اعتبروا بآثار من تقدمكم من الكفار والفجار المكذبين
بآيات الله ورسله واحذروا ان ينزل بكم مثل ما نزل بهم اذا سلكتم
طريقهم ولو كان تأويل الآية ما ذهب اليه الجهال من المجبرة ان قوله
فمنهم من هدى الله منهم من خلق الله الايمان في قلبه ومنهم من اضل
الله بان خلق الكفر في قلبه واراد ذلك منه واراده موجبه لكان
الزجر والتحذير والحث على الاعتبار بآثار من تقدم لغوا سفها والله
والله تعالى عنه فكيف يجوز في حكمة الله ان يخلق الكفر في قلب واحد
ثم يقول له لا تكفر وهو لا يقدر على دفع ذلك الكفر عن نفسه ثم
يقول له احذر عذاب الله ان ينزل بك كما نزل بمن كان قبلك
على الكفر الذي خلقته فيك وانت لا تقدر على ازالته ودفعه
فاي تحيف وسفه ابلغ من هذا جل الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا
قوله جل اسمه ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم
من ناصرين هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله [illegible]

من لا يؤمن ليعلم بالا سبيل له الا انه هالكه فيما هو فيه من الكفر
والطغيان فكانه قيل له ان حرصت على ان تصير من يدعوه الى
دين الله من اهل الجنة فان الله لا يهدي الى طريق الجنة من يضل عن
سبيله ولا ناصر له يوم القيمة يخلصه من عذاب الله ومن حكم الله
عليه بانه من اهل النار لاصراره على الضلال لعلم الله فيه بانه لا
يتوب ويموت على اصراره فانه لا ينفعه هداية احد الى الحق وقوله جل اسمه
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا
ولكن اكثر الناس لا يعلمون هذا اخبار عن منكري البعث والنشور
وبيان ما كانوا عليه من فرط الجهل حتى اداهم ذلك الى ان حلفوا بالله
لا يبعثهم من اماتهم ورد عليهم قولهم وكذب يمينهم بان قال بلى
يبعثكم للجزاء وانه وعد من الله فان الله لا يخلف وعده وقوله جل اسمه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون معناه ان اكثر المكلفين لا يعلمون ذلك
لاعراضهم عن النظر فيما نصبه الله من الادلة ليعرفوا بان الله حق وانه
يبعث الخلق وقوله تعالى ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا
انهم كانوا كاذبين معناه ان الله يبين لهم ما اختلفوا فيه
بعد حشرهم الى القيمة وليعلموا في القيمة انهم كانوا كاذبين معناه
في دار الدنيا وقوله جل اسمه انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون بين الله تعالى انه اذا اراد فعل شيء فانه يكون لا محالة
ولا يتعذر فعله وقد بينا في غير موضع مما تقدم في سورة الانعام
وغيرها معنى قوله كن فيكون وذكرنا في تأويله وجهين في معنى
يقول له ولا وجه لاعادته هاهنا وقوله تعالى والذين هاجروا في الله من
بعد ما ظلموا معناه من هاجر وطنه وقومه وعشيرته هجرة لله

ولسبيل الله وعلى حكم الله بعد ما نالهم الظلم من اعداء الله قوله جل اسمه
لنبوئنهم في الدنيا حسنة ٥ معناه لننزلنهم ولنحلنهم محلا حسنا وهذا
مثل قوله تعالى ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق ٥ معناه واحللناهم
ومكناهم سكنى المدينة قوله جل اسمه ولاجر الآخرة اكبر لو كانوا
يعلمون ٥ معناه تمكينهم في دار الدنيا وتحسين امرهم ونعمهم عليهم وان كان
ما اعددناه لهم من النعيم في الآخرة خيرا والقى واعظم واهنى قوله جل اسمه
الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ٥ [illegible] صفة المهاجرين الذين
تقدم ذكرهم انهم صبروا على طاعة الله وعلى ما نالهم من اعداء الله
وتوكلوا في جميع احوالهم على الله قوله جل اسمه وما ارسلنا من قبلك الا
رجالا نوحي اليهم ٥ قيل المراد بقوله الا رجالا وان كان قد ارسل من
الملائكة رسلا انما ارسلنا من الامم الذين كانوا قبلك الا رجالا يوحى
اليهم وقيل هو موجه على من انكر ارسال رسول بمكة من الرجال
وكانه قيل له ما ارسلنا قبل محمد الى من رسولا الا كان رجلا
من الرجال قوله جل اسمه فاسلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ٥ معناه
فاسلوا اهل العلم من اهل الكتاب ذلك ان كنتم لا تعلمون ليخبروكم
بان الله تعالى ارسل الرسل رجالا اوحى اليهم قوله تعالى بالبينات
والزبر ٥ البينات الدلايل الواضحات والزبر الكتب وواحدها
زبور ٥ والعامل في قوله بالبينات قوله ارسلنا الذي تقدم ذكره
وتقديره وما ارسلنا قبلك الا رجالا بالبينات وقيل العامل فيه محذوف
كانه قيل وما ارسلنا الا رجالا ارسلناهم بالبينات وهذا كما قال
الاعشى وليس مجيرا ان اتى الحي خائف ولا قايلا الا هو المتعيبا ٥
وتقديره لاجل الا ولا طالم قوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب لتبين للناس ما

نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ٥ معناه وانزلنا اليك القران كما
انزلنا الكتب الى الذين كانوا قبلك من الرسل لتبين للناس ما
انزلناه وليتفكروا فيما اشتبه لهم فيعرفوا ما خفي عليهم معرفته
ويعلموا ما الحق عليهم العمل به قوله جل اسمه افامن الذين مكروا السيات
ان يخسف الله بهم الارض او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
معناه ان الذين يمكرون ان يخسف الله بهم بما فعلوه من السيات لا
ينبغي لهم ان يامنوا عن [illegible] ان ياخذهم مفاجاة او ياخذهم عذاب من
لون اخر كما فعل بمن كان قبلهم وكانه قيل لهم انا هم امن من ذلك
من قبل الله فلاجله تجاسروا على المنكر والكفر والطغيان من
الايمان معه ولعجز عن ان ينزل به ذلك بل ان يحسب المعاصي ويتوب
عنها قوله جل اسمه او ياخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين ٥ معناه ان
امنوا ان ياخذهم الله بالعذاب في حال تصرفهم وتقلبهم في الارض وما
يكونون فاسين عنه قوله جل اسمه او ياخذهم على تخوف فان ربكم لرءوف
رحيم ٥ معناه وامنوا ان ياخذهم على تخوف وهو التنقص وهو ان ياخذهم
اولا فاولا حتى لا يبقى منهم احد وسمي التنقص تخوفا لانه يخاف معه
الفنى والهلاك وقيل يهلك القرية فتخوف القرية الاخرى قال الشاعر
نهكها السفر ٥ تخوف السير منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن
معنى تخوف تنقص والقرد السمين ٥ والسفن ما ينحت به الخشبة وهو
بالفارسية خونشاه وسمي بالفارسية ايضا حلول والتامك السنام ٥ ومعنى
وصفه هاهنا بانه رءوف رحيم انه مع اقداره على ذلك فهو لا ياخذهم
ويمهلهم لانه رءوف بعباده ٥ والرافة الرحمة ترجع فايدتها الى النعمة
قوله جل اسمه اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيا ظلاله عن اليمين والشمايل

سجدا لله وهم داخرون معناه انه على ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله سجدا لله
ومعنى يتفيأ يرجع الظل من موضع الى موضع والفيء انما يكون بعد الزوال
لانه ظل مائل عن جانب الى جانب اي رجع وقيل معنى يتفيأ يميل ومعنى
سجدا لله خاضعة لله تعالى بما فيها من الدلالة على الحاجة الى واضعها
ومدبرها واصل السجود الخضوع وقد مر بيانه في غير موضع وفي الاية حث
على النظر في صنع الله تعالى ليعرف به صانعه ومعناه اولم يروا الى ما خلق
الله من جسم قائم او شجر او جبل ونحوه يتفيأ ظلاله في الاول لانه يتقلص بالنهار
ويمتد بالغداة والعشي من جهة اليمين والشمائل وهو معنى قوله عن اليمين والشمائل
وهذه الاشياء متواضعة لله صاغرة لا يمكنها التغير والتبديل عما
جبلت عليه ومعنى داخرون صاغرون وما من شيء خلقه الله الا وظله
يسجد لله على هذا المعنى الذي ذكرناه وعلى هذا كان يجري في مواعظ
الحسن يسجد لله ظلك وانت لا تسجد لله بئس والله ما صنعت وهذا المعنى
مضمر في قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم
بالغدو والاصال والعارفون به يتواضعون له طوعا والمنكرون
يتواضع كلهم لله كرها وجبلتهم على ما هم عليه وقيل انما وحد اللفظ في اليمين
على الجمع في الشمائل لان الابتداء يكون على اليمين من اول النهار ثم ينقبض
حالا بعد حال من الشمائل وهو معنى الجمع لان بعد الابتداء يكون عن اليمين
في اول النهار الى ان ينتهي وقيل شمائل للاشعار بهذا المعنى وقيل اليمين
هاهنا معنى الايمان وجمع الشمائل مقابلا في المعنى دون اللفظ قوله جل اسمه
ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة لما بين الله جل ظلاله ما
خلق من الجمادات ذكر بعده حال ما خلقه من الحيوانات فقال ويتواضع
لله ما في السموات وما في الارض من دابة اما عبادة او دعا الى العبادة لانه

السجود هو الخضوع بالعبادة وبالدعا الى العبادة فكل ما خلق الله
ما يدب فلا يخلو حاله من احد شيئين اما انه يعبد الله تواضعا واما يدعو
العقلا الى التواضع له بالعبادة لما فيها من انه صنع اقدر القادرين
وقد مر بيان ذلك في مواضع من هذا الكتاب مستقصى وموضع ما في قوله
وما في الارض من دابة موضع ما الذي هو قائم مقام الصفة كانه قيل وما
في الارض الذي يدب انما هو على الارض قوله جل اسمه والملائكة وهم لا يستكبرون
معنى يتواضع لله بالعبادة من غير استكبار ولا استنكاف والملائكة
لحسن موقع علمهم بوحدانية الله وعدله قوله جل اسمه يخافون ربهم من فوقهم
ويفعلون ما يؤمرون معناه والملائكة يخافون عذاب الله من فوقهم ويفعلون
ما يؤمرون لان العذاب ياتي من فوقهم وقامت الدلالة على ان الله تعالى لا
مكان له ولا جهة فوقا ولا تحتا ولا يمينا ولا شمالا ولا اماما ولا قداما وان
الكون في الاماكن من صفة المحدثات وقال بعض العلماء انما قيل من فوقهم
لان الله يوصف بانه متعال على معنى انه قادر لا قادر اقدر منه فقالوا
يجب ان يكون صفته في اعلى مراتب صفات القادرين فحسن ان يقال
من فوقهم ليدل على هذا المعنى الذي هو صفة الاقدر الذي لا يساويه قادر
وبين تعالى ان الملائكة يطيعونه في كل حال ولا يعصونه ويفعلون ما يؤمرون
واتصلت الاية بما قبلها على معنى انه يجب ان السجود لله دون غيره
لانه الاله وحده قوله جل اسمه وقال الله لا تتخذوا الاهين اثنين انما هو
اله واحد فاياي فارهبون نهى الله تعالى عباده عن اتخاذ معبود
سواه قادرا او غير قادر وكانه قال لم يعبدون للعالم صانعين
ولا تعتقدوا انه يمكن ان يكون قديمان فقد قال بالهين لان القديم واحد
والاله واحد لا ثاني له ولا شريك ولا نظير فيجب ان يكون العبادة لله وحده

لانه لا امر سواه وخوف بعقابه من اتخذ معبودا سواه واشرك به
غيره بقوله فاياى فارهبون ومعناه فارهبوا عقابي وقوله تعالى
وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون الواصب الدايم
يقال وصب الشي وصوبا اذا دام والدين الطاعة ههنا ومعناه ان الطاعة
دايما تجب لمن يملك ما في السموات وما في الارض ويملك الضر والنفع ويجب
ان يخشى عقابه ولا يخاف سواه وقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله معناه
ان النعم التي يتعمون بها كلها من عند الله لانه لا يقدر على ايجادها غير الله
وقيل دخلت الفاء في قوله فمن الله لان ما ههنا بمعنى الذي وفيه شبه الجزا
والفاء تدخل في الجزا وهو مثل قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه
فانه ملاقيكم وقيل هو على حذف الجزا تقديره وما بكم من نعمة فمن الله
اذا كانت النعم كلها من عند الله ولا يستحق الشكر عليها الا هو
وقوله تعالى ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون الجوار هو التضرع
معناه واذا اصابكم ضر وشدة والم فالى الله تتضرعون وله تدعون
ان يكشف عنكم ذلك ولا يقدر على كشفه غيره وفي هذا اشارة ضعف الانسان
وبيان استيلا الغفلة عليه لانه يكون غافلا في حال النعمة متذللا في حال
الشدة والمضرة وقوله تعالى ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم
بربهم يشركون بين الله تعالى في هذه الاية قبح مقابلة العبد لكشف
الضر عنه بالمعصية الكاشفة من الكفر والكباير الفاحشة
وقوله تعالى ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون
اللام في قوله ليكفروا ليس مما هو بمنزلة العلة التي يقع لاجلها الفعل
وذلك انهم بمنزلة من اشرك في العبادة ليكفروا بما اعطوا من
النعم وكانه لا غرض له في شركه الا هذا وكذلك الكلام في قوله تعالى

وليتمتعوا والواجب عليهم ههنا ترك الكفر الى الشكر لله تعالى
وترك التمتع بما فيه المعصية وهذا تهدد بليغ بقوله فسوف تعلمون
لانهم اشتغلوا بالتمتع بما انعم الله عليهم على وجه المعصية والكفر
دون الشكر والعبادة فسوف تبين لهم فتعلمون عاقبة امركم من العقاب
النازل بكم وقوله تعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم هذا
توبيخ لهم وانكار عليهم ما كانوا يتقربون به الى الاوثان ومعناه يجعلون
لما يعلمون انه لا يضر ولا ينفع نصيبا مما رزقناهم ويتقربون به اليه كما
يجب عليهم ان يتقربوا الى الاله الواحد الذي له الخلق والامر ويملك
الضر والنفع والمراد به ما كانوا يتقربون به الى الاصنام من العبادة
والذبايح والقرابين والاوثان نصيبهم من حيث انهم يستحقون الخلود
في النار لاجل عبادتهم اياها ولا تنفعهم شيا وقوله تعالى تالله لتسئلن عن
ما كنتم تعملون قوله تالله قسم فذكر القسم على انهم يسئلون يوم
القيمة عما عملوه على ما زينهم عليه وقوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه
ولهم ما يشتهون هذا ايضا انكار وتوبيخ لانهم لفرط جهلهم كانوا
يزعمون ان الملايكة بنات الله فنزه الله تعالى نفسه عما قالوه بقوله
سبحانه ومعناه ان الله منزه عن اتخاذ الاولاد من البنين والبنات
ودلت الاية على انه لا يجوز عليه الصاحبة والولد والشهوة والنفار
والضرر والنفع والحاجة وموضع ما من الاعراب النصب تقديره
ويجعلون لهم البنين الذين يشتهون ويجعلون لله البنات التي ينفرون
عنها وقيل موضعه رفع على الاستيناف تقديره ولهم البنون
وقوله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم
بين الله تعالى شدة نفارهم عن البنات فقال واذا بشر احدهم بانه ولد

له معنا اسود وجهه من الغم والحزن وامتلا قلبه واصبح غيظا يحجوا
والكظم ياخوذ من الكظامه وهو شد فم القربه فعابهم الله بما اخفوا
اليه ما لا يرضونه لانفسهم وقوله جل اسمه يتوارى من القوم من سوء ما بشر به
معناه واذا بشر بالانثى يعتزل عن القوم ويفر منهم لان ما يسره السكات
عما بشر به واستحلا بالى ... المودى الى الحيز والكبر
وقوله جل اسمه ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون
الهون الهوان والدس في التراب الدفن فيه ومعناه واذا بشر بالمولود الانثى
هو انثى طال حل فكره بان يمسك هذا المولود على سبيل الذلة والهوان
او يدفنه حيا ثم بين تعالى ان ما يحكمون الى الحكم لا دابه الى الخلود
في عذاب الله وقوله جل اسمه للذين لا يومنون بالاخرة مثل السوء ولله
المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم المثل هاهنا معناه
الصفه ومعناه للكفار الذين انكروا البعث والنشور صفة السوء
ولله الصفة الاعلى من اخلاص التوحيد له وقد مر ان العزيز الحكيم هو
موضع وقوله جل اسمه ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك
عليها من دابة بين الله تعالى انعامه على عباده بامهاله لهم وانظاره
اياهم فلم يعاجلهم بالعقوبة ومعناه لو يواخذ الله الناس بما اكسبوا
من العذاب على ظلمهم ما ترك على ظهر الارض من دابة تعني بساطه
وقوله جل اسمه ولكن يوخرهم الى اجل مسمى معناه ولكن لسعة رحمته
يوخرهم الى وقت معلوم وهو الوقت الذي يعلم الله ان امهالهم الى
ذلك مصلحة وقوله جل اسمه فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا
يستقدمون معناه فاذا جاء الوقت الذي فيه انقضا المدة لحياتهم
لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون وقد مر الكلام فيه مستقصى

في مواضع وقيل انما ورد لفظ الهلاك على وجه العموم مع امكان
فيهم مؤمن هو متوفى لانه كان المراد به ان الهلاك عذاب الظلم
لان المؤمن يعوض على ما ناله من الالم بسكون ما نصب المؤمن محنة
لاستحقاقه العوض لا عقوبة لان ما يفعل من الالم على وجه العقوبة
لا عوض له وقيل معناه ما ترك على وجه الارض من دابة من الظلم
الظلمة وقيل معناه انه اهلك الاباء بكفرهم لم يكن الابناء يكون
فيه انقطاع النسل وخلوا الارض من الخلق فلهذا اورد على وجه
العموم ما ترك عليها من دابة وقوله جل اسمه ويجعلون لله ما يكرهون
معناه ويجعلون لله البنات التي ولدت لهم الظهر والكراهه
وهو ما يعدو بنانه وقوله جل اسمه وتصف السنتهم الكذب ان لهم
الحسنى معناه انهم لا معا انهم على ما يعتقدون ذكره من الصفة يقولون
ان لهم عند الله الجزا الحسن فبين تعالى انهم كاذبون في قولهم ذلك
انما ذلك في قولهم ان لهم الحسنى مع جعلهم لله ما يكرهون من البنات
وقوله جل لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون في معنى لا جرم اقوال
قيل معناه حقا ان لهم النار وقيل لا بد لهم من النار وقيل لا محالة لهم
النار يكون لفظ جرم انما على هذا الوجه فكانه قيل القطع عندنا لهم
النار وقال بعض النحويين جرم فعل ماض لانه كلام وتقدير فكانه
قيل قطع الكون ان لهم النار وقد تقدم ان معنى جرم في اللغة كسب
فلا وجه لاعادته هاهنا ومعنى مفرطون مقدمون ويكون مسبوق بهم
النار وقيل معناه مقدمون الى عذاب الى النار والمؤمن فلهم او طا
فلانا في طلب الما فهو مفرط اذا قدمناه لطلبه فرطا فهو فارط اذا تقدم
ومنه انا فرطكم على الحوض وقرا نافع مفرطون بكسر الراء اي مسرفون

وهو من الافراط في الذنوب وهو الاسراف ٥ قوله تعالى تالله لقد
ارسلنا الى امم من قبلك ٥ تالله قسم ذكر الله تعالى القسم بانه بعث
الرسل الى الامم مثل بعثه محمدا الى هذه الامة ٥ قوله تعالى فزين لهم
الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم ٥ معناه ان الشيطان
زين للكفار والغواة اعمالهم التي هي الكفر والمعصية والشيطان
وليهم في دار الدنيا وهو معنى قوله اليوم لانه التولى اغواهم وهو
السبب في اهلاكهم ٥ وقيل فهو وليهم اليوم المراد به يوم القيمة فكانه
قيل اذا كان لا منعة ان ينصرونه لعجزه عن نفسه فكيف
يتولى نصرهم لعجزه عنهم ٥ وقوله ولهم عذاب اليم معناه في النار ٥
ودلت الاية على بطلان قول المجبرة ان الله زين الكفر للكفار
والمعصية للعصاة لانهم مع ابطالهم دليل العقل ردوا نص القران
بما ذهبوا اليه ٥ قوله تعالى وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي
اختلفوا فيه معناه وما انزلنا يا محمد القران الا لتبين لهم ما يختلفون
فيه لان البيان يودي الى العلم ويفتح طريقه ٥ قوله تعالى وهدى ورحمة
لقوم يومنون ٥ معناه وانزلنا القران دلالة للخلق ونعمة عليهم يخص
المومنين بالذكر لشرفهم ومدحا لانهم تمسكوا به وصدقوا
وعملوا بما فيه ٥ قوله تعالى والله انزل من السما ما فاحيى به الارض بعد
موتها ان في ذلك لايات لقوم يسمعون ٥ معناه من اصغى الى كلام
الله واتعظ بعظته واعتبر باياته فالما الذي انزلنا من السما فاحيى
به الارض دلالة وعبرة ٥ قوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم
مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ٥ يقال
اسقاه اذا جعل له شرابا دائما من نهر او غيرها وسقاه سقيا

واحده ٥ ومنه قول لبيد ٥ شعر قومي بني مجد فاسقى نميرا والقبايل من كلاب ٥
يجمع بين اللغتين ٥ وقيل كلما كان من السما فهو اسقا وما كان من الارض
فهو سقي ٥ ويقال ايضا سقى واسقى بمعنى ٥ ومعنى الاية وان لكم في الانعام
لعبرة اذا فكرتم في اللبن الذي يخرج من بين الفرث والدم يدر في العروق
وهو لبن سائغ للشاربين فدل ذلك على كونه قادرا على ما لا يقدر عليه غيره ويقال
ساغ الما والشراب في حلقه واساغه صاحبه ٥ ومعنى كونه خالصا انه خالص
من الدم ٥ ويقال ان الغذا يصير دما او لا ثم يصير الثفل الذي ينزل الى راس
الكرش فرثا واللبن يكون من اعلاه ثم التي ياكلها ٥ وقيل انما قال مما في بطونه
بعد ذكر الانعام ولم يقل مما في بطونها ردا الى واحده لان النعم والانعام
بمعنى واحد قال الشاعر ٥ شعر فطاب الباب اللقاح وبرد ٥ فرده الى اللبن الذي هو
الواحد ٥ وقيل ذكره الذي معنى كانه قال نسقيكم مما في بطونه كان اللبن
قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا
حسنا ٥ السكر الشراب الذي يشرب وان لم يكن مسكرا ٥ وقيل السكر
ما حرم الله من الشهوات والرزق الحسن ما احل منه ٥ وقيل هو ما جعل طعما من شراب
وعبره ٥ وقيل الرزق الحسن الرطب والتمر والزبيب ٥ ومعناه ولكم عبرة
ايضا فيما تتخذونه من التمر والعنب طعاما وشرابا واذا فكرتم فيه ودبرتم
اداكم الى معرفة القادر على اصول النعم التي من فعلها استحق العبادة ولا
تعذر عليها عبرة وهذا معنى قوله ان في ذلك لاية لقوم يعقلون ٥ قوله تعالى
واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ٥
النحل ذباب العسل ٥ ومعنى اوحى هاهنا الهم ٥ دله وعرفه ومعنى الاية ان
الله تعالى الهم النحل ما خلق فيها من العلم بكيفية اتخاذ وكانها واوسوتها
في الجبال والشجر وغيرها ما جعل عرشا وهو ما يرفع من الارض ومنه الكرم

المعروش بالمعارش وقوله تعالى ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل
ربك ذللا معناه وعرف النحل ما تغتذي به من ثمرات الاشجار
وزهرها وعرفها كيف تسلك الطرق التي سهلها الله تعالى لها
واخبر بما خلقه وهو معنى قوله ذللا اي سهلة مسخرة وواحد الذلل
ذلول وهو الطريق الموطا والمذلل المسلوك وقيل ذللا مطيعة
فعلى هذا الوجه يرجع الصفة الى النحل وقوله تعالى يخرج من بطونها شراب
مختلف الوانه فيه شفاء للناس معناه يخرج من بطون النحل شراب
وهو العسل وكذلك العسل الوان مختلفة وبين تعالى ان في ذلك الشراب
شفاء للناس لان العسل يحتاج اليه في الادوية المعجونات التي يعالج
الاعلال وقوله جل اسمه ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون معناه وفيما ذكر
الله دلالة وآية وعلامة لمن يتفكر فيه ونظر وبه اعتبره ومن العلماء
من صرف تاويل الاية الى ما اودعه الله من العلوم والحكم قلب النبي
صلى الله عليه وآله وسلم وقلوب الائمة عليهم السلام فجعل الكناية
في قوله منه راجعة الى القرآن وكانه قال فيما عنه الله في القرآن
شفاء للناس والتاويل الظاهر هو الاول وقوله جل اسمه والله خلقكم
ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم
شيئا ان الله عليم قدير معناه ان الله خلقكم احياء ثم يميتكم بعد
ان احياكم ومنكم من يطول الله عمره حتى يرجع حاله الى ارذل العمر
وهو اردأه واضعفه وروي عن امير المؤمنين علي صلوات الله عليه انه قال
يعمل بهذه الحالة اذا بلغ خمسا وتسعين سنة واذا بلغ ارذل العمر
رجعت حاله الى حال الصبيان فكانه لا يعلم شيئا مما قد كان علمه لكبر
الذي يلحقه متناقص كذلك احواله وبين تعالى انه يعلم ذلك لكونه عالما

بالمصالح والعواقب وكونه قادرا على كل شي فلا يعجزه شي وقوله جل اسمه
والله فضل بعضكم على بعض في الرزق معناه ان الله تعالى بين انه فضلكم
وفضل بعضكم على بعض في الرزق بان جعله اكثر واوسع مما اعطاه من [illegible]
وقوله تعالى فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء
افبنعمة الله يجحدون معناه والذين اعطيهم الفضل في الرزق ووسع
عليهم لا يجعلون لعبيدهم ومماليكهم شركا ونصيبا في اموالهم حتى يكونوا
معهم سواء اذا الرزق والنعم فلا يرضون لانفسهم بان يجعلوا عبيدهم
شركاهم فيما لهم من النعم وهم يشركون عبيدي في ملكي وسلطاني
ويجحدون نعمتي والالف التي في قوله افبنعمة الله الف انكار يخرج الكلام
مخرج الانكار على من يشرك بالله ولا يرضى لنفسه مثل ذلك في ماله
وملكه وقيل في قوله فهم فيه سواء وجهان احدهما سواء في ان الله رازق
الجميع وليس في امكان احد ان يرزق عبيده ويعطيهم شيئا الا ما رزقه
الله لانه لا يقدر تعالى ايجاد النعم وخلق الحب في الثمر الا الله تعالى لانه لا يقدر
احد منهم ان يخلق حبا ولا ينبت زرعا ولا ينزل مطرا وقوله تعالى والله جعل
لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة معناه من الله تعالى
على الخلق بان جعل لهم من انفسهم ازواجا ومن ذلك انه خلق ادم عليه السلام وحواء
واجرى بذلك الطريقة في اولادهم وقد مر بيان ذلك في سورة البقرة وغيرها
وبين انه جعل من الازواج بنين وحفدة وواحد الحفدة حافد وهو كعامل
وعملة واصل الحفد في اللغة الاسراع في العمل يقال حفد البعير اذا
اسرع في السير ومنه قول الراعي اذا الحداة على اكسائها حفدوا
وقيل في الحفدة وجوه احدها قيل هم ولد الولد وقيل هم الخدام وقيل الاعوان
وقيل كل من اعانك فقد حفدك وقوله تعالى ورزقكم من الطيبات افبالباطل

يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون الطيبات في المستلذات وقيل هي
الحلال ومعناه ان الله رزقكم ما تحدون لله فيه نعمًا اي وجه يجوز
ان تعرضوا على الايمان بالله واياته ورسله وتؤمنون بالباطل وتكفرون
بنعمة الله والالف في قوله افبالباطل الف انكار وخرج الكلام مخرج الذم
والتوبيخ وقوله جل اسمه ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات
والارض شيا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم
لا تعلمون هذا الكلام ايضا خارج مخرج الانكار والتوبيخ فقال
هولاء الذين هم عباد الله والله خالقهم ورازقهم وهو الذي يستحق العبادة
من جهتهم يعبدون الاوثان من دون الله واتخذوهم الهة وتركوا عبادة
الخالق الرازق القادر على كل شي وعبدوا ما لا يملك لهم رزقا ولا يقدر
على شي والمراد برزق السما الغيث المنزل منه وبرزق الارض النبات
وارزاق العباد متضمنة هذين الوجهين وانتصب شيا على البدل من قوله
رزقا فكانه قيل يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا قليلا ولا كثيرا
وقيل يجوز ان يكون معناه لا يقدر ان يرزق شيا فيجعل المصدر وهو
البدل من قائما مقام الفعل كقولك لا املك ضربا زيدا على معنى لا املك ان
اضرب زيدا وقيل نصب رزق على معنى لا يملك لهم رزق شي وهو كقوله تعلى
او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ومعنى
ولا تضربوا لله الامثال اي لا تجعلوا لله اشباها ولا امثالا لانه لا امثال له
ولا اشباه ومعنى وصفه نفسه ها هنا بانه يعلم ما لا تعلمونه انه يعلم ما
تستحقونه من العذاب على ما تفعلونه وما عليكم من الوبال الراجع اليكم
وانتم لا تعلمون ذلك وقوله تعلى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على
شي ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون

الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون وقيل هذا مثل ضربه الله للكافر الذي
خلا عن الخير والمومن الذي هو يكسب الخير فدعا العباد الى ما يفعله المومن
وزجرهم عما يفعله الكافر وقيل هو مثل ضربه الله لعبادة الكفار
الاصنام وعدولهم عن عبادة الله تعلى القادر على كل شي المالك لكل شي اي عبادة
من لا يملك شيا ومعنى الحمد لله امر بالشكر وتعليمهم اياه فكانه قيل اشكروا
المنعم عليكم والرازق لكم والموضح السبيل الى معرفة توحيده واوضح الطريق
اليه لا عن اضطر بعقد النظر والا سبر لا عن عملهم عما يجبون على العبهم لفرط
جهلهم وعتوهم في كفرهم ومعنى جملة الاية انه لا يستوي من الخير فيه لا نفع ولا
فعل ما يجوز به نفع نفسه والعبد الخير الهادي المهتدي النافع المحسن فكانه
قيل عبد لا يملك شيا ولا خير فيه وعبد يملك ويفعل الخير فلا يستويان عند الله
وهذا المثل وقوله جل اسمه وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على
شي وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل هو
ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم الابكم هو الذي يولد اخرس ولا
يفهم ما يقال له ولا يفهمه وليس في امكانه ان يفهم غيره والكل الثقل والوبال
هو ايضا مثل ضربه الله للكافر والمومن وتقديره ضرب الله مثلا رجلين
احدهما اخرس لا يقدر على الكلام ولا يقدر على شي من باب الخير والنفع ويكون
ثقلا ووبالا وعيالا على سيده فاينما يوجهه سيده لا يات بخير والاخر رشيد
مهتدي يفعل العدل والخير وهو على صراط مستقيم فهذان لا يستويان في
المنزلة والجزا والمدح وقيل هذا مثل في صفة من يومل الخير من جهة ومن صفة
من لا يومل الخير من جهته وقيل هو مثل ضربه الله تعلى للوثن الذي يعكف الجهال
على عبادته وهو بهذه الصفة ومنزلة الابكم الذي لا يمكنه ان يتكلم او يفعل شيا
او ياتي خيرا فكانه قيل يا اهل الخير كل من الله تعلى لا من الاوثان وعبادة الرحمن

وهو معنى قوله هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم في
تدبير الامور بالحق ووجه التقابل في ضرب المثل بهذين الرجلين انه على تقدير
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وزيد انه ابكم على خلاف صفة هذا العبد
يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم في تدبير الامور بالحق وهو معنى قوله تعالى
هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم قوله جل اسمه ولله غيب
السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على
كل شيء قدير ه وصف الله تعالى نفسه بانه عالم الغيب فلا يعزب عن علمه شيء
في الارض ولا في السماء وبين ان امر القيامة في قربه بمنزلة كونه وسرعته كلمح
البصر او هو اسرع منه واقرب في اوجز قوله او هو اقرب دخلت للشك
على انه على احدى منزلتين اما كلمح البصر واما اقرب منه ه وقيل جاءت او
لشك المخاطبين على تقدير كونوا في امر الساعة على هذا الشك وانما
قرب امرها لانه متى كان يكون فمن هاهنا صح انها كلمح البصر او هو
اقرب ووصف نفسه بانه قادر هاهنا على معنى انه قادر على اقامة
القيامة وعلى كل شيء صح ان يكون مقدورا له قوله جل اسمه والله اخرجكم من
بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم
تشكرون ه معناه اخرجكم من بطون امهاتكم خلقا مصورا اطفالا لا
تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ه من
عليكم بسلامتكم وافرانكم واكمال عقولكم حتى تمكنتم من اكتساب
العلوم وعلمتم ما لم تكونوا تعلمونه وانما جعل لكم السمع والبصر وخلق
لكم القلوب لتدعوه للعلوم والنعم عليكم بهذه الضروب من النعم
لتشكروه وتعبدوه وتعظموه ولا تكفروا به قوله جل اسمه الم يروا
الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات

لقوم يؤمنون ه هذا استدعاء للمكلفين الى الاستدلال بتسخير
الطير في الهواء وتمكينها من التصرف فيه على كون مسخرها قادرا واحدا
حكيما لا يعجزه شيء ولا يشبهه شيء بجعل الهواء للطير بمنزلة الارض للخلق
تمكينا لها من التصرف فيه والطيران عليه ه وبين انه لا يقدر عليه الا
الله وان في ذلك لدلالة للمؤمنين على الله جل وعلا وما فعله دلالة لسائر
المكلفين الا انه لما استدل به المؤمنون وانتفعوا به خصهم بالذكر
مدحا لهم وتشريفا قوله جل اسمه والله جعل لكم من بيوتكم سكنا
وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم
كل ما سكنت اليه فهو سكن ه من الله تعالى على العباد بان جعل لهم
البيوت سكنا والمراد بجلود الانعام هاهنا الادم التي يتخذ منها
القباب في الظعن لان تحل والانتقال فمن الله تعالى على العباد بذلك
ايضا وهو انه خلق الجلود التي يتخذ منها ابنية البيوت حتى اذا ارتحلوا
كان معهم بدل البيت الذي بنوه على الارض فكانه اذا ارتحلتم
كانت البيوت معكم تحملونها في السفر وتسعون بها كما انتفعتم
في حال الاقامة والحضر وذكرهم الله تعالى انعامه بها عليهم وافهامهم
المنافع والمرافق قوله تعالى ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا
ومتاعا الى حين ه الاثاث المتاع الكثير وهو من قولهم شعر اثيث اي
كثير ه ومعناه وجعل الله تعالى الاصواف وهو جمع صوف الغنم والاوبار وهو
جمع وبر الابل والاشعار وهو جمع شعر المعز بحيث تسهيا لكم ان تتخذوا
منها الاثاث في الثياب وضروب المنافع وتمتعكم بها الى حين وهو الوقت المعلوم
ان الامتاع الى ذلك الوقت مصلحة قوله جل اسمه والله جعل لكم مما خلق
ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا الظلال جمع الظل والاكنان جمع الكن

وهو ما يستتر به ومعناه جعل لكم ظلالا تستظلون به ومن
الجبال اكنانا تسكنون به وقوله جل اسمه وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر
السرابيل جمع السربال وهو القميص ومعناه وخلق ما تتخذون منه
سرابيل تقيكم الحر والسربال وان كان يقي البرد كما يقي الحر فانما خصه بوقاية
الحر اختصارا للكلام لان فيه ما يدل عليه وهذا كما قال القائل
وما ادري اذا يممت وجها اريد الخير ايهما يليني فكنى عن
الشر وان لم يذكره لانه مدلول عليه وقيل انما خصه بوقاية الحر
لان القوم الذين خوطبوا به كانوا اهل حر في بلادهم فكانت حاجتهم الى ما
يقي عنهم الحر اشد وامس وقوله جل اسمه وسرابيل تقيكم باسكم كذلك
يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون الباس الشدة ومعناه يقيكم عن الحرب والباس
والمراد بالسرابيل الواقية للباس الدروع ووجه التشبيه في كذلك
اتصاله بما تقدم من ذكر ضروب النعم وتعديدها كما انعم عليكم بتلك
الضروب من النعم كذلك يتم نعمته بهذا الذي ذكر لعلكم تسلمون
لله بالانقياد له والطاعة له والايمان به وقوله جل اسمه فان تولوا فانما عليك
البلاغ المبين معناه فان تولوا اي اعرضوا عما تدعوهم اليه فانه لا يلزمك
تقصير من اجل اعراضهم لان الذي يلزمك هو البلاغ المبين الا ان
هذا الكلام خرج على وجه الاختصار لدلالة الكلام عليه من جهة التسلية
له عما كان يلحقه من الغم لتوليهم عن الحق اللازم لهم وقوله جل اسمه يعرفون
نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون معناه هؤلاء الذين يعرفون
عاما ندعوهم اليه يعرفون ان الله عليهم بها الا انهم ينكرونها والانكار بعد
المعرفة قال واكثرهم الكافرون ولم يقل كلهم لان فيهم من لم يقم
عليه الحجة وهو من لم يبلغ حد التكليف او ناقص العقل ما دونه وقيل

فمنهم من لم يذكر النعمة في حال الشواغل التي في قلبه المانعة له عن
تامل امره فيكون في حكم الساهي والصبي وان كان مكلفا بغير ذلك
وقيل هو من الخاص في صورة الذي هو عموم في معناه وفي هذه الاية دليل على
بطلان قول المجبرة انه ليس لله على الكافر نعمة لانه استدرجه باعطائه
الى الهلاك وقوله جل اسمه ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين
كفروا ولا هم يستعتبون الشهيد ها هنا الرسول ومعناه ان الله تعالى
يبعث يوم القيامة من كل امة رسولا كان شاهدا عليهم في دار الدنيا ليشهد
عليهم بما شاهد منهم وليس اقامة الشاهد لان الله يخفى (الاعلم لا يخفى) عليه شيء من
اعمالهم وانما ذلك ليكون اهول في النفس بصورة تلك الحال ويكون اشهر
للفضيحة اذا اقام الشاهد الشهادة بحضرة الملا ثم بين تعالى انه
لا يؤذن للكافرين في الاعتذار ولا يعرضون للعتبى وهو الرضاء وقيل
يكون في القيامة مواطن يؤذن فيها في الاعتذار وموطن لا يؤذنون
وقيل لا يؤذن لهم في الاعتذار لشيء ينفعون به وقوله جل اسمه واذا راى
الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون الانظار الامهال
معناه واذا اوقع الظالمون في العذاب ودفعوا اليه فلا يخفف عنهم
لحظة ولا يستطاع للعذاب ولا انتها وقوله جل اسمه واذا راى الذين
اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا
من دونك معناه واذا راى المشركون يوم القيامة شركاءهم
الذين اطاعوهم واتخذوهم اربابا في الدنيا قالوا عند ذلك هذا القول
الذي حكى الله عنهم وانما سماهم شركاءهم لانهم جعلوا لهم نصيبا
في اموالهم وقيل لانهم جعلوهم شركاء العبادة وقوله جل اسمه فالقوا
اليهم القول انكم لكاذبون معناه ان الرؤساء الملقون القول للعابدين

لهم في دار الدنيا انكم لكاذبون في ادعايكم انها الهة وقوله تعالى
والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون معناه واستسلموا
يوم القيمة بالذل لحكم الله وبطل ما كانوا يرجون انهم يشفعون لهم
فكانوا كاذبين في ذلك وقوله جل اسمه الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون معناه هولاء
الكافرون يكونون في العذاب مستحقين يزاد لهم عذاب فوق
العذاب الذي يعذبون به كانه يعذب الكافر كل وقت بلون من العذاب
وقد روي عن عبد الله بن مسعود انه قال معناه زدناهم افاعي وعقارب
في النار جزاء لما فعلوه من الفساد وقوله تعالى ويوم نبعث في كل امة
شهيدا عليهم من انفسهم وجينا بك شهيدا على هولاء معناه
ويوم القيمة اذا حشرنا الامم الذين ترسل اليهم الرسل نبعث رسول
كل امة يشهد عليهم بما شاهد عنهم وما اجابوه اليه ودلت الاية على
انه لا يخلو كل امة وعصر من حجة لله يكون شهيدا ما دام التكليف باقيا
لازما وذلك الشهيد اما ان يكون نبيا او خليفة وجعل الله تعالى نبينا
صلى الله عليه واله بذلك فقال وجينا بك شهيدا على هولاء فكانه قال
امتك شاهدا على سائر الشهداء وامتهم ونظير ذلك قوله تعالى
فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدا الاية
وقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى للمسلمين
معناه ونزلنا عليك القران الذي هو بيان لكل شيء من امر الدين
اما بالنص عليه او الاحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي صلى الله عليه واله السلام
او اجماع المسلمين او استدلال باحد هذه الوجوه والكتاب هو الاصل
والمفتاح لعلوم الدين وبين تعالى ان الكتاب الذي هو القران دلالة ونعمة

وبشارة لهم لانهم يستحقون ثوابه وينتفعوا بالاستدلال به على ما يؤديهم الى
النعيم الدايم ودل قوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء على بطلان قول
من زعم ان الكتاب لا يدل على شيء وقوله جل اسمه ان الله يامر بالعدل والاحسان
وايتاء ذي القربى معناه ان تعطوا اقرباكم من اموالكم وعند المواساة لا ان تعطوا
المواساة غيرهم وقوله تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم
تذكرون معناه وينهاكم عن فعل القبائح والفواحش والمنكر والتطاول
بالظلم على الغير وهو معنى البغي يعظكم الله بما امركم به ونهاكم عنه
لكي تتذكروا وتتفكروا والذكرى تنفع المومنين وقوله تعالى واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها معناه واذا
اوجب الله عليكم شيا واكد عليكم حجة وعاهدتم الله على ذلك فادوا
العهد ولا تخونوا فيه واذا عقدتم اليمين على شيء فاحكموه بالطريقة التي تعرف
بها توكيد اليمين فلا تنقضوه وقوله تعالى وقد جعلتم الله عليكم كفيلا
ان الله يعلم ما تفعلون الكفيل هاهنا معناه الشاهد اي وقد جعلتم
الله شاهدا على ما عاهدتم به وعقدتم اليمين عليه والله تعالى يعلم ما
تفعلون ولا يخفى عليه خافية وفي ضمن هذا زجر وتهديد بليغ وقوله تعالى
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا هذا مثل ضربه الله تعالى
لمن نكث العهد ونقض اليمين والانكاث جمع نكث وهي الانقاض التي هي جمع
النقض والنكث ما نكث والنقض ما نقض ومعنى الاية لا تكونوا فيما تاتونه
وتفعلونه من نقض الايمان وترك الوفاء بالعهود بمنزلة امراة غزلت
غزلا ثم نقضته بعد ما فتلته فتلا قويا وهو معنى قوله من بعد قوة انكاثا
وقوله تعالى تتخذون ايمانكم دخلا بينكم معنى الدخل ما دخل الى الشيء
على وجه الفساد فكانه قيل هاهنا تدخلون في ايمانكم على فساد

بما في بينكم من الغدر والغرور وقيل الدخل هو الدخل والخديعة
وقيل سمي ذلك لانه دخل الفساد على ترك الوفا والظاهر على طريق الوفاء
وقيل دخلا غلا وغشا وقوله جل اسمه ان تكون امة هي اربى من امة معناه
لين يكون جماعة اكثر من جماعة على معنى ان تكون جماعة اكثر عددا من جماعة
يطلبون لعزهم طلب العز الاول منهم ولعدده يتخذون ايمانكم دخلا
مبادرة وميلا الى جماعة هي اكثر عددا طلبا للعز بهم وقوله جل اسمه انما يبلوكم
الله به وليبين لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون معناه انما يختبركم الله
بالامر بالوفا بالعهد اي يعاملكم معاملة المختبر ليقع الجزا على العمل لا
لا احسان على الحقيقة لا يجوز على الله تعالى لكونه عالما بالاشيا المعلومات
والهاء في قوله به عايده على الامر ثم اخبر بانه يبين يوم القيمة ما اختلفوا فيه
ويحكم بينهم بحكمه وفيه ضرب من التهديد وكذلك في كل ما يرد في القران
من جنسه وقوله تعالى ولو شا الله لجعلكم امة واحدة معناه ولو شا الله
ان يلجيكم الى طريقة واحدة حتى يكونوا جميعا عليها لقدر على ذلك وقد مر بيان
نظير ذلك وبيان وجوه المتشابه في غير موضع وقوله تعالى ولكن يضل من يشا
ويهدي من يشا قد بينا ايضا وجوه احكام الاضلال والهداية والاضلال
هاهنا المراد به الاضلال عن طريق الجنة والمراد بالهداية الثواب وهو
هداه الى طريق الجنة وكانه قال ولو شا ان يلجيكم ويحملكم جبرا على
طريقة واحدة لقدر عليه ولو اقتضت الحكمة في التكليف حكم
بالغلظة على من ضلوا ووجب العقاب عليه وحكم بالهدى على من اهتدى
واوجب الثواب له واقسام الهدى والضلال قد ذكرناها في سورة البقرة
وهذا الوجه احد تلك الاقسام وقوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون
معناه ان الله يحاسبكم يوم القيمة ويطالبكم عن جميع ما عملتم ويجازيكم

عليه وهذا دليل على ان قوله يضل من يشا ليس المراد به ما ذهب
اليه الجهال ان الله يضل العباد عن الدين لانه لو كان كما قالوا لم يكن
ليسالهم عن عملهم لانهم لم يفعلوا ما هو ضلال وانما خلق فيهم
الضلال وصدهم عن الهدى على ما ذهب اليه المجبرة وقوله جل اسمه ولا
تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها قد مر بيان
في الاية التي قبلها وهذا ايضا ورد على وجه المثل وكانه قيل لهم
لا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فيكون حكمكم حكم من كانت قدمه
ثابتة على المكان مستقرة فزلت عن مقرها وقوله جل اسمه وتذوقوا السوء
بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم معناه ان تذوقوا عذاب ما
تعملون من السوء وهو الصد عن سبيل الله وهو عطف على قوله فتزل قدم وقيل
الاية في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله نهاهم الله عن نقض
بيعته بقوله فتزل قدم بعد ثبوتها ويستحق العذاب العظيم وقوله تعالى ولا تشتروا
بعهد الله ثمنا قليلا معناه لا تستبدلوا اخذ حطام من الدنيا على نقض العهد
وترك الوفا به وهو الثمن القليل بثواب الاخرة على الوفا بالعهد وهو العلق
النفيس وقوله تعالى انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون معناه ما عند الله
من الثواب لاجل الوفا بالعهد خير من حطام الدنيا الذي يبتغون من الثواب
وقوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق زهدهم الله تعالى بما ذكره
من حطام الدنيا ورغبهم في نعيم الاخرة لانه اخبرهم بان الدنيا فانية والاخرة
باقية ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون معناه
ولنجزين الصابرين على الطاعة والصابرين على المعصية باحسن ما عملوا
وهو الثواب وقوله جل اسمه من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه
حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم قيل في الحيوة الطيبة وجوه احدها الرزق

الحلال في الدنيا وبرزق الآخرة في الجنة والثاني القناعة وقال بعض العلماء
الاولى ان يكون الحيوة الطيبة القناعة بما رزق وعبادة الله والعقوبة على الحرص على حطام
الدنيا واكثر المؤمنين ليسوا متسعي الرزق والثالث الحيوة الطيبة هي الجنة وفي هذا القول
قوله وهو مؤمن دليل على ان العمل وان كان صالحا فانما يستحق عليه الثواب الا اذا حصل
من مؤمن وقوله تعالى ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون معناه والله لنجزينهم
على ما يعملون من الحسن وهو الطاعة احسن ما عملوا وهو الثواب وقيل انما قال احسن
ما كانوا يعملون لان الحسن عملهم الطاعة وما عداه من الحسن فهو مباح ولا
يستحق عليه مدح ولا اجر وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
معناه واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله قبل القراءة فقل اعوذ بالله من
الشيطان الرجيم والاستعاذة تكون قبل القراءة وقال بعض المفسرين
هو على التقديم والتاخير وليس كذلك لانه يجوز التقديم والتاخير في
كل شيء وانما يجوز ذلك فيما لا يشكل ولا يقع خللا لا يجوز تقديمه في المعنى
ويوسعه ضرورة وقيل انما احتيج الى تفسير القرآن وان كان هو عربيا
لسان لقصور الانسان عن ادراك المعنى لقلة علمه بصواب الكلام
على مذاهب العرب الذين هم الاصل في هذا اللسان فهو كالاعجمي الذي
اتي في امتناع الفهم من جهة تقصيره لا من جهة تقصير الكلام في
البيان وقوله جل اسمه انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون
معناه ليس للشيطان سبيل التسلط به على المؤمن المتوكل على
ربه وقيل ليس له حجة عليه وقال بعض العلماء في الاية دلالة على ان
الصرع ليس من جهة الشيطان وقال غيره لا يدل لقول الله الا كما يقوم
الذي يتخبطه الشيطان من المس وقوله جل اسمه انما سلطانه على الذين
يتولونه والذين هم به مشركون معناه انما سلطان الشيطان على الذين يتولونه

يتولونه فيطيعونه الى ما يدعوهم اليه وسلطانه على الذين هم به مشركون
وسائرهم والذين هم بطاعته فيما يدعوهم اليه من عبادة الوثن مشركون
فلما كان من اطاعه فيما دعاه اليه من عبادة غير الله مشركا كان به مشركا
وهذا من الاخلال الحسن وقيل فيه وجه اخر وهو ان يكون الكناية التي في
به راجعة الى اسم الله فيكون معناه والذين هم بالله مشركون وقوله جل اسمه واذا
بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل معناه واذا نسخنا حكم اية وجعلنا
اية اخرى لما في المعلوم من المصلحة وهو معنى قوله والله اعلم بما ينزل وقوله تعالى
قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون معناه قالوا انك كاذب فيما تدعيه
من اية من عند الله بل اكثرهم لا يعلمون ما في ابدال الايات من المصالح والمنافع
وقوله تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى
وبشرى للمسلمين معناه قل لهولاء المنكرين الذين ينسبونك الى الافترا
انما انزل علي هذا القرآن روح القدس وهو جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى
بالحق ويثبت الخلق ليثبت قلوب المومنين بانزاله بعد اية وابدال
اية اخرى والقرآن دلالة وبشارة للمسلمين والقرآن وان كان دلالة
لجميع المكلفين فخص المسلمين بالذكر تشريفا لهم [illegible]
وقوله تعالى ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر معناه والله نعلم
ان هولاء الكفار الذين تقدم ذكرهم يقولون ان هذا القرآن علمه يا محمد
بعض العجم وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وقيل الذي اشاروا اليه كان رجلا
يقال له بلعام وقيل اشاروا الى سلمان الفارسي رضي الله عنه وقوله تعالى
لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين اصل الالحاد
الميل عن الصواب في التاويل للذي يميل من الحق في اثبات الصانع الى التعطيل
ملحد من هذا الوجه ومعنى الاية ان لسان الذي يميلون اليه بالقرآن

بانه يعلم محمدًا الاعجمي وهذا القرآن بلسان العرب بين ظاهر وقيل
للقرآن انه لسان العرب كما يقال القصيدة هذه لسان فلان
وقوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم
معناه ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله يوم القيمة الى طريق الجنة
ولا يحكم لهم بحكم المهتدين وقوله جل اسمه انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
واولئك هم الكاذبون معناه من لم يكن مؤمنا يفتري الكذب
لانه لا يردعه عن ذلك الايمان فهم الذين يفترون عليك يا محمد لا انت لانهم
وهم الكاذبون عليك فيما ادعوا وقوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه
الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وفيه محذوف وتقديره من كفر بالله
من بعد ايمانه فعليه غضب من الله الا من اكره على الكفر فاظهره للتقية
وقلبه مطمئن بالايمان وموضع من كفر رفع بدل عليه خبر الثاني وهو
فعليه غضب من الله ومثاله في اللغة كقول القائل من يأتنا ومن يحسن
نكرمه بجواب الاول محذوف وقد كفى منه الثاني وروي ان الاية
نزلت في عمار بن ياسر رحمة الله عليه اسره الروم فاكرهه على اظهار
القول بان الله ثالث ثلاثة ففعل ذلك بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان ودلت الاية
على جواز التقية وقوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا
فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم معناه ومن كفر بعد
الايمان متعمدا مستحبا له على الايمان عن غير تقية وعذر فعليه غضب
الله واعد الله له عذابا عظيما وقوله تعالى ذلك بانهم استحبوا الحيوة
الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين معناه
ان استحقاقهم الغضب من الله لاجل انهم اختاروا الحيوة الدنيا
ولذاتها على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين فباعوا

الاخرة بالدنيا والله تعالى لا يهديهم بمعنى الهداية عنهم نفيا مطلقا وان
كان الله تعالى قد نصب لهم الادلة على ما يوجب عليهم معرفته لانهم لما لم يستدلوا
بتلك الادلة ولم ينتفعوا بها فكانها لم تكن ولان الله لا يكون في حكمه ان يهديهم
يهدي المؤمنين من الطاعة والمدح ولا يهديهم الى طريق الجنة في الاخرة
وهو الثواب فلهذا اطلق النفي وقوله جل اسمه اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون قد مر بيان الختم والطبع
في غير موضع ومعناه ان الله تعالى انما يفعل عقوبة وجزاء كما قال تعالى بل طبع
الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ووصفهم الله تعالى بالغفلة وان كانت
الخواطر ترد عليهم بان يحثهم الى النظر الا انهم اعرضوا عن النظر وعن
قبول ما يورده الخاطر فصارت منزلتهم منزلة الغافلين فوصفهم بذلك ذما
لهم وتوبيخا وقيل وصفوا بذلك لجهلهم وان كانت الخواطر تزعجهم الى النظر
وقوله جل اسمه لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون قد مر تقدير معنى لا جرم
وحقيقته في اللغة في غير موضع وفي هذه السورة خاصة فلا وجه لاعادته
وانتصب انهم بمعنى لا بد لهم في تقدير لا بد من ذا وتكون تقديره احق على معنى جرم
فعلهم ان لهم النار اي قطع بذا ولا واصل بالان يكون ثم على معنى قطعا
ان لهم النار ولا صلة لمجرد الكلام وقوله جل اسمه ثم ان ربك للذين هاجروا
من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم
معناه من هاجر المعصية وهاجر اعداء الله من بعد ما فتنوا في دينهم بمعصية
كانت منهم وجاهدوا وصبروا على الجهاد وعلى الطاعة فان الله يغفر لهم
ودلت الاية على انهم فتنوا في دينهم بمعصية كانت منهم لان الله قال تعالى ان
ربك من بعدها لغفور رحيم وقوله جل اسمه يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها
وتوفى كل نفس ما عملت معناه يوم القيمة تاتي كل نفس تجادل [illegible] عند

الحساب ثم تسلمهم الملائكة باذن الله تعالى ما فعلوه فيقول قوم والله
ربنا ما كنا مشركين ويقول اتباع الرؤساء هؤلاء اضلونا ويتبرأ
المتبوعون من التابعين كما حكى الله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من
الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقيل معنى
تجادل عن نفسها تحتج عن نفسها بما تقدر به ان تدرأ العذاب عنها كما قال لعظم
ما اشتد اسفها اليه وقوله تعالى وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون معناه
تجازى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون لا يظلم ربك احدا بان ينقص من حسناته
شيئا او يزيد على مستحق عقابه او يعاقب من لا يستحق العقاب باعماله
وقوله جل اسمه وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها
رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله قد وردت في الروايات ان المراد
اهل مكة اهلكهم الله بكفرهم بالرسول المبعوث اليهم وهو محمد صلى الله عليه
وقيل هو اهل مكة لانهم كانوا على خلاف ما كانت عليه العرب وكانوا آمنين
ان تعروهم الجيوش غير محتاجين الى الانتجاع لان ارزاقهم كانت تأتيهم من
جهة البر والبحر ونواحي الشام واليمن فلما جاءهم رسول صلى الله عليه
كفروا به واخرجوا المؤمنين من ديارهم دعا عليهم الله بان نزل بهم بعد
الامن الخوف بان سلط عليهم من سرايا المؤمنين واسلامهم بالجدب والقحط سبع سنين
حتى اضطروا الى اكل القد والعهن وهو الصوف المخلوط بالدم وهو معنى قوله
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وقيل انعم جمع نعمة
وقيل انعم جمع نعم كما يقال ادرع ونعم ومثله وقيل انعم جمع نعماء
كما قالوا باساء وابؤس واما لباس الجوع فما ظهر عليهم من الهزال وسوء
اللون ما هو كاللباس وقوله تعالى ولقد جاءهم رسول منهم
فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون من جعل الاية الاولى على هلاك

غير مكة قال ان العذاب الذي اخذهم كان عذاب الاستئصال كما
فعل بعاد وثمود ويكون معنى فاخذهم العذاب وهم ظالمون اخذهم
عذاب الاستئصال ومن قال ان المراد بها اهل مكة حمل العذاب النازل
بهم القحط والخوف وفي ذلك الاية على ان الله تعالى قد يعاقب ضربا
من العقاب في دار الدنيا على الكفر والمعصية كما قد يثيب ضربا
من الثواب على الطاعة والايمان وهذا دليل في جواز تقديم بعض العقاب
وبعض الثواب ودليل على ان الثواب والعقاب يستحقان بالعمل وقوله تعالى فكلوا
مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون امرهم
الله تعالى بان يأكلوا من الحلال الطيب ويجتنبوا عن الحرام وان يشكروا
نعمة الله ولا يكفروها ان كانوا عابدين لله مخلصين وشرط التمسك
بالحلال دون الحرام وان يشكر النعمة من شرط الاخلاص لعبادة الله
وقوله جل اسمه انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله
به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما زجر العباد عن الحرام
عدد عليهم بعض ما حرم عليهم وقد مر بيان جميع ذلك في سورة البقرة في
قوله انما حرم عليكم الميتة والدم الاية فلا وجه لاعادته وقوله جل اسمه ولا
تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على
الله الكذب قيل انما تصف الكذب لانه يتقولونه وما بمعنى المصدر
والتقدير ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام
وذلك اشارة الى ما قالوه في السائبة والوصيلة من الله تعالى
ان الذي حرموه وحللوه واضافوا ذلك التحريم والتحليل الى الله كان
ذلك افتراء وكذبا على الله ونفى الله عن نفسه جعل السائبة والبحيرة
ولم يحصل خلق الابل والغنم وانما ذلك نفى ما اضافوه اليه من تحريم ما حرموه

وتحليل ما حللوه وبين انهم كذبوا على الله به ونهاهم في هذه
الاية عن الذي تصف السنتهم من التحليل والتحريم وبين انهم
يفترون على الله الكذب فدلت الاية على بطلان قول من يقول ان
افعال العباد مخلوقة وقوله جل اسمه ان الذين يفترون على الله الكذب
لا يفلحون ٥ متاع قليل ولهم عذاب اليم ٥ معناه ان الذين يكذبون
على الله لا يظفرون بما يظفر به الصادقون على الله ولهم متاع
قليل في الدنيا ثم يصيرهم الى عذاب النار وبئس المصير وقوله تعالى
وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل ٥ وهو قوله
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما الى اخر الاية ٥ وبين تعالى انه ما ظلمهم بتشديد التكليف
عليهم وانما ظلموا انفسهم لانهم فعلوا ما استحقوا ذلك لاجله ٥
وقوله جل اسمه ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد
ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ٥ معناه من عمل
السيئات بدواعي الجهل انهما ثم تابوا من بعد ذلك منها فان الله
تعالى يقبل توبتهم ويغفر ذنوبهم ان الله غفور رحيم وقوله تعالى
ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ٥ بين تعالى
ان ابرهيم عليه السلام كان امة ومعناه قدوة يقتدى به في الدين
ويتعلم منه الخير وقد بينا فيما تقدم في غير موضع حقيقة لفظ الحنيف
واشتقاقه في اللغة ما استوى واستقامه في العرف ولا وجه لاعادته
وقوله جل اسمه شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم ٥
معناه وكان ابراهيم صلى الله عليه واله وسلم شاكرا لله على
جميع ما انعم به عليه واختاره الله تعالى واصطفاه وهو معنى قوله

واجتباه ودله على الدين لطفا له وهو معنى قوله وهداه
واتيناه في الدنيا حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين ٥ قيل الحسنة
ها هنا النبوة ٥ وبين تعالى ان ابرهيم عليه السلام في الاخرة لمن الصالحين
قيل انما ذكر في الصالحين وان كان في اعلى مراتب الصالحين للترغيب
في الصلاح وبمدح من هو من الصالحين وقوله جل اسمه ثم اوحينا اليك
ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين ٥ معناه ثم اوحينا
اليك يا محمد ان اتبع ملة ابرهيم فانه كان حنيفا ولم يك من المشركين
كما ادعا عليه اليهود والنصارى انه كان منهم وقد مر بيان
نظيره في سورة ال عمران وغيرها وقوله جل اسمه انما جعل السبت على
الذين اختلفوا فيه ٥ اوجب الله تعالى عليهم العبادة يوم السبت
ونهاهم فيه عن الاشتغال بالاعمال التي كانوا يشتغلون بها في غير يوم
السبت وكان اختلافهم في السبت اختلافا مجهولا لا دليل عليه حتى
قال بعضهم هو اعظم الايام حرمة لان الله تعالى خلق الاشيا فيه وقيل
اختلافهم فيه عدولهم عما امروا به من تعظيم الجمعة الى السبت وقيل انما
جعل السبت بهم بالمسخ لانهم اعتدوا فيه وقوله جل اسمه وان ربك ليحكم
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ٥ معناه ان الله تعالى يحكم بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون كما يحكم في ساير ما لهم وعليهم
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي
هي احسن ٥ امر الله النبي صلى الله عليه واله وسلم ان يدعو الناس الى دين
الله على وجه الرفق والمداراة والتلطف واذا جادلوه في خلاف ما
يدعوهم اليه بين لهم طريق معرفة التوحيد واتاهم بطلان ما هم عليه
بوجه حسن بارفق ما امكن والطف لئلا ينفروا ويعرضوا عن النظر

فما بين لهم وفي الآية تعليم حسن لطف في الاستدعاء الى
دين الله انه يجب ان يكون الاستدعاء بالرفق واللين واللطف
والقول الحسن وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو
اعلم بالمهتدين ٥ معناه والله اعلم باحوال العباد من الذي ضل
ومن الذي اهتدى فليس عليك الا البلاغ الى الله على احسن الوجوه
وقد ضرب من سبيله النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقوله تعالى وان
عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ٥ معناه واذا اردتم معاقبة
من فعل ما استحق المعاقبة فعاقبوا بمثل ما عاقبوكم به بغير زيادة
وروي ان سبب نزول هذه الآية ان المشركين لما مثلوا
بقتلى احد مثل ما فعلوا بحمزة عليه السلام وبالانصار تشفيا
بما نال اصحابهم يوم بدر قال المسلمون لئن ظفرنا الله عليهم فعلنا
بهم اعظم ما فعلوه فانزل الله الآية فبين ان من فعل بغيره شيئا
مثله كان او غيره واذا استوفي منه فلا يجوز له ان يتجاوز
ناله وفعل به ثم ندب العباد الى الصبر بقوله تعالى ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين معناه ولئن صبرتم ولم تعاقبوا فهو خير لكم فان الله يعظم
اجر الصابرين ٥ وقوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن
عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ٥ امر الله تعالى نبيه وجميع المسلمين
ان يصبروا على ما نالهم من الاذى والضرر لسبب دين الله ثم بين ان
من صبر على طاعة الله فان صبره لا يكون الا بتوفيق الله ولطفه وتسهيله ٥ وقد
بينا معنى اللطف والتوفيق والتسهيل والتخلية في غير موضع فما تقدم ٥ وبينا ان
فعل اللطف لا يكون مقصورا على حكم القادر وانما يتعلق فعله بما يكون معلوما
في حال المكلف فاذا علم الله تعالى ان العبد يفعل شيئا من الحسنات

الواجب عليه او يترك قبيحا اذا فعل لطفا وجب فعله وهو التوفيق لانه
فعل يوافق فعل العبد وقد يكون بعض الالطاف جزاء على العمل كما قال
تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقال ومن يؤمن بالله يهد قلبه
فهذه الهداية لطف من شرح صدره وزيادة نشاط لاجله في الطاعة
ولهذا اختص الالطاف بالمطيعين ويعرض عنه العصاة ويكون ذلك خذلانا
لهم وضيق صدره فهذا معنى قوله وما صبرك الا بالله وليس معناه ما ذهب
اليه الجهال لانه لا يقدر على فعل الصبر وان الله تعالى يخلق الصبر في قلبه
مع القدرة عليه وكيف يجوز ان يأمر العبد بفعل ما الله فاعله
وقوله تعالى ولا تك في ضيق مما يمكرون ٥ من العلماء من ذهب الى ان
الكناية راجعة الى الشهداء فمعناه لا تحزن عليهم فان الله قد اجزل لهم
الثواب ورفع لهم الدرجات ومنهم من ذهب الى ان الكناية راجعة الى
المشركين فسلاه بان قال له لا تحزن عليهم ولا عراضهم عن الايمان وعن قبول
ما تدعوهم اليه ولا يضق صدرك بمكرهم وايذائهم فان الله يكفيك والمسلمين
مكرهم وقوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ٥
معناه ان الله معين المتقين وناصرهم وكافيهم ما يحزنهم وروى ابي بن
كعب عن رسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من قرأ سورة النحل لم
يحاسبه الله بالنعم التي انعم الله عليه في دار الدنيا واعطي في الآخرة
من الاجر كالذي مات واحسن الوصية ٥

السورة التي يذكر فيها بنو اسرائيل مكية مائة واحدى عشرة آية
والفو خمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة ٥ وستة آلاف واربعمائة
وستون حرفا ٥

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز اسمه سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله
لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير ٥ سبحان تنزيه الله تعالى من القبائح
والفواحش والسوء وهو كلمة تعظيم لا يصح لغير الله ٥ ولا ينصرف
سبحان في العربية كما لا ينصرف غيره من المصادر لانه بطل اعلى
من اثبات التعظيم مع معنى البراءة من كل صفة نقص وكان هذا المعنى
لا يكون الا لله فلزم منهاجا واحدا على هذا المعنى ٥ والسرى سير
الليل يقال سرى يسري واسرى به اسرى اذا سار به ليلا
وقيل انما قال ليلا لان المراد به بعض الليل وهو على تقليل وقت الاسرا
والذي يوضح هذا ان هذا في قراءة حذيفة وعبد الله من الليل فاسرى
بالنبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى مسجد بيت المقدس ٥ وروي
انه كان تلك الليلة في بيت ام هانئ بنت ابي طالب والحرم كله مسجد فلهذا
قال من المسجد الحرام وان قال اسرى من بيت ام هانئ وهذه الرواية
من ام هانئ ٥ وقيل كان النبي صلى الله عليه واله في المسجد الحرام فاسرى
به الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس وهو مسجد سليمان بن داود
عليهما السلم ثم اسرى منه الى السما في رواية اهل البيت عليهم السلم
ورواية اكثر الامة والذي يصحح هذه الرواية قوله تعالى والنجم اذا
هوى الى قوله الى سدرة المنتهى عندها جنة الماوى الى قوله لقد راى
من ايات ربه الكبرى ٥ وكان راى تلك الليلة جبريل صلى الله عليها
مرتين على تلك الصورة التي خلقه الله عليها مرة بالافق الاعلى ومرة عند
سدرة المنتهى ٥ وقد ذكرت اخبار صحيحة في هذا الباب توافق مضمون
هذه الايات ٥ وقد ذكر المعراج لا وجه له لانه ليس فيه اكثر من نقض العادة

وهو مثل قطع مسافة شهر في بعض من الليل ٥ وروي ان النبي صلى الله
عليه واله وسلم صلى المغرب في المسجد الحرام ثم اسرى به الى بيت
المقدس ٥ وفي رواية اهل البيت عليهم السلم انه عرج به الى السما وصلى
الصبح في المسجد الحرام فلما اخبر به المشركين كذبوه وانكروا ذلك ٥
وقوله تعالى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير ٥ قيل
معنى باركنا بالثمار ومجاري الانهار التي تكون منها الخصب والسعة
وقيل باركنا حوله لمن جعلنا حوله من الانبيا والصالحين ولهذا جعله مقدسا
فتلك المواضع مواضع عباداتهم ٥ ومعنى لنريه من اياتنا نريه العجايب التي
فيها الاعتبار للمعتبرين ٥ ورد في الخبر انه اري تلك الليلة الانبيا
عليهم السلم حتى انه وصفهم واحدا واحدا كان اهم المعجزات كانت
له تلك الليلة كثيرة احدها ان المشركين لما كذبوه فيما كان يخبر به جعلوا
يسالونه عن احوال بيت المقدس وعما كان رآه في طريقه ما كانوا يعرفونه
فكان صلى الله عليه يصفهم شيئا شيئا ثم اخبرهم انه وجد في طريقه
قعبا مملوا ماء وكان عطشي فشرب الماء وغطاه كما كان ووصف
لهم ايضا احوال ابل كانت لهم في طريق الشام عليها المتاع ثم قال
لهم انها تقدم عليكم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق
فقعدوا ذلك اليوم مستقبلين لها فقال قائل منهم هذه والله الشمس
قد شرقت ولم تات الابل فقال اخر هذه والله العير يقدمها جمل اورق
كما قال محمد ٥ ومعنى انه هو السميع البصير سميع اقوالهم التي يقولونها
وعليم باعمالهم ولا يخفى عليه شي ٥ قوله تعالى واتينا موسى الكتاب وجعلناه
هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا ٥ قيل المراد بالكتاب
التوراة ها هنا جعلها الله دلالة لبني اسرائيل وسماه الله

عن ان يتخذوا شريكا مع الله والمراد بالوكيل هاهنا الشريك
وقيل لا يتخذوا وكيلا يعني حافظا لهم دوني فاعبدوني وقوله تعالى
ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا قال بعض
النحويين انه انتصب ذرية على النداء وكانه قيل يا ذرية
من حملنا مع نوح وهذا انه المخاطب في الحال ولم يكون من المكلفين
على ما يصح ويجوز من بلوغ البعض وبنو اسرائيل من ولد سام
بن نوح عليه السلام الذي كان معه في السفينة وقوله انه كان
عبدا شكورا الضمير الذي فيه راجع الى نوح عليه السلام ومعناه
ان نوحا عليه السلام كان عبدا شاكرا كثير الشكر فيما
يعامله الله تعالى وقوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا معنى القضاء هاهنا
الاخبار اي اخبرنا بني اسرائيل واعلمناهم انهم يفسدون في
الارض مرتين ويغلبون ولفظ القضاء في اللغة يتصرف على
وجوه واصله فصل الامر على احكام يقال قضى يعني حكم
ومنه اسم القاضي ويقال قضى حاجته قضاء اذا بلغ مناه ويقال
قضى نحبه اذا مات ومنه قوله تعالى فمنهم من قضى نحبه ومنهم
من ينتظر ويقال قضى يعني امر ومنه قوله تعالى وقضى ربك
الا تعبدوا الا اياه يعني امر واذا كان الفعل قد حذف الصلة
بالفاعل وقضى اليه يكون معناه اخبر واعلم كما قال في هذه
الاية وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب مرتين ويقال قضى
يعني خلق كما قال تعالى فقضاهن سبع سماوات في يومين يعني
خلقهن فاذا كان هذا اللفظ متصرفا على هذه الوجوه ثم قال

ان المعاصي بقضاء الله تعالى يجب ان يسال عما اراد بهذه الوجوه
ليبين وجه الخطا من وجه الصواب فان قال اريد بقولي
انها بقضاء الله انه خلقها فقد قام الدليل على ان الله لا
يخلق افعال العباد وان قال اريد انه امر بها فقد اجمع المسلمون
على ان الله لا يامر بالمعاصي وعليه نص الكتاب بقوله ان
الله لا يامر بالفحشاء وان قال اريد انه حكم بالمعاصي فان الله تعالى
لا يحكم بالباطل وانما الحكم بالحق وان قال اريد ان لله حكما
بالمعاصي بان حكم على العاصي بان توعده به وهذا لا يبعد ان
يكون صوابا وان قال اريد وجها غير هذه الوجوه سال ان يقول
قضاها بمعنى علمها لم يكن متكلما بلغة العرب فان قال
اريد به انه اخبر بان هذه المعاصي يكون ويفعل فهذا لا يبعد
ان يكون صوابا وان قال اريد به غير هذه الوجوه سال ان يقول
قضاها بمعنى علمها فقد مضى جواب ذلك ومعنى الاية انا اخبرنا
بني اسرائيل انهم يفسدون في الارض من ظلم العباد وخراب البلاد
والتغلب على الاموال وسبي الاولاد مرتين وسقطت الواو
من الجمع في لتفسدن ولتعلن لدخول نون التوكيد وقوله تعالى
فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا
خلال الديار وكان وعدا مفعولا معنى جاسوا انهم ترددوا بين
الديار وتخللوا بين الدور ومنه قول حسان بن ثابت
ومنا الذي لاقى بسيف محمد فجاس به الاعداء عرض العساكر
معناه تخللهم بسيفه واراد به عليا عليه السلام وقيل اصل الجوس
طلب الشيء باستقصاء ومعنى الاية ان الله تعالى اخبر بانهم يفسدون

مرتين فقال اذا جاء وعد المرة الاولى وظهرتم الفساد بعث
الله عليكم عبادا من خلقه وهم ناس اولوا باس شديد لكثرتهم
وقوتهم وكثرة اسلحتهم والتهم يغزونكم ويغلبونكم ويدخلون
دياركم ويستولون على اموالكم وهذا امر كائن لا محالة وهو
معنى قوله انه كان وعدا مفعولا ه وقيل يحتمل ان يكون معنى
بعثنا امرناهم بغزوكم لمعصيتكم وغزوكم باذن الله هذا
الوجه اختيار بعض العلماء الكبار وقيل المبعوث عليهم في الكرة
الاولى هو جالوت الى ان قتله داود عليه السلام ومن ذكر هذه
القصة في البقرة لا وقيل المبعوث عليهم بخت نصر
وقيل كان العمالقة وكانوا كفارا فعلى هذا الوجه يحتمل ان
يكون معنى بعثنا عليكم خلينا بينكم وبينهم حتى صرتم مخذولين
بمعصيتكم الله تعالى فلم يمنعهم ولم يخزهم كما ان غلبناهم وخوفناهم
حتى كنتم مطيعين لله ه والوجه الاول امر المسلمين بالغزو ه
والوجه الثاني التخلية بين الكفار وبين بني اسرائيل وفيه
خذلان لبني اسرائيل وعلى هذا الوجه انا ارسلنا الشياطين
على الكافرين تؤزهم ازا ه اي خلينا بينهم وبينهم خاذلين
لهم وقوله عز وجل ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم
باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ه معناه بعثكم عليهم
بعد ان غلبوكم وجعل لكم الكرة عليهم في الغنيمة ويرزقكم
اموالا واولادا ذكورا وجعلكم اكثر عددا منهم ه
وهو معنى قوله اكثر نفيرا قال بعض اهل اللغة يجوز ان يكون
نفير جمع نفر وهو معنى قوله اكثر نفيرا قال نفير جمع نفر

كعبيد وعبد فعلى التاويل الاول وهو ان الذين بعثوا عليهم كانوا
مطيعين لله تعالى يحتمل ان يكونوا اذا تولوا عن طاعة الله وزالوا
عنها فسلطهم وجعلهم فاظهر الله عليهم هؤلاء وعلى التاويل
الاخير يجوز ان يكون بنو اسرائيل اصلحوا وتابوا ورجعوا
الى الطاعة او اطاع الله بعضهم فظفروا باعدائهم بلطف الله
وحسن معونته وان كانوا اعداؤهم ما زالوا ظالمين وليس للجبرة
تعلق بها من الاية على الوجه الذي بينا تاويلها وقوله تعالى
ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها ه معناه ان
احسنتم واطعتم فلكم جزاء الطاعة والاحسان وان
فعلتم الاباء وعصيتم واساتم الى انفسكم فلزمكم العذاب
عليها وانما قيل بدل فعليها فلها للتقابل اللفظ كما قال احسن
الى نفسه مع انه جزء وقيل اضاف بعضها موقع بعض وقوله تعالى
فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم ه جواب اذا
محذوف وتقديره فاذا جاء وعد المرة الاخرة جاؤوا ليسوءوا
وجوهكم ه وقيل المحذوف بعثناهم ليسوءوا وجوهكم لانه
قال في ابتدا الاية لتفسدن في الارض مرتين الاولى يكون كذا
والمرة الثانية يكون كذا ه ومعنى ليسوءوا وجوهكم اذا جاء
ذلك الوقت وعد اخر اعداؤكم ليسوءوا بذلك البلاء ويظهر
اثر ذلك السوء في وجوهكم وقوله جل اسمه وليدخلوا المسجد كما
دخلوه اول مرة ه معناه وليدخلوا بيت المقدس في المرة الثانية
كما دخلوه في المرة الاولى فدل ذلك على انهم سيدخلون المسجد
مرتين ويخرجونهم منه ويغلبونهم على دينهم على ديارهم

قوله تعالى وليتبروا ما علوا تتبيرا ٥ التتبير الهلاك والعلو الغلبة ٥ معناه
وليهلكوا ما غلبوكم عليه من ديارکم واموالكم فعلى التاويل الاول
الذين غزوهم مطيعين لله كانت هذه اللام لام كي اي لكي يهلكوا
ما غلبوكم عليه وعلى التاويل الاخير كانت اللام لام العاقبة
على تقدير تغزوكم اعداوكم ان جلسوا بيتكم وسبيهم حرمكم لانا
لكم وتكون عاقبة امركم الاساءة من جهتهم ودخول المسجد
قهرا واهلاك ما غلبوكم عليه وليس للمجبرة تعلق بشي فيا في
هذه الايات اذا ضبط التاويل على الوجه الذي بيناه
عسى ربكم ان يرحمكم ٥ وعدهم الله تعالى انه يكشف عنهم
ما نزل بهم اذا تابوا وقوله تعالى وان عدتم عدنا ٥ معناه وان عدتم الى
مثل ما كنتم عليه من المعصية عدنا الى دفع النصر عنكم وادخال الرعب
في قلوب اعدائكم من الهيبة ليستجروا عليكم وقيل انهم عادوا
فبعث الله عليهم المومنين يذلونهم بالجزية والمحاربة ما داموا
متمسكين بما هم عليه وقوله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ٥
محبساه وقوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم واولى
ويبشر المومنين ٥ معناه ان هذا القران يهدي ويدل على
الديانة التي هي اقوم واولى بالاستقامة من غيرها وهي الاسلام
وقوله تعالى ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم
اجرا كبيرا ٥ معناه وفي القران بشارة للمومنين بان لهم الثواب
الجزيل على ايمانهم وطاعتهم وقوله تعالى وان الذين لا يومنون بالاخرة
اعتدنا لهم عذابا اليما ٥ قيل انما انتصب وان هاهنا للعطف لها
على ان التي في الاية الاولى لانهم يبشروا بما لهم من النعيم وبالعقاب

الذي لا عذابهم ٥ وقيل فيه وجه انما انتصب بحذف اللام على تقدير
ولان الذين لا يومنون بالاخرة عذابا اليما كما انه اعد للمومنين
الثواب الجزيل وقوله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير
وكان الانسان عجولا ٥ اي مستعجلا لا يصبر على ما لحق عليه ٥ وقيل
معناه ويطلب الانسان ما هو شر له لتعجيل الانتفاع له بدعائه
بالخير ٥ والذي يوضح هذا قوله وكان الانسان عجولا ٥ وقيل
معناه ويدعو الانسان على نفسه وعلى ولده بالشر عند الغضب
والضجر مثل ان يقول اللهم العنه واهلكه فيسرع الى الدعاء عليه
كما يسرع الى الدعاء عند حال الرضا ٥ وانما يكون هذا حاله
لانه ضجر عجول ففيه زجر عن الدعاء بالشر ٥ وقيل عجولا على طبع
ادم عليه السلام لما روي انه لما نفخ فيه الروح وبلغت الى رجليه رام
النهوض قبل ان تجري الروح في رجليه عاما وقوله جل اسمه وجعلنا
الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا
فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شي فصلناه تفصيلا ٥
معناه ان الله تعالى جعل الليل والنهار دلالتين على وحدانيته وعدله
وحكمته والليل والنهار يتعاقبان ~~يجعل الليل والنهار~~ التي على
مقدار مقدر وعجز القادرين عن فعل مثله فدل ذلك على قدرة قادر
وتدبير قاهر لا يشبه القادرين ولا يعجزه شي واخبر انه محا اية الليل
وهي الظلمة لانه لا يستبان فيها شي كما لا يستبان بالكتابة الممحوة ٥ وقيل
المحو السواد الذي في القمر وقوله تعالى وجعلنا اية النهار مبصرة
معناه مضيئة للابصار ٥ وقيل معنى مبصرة جعلنا اهله بصراء فيه
وهذا كما يقال رجل مخبث اذا كان اصحابه خبثاء ومنه قيل اعوذ بالله

من الحس الرحيم الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ٥ وكذلك
مبصرة معناه أن أهله يبصرون فيه ومعنى لتبتغوا فضلا من ربكم
لتطلبوا من الله الفضل والنعم والسعة ٥ ومعنى ولتعلموا عدد
السنين والحساب لتعلموا ما جعل السنين من الليل والنهار عدد
السنين كم مر منها وكم بقي ويتعلق بذلك كثير من الأحكام في المبايعات
والمعاملات وحساب الأشياء ونهاية الآجال في الديون وما جرى مجراها
ومن تعالى بأن فصل كل شيء يحتاج عباده إلى تفصيله فبينه لهم ودلهم
عليه وقوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ٥ معناه
وكل إنسان مكلف ألزمناه جزاء عمله في عنقه وذكر العنق
جملة الأعضاء لأنه قد يعبر به عن جملة الإنسان كما قال تعالى فتحرير رقبة
مؤمنة ٥ ومعناه نسمة مؤمنة ٥ وقيل وكل إنسان ألزمناه عمله من خير
أو شر وذكر بلفظ الطائر على طريقة العرب لأنهم كانوا يتبركون
بالطائر إذا جاء من ذات اليمين ويتشاءمون به إذا جاء من ذات الشمال
فجعل ذلك عبارة عن الخير والشر ٥ وقيل طائره هو ما صار إليه من
عمله وقيل يلزم الإنسان طائره في عنقه الحكم كالطوق في
عنقه لما في صون هذه من الداعي إلى الصلاح والزاجر عن الفساد ٥
وقوله تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا ٥ معناه ونخرج
له يوم القيمة كتابا كتب فيه عمله يقرأه فيحتج عليه بما قد ذكره وما نسيه
مما هو حجة ويستحق ما ناله إنما ناله على وجه الاستحقاق وقوله عز وجل
اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ٥ معناه يقال له يوم القيمة اقرأ
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك محتسبا بما عملت من خير أو شر
وقد أنصفك من جعلك حسيبا على نفسك بعملك ٥ وقيل حسيبا أي شهيدا

وهذه الآية في غاية الورود بالتخويف ولو لم يكن في القرآن في باب
التخويف سواها لكفى وقوله تعالى من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه
ومن ضل فإنما يضل عليها ٥ معناه من يمشي بطاعة الله
وسلك طريقة الهداية فلنفسه اجتهد ولنفسه أحرز
ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ٥
ومن ضل عن دين الله ولم يسلك طريق الهداية طـ[illegible] الله
وظلم نفسه بما فعل من الكفر والمعصية حتى ذهبا بعذاب دائم
لا انقطاع له ولم يخطر على قلب بشر ألوانه وضروبه وقوله تعالى
ولا تزر وازرة وزر أخرى ٥ معناه والله لا يأخذ أحدا بجرم
غيره وقيل فيه وجه آخر وهو أنه لا يجوز لأحد أن يعمل الإثم لأن
حمله غيره وهذا الوجه بعيد وقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا ٥ معناه ولا يعذب الله أحدا إلا بعد إكمال عقله وإرسال
رسول إليه لأن الحجة تلزمه من هذين الوجهين من جهة العقل ومن
جهة السمع فإذا لم يكمل عقله لم تلزمه حجة العقل وإذا لم يبعث
الله رسولا لم يلزمه حجة السمع فإذا أزاح العلل في كلتا الزمت
الحجة من كلا الوجهين فمن صادف ما أوجبه العقل وبعد ما جدده السمع
استحق العقاب بفعله القبيح فأثبتت الآية على أمرين عظيمين أحدهما
أن الله تعالى لا يجوز في حكمته وعدله أن يأخذ أحدا بجرم غيره
والثاني أنه لا يعذب أحدا إلا بعد لزوم الحجة عليه ٥ وجاء هو
عن طريق الحجة فدلت الآية على بطلان قول المجبرة في أن الله يعذب
أطفال المشركين بشرك آبائهم مع إقرارهم بأن الله تعالى يقول
لا يأخذ أحدا بجرم غيره وهو قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى

وقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ومعلوم ان الطفل
لم يلزمه جحد العقل ولا حجة السمع ومن يمكنه السمع الا بصيرة وهو كان
العمى معمى بصيرته ولا حيلة فيه وقوله تعلى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا
مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ه اصل المترف
المتطوف النعمة ومن وسع الله عليه النعمة فطو فيها مترف وفي هذه الاية من
جملة المتشابهات التي لا تعرف مراد الله بظاهرها لانه لو تعلق
متعلق بظاهرها لكان واصفا لله تعلى بصفة السفها المكارين
الذين لا يبالون بما يسمع منهم من افعالهم وان كان خارجا عن مقتضى العقل
وواقعا على وجه السفه او العبث كما يقول من هذه صفته اذا اردت
ان استولي على ملك بعض جدك واعرب ما هو سنعده ولما اراد سلب
ذلك منه من غير علة واردت هلاكه وقتله مع تلك واصرفه في
اموري ولا امكنني من كمال التصرف لضرب من الحيلة من غير ان يظهر
لساير جدي لكن اخذه بعلة وان كانت داحضة فاعزله عن
ملكه ثم اقتله ومن تاول الاية على ان الله تعالى اذا اراد
اهلاك اهل قرية امر البطرين منه ان يفعلوا ما علم انهم لا
يتمكنون منه ثم اخذهم بالعذاب لضرب من العلة ولان يفعل
ذلك لانه الملك والرب ولا يسال عما يفعل فقد وصف الله بصفة الفراعنة
المتمردين الجبابرة السفها واذا بطل هذا الوجه وجب النظر
في تاويل الاية لنتاول على ما دل الدليل عليه وقد دل الدليل على
ان الله لا يعذب ولا يهلك من لا يستحق العذاب والهلاك ولا
يكلف العبد ما لا يطيقه ولا يامر بالقبيح ولا يجوز في حكمته ان
ياخذ العبد بما في معلومه من حاله من غير وجود ذلك المعلوم
من جهته فاذا صح هذه الجملة كان تاويل الاية واذا علم الله

من حال اهل قرية انهم يستهلكون بما يفعلون من المعاصي امر مترفيها
وقد قرئ امرنا بالتشديد ومعناه جعلناهم بمنزلة الملوك في الامر
في اموالهم وعبيدهم بان رزقهم ذلك فلما عصوا وفسقوا ابطروا
وتجبروا اخذناهم بالعذاب الذي علم الله انهم يستحقونه بجرمهم
وعلى هذا الوجه صار بمنزلة الارادة مجازا وصار بمنزلة قول القايل
اذا اراد المريض ان يموت اشتدت امراضه واذا اراد التاجر
ان يفتقر اتته الوضايع من كل جهة وهو لا يريد ان يفتقر ولم
يصح هذا الوجه لم يكن لقوله تعلى ففسقوا فيها لانه اذا اراد الله اهلاكهم
من غير استحقاق لم يكن لذكر الفسق الذي لا يستحق العقاب معنى
وكذلك لم يكن لقوله فحق عليها القول فدمرناها تدميرا معنى وحاشى
كلامه عز وجل عن ذلك التدمير الاهلاك ومن قرا امرنا بالتشديد كان
معناه وجه اخر وهو انه اذا اردنا الحكم باهلاك اهل قرية امرنا مترفيها
على لسان رسول بعثناه اليهم ان يطيعوا الله فاذا عصوه حق عليهم
القول الذي اردناه باهلاكهم ه ومثل هذا من الكلام الفصل
من الخصوم امر سعيهم اليه ومعناه اذا اراد الحكم بالفصل وخص
المترفين بذكر الامر لانهم الرؤسا ومن دونهم تبع ومن قرا بالتخفيف
كان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا كما تقول امرتك فعصيتني وهي
قراءة السبعة ه وروي امرنا بالمد اي اكثرنا ومعنى فسقوا فيها تمردوا
في كفرهم وقوله تعلى وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح ه قيل
في مقدار القرن وجوه قيل مائة وعشرون سنة وقيل مائة سنة وقيل
اربعون سنة وقوله تعلى وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ه
معناه وكفى الله عالما بذنوب عباده وفيه غاية التهديد على الطف

ماخذ من اللطف ٥ وقيل دخلت الباء في قوله سوى ربك للمدح كما دخلت
في قوله فاكرم باهيكرم رجلا وطاب بطعامك طعاما واكرم به
رجلا وموضعه في كل هذا رفع ٥ قال الشاعر
وخبرني عن غائب المرء هديه كفى الهدي عما غيب المرء مخبرا ٥
فلما اسقطت الباء رفع وقوله جل اسمه من كان يريد العاجلة عجلنا له
فيها ما نشاء لمن نريد ٥ هذه الصفة التي ذكرها الله في الآية صفة
المنافقين والفاسقين الذين يريدون بعملهم الدنيا ومعناه من كان
عن صده ومراده بالجهاد الغنيمة التي يتوقع الظفر بها ولم يكن له
في ثواب الآخرة رغبة عجلنا له في ذلك ما نشاء على قدر استحقاقه
لذلك بسهمه من الغنيمة وبقدر ما يعلم تعالى انه استصلاح له في الدين
لا ان هذا هو الذي يريد الله اعطاه لعباده من الغنائم ومن لم
يكن استصلاحه معلوما لم يعط ذلك فلهذا ما صار مشروطا بالمشية
بقوله لمن نريد وقوله عز ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ٥
المدحور المباعد المطرود ٥ ومعناه ومن كانت هذه حاله كانت
نار جهنم مصيره وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا ٥ معناه
ومن اراد ثواب الآخرة بجهاده وغزوه وعمل الآخرة رغبة في ثوابها
وهو مؤمن فان الله تعالى شكر سعيهم وشكر حسناتهم وتجاوز
عن سيئاتهم فجعل الله الجزاء على الطاعات بمحله محل الشكر واجرا
هذا اللفظ في صفة الله مجاز وتوسع وهو في كونه مجازا مثل قوله من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا لانه لا استقراض على الحقيقة لا يجوز
على الله تعالى وقوله جل اسمه كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما
كان عطاء ربك محظورا ٥ المحظور الممنوع ٥ ومعنى الآية ان الله

تعالى يعطي البر والفاجر في الدنيا والآخرة خاصة للمتقين وعطاء
الله لا يكون ممنوعا وقوله تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا ٥ اخبر الله نبيه صلى الله عليه
انه لم يسو بين عباده في الرزق بقوله انظر كيف فضلنا بعضهم على
بعض ثم رغب في فعل الطاعات بقوله وللآخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا ٥ فبين ان فضل الآخرة في الدرجات اكبر واعظم
من فضل الدنيا وقوله تعالى لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما
مخذولا ٥ هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به سائر المكلفين
وهذا الخطاب مثل قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ٥ وقيل يجوز
ان يكون المخاطب هاهنا الانسان العاقل كانه قيل يا ايها الانسان
العاقل لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا لاشراكك بعباده
بربك غيره وفي هذا الموضع قد يسال فيقال هل يجوز نهي الانسان
عما لا داعي له اليه فيقال في الجواب نعم اذا كان الانسان ممن يكون له
داعي شهوة او شبهة مع زاجر الحكمة وقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا
الا اياه وبالوالدين احسانا ٥ معنى قضى هاهنا امر وقد بينت اول
هذه السورة وجوه القضاء ومعنى الآية امر الله جميع المكلفين بان
يعبدوا الله وحده ولا يعبدوا غيره وحكم عليهم به ووصاهم بالوالدين
احسانا ٥ والعامل في الباء في قوله وبالوالدين احسانا قضى ٥ وقيل
اوصى وان كان محذوفا ومعناهما متقارب لان العرب تقول امرته
خيرا واوصيته خيرا وقوله جل اسمه اما يبلغن عندك الكبر احدهما
او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ٥ معناه
فان بلغ والداك عندك مبلغ الكبر او احدهما فعاشا حتى كبرا

وطعنا في السن فلا تؤذهما بان تقول لهما اف وهذا كلام يقال
عند شيء تكرهه واذا منع الله من اذايتهما بهذا القدر دل فحوى
هذا الخطاب على انه لا يجوز ضربهما وشتمهما وسوء عشرتهما
وكانه قيل للمخاطبين يا ايها اذا بلغ الوالدان هذا المبلغ فلا
تتبرموا بهما ولا تقولوا لهما قولا يؤدي الى استخفاف في حقهما وتواضعوا
لهما في القول واحسنوا معاشرتهما ومعنى لا تنهرهما لا تردوا
عليهما ولا تزجروهما على وجه العنف والنهر الزجر على وجه العنف
ومعنى اف كلمة تدل على الضجر خرجت مخرج الاصوات والعرب
اف وتف واصل الاف وسخ الاظفار والتف كلمات وقيل نبذ من
حصى الارض وقيل معنى ذلك التبرم ه والاية خطاب للنبي صلى الله عليه
واله وسلم والمراد به سائر المكلفين لانه بعث الله النبي الرسول
صلى الله عليه واله لان ابويه لم يكونا حيين في وقت نزول
الاية ولا قبلها باوقات وقوله تعالى واخفض لهما جناح الذل
من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ه اي كما عالجاني
في حال الصغر وقوله تعالى ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين
فانه كان للاوابين غفورا ه الاعلم هو الاكثر المعلوم والاواب
التواب وقيل اصله الراجع من ذنبه بالتوبة منه اخبر الله عن
مبالغة صفته في كونه عالما وعدنا بالمغفرة لمن رجع عن ذنبه
بالتوبة منه وقوله تعالى وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن
السبيل ولا تبذر تبذيرا ه ذو القربى هو الذي له القرابة من
غيره ه وروي عن علي بن الحسين زين العابدين صلوات الله عليهما
ان المراد به في هذا الموضع قرابة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم

امر رسول الله صلى الله عليه واله ان يؤتي قرابته حقهم
وان يؤتي المسكين وابن السبيل حقهم من المال الذي يقع لهم
الحق فيه ه وعلى القول الاول امر النبي عليه السلام المكلفين ان
يؤتوا ذوي القربى ونهى عز وجل عن التبذير وهو التفريق بالاسراف
وقيل التبذير انفاق المال في غير حقه وقيل هو النفق مبذرا في باطل
كان ذلك تبذيرا وقد اتى النبي عليه السلام ذوي قرباه حقهم فالويل
لمن عصاهم والويل لمن لم يعرف حقهم وقوله تعالى ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ه صار المبذرين
اخوانهم لاتباعهم اثارهم التي دعوهم اليها وجريهم على سنتهم وقيل
سموا اخوانهم لانهم يقرنون بالشياطين في النار وسمي الشيطان كفورا
لربه وهو المبالغ في الكفر العاتي فيه وقوله تعالى واما تعرضن عنهم
ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ه معناه وان اعرضت
عن هؤلاء الذين امرك الله باعطائهم في وقت اعوازك ما يطلبونه وتعلل
ذلك الطلب رزقا من ربك وسعة فقل لهم عند ذلك قولا سهلا لينا ان
يقول الله يرزق ويعطي وما اشبه ذلك والمضمر في فقل عنهم عائد
على القوم الذين تدل الاية باعطائهم حقوقهم وقال بعض العلماء قد
يكون الاعراض عنهم عند خشية ان يفروا بالعطية على معاصي الله تعالى
فيكون معنى ابتغاء الرحمة على هذا الوجه ومعناه وتطلب رحمة الله
لهم بالتوبة والوجه الاول اقرب وقوله سبحانه ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ه لما ادب
الله المبذر ذم الممتنع عن العطاء اصلا ايضا فلهذا ما نهى عن
قبض اليد عن العطاء ومعناه لا تقبض يدك عن العطاء اصلا

ولا تبسطها كل البسط واطلب من القصد المتوسط سبيلا وهو
الاقتصاد والملوم الذي يلام والمحسور المنقطع لذهاب ما في
يده واصل الحسير الكشف وقوله جل اسمه ان ربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر معناه ان الله تعالى يبسط الرزق لمن
يشاء وهو الذي المعلوم من حاله ان المصلحة له ويضيق الرزق
على من يشاء وهو الذي المعلوم من حاله ان الضيق اصلح له ومعنى
ويقدر يضيق وهو مثل قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما
اتاه الله معناه ومن ضيق عليه والاصل فيه قوله تعالى ولو بسط
الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء على
حسب المعلوم في المصلحة من حالهم وقوله جل اسمه انه كان بعباده
خبيرا بصيرا معناه عالما بحالهم وهذا الدليل على ان الرزق
على حسب المعلوم والمصلحة وقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية
املاق نحن نرزقهم واياهم ان قتلهم كان خطا كبيرا الاملاق
الاقتار نهى الله تعالى عن قتل الاولاد خوفا من الاقتار واخبر
تعالى انه عليه رزقهم ورزق الاباء وبين ان قتل الاولاد خطا
كبيرا والخطا هو ترك الصواب وقيل الخطا بكسر الخاء لا
يكون الا عمدا والخطا بفتح الخاء قد يكون من غير عمد وموضع ولا
تقتلوا يحتمل النصب والجزم فالنصب على معنى وقضى ربك الا تعبدوا الا
اياه والا تقتلوا اولادكم واما الجزم فعلى معنى النهي وقوله تعالى
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق نهى الله عز وجل عن قتل
النفس التي حرم قتلها الا بالحق بقصر حقا بان يفعل ما يلزم
القود او يرتد فيقتل او يزني وهو محصن وقوله تعالى

ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا قيل معنى السلطان
ها هنا وجوه القوة والعفو والطاعة والقود والولي قيل
هو الوارث من الرجال وقيل هو كل من كان له ان يطلب دم
صاحبه وقوله تعالى فلا يسرف في القتل انه كان منصورا قوله
فلا يسرف نهي قيل هو نهي الولي ان يقتل غير قاتل صاحبه وكانت
العرب يتعدى الى غير القاتل من الحميم والقريب فلما جعل الله سلطانا
نهاه عن التعدي وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وقيل هو خطاب
لولي المقتول كأنه قيل له لا تسرف ايها الولي فقد قلت موضع لا تقتلوا
من الاعراب في قوله ولا تقتلوا اولادكم فالهاء في قوله انه عائدة
على الولي وقيل على المقتول والاول اقرب وقوله منصورا يحتمل
وجهين يجوز ان يكون نصرته بان حكم الله له بذلك ويجوز ان يكون
نصرته بان يامر النبي صلى الله عليه وآله والمومنين ان يعينوه وقوله تعالى
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده معناه
لا تاخذوا اموال اليتيم ولا تتصرفوا فيها الا على الوجه الذي هو احسن
حفظا له وتثميرا بالزيادة فيه وفعل ما لا بد منه اصلح له
وغاية اشده قيل هي ثماني عشرة وقيل الاحتلام مع سلامة العقل
وايناس الرشد وهذا هو الاظهر وانما خص مال اليتيم بالذكر
وان كان التصرف في اموال الناس منهي عنها ولها على الوجه المحظور
لان اليتيم الى حفظ ماله عليه احوج من غيره وسوء الطمع الى مثله
اكثر وقوله تعالى واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا
قيل معناه ها هنا اوفوا بالعهد في الوصية بمال اليتيم وغيرها من
الوصايا التي هي الحق وقيل كل ما امر الله به ونهى عنه فهو من العهد

ومعنى مسؤلا يسئل المكلف عنه فحذف لانه مفهوم وقيل العهد
مسؤلا بان يقال لمن عهد لم نقضته وهو كما قال الله تعالى واذا الموؤدة سئلت
باي ذنب قتلت وقوله جل اسمه واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا
بالقسطاس المستقيم قيل في القسطاس وجوه احدها الميزان
صغيرا كان او كبيرا والقبان العدل ويوافق هذا اللفظ مواضعه
اهل الروم وقيل فامر الله تعالى بايفاء الكيل وبالعدل في الوزن
وقوله تعالى ذلك خير واحسن تاويلا اصل التاويل التفسير الذي يرجع
اليه المعنى وبين تعالى ان ايفاء الكيل والعدل في الوزن انفع للمكلف
واحسن ثوابا في العاقبة وقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان
السمع والبصر والفؤاد اصل القفو هو اتباع الاثر يقال قفا اثره
يقفو فكانه قيل للمكلف لا تقل سمعت ولم تسمع ورايت ولم تر
ولا علمت ولم تعلم ويدخل في ذلك من اجتهد في احكام الشرع وقاس
لانه نهي عن اتباع ما لا علم له به واجتهاد الراي والقياس ليسا من باب
العلم ولا يحصل به علم وانما يحصل عنده الظن وقوله تعالى ان السمع والبصر
والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا بين الله تعالى ان المكلف يسأل
عما اصغى اليه سماعا مما لا يحل له وما فعله ببصره مما حظر عليه
وما اعتقده بقلبه مما حرم عليه اعتقاده وهذا وعيد صعب
قال رجل لجعفر بن محمد عليهما السلام اني ربما ادخل الخلا
ولي جار فاسق يتغنى في وقت تصويت العود فاسمع ذلك
في شغل فقال لا تسمع اليه فقال له الشيء اكون اتعمده فقال له لا تسمع
اليه اما سمعت الله تعالى يقول ان السمع والبصر والفؤاد كل
اولئك كان عنه مسؤلا فقال الرجل كاني ما قرات هذه الاية في كتاب

الله جل وعلا وقيل انما قال كل اولئك كان عنه مسؤلا ولم يقل كل
ذلك لان اولئك وهؤلاء للجمع القليل من المؤنث والمذكر فاذا اريد
الكثير جاءت بالتاء فقيل هذه وتلك قال الشاعر
ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام وقوله تعالى
ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا
قيل في المرح وجوه ستة الفرح والتبختر والخيلاء والكبر والاشر
والبطر وقيل هو تجاوز الانسان قدره مستخفا بالواجب عليه فنهى
الله تعالى عن المشي في الارض على سبيل المرح ووجه النهي فيه ان المشي
في الارض مرحا من عجز ان يكون على ما يدعو اليه الحكمة فعل قبيح من فعل
السفهاء ومعنى انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا انك لن تبلغ ما
تريد بكبرك وتبلغ فاذا لم يمكنك ان تبلغ هذا فما وجه المباهرة على
ما هذا سبيله مع زاجر الحكمة عنه وقيل انك لن تخرق الارض
من تحت قدمك ولن تبلغ الجبال بطاولك وهو مثل ضربه لهم
وقوله جل اسمه كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ما عدد الله المعاصي
في الاي التي تقدم ذكرها ثم قال في اخرها كل ذلك كان سيئة وانها مكروهة
عند الله تعالى والكراهة ضد الارادة ولو كانت المعاصي بارادة
الله لم يكن مكروهة عنده لانه لا يجوز ان يكون الشيء مرادا مكروها
من وجه واحد كما لا يجوز ان يكون المحل الواحد اسود ابيض في حالة
واحدة لتضاد السواد والبياض ودلت الاية على بطلان قول المجبرة
في وصفهم خالقهم بانه مريد للمعاصي قبحها وبعدا لمن ترك دلايل
العقل والكتاب وتعلق بالهوس المحض في وصفه لله بالعبث والسفه
والظلم وقوله تعالى ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة قوله

ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره ٥ والحكمة هاهنا الدلايل المودية
الى المعرفة بالحسن وتمييزه عن القبيح وبالواجب مما لا يجب وكل ذلك
مبين في القران فالقران هو الحكمة البالغة ومعناه ان الذي اوحينا
اليك مما تقدم ذكره هو من الحكمة البالغة وقوله تعلى ولا تجعل مع
الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ٥ معناه لا تشرك
بالله فتلقى في نار جهنم مطرودا عن رحمة الله والدحور بمعنى
بعد رحمة اذا طرده وقد مر في غير موضع بان هذا الخطاب
انه توجه الى غير النبي صلى الله عليه فلا وجه لاعادته هاهنا وقوله تعلى
افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملايكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ٥
الالف في قوله افاصفاكم الف انكار على صيغة السوال عن مذهب
قبيح ولا جواب لصاحبه الا بما فيه اعظم الفضيحة ٥ ومعناه ان اخلص
لكم البنين دونه وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه واختصكم
بالاجل وجعل لنفسه الادون دل بهذا الانكار على من زعم ان الله
تعلى اتخذ ولدا وان الملايكة بنات الله وقوله تعلى انكم لتقولون
قولا عظيما ٥ نظيره قالوا اتخذ الله ولدا وقال وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا لقد جيتم شيا ادا تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وقوله تعلى
ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا ٥ معناه
ولقد صرفنا الايات والدلايل والامثال والمواعظ للعبرة والنهي وبعضها
ما يزداد عند نزول الايات وضرب الامثال واستماع المواعظ الا نفورا
لاعتقادهم انها سحر وحيل فاضاف الزيادة الى الايات توسعا وهو
مثل قوله تعلى واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم

والسورة لا تزيد الرجس الا انهم لما ازدادوا الرجس عند نزول السورة
حسن اضافة الزيادة الى السورة توسعا ومجازا وكذلك اضافة زيادة
النفور الى الايات هاهنا وقوله تعلى قل لو كان معه الهة كما يقولون
اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ٥ معناه قل لهم يا محمد على وجه
الاحتجاج لو كان مع الله الهة كما يدعون لطلبوا ما يقربهم اليه
لعلوه عليهم وعظم عزته عندهم وقيل لابتغوا سبيلا الى معاداته
ومغالبته كما قال تعلى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقوله تعلى
سبحانه وتعلى عما يقولون علوا كبيرا ٥ معناه ان الله منزه عما يقوله
الجاهلون به وعلا علوا كبيرا فعال علوا لا يغالب كما قال تعلى
وتبتل اليه تبتيلا ولم يقل تبتلا وقوله تعلى تسبح له السموات السبع
والارض ومن فيهن ٥ معناه تنزه الله جل وعلا عن القبايح وعما لا
يليق به السموات والارض ومن فيهن من العقلا وتسبيح العقلا معلوم
كيف يكون ٥ وقد بينا في غير موضع من هذا الكتاب كيفية تسبيح
الحيوانات التي ليست بعاقلة وكيفية تسبيح الجمادات فلا وجه
لاعادته هاهنا وقوله تعلى وان من شي الا يسبح بحمده ٥ معناه وما
من شي الا ويسبح لله يخرج هذا الكلام على وجه العموم وكانه قيل
كل شي يسبح بحمد الله من جهة خلقه او من جهة معنى صفته لان كل
موجود سوى الله تعلى فهو حادث يدعو لحاجته الى الصانع الى العلم
الله الذي هو صانع غير مصنوع والحادث يدعو الى اثبات قديم
غني بنفسه عن كل شي وعموم هذا الكلام على هذا التاويل يدخل
فيه كل شي حتى صرير الباب وعلى هذا التاويل معنى قوله ولكن لا تفقهون
تسبيحهم كانه قيل ولكن لا يعلمون بها الكفار الا العالمون بالله ووجوه

الا سند لا الى توحيده وعبادته وقال بعض العلماء هذا الكلام محصور
كانه قيل وما من شي من احيا العقلا العارفين بالله الا ويسبح بحمده وقوله تعالى
انه كان حليما غفورا ه الحليم هو الذي لا يعاجل بالعقوبة فاقتضى ذكره هاهنا
ما تقدم من القول الشنيع من الكفار الموجب للعقاب وان الله لم يواخذهم
به في الحال وقوله تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا
يومنون بالاخرة حجابا مستورا ه معناه فاذا قرات يا محمد القران جعلنا
بينك وبين الكفار حجابا ه وروى ان الاية نزلت في قوم
كانوا يوذون النبي صلى الله عليه وآله وسلم لانه كان يستدعي الناس الى دينه
بصلوة الليل وتلاوة القران وكان جماعة من الكفار يسمعون اثره
فاذا سمعوا قراته اذوه ومنعوه بذلك الخروج الى الكعبة ه
ومعنى قوله حجابا مستورا اي مستورا عن ابصار الناس على هذا التاويل
ويجوز ان يكون قد شغلهم عنه بمرض وغيره وقيل معنى جعلنا بينك وبينهم
حجابا مستورا عن ان يدركوا ما ياتي به الحكيم من القران فسمعوا
به ونظيره قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا ه
وقيل وقع لفظ مستورا هاهنا موقع ساتر كانه ساتر لهم عن ادراكه
كما قالوا انه مستور عليهم وقالوا في قصة ميمون في موضع شايم وايمن
وقيل امر لهم فيها اعرضوا عنه منزلة من بينك وبينه حجاب وكان اعراضهم
عن التدبر فيما يقراه ليفهموه ويسمعوا به منزلة الحجاب المانع لهم من ذلك
وقوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا ه الاكنة
الستور بعد الكن والاكنان واكنة اي جعلنا على قلوبهم اكنة لئلا يفهموه بهذه
الصفة بالحكم عليها بانها كذلك لا انا جعلنا فيها ما منعهم عن ذلك فيه
بالاعراض عما يدعو اليه النبي ويقرا عليهم بهذه المنزلة فاخرج الكلام

مخرج الذم لهم على الامتناع من فهم الحق والاستماع اليه لما يظهر معاينة
مع الاعراض عنه عداوة له ونفورا عنه وهذا معنى التاويل الاول
لقوله جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا
وقيل ان الله تعالى منعهم عن ذلك في وقت مخصوص لئلا يوذوا النبي
صلى الله عليه وآله وسلم وهو معنى التاويل الثاني للاية الاولى واصل
الثقل في الاذن كالصمم ه ومعناه كان قلوبهم في اكنة وكان
في اذانهم وقرا عن فهم ما يقراه عليهم ومن استماعه وقوله تعالى
نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى ه روى
انهم كانوا اذا استمعوا الى النبي صلى الله عليه وآله وما يقرا يتناجون
فقايل يقول انه مجنون وقايل يقول انه ساحر ه وقايل يقول انه
ياتي باساطير الاولين وكان من جملتهم الوليد بن المغيرة فاخبر الله نبيه
صلى الله عليه وآله وسلم بما كانوا عليه ومن انه اعلم بما هم عليه عند استماعهم
وبما يقولونه ويعرضونه في الاستماع ه وهذه تسلية له وقوله تعالى اذ
يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ه معناه هولا الكافرون
الذين يتناجون عند قراتك يقولون لاصحابهم ويقول بعضهم لبعض ما تتبعون
الا رجلا مسحورا وارادوا به انه سحر واختلط عليه امره فهو مسحور
على هذا الوجه ماخوذ من السحر وعرضهم بما قالوه السحر عنده ه
وقيل ارادوا بالمسحور المسحر وهو الرية وارادوا بذلك انكم
ما تتبعون الا رجلا منحوفا الا يستغني عن الطعام والشراب
فهو بشر مثلنا وهذا مثل ما حكى الله عز وجل عن الذين قالوا ما
لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك
فيكون معه نذيرا وكما حكى الله عن قوم صالح عليه السلام فقالوا انما

واحد اسعه انا لفي ضلال وسُعُرٍ والعرب تقول للجمل
قد اسحر سحره ه وروى ان ابا جهل حلف بانه لن يرد بلده او يعلم
بها عشرا ويشرب بها خمرا فقال لعتبة قد انتفخ
سحري فقال عتبة ستعلم مصفرا استه غدا من الذي انتفخ سحره
قال الشاعر ه ويسحر بالطعام وبالشراب ه وقيل مسحور
مخدوع ه والعود جمع ناقر كقعود وقاعد وقوله تعالى انظر
كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ه هذا تسليه
للنبي صلى الله عليه وسلم عن الغم الذي كان يلحقه بضرب الكفار له
الامثال تارة بانه مجنون ومرة بانه ساحر وتارة بانه شاعر ومرة
بانه هاذي ومرة بانه مسحور وما اشبه ذلك يعني الصورتين ويعتبرا
للناظرين عند تبيله لعلهم قوله فاخبر الله بانهم خابوا وضلوا عن مرادهم
ولم يجدوا سبيلا الى تحصيل ما طلبوه وارادوه وهو معنى قوله فضلوا
فلا يستطيعون سبيلا وقوله تعالى وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا انا
لمبعوثون خلقا جديدا ه الرفات كل ما تحطب وتكسر لغار متنا رفت
يرفت رفتا وهو مرفوت وقيل هو التراب وهذا الرجع الى ما قلناه
ومعناه والنبي صلى الله عليه وسلم اذا خوفهم بالقيامة والبعث قالوا
على وجه الانكار والاستبعاد اذا صرنا ترابا بعد ما صرنا بعد ذلك
خلقا جديدا واعدنا احياء كما كنا فهذا شيء مستحيل وقوله تعالى
قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم ه امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه
ان يقول لهم في الجواب عما ذكروه واستبعدوه على طريق الاحتجاج عليهم
لو كنتم حجارة او حديدا او خلقا ما يكبر يستعظمونه وهو قوله مما يكبر في صدوركم
قيل هو السموات والارض والجبال وقيل هو الموت فكانه قيل لو كنتم بدل الجسم

والعظم حجارة او حديدا او خلقا ما هو مستعظم عندكم فلا بد من
احيائكم بعد اماتتكم وبعد ان صرتم رفاتا وقوله تعالى فسيقولون
من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة ه معناه واذا قلت لهم قالوا لك
في الجواب عنه من الذي يحيينا ويعيدنا بعد ان صرنا عظاما رميما اشترا
مما تقوله لهم واستبعادا فقل لهم في الجواب عند ذلك انما
يحييكم بعد موتكم الذي اخرجكم من العدم الى الوجود لا من
اصل وعنصر اي من غير احتذاء لما اخترعه ابتداء وهو معنى قوله فطركم
فالقادر على هذا قادر على اعادتكم بعد اماتتكم بل بعد فنائكم
وقوله تعالى فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى
ان يكون قريبا ه النغض والانغاض تحريك الراس بارتفاع
وانخفاض وقيل للظليم نغض لانه يحرك راسه في مشيه قال الراجز
وينغض من هرم اسنانها ه وقال اخر لما راتني انغضت لي الراس ه
معناه واذا اجبتهم بان المحيي لكم هو المخترع لكم ابتداء زادوا
في الاستهزاء بهذا القول وحركوا رؤسهم تحريك المستهزي
الذي يرفع راسه مرة ويخفضه اخرى فعل اللاعب بالشيء والضاحك
منه ويعدوا انه لا شيء واذا فعلوا هذا فقل لهم في الجواب بان
ما اعده لكم قريب وهو كائن لا محالة وقوله جل اسمه يوم يدعوكم
فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا ه معناه
وهذا يكون يوم يبعثكم الله ان يخرجهم الله اخرجوا من الاجداث
الى ارض القيمة للحساب واكثر فتجيبون الداعي حامدين
وهو معنى قوله بحمده وهو كما يقال جاء بغضب اي جاء غضبان
وقيل معناه تستجيبون على ما يقتضي الحمد لله قال الشاعر

فانى جعل الله لا يموت فاحر لبستى لامر عنده انقنع هم وقال
بعض العلما هذا النداء يكون كلاما طاهرا يسمعه الخلايق
وغيرهم وقال غيره هذا الدعا هو الصيحة التي يسمعها كل
الخلق فيخرجون الصيحة داعية لهم الى الاجتماع في ارض القيمه وقوله تعلى
وتظنون ان لبثتم الا قليلا اي هذا تعريف لوقت القيمه وهو كما
قال بعض الواعظين كانك بالدنيا لم تكن وبالاخره لم تزل الفنا
الدنيا وقرب الاخره ودوامها ابدا ه وقيل انهم يرون من سرعة
الرجوع يظنون قلة اللبث في القبور لانهم لا يشعرون المده
التي مرت بهم وهم اموات ه وقيل هو على معنى احتقار الدنيا
حين عاينوا القيمه وقيل يظنون انكم ما لبثتم في الدنيا الا
قليلا لطول لبثكم في الاخره وقوله جل اسمه وقل لعبادي يقولوا
التي هي احسن ه قيل في معناه وجهان احدهما قل لعبادي يقولوا
لا اله الا الله لانه احسن من قولهم ان الاوثان الهة ه والوجه
الثاني قل لهم يامروا بما امر الله وينهوا عما نهى الله عنه وقوله تعلى
ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا
مبينا معنى ينزغ بينهم يغري ويغري الشيطان الكفار
بالمومنين فاخبر الله تعلى ان الشيطان عدو للمومنين عداوته
وقوله تعلى ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم وان يشا يعذبكم
معناه الله اعلم بعباده وباحوالهم من النبي صلى الله عليه ومن
المومنين فامرهم الى الله لا الى غيره ه وقيل فيه تحذير عن
اتيان القبيح وترغيب في الجميل لان الله عالم بالضماير
وباحوال العباد وهو المجازي ه ومعنى وان يشا يرحمكم

اي ان الله يرحمكم بتوبتكم ومعنى وان يشا يعذبكم
باقامتكم على معصيتكم وانما كان كذلك لانه كلام الحكيم
والوجود واقع على وجه المجاز فهو انه لا يشا ان يرحم من لا يستحق الرحمه
ويعذب من لا يستحق العذاب لان ذلك كلام السفها جل
الله عن السفه وقوله جل اسمه وما ارسلناك عليهم وكيلا ه
معناه وما وكلناك عليهم بان تمنعهم من الكفر بالله اكراها
وجبرا وقوله جل اسمه وربك اعلم بمن في السموات والارض ه
معناه ان الله اعلم بمن في السموات من الملايكه والانبيا عليهم
السلم وسائر عباده لانه خالقهم ومختبرهم وقوله جل اسمه ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض واتينا داوود زبورا ه قيل معناه انه فضل
بعضهم على بعض با اعطاهم في الابتدا من كتبه واياته ودلايله
وفضلهم ايضا بما استحقوه من الثواب عنده وقد يكون تفضيل من
هو في اعلا المراتب من الفضل بعضهم على بعض لان اعلى المراتب
في الفضل طبقات بعضها على بعض وان كانت المرتبة الوسطى لا
تلحق العليا ولا تلحق مرتبة من ليس هو مرسل النبي ابدا في تفضيل
الافضل واجب في حقه ه قيل ذكره وربك اعلم
ليدل به على ان تفضيل الانبيا عليهم السلم بعضهم على
بعض وقع موقع الحكمة لانه من علم باطن الامور ومن خلق
داوود عليه السلم باعطا داوود الزبور وهو كتاب الذي انزل
عليه وقوله جل اسمه قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون
كشف الضر عنكم ولا تحويلا ه امر الله تعلى نبيه صلى الله عليه واله
ان يقول للكفار ادعوا الذين زعمتم انها الهتكم من دون الله

ليكشفوا الضر عنكم وليخلصوكم من ضيق العيش ويحولوكم
الى الخصب والسعة وفي ذلك بيان عجزهم عن ذلك اه وقال
بعض العلماء يدخل في جملة المعنى بقوله قل ادعوا الذين زعمتم
من دونه الملائكة عليهم السلام والمسيح صلى الله عليه اه وقد
قيل ان قوما كانوا يعبدون الجن فعذبهم بذلك وروى
عن عبد الله بن مسعود انه قال اسلم اولئك النفر من
الجن وبقي الكفار الذين كانوا يعبدونهم على عبادتهم اه
وقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم
اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا
رجع بالكلام الى ذكر الانبيا عليهم السلام الذين ذكرهم
في الاية الاولى وفضل بعضهم على بعض اه ومعناه انهم يدعون
الله تعالى باقرارهم بالالهية لهم ويطلبون القربة اليه بالمنافسة
في الطاعة ويرجون مع ذلك نعمة الله ويخافون عذابه وهذا
بيان اظهار للعبودية والافتقار اليه وقوله تعالى وان من قرية
الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا
كان ذلك في الكتاب مسطورا اه معناه وما من اهل قرية الا
ونهلكهم قبل يوم القيمة بضرب من الهلاك اما بالموت او بعذاب
الاستيصال وهو العذاب الشديد المذكور في الاية اه وبيان
ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ عبرة للملائكة عليهم السلام
وقوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون اه
معنى الاية لم نرسل الايات لاجل ان لا يكذب بها هؤلاء كما كذب
بها من كان قبلهم فيستحقوا العاجلة بالعقوبة وهذه الايات

التي نرسلها الله قيل هي ما سالت قريش النبي صلى الله عليه وسلم
سوالهم حول لنا الصفا ذهبا فاوحى الله الى نبيه عليه السلام ان
فعلت ما سالوا ثم لم يومنوا لم نمهلهم كسنتي فيمن قبلهم اه وقيل
قوله تعالى حاكيا عنهم وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
الاية وقوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها اه معناه واتينا
صالحا عليه السلام المعجز من جهة الناقة الخارجة من الجبل وكانت
الناقة مبصرة على معنى يبصر الناظرين بها ما فيها من الايات والعبر
الهادية من الضلالة والمبعدة من الشقا ويجوز ان يكون تقدير
مبصرة ذات ابصار وقوله تعالى فظلموا بها اه معناه فظلموا انفسهم
بعقرها وقتلها وقوله تعالى وما نرسل بالايات الا تخويفا اه اي
للمكلفين عبرة وعظة لهم لينزجروا عن المعاصي وهذه الايات
التي تقدم الحجة بها عليهم وقوله تعالى واذ قلنا لك ان ربك احاط
بالناس اه معناه وقلنا لك يا محمد ان الله ربك احاط بالناس علما
باحوالهم وبما يفعلونه وبما يصلحهم فلا يفعل شيا خلاف الصواب
والمصلحة ولا يكلفهم الا مصلحة لهم فيه فاذا ارسل الايات
ارسلها حكمة وصوابا وحسن نظر ولكن منعهم ذلك لكونه
اصلح وقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس
والشجرة الملعونة في القران اه قيل هذه الرؤيا هي رؤية عين
وهي ما اراه ليلة اسري به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو
بيت المقدس ثم من المسجد الى السما فلما اخبر المشركين بما راى
كذبوا به فصار ذلك فتنة اي امتحانا وتشديدا في التكليف اه وقيل
هي رؤيا نوم وهي ما راه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فما ولها على

على فتح مكة ولم يخبر الناس متى يدخلونها فلما صدّه المشركون
ومن معه من المسلمين من دخول مكة عام الحديبية صعب ذلك على
كثير من الناس ولم يعلموا ان تأخر حكم الرؤيا من الجائزات
وكان الله تعالى لم يعدهم كون ذلك في وقت بعينه وانما
وعدًا مطلقا فلما صعب عليهم ذهب بعض الصحابة الى صاحبه
وقال له أليس قد وعدنا دخول مكة فقال له صاحبه هل وعدكم ذلك
في عامكم هذا فقال ستدخلون مكة بعد ذلك في تحقق الوعد فصار
هذا فتنة للناس من هذا الوجه وهو التشديد في التكليف والامر
الذي يصعب احتماله فلما كان عام القابل دخلوا مكة في ذلك الوقت
الذي قصدوا اليه وهو قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا
بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين الاية ه وقال بعض
العلماء ان هذه الشجرة المذكورة في الاية هي شجرة خلقها الله
في النار فجعلها طعام اهل النار وهي شجرة الزقوم المذكورة
في القرآن وسمّى نفس الشجرة ملعونة على تقدير ملعون من اكلها
وجعلت طعاما فاجرى اللعنة على الشجرة توسعا ومجازا فصار
ذلك فتنة ومن تلك الفتنة قول ابي جهل ودونه اني النار تاكل
الشجرة وكيف تنبت الشجرة فيها وقالوا ذلك استهزاء واستخفافا
لكلام الله لعنهم الله ه وقال هذا المفسر ومعنى ونخوفهم
فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ه وهو الافراط في الكفر والتخويف
لا يزيد الطغيان وانما يخبر عنهم الا انهم لما ازدادوا الطغيان
في الكفر عند التخويف صح اضافة الطغيان اليه مجازا وقد
مر نظير ذلك في غير موضع ه وروي من طريقة ال الرسول عليهم السلام

وجه اخر وهو ان النبي صلى الله عليه وآله كان متوسدا حجر علي
عليه السلام فنام فرأى في منامه بني امية يصعدون منبره على وجه
منكر هائل ورأى الناس معتنين بذلك فانتبه متغير اللون كئيبا
فقال له علي عليه السلام ما لي اراك فداك ابي وامي متغير اللون كئيبا
فاخبره بما رأى ه وقد يعبر بالشجرة عن اهل البيت في اللغة الا
ترى الاصل الذي يرجع اليه انساب العلوية يسمى الشجرة تشبيها
بالشجرة التي ترجع اليها ولم يكن فتنة للناس اصعب واشد على
المؤمنين مما كان في ايام بني امية غلبة الباطل ووضع الحق وحز السن
اهل الحق بالسيوف المشهورة واظهار لعن ال رسول الله على
المنابر وصعب التكليف في ذلك الوقت صبرا على الاضطهاد
والا انتظارا للفرج ثم ان الله تعالى انزل على رسوله صلى الله عليه وآله
انا انزلناه في ليلة القدر تسلية عما عزاه فاكرمه بليلة القدر التي
هي خير من الف شهر ه ومعناه عبادة تلك الليلة انفع من عبادة الف
شهر ليست فيها ليلة القدر ه وقيل ذلك بمدة الف شهر لقوام
ملك بني امية هذه المدة على هذا الوجه المروي عن ال رسول الله
صلى الله عليه وعليهم اجمعين ه يرجع الكناية في قوله ونخوفهم الى بني
امية لانهم مكلفون يخوفهم الله بعذابه اذا خالفوا وعادوا ال
رسوله فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا قوله عز اسمه واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا ه
قد مر بيان هذه الصفة في غير موضع من هذا الكتاب والالف
التي في قوله أأسجد استفهام متضمن للانكار وهو مثل قوله
تعالى حاكيا عن ابليس حين قال له ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال

قال الله في الجواب انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ووجه اتصال
هذه الاية بما قبلها على تعديد ما نزل بهم الاطغيانا كبيرا فمفضن طين
الملتبس عليهم بمحل الفهم موجب تعديد لهم على اسمرى عليهم وقوله تعالى
قال ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيمة لاحتنكن
ذريته الا قليلا حكى الله تعالى ما خاطبه ابليس اللعين وهو انه
قال لان بقيتني الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته من جهته علي وهو
ادم عليه السلام الا قليلا منهم لا سلطان لي عليهم الا انهم لا يطاوعوني
وهم عباد الله المخلصون كما حكى الله عن ابليس في موضع اخر لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فسر الله تعالى نهاية حسد هذا
الملعون مع انه كان عارفا بالله وبعزته مقرا بالقيامة محله الكيد
على ان كفر واصر عليه وبعبرة بالعمل لمن اعتبره وقيل في تاويل لاحتنكن
وجوه احدها لاقطعن الى المعاصي والثاني لاستولين والثالث لاحتويهم
والرابع لاضلنهم والخامس لاستاصلن ذريته بالاغواء والسادس
لاقودنهم الى المعاصي كما يقاد الدابة اذا اشد حبلها وقيل انما ظن
ابليس هذا الظن لما اخبر الله تعالى الملئكة عليهم السلام ان اولاد ادم
يفسدون في الارض وقيل ظن ذلك لانه وسوس الى ادم فلم يجد له عزما
وسوا في نفسه اولاده يكونون مثله في العزيمة وضعفها
وقوله تعالى قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا
معناه قال الله تعالى لابليس اذهب على وجه الطرد له والسعيد فمن اطاعك
واسعد من اولاد ادم فان الله مجازيك ومجازيهم بان تدخلهم جهنم وتكون
جهنم جزاؤكم جزاء مكملا وهو معنى قوله تعالى موفورا وقيل موفورا اوفرا
ها هنا على تعديد وفرة لابن ادم دولين وفي الاية دلالة على انهم لا

معصومون من العذاب الذي يستحقونه سيا وقوله تعالى واستفزز
من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم
في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا
الاستفزاز والاستنزال يعني واحد يقال استفزه اذا استزله
ويقال تفزز الثوب اذا انخرق فقوله لابليس واستفزز تهديد
لا امر وان كان اللفظ على صيغة الامر لان استفزاز ابليس للخلق كفر
ولا خلاف في ان الله تعالى لا يامر بالكفر والفحشاء وهذا كما قال للانسان
على وجه التهديد اجهد جهدك فسترى ما ينزل بك وجاء لفظ التهديد
بصيغة الامر لانه بمنزلة المامور به في اهانته فكان هذا الذي يعمله هوانا
له وهو مامور به ومعنى الصوت ها هنا الصوت الذي يدعو به الى المعصية الله
وقيل هو كل صوت دعي به الى الفساد فهو من صوت ابليس والشيطان وقيل
هو صوت الغناء واللهو فكانه قيل لابليس على وجه التهديد لما قال لاستاصلن
ذريته واستفزز من استطعت منهم بدعائك الى المعصية وقوله جل اسمه
واجلب عليهم بخيلك ورجلك الاجلاب السوق ورجل جمع راجل
كقولهم تجر وتاجر وركب وراكب وهو ايضا تهديد ومعناه حض من ركبا
لهم في الاموال والاولاد وهذا على وجه التهديد ايضا فان من الاولاد ما
يطلبونه لشهوتهم ومنه ما يطلبونه لاعزازهم وقيل شركته اياهم في
الاولاد اولاد الزنا وقيل هي الموؤدة لانها دفنت حية باغوائه ودعوته
ووسوسته وقيل معناه من تهودوا وتنصروا وقيل تسميتهم اولادهم
عبد الحرث وعبد شمس وعبد العزى وقيل المراد شامل جميع هذه الوجوه
وهو الاقرب لان كله يرجع الى اغوائه واسر لا الحق يستعملوا اولادهم
فما يريده السلطان وما يريده وبهواه واما المشاركة في الاموال فهو

افانهم اباها في الوجوه التي يهواها السلطان ويدعو اليها والعرب
قد تذكر الخيل والرجل اذا قالوا الواجد اجهد جهدك حتى ترى اثر
تفعلك ومعنى وعدهم وما يعدهم السلطان الا غرورا انه يريد انها
وهوان السلطان يعد صاحب المذهب الفاسد الكذب ويخلف بذلك
ويتاسى بما تريد ويعد من حزبي هذا المحزي بمثله ثم بين ان السلطان
وعده لا يكون الا خديعه وغرور ه وقوله جل اسمه ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ه معناه ان الله نفى الا ليس له سبيل لك
الى عبادي غير وسوسه تدعوهم بها الى المعصيه وكفى الله حافظ العباده
ومانعا لك عن ظلمهم وعلى تسبهم غير الوسوسه وقوله تعلى ربكم الذي يزجي
لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما ه الا رجاء الا جزا
والشوق ه ومعناه ان الله هيا لكم السفن في البحر وجريها بالرياح بما
فيها من الاثقال وانعم عليكم بذلك لتطلبوا مصالحكم في معاشكم ومن
رحمته ورافته بكم انعم عليكم بذلك وقوله تعلى واذا مسكم الضر في
البحر ضل من تدعون الا اياه ه معناه واذا عصفت الرياح وانتم في السفن وجرت
بكم الامواج وخفتم على انفسكم من الهلاك وهذا معنى قوله مسكم الضر وعند
ذلك لم تجدوا احدا يدفع الضر عنكم ويكشفه غير الله فلا سبيل لكم الى الفزع الي
وثن وصنم كنتم تعبدونه من دون الله لكشف الضر فانتم في ذلك الوقت تعتزلون
من ضر عنكم فلم تسعوا اليهم وقوله تعلى جده فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان
الانسان كفورا ه معناه فلما خلصكم الله تعلى من ذلك الضر
وكشفه عنكم عدتم الى عباده من ضر عنكم عند حاجتكم الى كشف الضر
عنكم من الاوثان والاصنام واعرضتم عن شكر الله الذي انعم عليكم
بالنجاه وكشف الضر عنكم ومن شان اكثر الناس الكفر

افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ه الخسف
خسف الارض وهوان يصير الشي من اعلاها الى اسفلها او من ظهرها
الى بطنها على وجه النكال والحاصب ريح تحصب بالحجاره من السماء قال
ريح حاصب اذا كان فيها حصبا قال الشاعر ه ه
مستقبلين شمال الشام تضربهم بحاصب كنديف القطن منثور
وقيل حاصب معناه ذو حصب ومعنى الايه ان الله يهددهم واورد
عليهم هذا القول على وجه الانكار افامنتم عند اعراضكم عن
توحيد الله وشكره وعبادته ان يخسف بكم الارض لاجل كفركم
لان القادر على ان يغرقكم في البحر قادر على اهلاككم في البر
بالخسف وان يرسل عليكم ريحا ذات حصبا فيهلككم بها وقوله تعلى
ثم لا تجدوا لكم وكيلا ه معناه ثم لا تجدوا حافظا يحفظكم ومانعا يدفع
العذاب عنكم وقوله سبحانه ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل
عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ه القاصف الريح الشديد
التي تقصف الشجر لشدتها ه ومعناه ام امنتم ان يردكم الله الى مثل ما
كنتم فيه في البحر من عصف الرياح والتطام الامواج مرة اخرى بان يحوجكم
الى ركوب البحر ويرسل عليكم ريحا قاصفا تكسر الاشجار لشدتها
ويغرقكم بتلك الريح في البحر وقوله تعلى جده ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ه
التبيع التابع هاهنا معناه واذا فعلنا ذلك فانكم لا تجدون من يتبع اهلاككم
مطالبا دماكم وقوله تعلى ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر
ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ه قال
المفسرون معنى كرمنا بني ادم اكرمناهم بما انعمنا عليهم بالعقول
والقوه وصحة الابدان وان هداهم الى مصالح دينهم ودنياهم ومكنهم من ذلك

وفضلهم على سائر ما خلقه من الحيوان الذي لا عقل له ٥ وقيل انما
جاز ان يقول كرمنهم وان كان فيهم كفار مستحقين للاهانة والاذلال لانه
على بعد من عاملناهم معاملة المكرم بالنعمة اخرجنا الكلام على مبالغة الصفة
وقيل فيه وجه اخر وهو انه يجري هذا المجرى قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس فاجرى الصفة على جماعتهم لاجل من كان فيهم على الصفة المذكورة في الاية
فكذا هاهنا اجرى صفة التكرمة على جماعتهم لاجل من فيهم وهم المستحقون
التكرمة والمجاز هذا التفضيل لانه تفضيل ابتداء لانه لطف في الشرع هو تفضيل
جزا ٥ ومعنى وحملناهم في البر والبحر اي ان الله حملهم في البر بان خلق لهم
الدواب التي تحملهم واثقالهم في البر وحملهم في البحر بان خلق الماء وجعل
فيه الاعتماد وخلق الريح المزعجة للسفن وهيا الماء لحمل السفن كما جعل
الارض لها ومعنى ورزقناهم من الطيبات اي رزقهم المستلذات الطيبات
المشتهيات ٥ ومعنى وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا هو ما مر بيانه
في اول الاية ٥ وقيل من جملة تفضيل الله ابن ادم انه يتناول الطعام بيده وغيره
من الحيوان يتناول بفيه فما دام او ماشاكله وهذا التشريف عنده من الحيوان
فعليه **وقوله جل اسمه** يوم ندعو كل اناس بامامهم ٥ معنى هذا الدعا كانه يقال
يوم القيمة هاتوا متبعي عيسى هاتوا متبعي محمد هاتوا متبعي فلان امامهم فيقوم اهل
الحق واحدا واحدا فياخذون كتبهم بامامهم ثم يدعا ~~متبعي فلان~~ فيقال
هاتوا متبعي الشيطان هاتوا متبعي الطغاة في عبادة الاوثان هاتوا متبعي الروسا
في الضلالة واعتقاد الجهالة وكل من كان موتما بواحد دعي به ويكون هذا
الدعا بشارة للمومنين وتقريعا للكافرين فمن اخذ كتابه بيمينه نجا ومن اخذ
بشماله او من وراء ظهره هلك وهوى ٥ وقيل في الامام وجوه قيل امامهم نبيهم وقيل
امامهم الذي ائتموا به وقيل كتابهم المنزل فيهم ومن الحلال والحرام والفرائض وقيل

عملهم الذي كتبت الحفظة عليهم **وقوله جل اسمه** فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك
يقرون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ٥ معناه فمن اعطاه الله كتابه بيمينه
فانه يقرا كتابه وهو مستبشر به ولا ينقص من ثوابه مقدار فتيل
وما يكون هذا في نظيره وهو قوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه
فيقول هاوم اقروا كتابيه يسرون اعينهم وقوله واما من اوتي
كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله
مسرورا ونظير هذه الايات ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان
تك حسنة يضاعفها لمن يشا ويوت من لدنه اجرا عظيما ٥ وقيل
في الفتيل وجوه قيل هو المفتول الذي في شق النواة ٥ وقيل هو ما
فتلته بين اصبعيك من درن ووسخ ٥ وقيل الفتيل هو من بطن
النواة والنقير الذي في ظهرها والقطمير القشرة التي تغشاها
وقد قال الله تعالى ولا يظلمون نقيرا وقال ما يملكون من قطمير ٥ وجا
اتصال قوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم بما قبله اتصال استحقاق
المهتدين للثواب بهداهم واستحقاق الضلال باختلاف عباداتهم وطاعتهم
لله فما اوجب عليهم ٥ وانتصب يوم بتقدير اذكر يوم ندعوا
ولحوق اتصاله باصار نعيدكم يوم ندعوا وفي الاية حجة بالغة
انه يسئل المكلف من امة محمد صلى الله عليه وسلم عن ولاية علي عليه السلام
لانه قد نصت امامته وولايته ٥ وروي ان قوله تعالى وقفوهم انهم
مسولون يعني عن ولاية علي عليه السلام **وقوله تعالى** ومن كان في هذه
اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا ٥ معناه ومن كان جاهلا
بالله وبدينه في الدنيا ومن يشله كان في الذهاب عن الحق بمنزلة
الاعمى وهو في الاخرة اشد عمى عن طريق النجاة وهي طريق الجنة

وقيل من كان في أمور الدنيا وهي مشاهدة له حاضرة من نعيمها
وبؤسها وتقلب النعم فيها أعمى عن اعتقاد الصواب الذي هو
مقتضاه فهو في الآخرة التي هي غائبة أشد عمى وأضل سبيلا
وقوله تعالى وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري
علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلا ه قيل كادوا ها هنا بمعنى
قربوا وقيل بمعنى همّوا من غير عزم وأصل الفتنة المحنة التي يطلب
بها خلاص الشيء مما لابسه وخالطه كما يفعل في الذهب والفضة
في النار إذا أذيبتا ليتميز الردي من الجيد ه ومعنى الآية كاد الكفار
أن يفتنوا النبي صلى الله عليه عن بعض ما أوحى الله إليه إلحاحا عليه
وأن يقول خلاف ما أمره الله تعالى به وهو قوله لتفتري علينا غيره وأطمعا
له في أنه متى فعل ما طلبوه منه اتبعوه ونصروه واتخذوه خليلا فبين
الله تعالى أنه صلى الله عليه وآله لا يعلى ملتهم وسوا احبالهم وقيل
هذه الفتنة التي كاد المشركون أن يفتنوه بها هي الإلمام بالآلهة
أن يمسها النبي صلى الله عليه في طوافه فسألوه ذلك ولاطفوه وروي
أنهم قالوا له لا ندعك تستلم الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها ه وقيل
هذه الفتنة هي أنهم سألوه أن يطرد بعض الإسلام حتى يعصوا ما
أهدوا لآلهتهم ثم يسلمون في هذه الرواية عن ابن عباس ه وقيل هذه
الفتنة ها هنا الضلال ومعناه كادوا يضلونك عن الذي أوحينا
إليك وقوله جل اسمه ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا
قليلا ه هذه منة للنبي عليه السلام على عظم موقع نعم الله عليه بأن ثبته
على الإيمان بالطاعة وبتوفيقه إياه حتى لم يركن إليهم ولم يمل ولولا ذلك
اللطف لكاد أن يركن إليهم شيئا قليلا وقوله جل اسمه إذاً لأذقناك

ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ه معناه
ولو ركنت إليهم لأذقناك ضعف عذابنا لمن يعاقبه في الحياة الدنيا
من العصاة وضعف ما يعذب به العصاة بعد الموت لأن معصية
الأنبياء عليهم السلام أعظم من معاصي غيرهم لكثرة الزواجر
لهم من قبل الله ولما يعاينونه من الملائكة عليهم السلام ه وقيل أذقناك
ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الآخرة لعظم وقوع ذلك من
النبي صلى الله عليه وآله لو فعله ه وقيل لما نزلت هذه الآية
قال النبي صلى الله عليه وآله لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ه وروي
عنه صلى الله عليه وآله أنه قال إن الله تبارك وتعالى وضع عن أمتي
ما حدثت به أنفسها إلا من عمل شيئا أو تكلم به وكان النبي صلى الله عليه
وآله يقول إن الله يغفر للعبد إذا حدث نفسه بشيء فلم يفعله
ولم يتكلم به وقوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا أي ناصرا يدفع
العذاب عنك وقوله جل اسمه وإن كادوا ليستفزونك من الأرض
ليخرجوك منها وإذاً لا يلبثون خلفك إلا قليلا ه قيل المراد
بالاستفزاز ها هنا القتل وقيل الاستخفاف بالإزعاج
ومعنى الآية أن هؤلاء الكفار كادوا يخرجونك من أرض العرب
سعا وهموا عليك فصرف الله كيدهم عنك وقيل لم يرد بذلك إخراجه
من مكة لأن ذلك قد كان منهم ه وقيل المراد بالأرض ها هنا أرض
المدينة لأن اليهود قالوا ليست هذه الأرض أرض الأنبياء عليهم السلام
وإنما أرض الأنبياء الشام وقوله جل اسمه وإذاً لا يلبثون خلفك
إلا قليلا ه قيل معناه ولو أنهم أخرجوك من أرض العرب أو
المدينة لم يمهلهم الله تعالى أن يقيموا في تلك الأرض على ما هم عليه من

الكفر حتى يهلكهم بعذاب ومعنى خلفك بعدك وقيل القليل
الذي لبثوا قبل المدة فما من احد احصهم له وقتلهم يوم بدر
وارتفع لا بالمستثنى لان اذا اذا وقعت بعد الواو والفا جاز الغاؤها
لتوسطها في الكلام كما لا بد من الغائها في اخر الكلام وقوله سبحانه
سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا
معناه ان الذي اخبر الله تعالى في الاية الاولى هو سنة الله التي
اجرى عليها عادة الناس من زمان الانبيا عليهم السلام ان كل
امة قتلت رسولها واخرجته من ارضه ووطنه فان الله لا يمهلهم
بعد ذلك الا قليلا حتى يهلكهم ولا يبدل الله تعالى ما اجرى العادة
عليه في هذا الباب هو معنى قوله تعالى ولا تجد لسنتنا تحويلا
وقيل معناه ولا يهيا لاحد ان يبطل سنة الله لا يهلكوا ولا
يبطل وقيل معناه ان الذي يريد الله ان تجري العادة فانه لا
يهيا لاحد ان يغلب تلك العادة وقد اراد الله ان يرسل الرسل
مصلحة للعباد ولطفا وان كان الجهال منهم يكذبونهم ويكفرون
بهم والبينة الطريقة والسنة سنة على تقدير لا بالمثوبة اي انا
لناهم كسنة من قبلك من الرسل اذا عاملهم قومهم ما قد سنه الله وذكر
وقوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل دلوك
الشمس ميلها للزوال وغسق الليل استحكام ظلمته وهو وقت نصف
الليل وهو زوال الليل وهو في اللغة غسقت الجراحة اذا انفجرت
فيها فرض الله تعالى من زوال النهار الى زوال الليل اربع صلوات
الظهر والعصر والمغرب والعشا الاخرة وافرد صلوة الفجر
بقوله وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا معناه وعليك

بقران الفجر وهي القراة في صلوة الفجر ومن العلة في فايدة بان
قال يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار وهذا التاويل مروي
عن جعفر بن محمد عليهما السلام فحث الله تعالى على المحافظة وقت الفجر
للصلوة فدل ذلك على ان صلوة الفجر تجب اقامتها في اول
الوقت لانه وقت نزول حفظة النهار وانصراف حفظة الليل وقوله تعالى
ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
التهجد السهر ويكون ذلك بعد النوم وفي الشرع لا يكون التهجد
الا مع العبادة ومعنى نافلة لك زيادة لك وقيل النافلة فعل ما
فيه الفضيلة امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله ان يتهجد من
الليل له انه يكون نافلة له واختلف العلما في صلوة الليل فقال بعضهم
كانت صلوة الليل فرضا على رسول الله عليه السلام وحده وسنة
هو لامته وقال بعضهم بل هي سنة للجميع ولفظ النافلة يدل عليه
فالخطاب للنبي عليه السلام على وجه الاختصاص والمراد هو وغيره
ولهذا ما امر النبي صلى الله عليه الامة وصلوة الليل عند رسول
الله صلى الله عليه ليلة ثماني ركعات لكل ركعتين تسليمتان
وقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا معناه
اذا تهجدت يبعثك الله يوم القيمة ويكون مقام محمود قيل هو
المقام الذي يجمع الله فيه الانبيا عليهم السلام تحت لوايه ويعطيه
الشفاعة لهم ولاجله قال صلى الله عليه وآله وسلم ادم ومن
دونه تحت لوايي يوم القيمة لي المقام المحمود والشفاعة ولوا الحمد
وروى علي بن موسى عن ابيه جعفر عن جده محمد بن علي عن علي بن
الحسين زين العابدين عن الحسين عن امير المؤمنين عن رسول الله

صلوات الله عليه وعليهم اجمعين انه قال للنبي في القيمة راكب
غيرنا ونحن اربعة فقام اليه رجل من الانصار فقال فداك ابي
وامي من الاربعة قال انا على ناقة البراق واخي صالح على ناقة
الله التي عقرت وعمي حمزة على ناقتي العضباء واخي علي بن ابي طالب على
ناقة من نوق الجنة بيده لواء الحمد وهو واقف بين يدي العرش ينادي
لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيقول الادميون ما
هذا الا ملك مقرب او نبي مرسل او حامل عرش رب العالمين
قال فيجيبهم ملك من بطنان العرش يا معشر الادميين ما هذا
ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا حامل عرش رب العالمين هذا الصديق
الاكبر هذا علي بن ابي طالب ه وروى هذا الحديث الاعمش عن
سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس وفيه زيادة واخي علي على
ناقة من نوق الجنة وعليه حلتان خضراوان وعلى راسه تاج
ينادي لا اله الا الله محمد رسول الله الخبر بتمامه ه وروى هذا الحديث
عدة من الصحابة رضي الله عنهم وقوله جل وعلا وقل رب ادخلني مدخل
صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ه
امر الله نبيه صلى الله عليه واله ان يدعو بهذا الضرب من الدعا
عند دخوله في الامور وخروجه عنها ه وقيل معنى مدخل صدق
ان يكون عاقبته محمودة ه وقيل هو تعليم امر الله نبيه صلى الله عليه
دلالة لامته على انه ينبغي لهم ان يدعوا بمثل ذلك ه وقيل مدخل
الصدق دخوله المدينة بعد اخراج الكفار اياه من مكة
وقيل معنى مدخل صدق ومخرج صدق ان يدعو فيقول اللهم ادخلني
فيما امرتني به واخرجني عما نهيتني عنه على سبيل اللطف لا على

وجه الجبر ه واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ان ترزقني حجة
وبصيرة على اعدائي ه وقيل ان ترزقني عزا امنع به ممن يحاول
صدي عن اقامة فرايضك وقيامه ه وقيل حجة بينة وقوله تعلى
وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ه يقال زهق يزهق
زهوقا اذا بطل والحق هاهنا هو ما اتى به محمد صلى الله عليه واله
من قبل الله تعلى والباطل هاهنا هو ما كان من الكفار عليه قبل بعثة
محمد ومعنى الاية جاء الدين والبرهان والهدى وبطل الكفر والجهل والعمى
وبين ان الباطل لا ثبات له بقوله زهوقا ولهذا قيل للحق دولة وللباطل
جولة وقوله تعلى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ه القران
شفا للمؤمنين في باب الدين لما فيه من الحجج البالغة والدلايل الظاهرة فهو شفا للمؤمنين
عن ان يكون في قلوبهم ضعف في باب الدين ووصف القران بانه شفا من وجوه
منها ما فيه من البيان الذي يزيل عمى الجهل وحيرة الشك ه ومنها انه برهان من
جهة النظم ومعجز ذلك على صدق من اتى به ه ومنها انه يتبرك به ويدفع الله به
كثيرا من المكاره والمضار التي يجوز كونها في مقتضى الحكمة ه ومنها
في العبادة بتلاوته من الصلاح الداعي الى امثاله المشاكلة الى بينه
وبينه وانما قيل من القران ما هو شفا ورحمة لان فيه من المحكمات
والاصوات وفيه المتشابهات وخص المؤمنين بانه شفا لهم دون غيرهم
لاختصاصهم بالتمسك به والاستدلال به على معرفة ما وجب معرفته
وقوله تعلى ولا يزيد الظالمين الا خسارا ه معناه ولا يزداد الظالمون
والكافرون به وتكذيبهم الا هلاكا وجاز وصف القران بانه يزيد
الظالمين خسارا لانهم كانوا يزدادون به وبنزوله خسارا بكفرهم
به وتكذيبهم له وحرمانهم انفسهم تلك المنافع التي فيه فصار كانه زادهم

حيبا او هذا امر ان يعطي الانسان عنده زاجرا له عن الفساد فهو اذا
الموعوظ الفساد عند وعظه فيصح من الواعظ ان يقول له ما زادتك موعظتي
الا فسادا او هذا يكون مجازا وقوله تعالى واذا انعمنا على الانسان اعرض
ونأى بجانبه قيل معناه واذا انعم الله على الانسان بنعمة بعد ان كان في شدة
اعرض عن ذكر ما كان فيه من الضر والشدة والبلاء ودخله كبر وعجب
وهو معنى قوله ونأى بجانبه وقيل معنى نأى بجانبه بعد بنفسه عن القيام بما
اوجب عليه من الحقوق ووجه اتصال الاية بما قبلها على معنى انا اعرضنا عن
انعامنا عليه كما اعرض عن النعم بالقران وهذه الصفة ضد من صفة
المومنين وقوله تعالى واذا مسه الشر كان يوسا معناه ومن كان صفته
اذا انعمنا عليه ما ذكرناه فاذا مسه الشر الذي هو الضر لم يثق بفضل
الله على عباده حتى يطمع في كشف تلك البلية من جهته وهذا معنى قوله كان
يوسا وهو من اليأس وهو القنوط وهذا الوصف وصف غاية الجهل
وقيل معناه اذا مسه المرض والغم والبلا ايس من ان ياتيه الفرج والروح والراحة
من عند الله وقوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا
معناه كل انسان يعمل على طريقته التي تشاكل اخلاقه وقيل طبيعته وقيل
على عادته التي الفها وحاصله الحذر الا الف الفساد مستمرا عليه
وقيل معنى الاية ان المومنين يذهبون في اديانهم الى ما هو اشكل بالصواب
والحق عندهم والكافر مذموم لتركه طريقة الحق التي سلكها المومنون
مع قدرته عليه وتمكينه من سلوكه وغلب الشبهة على نفسه حتى خيل اليه
ان الاولى هو ما تمسك به وهذه طريقة كل مبطل ومعنى فربكم اعلم بمن
هو اهدى سبيلا اي ان الله اعلم بالمصيب منهم وبالمخطي وبالمهتدي وبالضال
ودل الله بهذا على ان الاولى بالصواب ما عليه النبي عليه السلم وامته وهذا

مثل ما يقول الواحد منا لخصمه احدنا مبطل وهو يريد اني
على الحق وانت على الباطل وقوله جل اسمه ويسئلونك عن الروح
قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا قال بعض
المفسرين هذا السوال لم يبين الله لنا المعنى فيه وانه سبيل
سئله عن ذلك لانه لم ير المصلحة في اجابتهم عنه وراى منع هذا
العلم عنهم اصلح في استدعائهم الى الايمان وهذا انما قاله لانه لم
يبين الجواب في ظاهره وروي انه كان في بعض كتبهم ان
اجابكم عن الروح اذا سالتم عنها فانه ليس بنبي وان لم يجبكم عنها
فهو نبي فلم يامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه واله بالجواب عنها
ليتاكد عليهم الحجة في صحة نبوته وكانه اذا وكلهم الى القسمة في
استخراجه كان اصلح ومعنى الاية اذا سالوك عن الروح فاجبهم
بان الروح امر ربي ومعناه من الامر الذي يعلمه ربي وقيل انما سال
النبي صلى الله عليه واله ذلك قوم من اليهود وقيل مرادهم بالروح
التي سالوه عنها روح الحيوان وقد وقع في كيفية الروح اختلاف
من الاوائل والمتاخرين في ذلك تطول ونقتصر على ما قاله المسلمون
وعند جمهور العدلية ان الروح جسم لطيف رقيق وهو من جنس الريح
وهي النفس التي يخرجها الحي من جوفه ويجذب من الهوا اخرى وسميت
روحا لان اصل الريح في اللغة روح فقلبت الواو يا لانكسار ما
قبلها وقال بعض العلما ان كان سوالهم عن الروح هل هي مخلوقة
ام غير مخلوقة فانها مخلوقة وان سالوا عنها انها جسم ام عرض فانها
جسم لطيف من جنس الريح ولهذا جاز عليها النفخ في الابدان والخروج
عنها عند الموت وان سالوا هي الانسان الحي ام بعضه او غيره على

حسبما ذهب اليه الاوائل فانه بعضه ومنزلها منزلة الجزء وبعض الاعضا
اذا فارقت الانسان لم يعتبر بعد مفارقتها وفي الجملة لا نعرف
ما الذي سالوا عنه وجا الجواب كما ذكره الله تعالى في الاية ٥ وذكر
علي بن عيسى النحوي في تفسيره وهو من الاسياد به ان الروح جسم رقيق
هو على بنية حيوانية في كل جزء منه حياة وكل حيوان فهو روح
وبدن الا ان منهم من الاغلب عليه الروح ٥ ومنهم من الاغلب عليه
البدن وهذا قول مرغوب عنه عند العدلية ويلزم هذا
اشيا كثيرة كلها باطلة ضالة ٥ وقال بعض المفسرين الروح
الذي سالوا عنه القران لقوله نزل به الروح الامين على قلبك ٥
وروي عن جعفر بن محمد عليه السلام هو ملك اعظم من جبرئيل
واعظم من ميكائيل وهذا يقرب مما روي عن امير المومنين صلوات الله
عليه انه قال هو ملك من الملائكة له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون الف
لسان يسبح الله بجميع ذلك وهذا القول يدل على انه وقف عليه
توقيفا الله تعالى من جهة النبي صلى الله عليه وآله لانه لا طريق للعقل
اليه فان الله تعالى قد اعلمه ذلك وامره بان يجيب القوم بما نطقت
الاية به وقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا ٥ معناه وما
اعطيتم من العلم الذي ينص عليه الا قليل من كثير بحسبما تحتاجون اليه
والروح من المتروك الذي لا يصلح النص عليه لان الحكمة اقتضت
ان يكلهم الى ما في عقولهم ليستخرجوه ولا ينص عليه كما نص على
السمعيات وقوله جل اسمه ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ٥
معناه ولئن شئنا ذهبنا بالذي اوحينا ~~اوحينا~~ اليك وهو القران
لانه القادر على ان يعيده ويفنيه ويأتي بمثله فهذا مثل قوله

تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها ولو ذهبنا
به لما وجدت وكيلا وكفيلا بذلك على الله باسترداد ما اخذه الله منك
ومعنى الوكيل الكفيل هاهنا وقوله تعالى الا رحمة من ربك ان فضله
كان عليك كبيرا ٥ معناه وما نزلنا اليك الا نعمة وتفضلا عليك بين ان
فضله ورحمته بما اعطاك من القران وبما انعم به عليك من ضروب النعم
تعظيم كبير ٥ ومعناه ولو شا الله اذهاب ذلك لقدر على اخذ ما اعطاك
كما يقدر على غيره ولكنه دبر لك بالرحمة فاعطاك بعد من ذلك فارض بما اختاره
لك وقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ٥ هذا بيان عجز جميع الخلق من الانس والجن
عن الاتيان بمثل القران ودليل على ان القران كلام الله وانه معجز دال على
نبوة محمد صلى الله عليه وآله وفيه دليل على ان القران الذي هو كلام الله
فعل من افعال الله لان النبي عليه السلام تحدى العرب بان ياتوا بمثله فلو لم
يرجعوا اليه وقالوا له ايت انت بمثله لم يكن لو اتى الله بمثله
كان محدثا والقران يكون مثله ومثل المحدث لا يكون الا محدثا وقوله تعالى
ولو شا الله لنذهبن بالذي اوحينا اليك ٥ يدل على هذا ايضا لانه [illegible]
على اذهابه وابداله لا يكون الا فعلا ومحدثا ٥ ومعنى الظهير المعين
وارتفع لا ياتون لانه جواب القسم عليه جواب لوقوعه في صدر الكلام
ويجوز جزمه على جواب ان والرفع اجود وقوله تعالى ولقد صرفنا
للناس في هذا القران من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا ٥
الكفر الجحود للحق ٥ ومعنى الاية انه صرف الله تعالى الامثال في هذا
القران وصرف كل صنف من اصناف الدلالة والايات ليومنوا ويهتدوا
فابى اكثر الناس الاسلام واصروا على الكفر فدلت الاية على انهم

لم يوتوا في كفرهم من قبل ربهم وانما اتوا من قبل انفسهم لتركهم
الاستدلال بما نصب الله لهم من الدلالة وقوله تعالى وقالوا لن نومن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ه روي ان جماعة من قريش قالوا
للنبي صلى الله عليه واله ذلك مثل عتبة وشيبة ابني ربيعة ومثل ابي
سفيان والاسود بن المطلب بن اسد وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة
وابي جهل بن هشام وعبد الله بن ابي امية وامية بن خلف والعاص بن
وائل ونبيه ومنبه ابني الحجاج قالوا للنبي صلى الله عليه واله لا نصدق
في دعواك حتى تفجر لنا عينا من الماء بمكة والينبوع العين التي ينبع الماء
وتفور به وقوله جل اسمه او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار
خلالها تفجيرا ه معناه وتسال الله ان يعطيك بستانا فيه نخيل وعنب والانهار
خلال الاشجار جارية بان تجريه لك في ارض مكة وقوله جل اسمه او تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا ه معنى كسفا قطعا يقال كسفة مثل
سورة وكسف مثل سور ساكنة السين وكسفا بتحريك السين
لغة ايضا وكانهم قالوا لا نصدقك حتى تسقط السماء طبقا
وقطعا كما خوفتنا به ان لم نومن بك وقوله جل اسمه او تاتي بالله
والملائكة قبيلا ه معناه لا نومن بك حتى تاتي بالله والملائكة مستقبلين
لنا ونحن نشاهدهم فدل ذلك على انهم كانوا مشبهة لانهم لو لم
يعتقدوا ذلك لم يسالوه ذلك ه ومعنى قبيلا مقابلة ه وقيل معناه
معاينة وقوله تعالى جده او يكون لك بيت من زخرف ه اصل
الزخرف الذهب في كلام العرب ه وقيل الزخرف النقوش وقيل
اصل الزخرف من الزخرفة وهو تحسين الصورة ومنه قوله حتى اذا
اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها

امرنا ه معناه لا نصدقك او يكون لك بيت من ذهب منقوش
او ترقى في السماء ولن نومن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ه
معناه ولن نومن لك حتى تصعد السماء ونحن نشاهدك ثم لا
نصدقك في صعودك حتى تنزل علينا كتابا من السماء نقرا فيه
انك صادق في دعواك فاقترحوا عليه هذه الاشياء وغيروه فيها
ان لا ياتي بواحدة مما سالوه وقوله جل اسمه قل سبحان ربي هل كنت الا
بشرا رسولا ه قل يا محمد لهم في الجواب عما سالوك الهي منزه عن
ان يجوز عليه الانتقال والحركة فيستقبلكم مع ملائكته لان ذلك من
صفات الاجسام وانه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض فيكون في
جهة وحال لان ما يكون في جهة حتى يكون مقابلا او في حكم المقابل
للرائي والرؤية والمشاهدة مستحيل عليه لانه ليس بجسم فيرى في
ذاته وانتم تعجزون على الايات وتقترحونها وليس في مقدوري
الاتيان بها وانما امرها الى الذي ارسلني بالمصالح والعواقب ولو
علم الله في شيء مما سالتم اللطف لوجب في حكمته فعله ولما لم
يفعل فلا وجه لطلبكم اياي به ولست الا رسولا مثل الرسل
الذين كانوا قبلي وكانوا ياتون قومهم بكل ما سالوه واقترحوه
ولو وجب على الله ان يوتي الناس ما يقترحونه من الايات لوجب عليه
ان يرسل اليهم من يقترحونه من الرسل والله تعالى لا يدع تدبيره
لاختيار الجهال وهذا موضع من احسن ما يكون من الجواب وظن بعض
الملحدة انه ليس بجواب ولو تامل مضمون الالفاظ
المحتوية على هذه المعاني لعلم ان الجواب خرج احسن خروج وقوله تعالى
وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا

رسولا من الله تعالى ان الذي فعله الكفار المتقدمون من
تصديق محمد صلى الله عليه وآله وعلمه وشبهة لاجلها امتنعوا
من تصديقه هو انهم قالوا انه لو اراد الله ان يبعث للناس رسولا
لم يبعث بشرا مثلنا وكان يرسل ملكا فقد رأوا انما تعافوا
به محمد وشبه تعظيم لله تعالى وهو الذي اغفلوا به لنفس تعالى ولا
سبيل وانما فرط جهل استولى عليهم لانه لا يجوز ان يبعث الله
الى خلقه الواحد من خلقه فسواء كان نبيا او ملكا او جنيا فلا
بد من ان يكون الرسول خلقا من خلق الله وعبدا من عباد الله
ولو جاز ان لا يتابع الا انسى لانه انسى لجاز ان لا يتابع الملك لانه
ملك فمثل هذا لا يكون شبهة لان المتابعة انما تجب لظهور
الدلالة والمعجزات فسواء ظهرت على بشر او ملك فانه يوجب المتابعة
وقوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا ه معناه قل يا محمد لو كان في الارض ملائكة
مطمئنين غير خائفين من الله وغير خاشعين له لانزل الله عليهم ملكا
من السماء رسولا يدعوهم الى عبادته ويحذرهم الخوف عن عقابه
ولما كان في الارض البشر بعث الله اليهم واحدا منهم يدعوهم الى العز
العفاة ه ومعنى مطمئنين هاهنا قاطنين ساكنين وقيل مطمئنين هاهنا
لعندا من الله الواجب عليهم بالاعراض عنه كما قال تعالى ولكنه اخلد
الى الارض واتبع هواه الاية وقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم انه كان بعباده ~~[illegible]~~ خبيرا بصيرا ه معناه
قل لهم كفى بالله شهيدا بيني وبينكم بانه ارسلني اليكم والله لا يشهد
الا بالحق وقد ظهر تمرد على الكذب في الله عالم بعباده وبما هم عليه

والخبير العالم وقوله جل اسمه ومن يهدي الله فهو المهتدي ه
قيل معناه من حكم الله له بالهداية وهو المهتدي باخلاص طاعته
له وهذا استدعاء لطف الى الاهتداء وترغيب فيه وقوله تعالى
ومن يضلل ~~[illegible]~~ فلن تجد لهم اولياء من دونه ه معناه
ومن حكم الله بضلاله واوجب العقاب عليه لانه ضال فلا سعى
ولاية ولي من دون الله وقيل من يهده الله الى ثوابه وطريق جنته
فهو المهتدي بان يناله ويفوز به ومن اراد الله عقوبته لم يكن له ناصر
يدفع العذاب عنه وقوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ه معناه
هو انهم يحشرون يوم القيمة على وجوههم وهم عمي وبكم وصم وكانهم
يكونون بهذه الصفة في اول ما يحشرون ثم بعد ذلك يبصرون
ويسمعون وينطقون لان الله تعالى قال في موضع اخر واذا القوا منها
مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وقال ورأى المجرمون النار
فظنوا انهم مواقعوها ه وقال في موضع اخر واذا القوا فيها سمعوا
لها شهيقا وزفيرا ه وقيل انهم عمي عما يسرهم بكم عن التكلم بما
ينفعهم صم عما يسر به اهل الثواب ه ومعنى كلما خبت الخبو سكون
النار عن الالتهاب من غير نقصان الم اهلها لانه كلما خبت النار من
جهة اشتعلت نار من جهة اخرى وخبو النار الاولى يكون في وقت
تحيى الاخرى ولا يكون في خبوها راحة والسعير النار التي تلتهب ه
وقوله تعالى ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا اذا كنا عظاما
ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا ه معناه ان العذاب الذي وصفه
الله تعذب به من كان كافرا منكرا للبعث فعلوا على وجه الاستهزاء

بالاعادة أئذا كنا عظاما نخرة متفتتة أعدنا خلقا جديدا
وقوله تعالى أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر
على أن يخلق مثلهم احتج الله تعالى بهذه الآية على من أنكر البعث
والنشور فدل بذلك على أن القادر على خلق الأجسام العظيمة
مثل السموات والأرضين قادر على أن يخلق ما هو أصغر منها
وعلى أن القادر على اختراع هذه الأجسام ابتداء فأخرجها
من العدم إلى الوجود قادر على إعادتها بعد أن صارت
رفاتا متغيرة وبعد أن فناها لأنها إذا صارت إلى الفناء
فقد عادت إلى حالتها الأولى وهي العدم وهذه الأجسام
إنما وجدت ابتداء بأن أخرجت من العدم إلى الوجود ودلت
الآية على أن القادر على الشيء قادر على مثله وعلى ضده إذا كان
له ضد وعلى إعادة الشيء إذا كان الشيء مما يجوز عليه البقاء وكان
القادر عليه قادرا لذاته لا بقدرة هي معنى يوجب كون الذات
قادرة كالواحد منا إنه صار قادرا بالمعنى يسمى قدرة وقوله تعالى
وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا معناه
وجعل لإعادتهم وقتا وهو يوم القيمة ومع وضوح هذه الدلايل
امتنع الكافرون وأبوا إلا الكفور بالله وبرسوله وهذا بيان
فرط جهلهم وإعراضهم عن طريقة النظر والاستدلال
قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق
وكان الإنسان قتورا معنى القتور قيل البخيل وقيل هو المقتر
يجمع ما يعطى فلا يعطي إلا القليل لمخافة الفقر وخزائن الله
مقدوراته والله يقدر على ما لا نهاية له من كل جنس كان من المقدورات

ومعنى الآية أن الله تعالى أراد بها ذكر الكفار الذين كانوا
لا يؤمنون بالله ولا يعترفون بما أنعم عليهم وكانوا لا يوقنون
فقال لهم لو كنتم تملكون ما يملكه الله من الرزق لعباده كنتم
تمسكون ذلك لأنفسكم ولا تعطونه غيركم خشية من الفقر ونفاد
ذلك بالإنفاق قبضكم إياه ثم ذم الإنسان بأنه قتور بخيل وقيل إنما قال
وكان الإنسان قتورا وكان بشر أكثر من جهة أن الغالب
عليهم البخل فأجري الذكر على التغليب وقيل إنما أطلق ذلك لأنه لا
أحد إلا ويحب النفع ويجلبه لنفسه فهو بخيل بالإضافة إلى جود
الله وكرمه ولو ملك الإنسان الذي هذه صفته خزائن ربه لادخر
معظمها لنفسه والله تعالى يبسط الرزق لعباده لأنه لا يجوز عليه النفع
والضر ومن ضيق الله عليه الرزق فإنما ضيقه لمصلحة له في باب الدين
وذلك لحسن نظره له ألا تراه كيف أخبر عن معلوم في خلقه بقوله
لو أنتم لإضمار فعل على تقدير ولو تملكون أنتم لأن لو أحق بالفعل
وقوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات احتج الله تعالى بأنه
أعطى موسى عليه السلام تسع آيات ظاهرات وهي العصا واليد واللسان
وهو انحلال العقدة والبحر والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والعصا والبحر والبطشة ووجه
اتصال الآية بما قبلها اتصال الجود بما أعطى من الآيات البينات فدل
بما أعطى على جود الذي جود كل من سواه بخل بالإضافة إلى جوده
وقوله تعالى فسئل بني إسرائيل إذ جاءهم قيل هذا خطاب للنبي صلى
الله عليه وآله والمراد به غيره وكأنه قيل لمن شك من أمته فيما أخبر
به صلى الله عليه وآله من الآيات التي أعطاها الله سل بني إسرائيل العارفين

باخبار موسى عليه السلم الخبر وكذ نصحها اخبرك به محمد عليه السلم ٥
وقوله تعلى فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا ٥ معناه ان
فرعون قال لموسى عليه السلم اني لاظن انك قد عمل بك السحرة فيك وان
الذي تقوله وتدعيه لحملك عليه السحر الذي بك ٥ وقيل معنى مسحورا
مخدوعا ٥ وقيل هو بمعنى ساحر فيكون مفعولا في معنى فاعل كقول العرب
مشئوم في معنى شائم وقوله تعلى قال لقد علمت ما انزل هؤلا الا رب
السموات والارض بصاير ٥ من قرا علمت بفتح التا فاول هذا القول على
ان فرعون كان عارفا بالله تعالى ومعاندا في ادعا الربوبية لنفسه
قال ويجوز ان يقال لقد علمت على معنى انك عاقل متمكن من النظر والاستدلال
موفر الالة فاذا فكرت ونظرت علمت ان السحرة لا يقدرون على فعل
هذه الايات التي ظهرت على يدي والذي يدل على صحة القول الاول قوله
حاكيا عنهم فلما جاتهم اياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا الاية ٥ ومعنى البصاير الدلايل
واني لاظنك يا فرعون مثبورا ٥ الثبور الهلاك ٥ ومعنى الاية ان موسى
عليه السلم اجاب فرعون عما قاله الله تعلى عنه وهو انه قال اني
لاظنك يا فرعون هالكا ان لم ترجع الى ما ادعوك اليه وقوله تعلى
فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا ٥ معناه
واراد فرعون ان يزعج موسى وقومه من ارض مصر اكراها واخراجا
وقهرا ويجوز ان يكون المراد به النفي ويجوز ان يكون المراد به
القتل فاهلك الله فرعون وقومه بالغرق وقد مضى بيان هذه القصة
وقوله تعلى وقلنا من بعده لبني اسرايل اسكنوا الارض فاذا
جا وعد الاخرة جينا بكم لفيفا ٥ معناه وقلنا من بعد اهلاك فرعون

لبني اسرايل اسكنوا ارض الشام ومصر من قبل ما كنتم خايفين منه
من جهة فرعون فاذا جا وعد القيمة وهي الكرة الاخرة جينا بكم
جميعا وهو معنى قوله لفيفا ٥ وقيل معنى لفيفا مختلطين لا تتعارفون
ومعناه لا يسكن بعضكم على بعض لانه لا يعني هناك احد عن احد شيا
وقوله تعلى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا ٥
معناه ان الله تعلى انزل القران بالحق والقران حق نزل من عند الله لان
جميع ما اخبر الله تعلى به فيه حق وصدق ٥ وما ارسلناك الا مبشرا
للمطيعين بالثواب مخوفا للعاصين بالعقاب وقوله تعلى وقرانا فرقناه
لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ٥ اصل المكث التثبت
والتوقف وفيه ثلث لغات ضم الميم وفتحها وكسرها ومكثي ومكثا [ممدود]
والنصب قرانا على تقدير واتيناك قرانا فرقناه على معنى جعلنا بعضه
امرا وبعضه نهيا وبعضه وعدا وبعضه وعيدا ٥ وقيل فرقناه بالبيان
الذي بان الحق من الباطل وقيل انتصب على معنى وفرقناه قرانا الا انه
استغنى بتفسير الفعل عن ذكره فعلى القول الاول يكون فرقناه صفة
وعلى القول الثاني يكون خبرا وقوله تعلى لتقراه على الناس على مكث ٥
معناه انزلنا القران شيا بعد شي على مكث ليحفظه الناس ويفهموه ويعملوا
به ٥ ومعنى ونزلناه تنزيلا اي انه من عندنا وهو حق كله وصواب يهدي
الى الرشد وانا اكد بالمصدر وهو قوله تنزيلا تعظيما لشانه في انزال
الله اياه وقوله تعلى قل امنوا به او لا تومنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله
اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ٥ ويقولون سبحان ربنا ان كان
وعد ربنا لمفعولا ٥ قيل قوله امنوا به او لا تومنوا به تهديد لهم لعدولهم
عن حظهم فيه وكفرهم به ٥ معناه قل يا محمد لكفار قريش ان امنتم بهذا

القرآن او لم تؤمنوا فلا يضر تركهم الايمان به الا انتم لانه لا يرجع عليه الا
اليكم والذين علموا اي كتب الانبيا عليهم السلم قبل نزول القرآن علموا
ما اخبر الله تعالى من اخبار محمد واثاره وخبر كتابه المنزل عليه وهو القرآن
واذا تلى عليهم القرآن سجدوا شكرا او استعظاما لما تلى عليهم من
كتاب ربهم وكلامه وهو مثل عبد الله بن سلم وغيره من اهل الكتاب الذين
امنوا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وآله واصل الذقن في اللغة مجتمع اللحيين
وقيل المراد بالاذقان الوجوه هاهنا ه وقيل عنى بها اللحى ومعنى ويقولون
سبحان ربنا ننزه الله من الكذب في وعده بانه يبعث محمدا وينزل
القرآن عليه ويكون ما كان ذلك الا مفعولا على ما اخبر الله في الكتب المنزلة
قبل القرآن وهولا الذين امنوا من اهل الكتاب لما دعاهم الى الايمان بمحمد
والقرآن لما قد عرفوه في التوراة من صفته وقوله تعالى ويخرون للاذقان
يبكون ويزيدهم خشوعا ه معناه واذا تلوا هذا القرآن بكوا
وسجدوا لله شكرا او استعظاما للقرآن الذي هو كلامه ويزدادون
عند ذلك خشوعا وخضوعا لله وقوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى ه امر النبي صلى الله عليه وآله ان يدعوا
اي اسم من اسمائه شاءوا فكانه قيل لهم ادعوا الله ان شئتم فقولوا
يا الله وان شئتم فقولوا يا رحمن وان شئتم فقولوا يا رحيم وان شئتم فقولوا يا رب
فان كل اسم من اسمائه يقوم مقام الاخر لان اسما الله كلها حسنة وقد
اوردنا طرفا من الكلام في اسما الله وصفاته وبينا ان الفواحش
والمعاصي لو كانت من فعله لكانت له اسما المشتقة من تلك الافعال
كفعل الله جل وتعالى عنه وقد بينا جميع ذلك في تاويل قوله ولله الاسما
الحسنى فادعوه بها وهذه نظير تلك فلا وجه لاعادته هاهنا وحاث

فعله لكانت

ما في قوله ايا ما تدعوا صلة كقوله تعالى قال عما قليل ليصبحن نادمين ه وقيل
هو بمعنى اي شي وكررت مع اختلاف اللفظين للتاكيد كقولهم ما ان
رايت كالليلة ليلة وقوله جل اسمه ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها
وابتغ بين ذلك سبيلا ه قيل معناه لا تجهر بالقراءة في صلوتك كل الجهر
حتى يسمع قلب من يريد ان يصلي بالقرب منك ولا تكتمها كل الكتمان
حتى لا يسمع من يليك ما تقراه وقيل معناه لا تجهر بدعائك ولا تخافت
بها به وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك باشاعتها واظهارها امام اتها
عند من يوذيك ولا تخافت بها عند من يلتمسها منك وقيل معناه ولا تجهر
بصلوتك كلها ولا تخافت بجميعها وابتغ بين ذلك سبيلا ه اي اطلب سبيلا بين الجهر
والكتمان ه وقيل بان تجهر بصلوة الليل وتخافت بصلوة النهار على ما
امرناك به وقوله جل اسمه وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
في الملك ه علم نبيه ذلك وفي تعليمه اياه تعليم لامته ومعناه احمد الله على نعمه
ووحده في ذلك واعلم ان الله لم يتخذ ولدا ليعينه وينصره ولا يجوز ان يكون
له نظير يكون كذلك ابدا ولا يجوز ان يكون له شريك معين في خلق ما خلق
وقوله تعالى ولم يكن له ولي من الذل ه معناه ولم يكن له ولي ينصره ويدفع
عنه الضيم لانه لا يغالبه وهو غني لا يحتاج فلا يجوز عليه المنافع والمضار
وكبره عن اتخاذ الولد والشريك والمعين تكبيرا ه ومعناه وصفه بانه
اكبر من كل شي لانه القادر الذي لا يعجزه شي والعالم الذي لا يخفى عليه شي والغني
لغنيته لا يجوز عليه الحاجة ه وقيل وكبره تكبيرا عن كل ما لا يجوز عليه في
صفته ه وروى ابي بن كعب عن رسول الله عليه السلم انه قال من قرا سورة
بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين اعطي قنطارين من الجنة والقنطار
الف اوقية ومايتا اوقية والاوقية منها خير من الدنيا وما فيها ه

السورة التي يذكر فيها الكهف مائة وإحدى عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما ه العوج بكسر العين يكون في الكلام وهو العدول عن طريق الاستقامة الى الفساد ه والعوج بفتح العين هو فيما خالف الاستواء في الخشب والحائط ونحو ذلك والقيم المستقيم ومعنى الآية ان الله تعالى امر الخلق ان يشكروه ويحمدوه على انزاله الكتاب الذي هو القرآن مستقيما في باب الحكمة سليما من التناقض وقيل قوله ولم يجعل له عوجا قيما على التقديم والتاخير على تقدير انزل الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا ه قوله تعالى لينذر باسا شديدا من لدنه ه معناه انزل القرآن على نبيه لينذركم باسا شديدا اي هو العذاب العظيم اذا كفرتم وعصيتم ولم تقبلوا الكتاب المنزل على نبيكم الا انه حذف لدلالة الكلام عليه ه وانتصب باسا بحذف الباء عنه لان تقديره لينذركم بباس شديد كما قال تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه اي يخوفكم باوليائه ه ومعنى من لدنه من عنده قوله تعالى ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا ه معناه ويبشر المؤمنين بالله وكتابه وبنبيه بان لهم عند الله ثوابا حسنا وانهم يكونون دائمين في ذلك الثواب لا ينقطع عنهم ابدا قوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم ه معناه وليخوف النبي صلى الله عليه وسلم الذين قالوا اتخذ الله ولدا بالعذاب الشديد وبين تعالى انهم قالوا ذلك من غير علم منهم ومن آبائهم لانهم من

المحالات انما قالوا ذلك لفرط جهلهم وتقليدهم آباءهم الجاهلين الذين لم يكن لهم بصيرة وعلم قوله جل اسمه كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا ه معناه وما يقولون الا كذبا ه وقيل في انتصاب كلمة وجوه احدها انه انتصب على تفسير المضمر على طريقة نعم رجلا زيد وبئس صاحبا عمرو وقد يقال هذا في افعال المدح والذم كقولك كذبت بطلا زيد واكرم رجلا بكر ه والثاني انه نصب على التمييز في الفعل المنقول نحو قولهم فلان تصبب عرقا ونحو قول الله تعالى في هذه السورة وساءت مرتفقا وكانه قيل كبرت كلمة وتقديره كبرت تلك الخصلة كلمة ه وقيل الذين قالوا هذا هم قريش لانهم قالوا الملائكة بنات الله وقيل هم النصارى لقولهم المسيح ابن الله قوله جل اسمه فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ه باخع نفسك قيل قاتل نفسك وقيل مهلك نفسك ه ومعناه لا تقتل نفسك على اثرهم ان لم يؤمنوا بهذا القرآن غما وحزنا ه ومعنى على آثارهم بعقبهم وقيل ذلك على انه صلى الله عليه وسلم كان يمشي بعقبهم ه ومعنى اسفا قيل سمي القرآن حديثا لانهم يقولون يقدم القرآن اعني الكلام الا شعرية وقيل كسرت ان في قوله ان لم يؤمنوا لانها في معنى الجزاء ولو انتصب في اللغة مثل هذا جاز قال الشاعر اتجزع ان بان الخليط المودع وحبل الصفا من عزة المتقطع قوله جل اسمه انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ه قيل معناه جعلنا الاشجار والزروع وانواع النبات والثمار والمواشي والطيور وسائر ما ينتفع الناس به زينة للارض ولاهلها لان الارض تحسن بها وتحسن احوال الناس به ه وقيل معناه ان الارض حفت بالشهوات فمنها ما هو حرام ومنها ما هو حلال

ومنها جايز ومنها ما هو واجب ومنها ما هو اولى فرتبتها بوجوه الى
جميع ذلك وقوله جل اسمه لنبلوهم ايهم احسن عملا معناه لنعاملهم
بالامر والنهي معاملة المختبر فايهم كان احسن عملا كان جزاوه
على مقدار عمله عند الله وقوله تعلى وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا
قيل معناه وان الله سيهلك ما خلقه على وجه الارض من زينتها والجرز
الارض اليابسة التي لا نبات فيها وقيل صعيدا جرزا معناه
بلقعا وقوله تعلى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا
من اياتنا عجبا معناه ان الله تعلى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم هو الذين
كانوا اصحاب الكهف وامرهم الذي ظهر انه كان عجبا من اياتنا وعرفه
الله ذلك لانه لم يعرفه حتى اعلمه الله وقيل معناه ام حسبت ان اصحاب
الكهف وما صاروا اليه كان عجبا مع ان ما خلقت من السموات
والارض وما بينهما من العجب والحجة بذلك قاطعة والعبرة به بينة وقيل
معناه من اياتنا ما هو اعجب من ذلك والرقيم هو لوح كتب فيه اسما
اصحاب الكهف واخبارهم حين اووا الى الكهف لانه كان من عجايب الامور
وجعل في خزاين الملوك وقيل على باب كهفهم ورقيم في موضع
من قوم خرج في موضع مخروج وقيل الرقيم هو الوادي وقيل
الرقيم هو الجبل بعينه عند بعض المفسرين كانه ذهب الى ان الجبل
علم كان الكتاب علم على المعنى وقيل هم هربوا بدينهم الى الكهف
لان دقيانوس الذي كان الملك في ذلك الوقت واصحابه ينازعون هولا
في الدين الذي اعتقدوه وكان اعتقادهم حقا فهربوا الى الكهف
بدينهم ليسلم دينهم وقوله تعلى اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا
اتنا من لدنك رحمة وهي لنا من امرنا رشدا اووا الى الكهف هربا من اولئك

الكفرة ودعوا الى الله بهذا الدعاء لنا ثابتة على ان الانسان
اذا اخذ بالظاهر كلمة الكفر جاز لان يهرب بدينه وان يدعو
الله في تلك الحال بمثل هذا الدعاء لان الله تعلى رضي لك ذلك اجابهم اليه
ومعناه ارزقنا من عندك رحمة ننجا بها من ظلم الكفار ومن ان
يقتلوننا ويفتنونا ودلنا على ما فيه نجاتنا وهو معنى قوله وهي لنا من
امرنا رشدا والارشاد هو الدلالة وقوله تعلى فضربنا على اذانهم
في الكهف سنين عددا قيل معناه انمناهم في ذلك الكهف نوما
لا ينتبهوا سنين معروفة معدودة لم يسمعوا منه وكانوا في ذلك احيا يتنفسون
فصار حقل النوم ضربا على الاذان توسعا ومجازا ومعنى ضربنا
على اذانهم في الكهف جعلنا فيها ما يمنع عن الادراك وقوله تعلى
ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا معناه ثم نبهناهم
من نومهم ليعرفوهم ونعرفهم انه ليس فيهم من يعلم مقدار السنين
الذي لبثوا فيها وهو معنى قوله لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا اي اعلم
باحصا هذه السنين وقوله لنعلم مجازا هاهنا لان الله تعلى لا يجوز عليه
التجدد لعلم كالواحد منا وهو عالم لذاته بجميع المعلومات وانما معناه
ليبين لهنا ابرانه ليس في الحزبين من يعلم ذلك ومعناه لنظهر المعلوم
في اختلاف الحزبين في مدة لبثهم ليظهر موجودا من جهتهم ما كان
معلوما لله تعلى من حالهم وقيل احد الحزبين الفتية والحزب الاخر
من حضرهم من اهل ذلك الزمان وقيل احد الحزبين يومنون والاخر كافر
والامد الغاية وانتصب امدا باحصا وبلبثوا في قوله بعضه وقيل
لا علم لاحد الحزبين بمقدار لبثهم وقيل يجوز ان يختلفوا ويعلم احدهما دون
الاخر والحزبان هما المختلفان في امرهم وقوله تعلى نحن نقص عليك

نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ٥ معناه إنا نعلمك خبرهم
ونقص عليك قصتهم بالحق إنهم فتية آمنوا بالله ربهم وزدناهم الله بصيرة
بالألطاف التي فعلها لهم ٥ ووجه الاعتبار في نبأهم صفتهم في
خلوص إيمانهم وما جلب لهم من الفائدة من ربهم إذ زادهم هدى
وبصيرة حتى تمسكوا بإيمانهم ولم يبالوا بشدة من شدد عليهم بالقتل
والتذليل لهم وزيادة الهدى التي أعطاها الله إياهم قيل هي
زيادة المعارف بالألطاف فيها من الآيات التي زادها وربطنا
على قلوبهم وقوله جل اسمه إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات
والأرض ٥ قيل معناه شجعناهم وقوينا قلوبهم حتى قالوا هذا
القول بحضرة ملك الكفار ولم يستعملوا التقية فقالوا
ربنا وإلهنا ومدبرنا مدبر السموات والأرض وخالقها
وقوله جل اسمه لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا ٥
الشطط هو الخروج عن الحد بالغلو معناه لو قلنا بإله غير الله كما
يسومونا ويلزمونا لقد قلنا قولا شططا أي باطلا وقوله تعالى
هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة نعبدهم وكان هذا
إخبارا منهم على وجه الإنكار وقوله تعالى لولا يأتون عليهم بسلطان
بين ٥ معناه هلا يأتون على هؤلاء الآلهة بحجة بينة واضحة تدل
على أنهم آلهة ٥ وقيل لولا يأتون على عبادتهم لها بحجة ظاهرة بحذف
وفي الآية دلالة على أنه لا يجوز تقليد في الدين بلا حجة وقوله تعالى فمن أظلم
ممن افترى على الله كذبا ٥ معناه ومن أظلم من هؤلاء الكفار لأنهم
بافترائهم الكذب على الله في ادعائهم آلهة غير الله في هذا
اللفظ على تعجب الخلق من شجاعتهم وبصيرتهم وقوله تعالى

وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون من دون الله فأووا إلى الكهف
ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا ٥ قيل
معناه أنه قال بعضهم لبعض إذ اعتزلتم هؤلاء الكفار وما
يعبدون من دون الله وأظهرتم معاداتهم ولم تعبدوا إلا الله
وحده فصيروا إلى الكهف فاتخذوه مأواكم إلى أن ينشر الله لكم
رحمة من عنده ونعمة من نعمه كانوا علموا أنه لا يتهيأ لهم الكون فيما
بينهم مع إظهارهم المخالفة لهم في الديانة ومعنى الاستثناء في قوله
إلا الله يجوز أن يكون متصلا ٥ ويجوز أن يكون جميعهم إنما يعبدون
الأوثان فقط فيكون الاستثناء منقطعا ٥ والفاء التي في قوله فأووا
جواب إذ كما تقول إذ فعلت ٥ وقوله ويهيئ لكم من أمركم
مرفقا المرفق شيء يرتفق به وينتفع به وفيه لغتان كسر
الميم وفتح الفاء وفتح الميم وكسر الفاء والكسائي ينكر في مرفق الإنسان
إلا كسر الميم ٥ والفراء الكسرة ٥ ومعنى الآية فأووا إلى الكهف
وكونوا فيه إلى أن ينشر الله لكم رحمة وييسر لكم مرفقا في معاشكم
وقوله جل اسمه وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ٥
معناه أن ذلك الكهف الذي أوى إليه الفتية كان بابه إلى ما يلي ناحية
قطب الفلك فكانت الشمس لا تسقط فيه لا عند طلوعها ولا عند غروبها
وإنما كانت تميل عنهم وهو معنى قوله تزاور وتزور وعند طلوعها
~~كانت تميل عنهم وهو معنى~~ لا تكون مستقبله
تميل عن يمين الكهف لأنها كانت زائلة عن باب الكهف إلى ما يلي الشمال
باب الكهف فإذا كان العشي كانت زائلة عن باب الكهف إلى ما يلي
الكهف وهو معنى قوله تقرضهم ذات الشمال وتزاور أصله تتزاور
فأدغمت التاء في الزاي وأصله من الميل والانحراف عن الشيء ٥

وقوله عز وجل وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ٥
أصل القرض القطع قرضته بالمقراض إذا قطعته ومعنى تقرضهم
تقطعهم في ذات الشمال ومعناه أن الشمس عند غروبها تحول وتميل عنهم
منحرفة ٥ وقيل معنى تقرضهم تعطيهم الشمس عند غروبها اليسير من
الشعاع بمحاذاة بأطرافها وكان تقع شعاعها في الكهف شيئا
يسيرا ٥ فالأول من القرض الذي هو القطع ٥ والثاني من قرض الدراهم
يريد ومعنى في فجوة منه في موضع واسع من الكهف ٥ وقيل كانوا في فضاء منه
والفجوة المتسع من الأرض وجمعها فجوات وفجاء ممدود ٥ وقوله تعالى
ذلك من آيات الله ٥ معناه من آيات الله المعجزة ٥ وكان المعجز
من حالهم في نومهم ثلاثمائة سنين وتسع سنين لا يتغير أحوالهم ولا
يطعمون ولا يشربون ٥ وقيل إن شأنهم كان شيئا فاشتهوه واشتغلوا
به والمعجز له ٥ وقيل كان المعجز لنبي عصرهم ٥ وقوله تعالى من يهد
الله فهو المهتدي ٥ يحتمل أن يكون المراد بالهداية هاهنا اللطف ومعناه
من لطف الله له اهتدى فإن الله لا يفعل اللطف الذي هو الجزاء على العمل إلا
من عمل الحسنة كما قال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى ٥ وقوله ومن يؤمن بالله
يهد قلبه يجوز أن يكون من حكم الله له بالهدى فهو المهتدي والله لا
يحكم بالهدى إلا لمن أطاع واهتدى ويجوز أن يكون المراد بالهدى الثواب
ومعناه من هداه الله طريق الجنة ثوابا على طاعته فهو المهتدي ٥
وقوله عز وعلا ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ٥ يجوز أن يكون معناه
ومن أضله الله عن طريق الجنة بأن أوجب عليه العقاب ٥ ويحتمل أن
من حكم الله عليه بالضلال لا يحكم إلا على من هو ضال فلن تجد له ناصرا
ومعينا ومدبرا يرشده إلى طريق الجنة أو يدفع عنه العذاب ٥ وقد

بينت وجوه الضلال والهداية في أول سورة البقرة وفي مواضع فلا وجه
لإعادته هاهنا ولا يجوز أن يكون تأويل قوله من يهد الله من خلق الله الإيمان
في قلبه ومن يضلل من خلق الله الكفر في قلبه كما قاله الجهال لأن الله لا يخلق
ما أمر العبد بفعله ونهاه عن فعله ٥ وقوله جل اسمه وتحسبهم أيقاظا وهم رقود
ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ٥ معناه وإذا رأيتهم في حال الكهف حسبتهم
أيقاظا منتبهين وهم نيام لأن الله تعالى أبقى عليهم حال المنتبهين في حال نومهم
لأن أعينهم كانت مفتحة ولم يتغير في حال وجوههم كما يتغير وجه النائم ثم
ينتبهون ولا يتكلمون وكانوا ينقلبون إلى ما يلي أيمانهم وشمائلهم كما ينقلب
النائم ثلاثمائة وتسع سنين وهو معنى قوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وهذا من
أعجب المعجزات فإن كان رآهم نبيا كان المعجز له وإن لم يكن نبيا كان
المعجز للنبي الذي كان في ذلك الزمان ٥ وقوله جل اسمه وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد ٥ قيل الوصيد هو الفناء وقيل هو الباب وجمعه وصائد ووصد
وفيه لغتان وصيد وأصيد وهو من أوصدت الباب ٥ وقيل الوصيد
باب الفجوة لا باب الكهف لأنهم كانوا قد خلوا الكهف في نواره وإنه كان
الكلب باسطا ذراعيه بباب الفجوة ٥ ومعناه ألقى الله النوم أيضا على كلبهم
وقيل إن الكفار جاؤوا إلى باب الكهف ليسدوه بالحجارة والذي فتح ذلك الباب
رجل أراد أن يعمل دروبا للماشية في ذلك الموضع على باب الكهف يعمل فيه دروبا
فصار باب الكهف مفقودا ٥ وقوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت
منهم رعبا ٥ معناه لو نظرت إليهم ووقع بصرك عليهم لعرفت منهم الخوف والفزع
وذلك أن الله تعالى كان ألبسهم الهيبة لكيلا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب
أجله وينتبهوا من نومهم بإذن الله تعالى ٥ وقيل إنما كان الفزع لأجل أنهم كانوا في موضع
موحش مظلم وكانت أعينهم مفتوحة ووجوههم حالها حال المستيقظين ولا يتكلمون

وقيل طالت اظفارهم وشعورهم ولاجل ذلك يدخل الرعب على من يراهم اه وقيل
الفجوة متسع داخل الكهف بحيث لا تنالهم ... كان بباب الكهف وكان
الكلب بباب الفجوة. قوله تعالى وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم اه فلام
السببية في قوله كذلك بعثناهم على معنى كما حفظنا اجسامهم طول تلك المدة
بعثناهم من تلك الرقدة لان احوال الامرين كالاخر في انها لا تقدر عليها الا
الله تعالى وقيل كما انمناهم ايقظناهم وبعثناهم ومعناه نبهناهم من نومهم
ليسأل بعضهم بعضا عن حالهم وليطيعوا بهم. قوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم اه معناه روي ان رئيسهم قال لهم كم لبثتم فقالوا
لبثنا يوما او بعض يوم في ظننا عند نفوسنا. قوله تعالى قالوا ربكم اعلم بما
لبثتم اه معناه انهم قالوا بعد ذلك الله اعلم بما لبثتم اي بمدة لبثكم ومنامكم
وانما قالوا ذلك لانهم لم يحققوا تلك المدة. قوله تعالى فابعثوا احدكم
بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه
وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا اه معناه قال لهم رئيسهم ابعثوا احدكم
بورقكم هذه الى المدينة فقال لهم ابعثوا واحدا لم يكن معروفا في تلك
المدينة على طريقة اصحاب الكهف في دينهم وقالوا انظر اي طعام احل في
السوق واطهر وانما قالوا ذلك لان اهل السوق كانوا يذبحون للاوثان وهم كفار
انجاس وقيل معنى ازكى خيرا وارخص وليتستر وليأتنا به اليهم وليحب ان يتلطف
في ذهابه واستيابه ومجيئه ولا يشعرن بكم احدا فهذه الكلمات كلها لام
الامر. قوله تعالى انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن
تفلحوا اذا ابدا اه ورد في الروايات ان اولئك الكفار كانوا يفعلون بالناس الرجم
ويكلفون الناس ان يرجعوا الى دينهم فقال هذا الرئيس ان وقفوا على مكانكم
وظفروا بكم يرجموكم او ترجعوا الى دينهم ولو فعلتم ذلك ودخلتم في دينهم

لن تفلحوا اذا ابدا او قيل يرجمونكم يشتمونكم ويؤذونكم بالقول القبيح
قوله تعالى وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان
الساعة لا ريب فيها اه معناه اظهرنا امرهم وعرفنا اهل المدينة حالهم
ليستدلوا بذلك على وعد الله من البعث والنشور بعد الموت حق كما
قبض ارواح اولئك الفتية تلك المدة الطويلة ثم بعثهم كانهم لم يزالوا
احياء على تلك الصفة وروي انه كان سبب ظهور امرهم الورق الذي
بعثوه مع صاحبهم لانه كان على ضرب ذلك الملك دقيانوس وظن اهل
المدينة ان الذي جاء به اصاب كنزا فاخذوه وشددوا الامر عليه فوقفوا
عند ذلك على امرهم وحالهم من جهته. قوله تعالى اذ يتنازعون بينهم
امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم اه قيل كان تنازعهم بينهم
لاجل ان القوم لما وقفوا عن حالهم وعن فواخبرهم لم يلبث اصحاب الكهف
حتى اماتهم الله في الكهف فاختلف الذين ظهروا على امرهم من اهل
مدينتهم فان هذه الكرة مثل الكرة الاولى ام ليس كذلك ويقولون
فما نشرهم ربهم اعلم بهم وقال بعضهم ابنوا عليهم بنيانا يعرفون به اه وقال
آخرون اتخذ عليهم مسجدا. قوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم
مسجدا اه معناه وقال رؤساء اهل تلك المدينة نتخذ عليهم متعبدا على باب
اهل الكهف ليكون في ذلك احد ما تعرفون به اخبار القوم واحوالهم وقيل
هاولاء هم الذين اتخذوا اللوح وكتبوا فيه اسماءهم وقصتهم. قوله تعالى سيقولون
ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم اه معناه ان المختلفين في امرهم في ذلك الزمان كانوا
اذا سئلوا عن عدد اصحاب الكهف فمنهم من يقول كانوا ثلاثة رابعهم
كلبهم ومنهم من يقول خمسة سادسهم كلبهم وكان هذا القول رجما منهم

بالغيب ومعناه قذفا بالظن رميا به من غير علم ومعرفة وهذا كما
قال زهير وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم
ومنهم من قال كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وقال بعض العلماء انما دخلت
الواو في قوله وثامنهم كلبهم لان الاول جاء على وجه صفة الجملة
والثاني جاء عطفا على الجملة وفرق بينهما لان السبعة اصل المبالغة
في العدة كما قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله
لهم وقال بعضهم هذه الواو تدل على ان عدتهم كانت سبعة
وقال غيره ليس فيه دليل على ذلك لان اهل اللغة قد يدخلون
في الكلام الواو وقد يحذفونها في مثل هذا الكلام وهما بمنزلة
واحدة قال ويدل على صحة هذا قوله تعالى قل ربي اعلم بعدتهم
ما يعلمهم الا قليل فمن القليل النبي صلى الله عليه وآله لان الله اخبره بعددهم
واعلمه وروي عن ابن عباس قال انا من القليل الذي استثنى الله
تعالى ثم قال كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وما اخبر الله به النبي
واعلمه اخبر به النبي امير المؤمنين واخبر به امير المؤمنين الحسن والحسين
عليهم السلام والائمة من ولد الحسين عليهم السلام يدخلون في القليل الذي
استثنى وابن عباس ادخل نفسه في ذلك يحتمل ان يكون عرفه من جهة
النبي عليه السلام ومن جهة امير المؤمنين قوله جل اسمه ولا تمار فيهم الا
مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا معناه لا تمار الا بما اظهرناه
لك وعرفناك من امرهم والمراء مصدر مارى يماري مماراة ومراء
وقيل معناه لا تمار من ادعى معرفة عددهم من اهل الكتاب اكثر من ان
تقول لهم انكم تقولون هذا بغير حجة ومعرفة وخبر من جهة الله فهذا
هو المراء الظاهر ثم قال له صلى الله عليه وآله فلا تستفت فيهم احدا من اهل

الكتاب عن عددهم وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد
به غيره لان النبي عليه السلام لم يستفت غير الله الا استفتاه وما
امره الله تعالى النبي ان يخبر الا بعد عددهم لانه لم يتعلق التكليف به
قوله جل اسمه ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله هذا
ما علم الله تعالى الخلق الادب فيه ومعناه من كان لا يأمن ان يعيش غدا احيا
ولا يكون له ان يقول اني افعل غدا كذا وكذا الا ان يقول ان شاء الله لان
الموت والعجز والامراض والآفات متوقعة فاذا اخبر انه يفعل كذا ثم
لا يوجد بخبره على ما اخبر به كان كذبا فاذا قال مثلا اذهب الى المسجد
غدا ان شاء الله فاذا اقام هناك او جاء الغد ولم يصر الى المسجد لم يكن كذابا
وقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت قيل معناه اذا نسيت شيئا فاردت
ان تذكره فاذكر الله عند ذلك واسأله ان يذكرك فان ذكرك اياه
توكل عليه وقيل انه اذا ذكر انه نسي قوله ان شاء الله فليقل ان شاء الله
وقوله تعالى وقل عسى ان يهديني ربي لاقرب من هذا رشدا معناه
عسى ان يعطيني من الرشد ما هو اولى من قصة اصحاب الكهف
وقيل عسى ان يدلني على ما هو ارشد من هذا الذي نسيته وما
هو اصلح منه لانه يجوز ان يكون الله تعالى انساه ذلك لانه كان
اصلح وقوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا
تسعا ورد الله الكلام الى اصحاب الكهف ودل ذلك على ان
الله تعالى عرف النبي عليه السلام عددهم هذا الغرض من ذلك
ونص مدة لبثهم وقال له عليه السلام فان حاجك المشركون من اهل
الكتاب فيهم فقل الله اعلم بما لبثوا وقيل انه اعلم بما لبثوا الى الوقت
الذي نزل فيه القرآن بهذا وقيل انه اعلم بما لبثوا الى ان ماتوا

وهذا التاويل في بيان الله للمقدار ٥ وقيل هو حكاية قول
اليهود لاجل قوله قل الله اعلم بما لبثوا وهذا غلط واما الوجه
الوجه الحسن الذي يبين ولانه لا يجوز ان نصرف حجة الله الى
الحكاية الا بدليل قاطع ولانه معتبرا لاعتبار الذي عند الله
لعباده وهذا معنى قوله قل الله اعلم بعدتهم ٥ ومعناه اعلم
من اهل الكتاب الذين يدعوا علمه **وقوله تعلى** له غيب السموات
والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في
حكمه احدا ٥ معناه ان الله تعلى يعلم غيب السموات والارض
وهو كل ما يكون مستورا عن الخلق وكانه قال من يعلم الغيب
يجب ان يكون اوثق بخبره من خبر من خبره يكون على وجه
الظن والحدس ثم وصف الله تعلى نفسه بان قال ما اسمعه
وابصره لانه لا يخفى عليه شي مخرج اللفظ مخرج التعجب على وجه التعظيم
له وكانه قيل له صلى الله عليه واله اذكره بذلك للناس وعرفهم بذلك
واخبرهم بانه صفة الله ما اخبر عن غيبه ٥ ثم بين تعلى انه لا يجعل
لاحد من خلقه ان يغير حكمه في عباده وان يحكم فيهم بخلاف ذلك
وقوله تعلى واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه
ملتحدا ٥ قيل معنى الملتحد الملجا الذي يهرب اليه ٥ وقيل الموئل وقيل
المعدل وهو من قولهم لحدت الى كذى اذا ملت اليه ومنه اللحد
لانه في ناحية القبر ومنه الالحاد في الدين لانه العدول عن الحق ٥ ومعنى
الاية اقرا ما اوحى الله اليك من كلماته لا تبديل لها ولا تغير
ولن تجد من دونه ملجا ومعدلا ٥ وورد في الروايات انهم سبعة
وكانوا اخوة وكانوا من خواص دقيانوس لعنه الله وورد ايضا

وخزانه ودقيانوس ادعى الربوبية وتعبد قومه كما فعل فرعون
فلطف الله تعلى لهولا الطاف ادتهم الى النظر والاستدلال بافعال
الله على الله تعلى وحده وعرفوا عدله وحكمته ٥ وفي الرواية من روى
ان كل واحد منهم راى رويا صارت عنده لهدا اعيا الى معرفة
الله تعلى وكل واحد منهم يكتم رؤياه عن صاحبه الى ان تشاوروا
واتفقوا على الهرب من الملعون المدعي للربوبية ٥ ويروى ان دقيانوس
اصابته علة صعب لها واظهر الجزع فقال هولا لو كان هذا الها
لا استعمل ما الم به وافشى كل واحد منهم سره لصاحبه ودبروا
الهرب فقالوا استاذنوه للنزه والصيد فاستاذنوه فاذن لهم وجعلوا
يخرجون الى الصحرا ويرجعون حتى انس على ذلك العامة مدة وكل كره حملوا
رجوعهم ابطى من الكرة الاولى حتى اسموت عادتهم على ذلك من اليوم
الذي امضوا عزيمتهم فيه خرجوا فلم يرجعوا في الوقت الذي كانوا يرجعون
فيه فظن الملك والجند انهم تباعدوا في الصيد فلذلك تباطوا في
الرجوع فلما انتصف الليل وخرج الامر عن الحد احسوا بانهم عزموا امرا
فامر دقيانوس الجند بالركوب وخرج بعسكره في طلبهم ولا يدرك اثرهم
الفتية ليلتهم حتى انتهوا الى الجبل الذي فيه الكهف من الغد ولحقهم
العسكر بحيث كانوا يرونهم في سفح الجبل ٥ وروي انهم راوا اعيا والكلب
وهو باسط ذراعيه بالوصيد وكان للراعي فروى ان الراعي تابعهم ومشى
معهم ٥ وروى ان الكلب ذهب معهم وصعدوا الجبل خائفين ورهقهم
عنان الخيل فدخلوا الكهف فانسد باب الكهف وجعل الله تعلى
نجوه داخل الكهف كما حكى الله تعلى في كتابه والقى النوم عليهم من الغم
الرعب والخوف فبقوا نائمين على تلك الحالة ثلثمائة سنين وتسع سنين بعد

العشي في الجبل فلم يردوا احدا او لعوا مخبرين والتصق بوا حاسين والحمد لله
رب العالمين حدثني الشريف ابو محمد الحسن بن
علي رحمة الله عليه قال حدثنا ابو جعفر محمد بن ابرهيم بن محمد بن عبدان بن
حبلة الهمداني قال حدثنا ابو سهل حامد بن عبد الله الحولي قال حدثنا ابو الحسن
احمد بن سليمان الطائي قال حدثنا محفوظ بن ابي نوه قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر
بن راشد عن ثابت البناني عن انس بن مالك قال اهدي لرسول الله صلى الله عليه
بساط من شعر من قرية يقال لها مندف فقال انس فبعث الى من دعاني واتيته
وبعثني الى علي عليه السلام وانت ريح فقال رسول الله صلى الله عليه يا ريح
احمليهم ثم قال يا ريح ضعيهم ثم قال اتدرون اين انتم قلنا لا قال هؤلا اصحاب
الكهف والرقيم الذين كانوا من ايات الله عجبا فقام رجل ممن كان معنا فسلم عليهم
فلم يردوا عليه السلام ثم قام اخر فسلم فلم يردوا عليه السلام ثم قام القوم اجمعون
فسلموا فلم يردوا عليهم السلام فقال امير المؤمنين علي عليه السلام عليكم يا اهل الكهف
والرقيم الذين كانوا من ايات الله عجبا قال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا ابا الحسن
فقال رجل لعلي سلم القوم ما بال الناس سلم عليهم فلم يردوا علينا السلام فقال علي ما بال
القوم سلموا فلم يردوا عليهم قالوا انا لا نكلم الا نبيا او وصي نبي وانت وصي خاتم
النبيين ثم قال علي يا ريح ضعينا ثم ركض برجله فاذا الجن بعض من ما فوصى
ثم قال تواصوا فانكم تدركون الصبح مع رسول الله صلى الله عليه وآله
ثم قال يا ريح احملينا فادركنا اخر ركعة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما
قضينا قال انس سبقتنا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال
رسول الله فقال يا انس احدثك حدثنا او تحدثنا قلت حدثنا من فيك
يا رسول الله احسن حدثنا كانك شاهد معنا ثم قال اشهد بها على يا انس
قال انس فاستشهدني علي وهو على المنبر فداهنت في الشهادة فقال

ان كنت كتمتها مداهنة من بعد وصية النبي صلى الله عليه وآله فابرصك
الله قال فلم ابرح مكاني حتى برصت وكان انس لا يستطيع الصوم في رمضان
وفي غيره من شدة الظما وكان يطعم في كل يوم من شهر رمضان مسكينا
حتى فارق الدنيا وهو يقول ان دعوة علي وروي هذا الحديث بعد سماعه حديث
هذا اخرها وقد كان لنبينا صلى الله عليه وآله بل يسف الصحابة معجزة ففي هذه الرواية
خمس من المعجزات احدها تسخير الريح له كما سخرت لسليمن عليه السلام والثاني
كلام اصحاب الكهف والثالث ركض علي برجله وظهور العين والرابع احاط
علي انهم يدركون الصلوة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان كما اخبر والخامس
ما حدث به رسول الله صلى الله عليه من القصص من اولها الى اخرها حتى كانه كان
معاينا وما اصاب انسا بدعوة علي عليه السلام وهو محض [illegible] انه كان قد مضى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد عبر لمن اعتبر وقوله تعلى واصبر نفسك مع
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه امر النبي صلى الله عليه
وآله وسلم ان يصبر مع المؤمنين العابدين لله غدوا وعشيا يطلبون
مرضات الله ويريدون بعبادتهم بالغداة والعشي تعظيم الله وهو معنى
قوله يريدون وجهه وذكر الوجه لاجل التعظيم كما يقال اكرمه لوجهك
معناه لتعظيمك ومن شان اهل اللغة ان يذكروا وجه الشيء ويريدون
الشيء كما قالوا وجه الراي وارادوا الراي الذي هو الحق عندهم وقوله تعلى
ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا معناه ولا تصرف بصرك
عن هؤلا الفقرا الى الاغنيا الذين ليسوا في العبادة كهؤلا الفقرا وحب
عليك ان تختار الفقرا على الاغنيا وتقدمهم وتركن لهم ولا تشتغل بزينة الحيوة
الدنيا وقوله تعلى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره
فرطا معناه ولا تطع الكافرين والمنافقين الذين في قلوبهم غفلة عن ذكر

الثقفكون مع من اغفلنا صادفنا قلبه غافلا وهذا موجود في اللغة
كما قالوا احمدته وجدته محمودا واجبنته وجدته جبانا واتخلته
وجدته بخيلا واخصبت الارض وجدتها خصبة ومنه قول عمرو بن معدي كرب
لبني سليم فاتلناكم فما اجبناكم وهاجيناكم فما افحمناكم وحاورناكم
فما اخللناكم اي ما صادفناكم بخلاء ولا جبناء ولا مفحمين ه وقيل معنى اغفلنا
قلبه نسبناه الى الغفلة ولا يصح نسبه الى الغفلة الا وتكون فيه غفلة وهذا كما قالوا
اكفرته اذا نسبته الى الكفر وقيل فيه وجه آخر وهو اي جعلنا قلبه غافلا
بان لم نسمه بما نسمي به قلوب المؤمنين الذاكرين الله كما قال تعالى اولئك
كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه تعالى للتعبير الذي لم يسمه اهله
غفل وهذا كما قالوا للارض التي لا اثر فيها السمات وغيره غفلت ه
ومعنى واتبع هواه وكان امره فرطا اي اتبع هذا الغافل هواه وكان امره
مجاوزا الحد والحق خارجا عنه يقال افرط اذا اسرف وفرط اذا قصر
عن التقدم الذي يلزمه ه وقيل فرطا مسرفا فدلت احوال الاية على ان معنى
اغفلنا ما بيناه لان الله تعالى لو جعل الغفلة في قلبه بان احدثها فيه كما
قال الجهال لم يكن لقوله واتبع هواه على وجه الذم له معنى لانه لو كان معه
الغفلة لم يكن متبعا هواه وانما حمل على اتباع هواه الحي البه والله تعالى
عن ذلك ولا يجوز عند اهل اللغة ادخال الالف واللام في عدوه لانه معرفه
ولو كانت نكرة لجاز فيها الاضافة كما جاز غداة يوم الجمعة **وقوله تعالى**
وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين
نارا احاط بهم سرادقها دلت هذه الاية على ان المكلفين مخلى سبيلهم
من فعل الايمان والكفر وانهم قادرون على ذلك متمكنون منه
فلو كانوا مجبرين عليه وخلق فيهم الكفر والايمان لم يكن لقوله جل وعلا

فمن شاء فعل كذا ومن شاء فعل كذا معنى ولم يكن لتوعدهم بالنار
اذا اظلموا وجه في الحكمة والله يتعالى عن ذلك وبذلك ايضا على صحة
تاويلنا لقوله اغفلنا ومعنى الاية ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وآله
ان يقول لهم ان القرآن المنزل عليه حق لانه يدل على ما هو حق وعلى ما هو
باطل وقامت الحجة على العباد بقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وليس
بحسن للتخويف من فعل الكفر والايمان وانما ورد ذلك على وجه التهديد والزجر
لمن هو قادر متمكن من فعل الطاعة والمعصية ولا خلاف بين الامة في ان الله
تعالى لا يامر بالكفر والمعصية وانما جاء اللفظ على صيغة الامر للمبالغة في
التهديد وهو موجود في العرف وتقديره كانه مأمور بما يوجب اهانته واذلاله
ومعنى اعتدنا للظالمين نارا ه دل قوله هذا على ان قوله فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر ليس بتخيير **وقوله جل اسمه** احاط بهم سرادقها قيل
معناه احاط بهم دخانها ولهبها فشبهه بذلك بالسرادق والحائل
بين الابصار ورؤيتها ما وراءه ه وقيل احاط بهم سرادقها وصلت
اليها وهو كما قال في موضع آخر انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب
لا ظليل ولا يغني من اللهب ه والاصل في ذلك السرادق الفسطاط
وقيل السرادق بيت يدار حول الفسطاط وقيل سرادقها
حائط من نار تحيط بهم **وقوله جل اسمه** وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل
قيل معناه واذا استغاثوا من حر النار بالماء اغيثوا بماء كالمهل والمهل		قرا هو
كل شي اذيب ه وقيل هو القيح والدم ه وقيل كل شي كدرة دي
الزيت وقيل هو الذي قد انتهى حره وكانهم يبلغهم العطش فيعطون
المهل **وقوله جل اسمه** يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا
معناه ان ذلك الماء اذا اصابه قربا من افواههم يشوي وجوههم وانضج

بحر حب وجوههم ثم بين تعالى ان المهل بئس الشراب وان النار بئست
مجلسا لاهلها واصل المرتفق المتكأ والمرفق وفيه قول ابي ذؤيب
بات الخلي وبات الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح
وقيل المرتفق الرفوم وقال بعض المفسرين مرتفقا مجتمعا كانه ذهب
الى معنى مرافقة وقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع
اجر من احسن عملا قوله اولئك يفتقر الى خبر قال بعض النحويين خبره اولئك
لهم جنات عدن وقوله انا لا نضيع اجر من احسن عملا ~~وقع المرفع~~
اعتراضا بين الاسم والخبر وقال غيره الخبر قوله انا لا نضيع اجر من احسن
عملا فوقع المظهر موقع المضمر وقيل هو البدل فلا يحتاج الى خبر
قال الشاعر ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم
وقوله جل اسمه اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار
معناه هولاء الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من
تحت سكانها الانهار والعدن الاقامة فهم يكونون مقيمين فيها وقيل
العدن اسم من اسماء الجنة وقوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب الاساور
زينة تلبس في الزند من اليد وهو من زينة الملوك والتاج على الرأس وقيل الاساور
هي جمع اسوار على حذف الزيادة لان اصله اساورة وقيل جمع السور واسورة
جمع السوار ويقال بكسر السين وضمها وقوله تعالى ويلبسون ثيابا خضرا
من سندس واستبرق قيل السندس هو ما رق من الديباج وقيل هو الحرير
قال الشاعر تراهن يلبسن المشاعر مرة واستبرق الديباج طورا لباسها
وقوله تعالى متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا الارائك السرر
في الحجال واحدها اريكة وقيل الارائك العروش من حجال بين الله تعالى
حال المؤمنين في الجنة ما وصف في الاية انهم يكونون في جنات عدن وعليهم

اساور من ذهب ويتحلون على رؤوسهم ولباسهم الديباج والحرير وهم
يكونون على سرر في الحجال ثم قال هذه الجنات ونعيمها نعم الثواب
للمؤمنين وحسنت مرتفقا وقد مر بيان المرتفق في الاية التي قبلها
وقوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب
وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ضرب الله تعالى رجلين وجعل مثلهما
وجزاهما عظة للناظرين وامر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يجعله مثلا على الناس وقوله
جنتين اي بستانين فيهما نخل واعناب وزروع محفوفة بالنخل وهذا
من احسن ما يكون من البساتين والجنة في اللغة البستان ذات الزهرة
والاشجار وقوله تعالى كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا
معناه الجنتان اللتان ملكناهما احد الرجلين وهو معنى قوله اخرجنا ثمارها
على التمام ولم تنقص منه شيئا وهو معنى قوله ولم تظلم منه شيئا والاكل هو ما
يؤكل من الحب والثمار واصل الظلم في اللغة النقص قال الشاعر
يظلمني حقي كذي ولوي يدي لوى يده الله الذي هو غالبه وقيل انما
قال اتت على لفظ التوحيد بعد لفظ كلتا ولم يقل اتتا لان اتت متولة
كل في مخرج التوحيد وقال الشاعر في مثله وكلتاهما
قد خط لي في صحيفتي فلا العيش اهواه ولا الموت اروح
ولو قيل اتتا على الخبر لجاز وجاز كلتا الحسن في المخبر على الاية
بسان لان الالف على التثنية في قولك انسانان واسار والالف في
ذلك للتثنية وليس كذلك الالف في كلتا الا ان الالف في كلتا ليست
الف تثنية وانما وضع كل وكلتا للتاكيد التثنية وهو من الكل
الموضوع لتاكيد الجمع الا ان كل تعم وكلي وكلتي تخص وجاز كلتي
الجنتين ولم يجز كلي المراة لان بعض المراة ليس امراة كما ان بعض

الجنتين جنة فكانه قيل كل جنة من جملتها اتت (وقوله تعالى وفجرنا
خلالهما نهرا او كان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر
منك مالا واعز نفرا) معناه وفجرنا خلال الجنتين نهرا جاريا
وكان للنخل التي في ذلك البستان ثمر وقيل ثمر ذهب وفضة
وقيل المراد به صنوف الاموال وكانه قيل وللرجل الذي ملك البستان
ثمر وهو صنوف الاموال ورجعت الكناية اليه ثم بين تعالى ان
صاحب الجنتين قال لصاحبه انا اكثر منك مالا واعز عشيرة
وانصارا والنفر من كان ينفر معه من اهله ومن سائر الناس
اذا احتاج اليهم وفي هذا بيان ان صاحب الجنتين لم يشكر
الله على ما انعم عليه ولم يتواضع له وجعل مكان الشكر والتواضع
الاستطالة على صاحبه والايات التي تلوها تدل على ذلك
ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن
الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا في
الاية بيان ان الرجل دخل بستانه وهو ظالم لنفسه قال ما اظن
ان هذه الجنة التي ملكتها وما اظن الساعة تقوم فانكر الفناء والبعث
اعتقادا او شكا ومع ذلك طمع فيما هو خير مما اعطي وادعى عليه ما بعد
هذا وهو قوله ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا هذه
حكاية قول صاحب البستان والمنقلب المرجع والمعاد والاقرب انه
شاك في البعث لا منكرا له على القطع لما تضمن الاية وهو ولئن رددت
الى ربي كما ادعى من رجوعي فان لي عند الله ما هو خير مما في يدي فكان ذلك
ما سولته له نفسه وانكار لا طمع لمثله فيه لانه كان كافرا بالله وكانه
قال ما اعطاني الله في الدنيا اولى عنده في الاخرة ما هو خير منه ان كنت احده

فدل ذلك على انه كان شاكا فيه (وقوله تعالى) قال له صاحبه وهو
يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك
رجلا معناه اصل المحاورة المراجعة بالكلام في المخاطبة ومعناه
ان صاحبه الذي استطال عليه بقوله انا اكثر منك مالا وولدا قال
له اكفرت بالله الذي خلقك واباك من التراب اجمع ثم خلقك
بعده من نطفة ثم من علقة وجعل العلقة مضغة وجعل المضغة
عظاما وكسا العظام لحما ثم انشاك خلقا اخر فصيرك رجلا
سويا على الصورة التي انت عليها وقال له بهذا القول على وجه الانكار
والذم والتوبيخ (وقوله جل اسمه) لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي
احدا معناه لما انكر على صاحبه كفره بربه عدل بكلامه الى
معرفته بربه اي الى الباري المصور فكانه قال ان كفرت انت
بربك فانا امنت به وان ذكرته انت فانا عرفته ولا اشرك
به شيا وهو معنى قوله لكنا اي اقول هو الله ربي وتقديره في اللغة لكن
انا اقول هو الله ربي الا انه حذف الهمزة والقى حركتها على
الساكن الذي قبلها فالتقت النونان فادغمت احداهما في الاخرى
قال الشاعر وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن
اياك لا اقلي معناه لكن انا اياك وسمعت بعض الثقات من
الادباء يحكي عن بعض ائمة اهل اللغة انه قال جاء في اللغة لكنا بمعنى
لكن وقال علي بن عيسى النحوي صاحب التفسير يجوز في اللغة في
لكن هو الله خمسة اوجه الاول لكنا هو الله بالتشديد من غير
الف في الوصل والثاني بالالف في الوصل والوقف والثالث بغير
الف في الوصل
باظهار نونين وطرح الهمزة والرابع لكن هو الله بالتخفيف

والخامس لكنا على الاصل وفي الكشاف العرب يقولون انا قائم
بمعنى اني قائم وهو نظير لاكن هو الله ربي وقوله جل اسمه ولولا اذ
دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل
منك مالا وولدا ه معناه ان صاحبه الذي يعهد ذكره قال له
ايضا هلا اذ دخلت جنتك ووجدتها على احسن العادة شكرت
الله ربك وقلت ما شاء في تدبير عباده كان لا قوة للعباد الا
بالله ولا معين لهم عليها غير الله ليكون ذلك شكرا لله ربك
وطاعة ويكون ذلك لطفا في بقاء مالك وحفظا له وقوله تعالى ان ترن
انا اقل منك مالا ه ابتداء كلام ثاني فقال له وانت ان كنت ترى
انا اقل منك مالا وولدا فاني مومن بالله متوكل عليه راض بقسمته
وبعطاياه وقوله تعالى فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ه
اي يعطيني خيرا اما اعطاك ويعطيني جنة خيرا من جنتك
في الاخرة والدنيا وقوله تعالى ويرسل عليها حسبانا من السما
فتصبح صعيدا زلقا ه الحسبان اصله السهام التي ترمى بمجرى
في طلق واحد وكان من رمي الاساورة والحسبان هي
المرامي الكثيرة لكثرة احتسابه ومعنى الاية ويرسل على
جنتك نارا او عذابا من السما فتصبح تلك الجنة كالصعيد
وهو الارض المستوية التي لا نبات فيها واذا اصابها المطر
زلقت عنها اقدام الناس وهو معنى قوله صعيدا زلقا ه
وموضع ما من قوله ما شاء الله النصب على انه جزاء تقديره ما
شاء الله كان الا انه حذف كما حذف في فان استطعت ان
تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء ه وقيل هو رفع على تقدير هو

ما شاء الله فيكون ما بمعنى الذي ه وقيل ضرب هذا المثل لسلمان
الفارسي وخباب وصهيب مع اشراف قريش وقوله جل اسمه
او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ه الغور الذهاب
في الباطن يقال غار الماء يغور اذا ذهب من وجه الارض الى باطنها
ومعناه او يصبح ما في هذه الجنة غائرا ولا تستطيع له طلبا فوقع
المصدر موقع الصفة فلذلك لا يثنى ولا يجمع ويجوز وضع المصدر
موضع الصفة للمبالغة قال الشاعر تظل جياده نوحا عليه
مقلدة اعنتها صفونا ه اي نائحات وقوله جل اسمه واحيط بثمره
فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ه معناه
وانزل الله نقمة من نقماته على تلك الجنة فتلف جميع ما فيها فاحاطت
النقمة بها كما يحيط العدو بالقوم وصار صاحب الجنة يقلب
كفيه اي يديه على تلك الجنة وقد سقطت سقوفها وسقطت
حيطانها على سقوفها وسقط ما غرس من الاشجار وسقطت
الاشجار على ذلك حتى صارت خالية من اشجارها وثمارها وهو معنى
قوله خاوية وقيل خاوية على ~~عروشها~~ سوقها والعروش الابنية
ومعناه ذهب شجرها وبقيت جدرانها لا خير فيها ه
وقيل العروش السقوف وقوله تعالى ويقول يا ليتني لم اشرك بربي
احدا ه معناه وقد ندم على شركه وكفره بربه وقوله تعالى
ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا ه معناه
ولم يكن له ناصرون يدفعون عذاب الله عنه يوم النقمة والفئة
الجماعة تخلا عن الجيران وعن الناصرين الدعوة بهم ولم يكن
ممتنعا عما نزل به من النقمة والعذاب وهو قوله منتصرا وقوله تعالى

هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا ٥ الولاية هاهنا
العبادة واتخاذ المولى الها معبودا وثوابه عاقبة عبادته ٥
ومعنى الاية هنالك تبين صاحب الجنة ان العبادة والولاية الذين
هما حق لله لا لغيره وثواب عبادته خير من عاقبة ثواب عبادته
لغيره ٥ وقيل في ذلك الموطن الولاية بالنصرة والاعزاز لله تعالى لا يملكها
احد من العباد بعمل الفساد كما قد يكون في دار الدنيا على طريق الاختيار
ولتصح الجزاء عنده وقيل هو خير جزاء على الامن وعاقبته ما يؤول اليه
وقوله تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا ٥ تعالى
ذرت الريح التراب اذا اسفت به والهشيم النبات اليابس وهذا مثل
ضربه الله ٥ ووجه ضرب المثل للدنيا التزهيد فيها لئلا يركن اليها
ويطمئن بها فقال مثل الحيوة الدنيا كماء ينزله الله من السماء الى الارض فيخرج
النبات من الارض بانواع حسنه ويعجب ثم يعود هشيما يابسا
تحت بنفسه الرياح فيتبين ان الطلاب الدنيا كالطلاب هذا النبات ٥ ومن
ان الله تعالى قادر على كل شيء وقاهر له وهو معنى قوله مقتدرا ٥
وقيل مقتدرا بعونه وقيل بقوته وقيل هو اخبار عن الماضي ودلالة
على المستقبل وقوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا ٥ معناه
الاموال والبنون في الدنيا ما يتزين به اهلها الا ان الدنيا وما فيها
لا يدوم لسرعة زوالها وقوله تعالى والباقيات الصالحات خير عند
ربك ثوابا وخير املا ٥ معناه الاعمال الصالحات والطاعات المرضية
الجالبة للثواب الدائم خير لان ثوابها يبقى ابدا فهو خير من يوم ينقطع
زايل وهذه الاية تاكيد الاولى في باب التزهيد في الدنيا والاستدعا

الى فعل ما يحرز النفع الدائم والثواب الباقي الذي لا انقطاع له ولا زوال
وقوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم
فلم نغادر منهم احدا ٥ التسيير هو تطويل السير تعالى سيره
وقد يكون ان يجعل الشيء يسيرا فعلى هذا تسيير الجبال عن وجه
الارض فتكون الارض بسيرته وقيل تسيرها ان تجعلها هباء منثورا
ثم تعيدها بعد ذلك ٥ وقيل تسيير الجبال سيرا كالماء فتصور ذلك من
الاعتبار به في دار الدنيا ٥ ومعنى وترى الارض بارزة ظاهرة لا شيء
يسترها نحشر الناس بها كذي يكون كلهم في صعيد واحد فيرى
بعضهم بعضا وكل ما ذكر فهو اخبار عن شدة هول القيمة وفيه
استدعا الطيف الى الاستعداد لها واخبر تعالى انه يحشر الخلق
جميعا ولا يترك احدا الا حشره ٥ وروي عن رسول الله صلى الله عليه
انه قال يحشر الناس يوم القيمة حفاة عراة غرلا وروي عراة
حفاة بها وروي ان عائشة قالت لما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه
يا رسول الله انها الفضيحة ام الحشمون يومئذ فقال صلى الله عليه
لكل امرئ يومئذ منهم شان يغنيه ٥ ومعناه انه مشغول بنفسه
لا يتفرغ الى غيره وقوله تعالى وعرضوا على ربك صفا ٥ معناه ان
الخلق يعرضون على الله للحساب وهم صفوف يقفون صفا
بعد صف كما يصطفون للصلوة حول الكعبة وقوله تعالى لقد جئتمونا
كما خلقناكم اول مرة ٥ معناه حشرتم الينا على نحو ما حشرنا
حين خلقناكم وكما لم يكن لكم ولا اخر لكم في الاول مال كثيرنا
كذلك في هذا الوقت لا مالك لكم غيرنا وقوله تعالى بل زعمتم ان
لن نجعل لكم موعدا ٥ معنى هذا التبكيت للكفار الذين انكروا

البعث بهذا القول وتقريع لهم به والموعد هاهنا هو ما اخبر
الله على ألسنة انبيائه عليهم السلام انه يبعث الخلق
ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا
ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ٥ معناه
انه يوضع الكتاب الذي فيه اعمال العباد للمحاسبة ٥ وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تتطاير الصحف من فوق
رؤسهم فيعطى المؤمن بيمينه والكافر بشماله ٥ وروي في خبر اخر
يسلم بره من صدره فيعطى من وراء ظهره وهو قول الله تعالى فاما
من اوتي كتابه من وراء ظهره ٥ ومن تعلى ان المجرمين يكونون على وجل
وخوف مما في الكتاب لما قد حفظوه من سيئات اعمالهم
فيدعون على انفسهم ويصيحون بالويل والثبور ولما قد علموه
من صغير الذنب وكبيره يكون مثبتا مكتوبا في ذلك الكتاب من غير ان
يترك منه شي ووجدوا الكتاب شاهدا عليهم ووجدوا جزاء ما عملوا
حاضرا ٥ ومن تعلى انه لا يظلم احدا فيما حكم به وهو قوله تعالى ووجدوا
ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا قوله جل اسمه واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه ٥ معنى ففسق عن
امر ربه خرج عن طاعته تعالى وفسقت الرطبة من قشرها اذا خرجت ٥
قوله جل اسمه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ٥
الالف في قوله افتتخذونه الف انكار وتوبيخ على معنى اتطيعون ابليس
واولاده بان تتخذونهم اولياء من دوني وهم عدو لكم يدعونكم الى النار والله
يدعوكم الى الجنة والمغفرة ٥ ومن ان اتباعهم امر ابليس بدلا من اتباع امر الله
بئس بدلا لهم ودلت الاية على ان ابليس لعنه الله لم يكن من جملة الملائكة عليهم السلام بقوله

الا ابليس كان قوله جل اسمه ما اشهدتهم خلق السموات والارض
ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ٥ قال بعض العلماء
وجه اتصال هذه الاية بما قبلها اتصال الحجة التي تكشف حيرة الشبهة
وكانه قيل لهم قد اقبلتم على اتباع ابليس وذريته حتى كان عندهم علما
يحتاجون اليه ولو اشهدتهم خلق السموات والارض وخلق انفسهم لم يخف عليهم
باطن الامور وظاهرها ولم يزيدوا على ما انتم عليه من امر هؤلاء وقيل ما اشهدتهم
ذلك مستعينا بهم ٥ وقيل ما اشهدتهم خلق انفسهم الا انه لم تشهد بعضهم
خلق بعض كما لم يشهدوا خلق السموات والارض ٥ ومن تعلى ان لم يهتدي
الى نفع نفسه بان يختار الضلال على الهدى لا يجوز ان يتخذه الله
عضدا ومعناه عضد وتدبيره فهو على المهتدي والمضل الا انه
خصوا بالذكر لانه في العقول اولى ان يتخذوا اعوانا واعضادا ومعنى
عضدا اعوانا لان تعالى اعتضده اذا استعان به ٥ وروي ان امير
المؤمنين عليا عليه السلام قيل له في وقت الفتنة التي هيجها معوية لو اجبته الى
بعض ما يلتمس لعل يسكن هذه الفتنة فاعرض عن القائل وتلى قوله وما
كنت متخذ المضلين عضدا قوله جل اسمه ويوم يقول نادوا شركاى الذين
زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ٥ الموبق المهلك
قال الكسائي وبق يوبق وبوقا اذا هلك وقال الزجاج وبق يبق وبقا ٥ وقيل
الموبق الموعد ٥ وقيل عداوة كائنة وقيل عداوة ومهلكة ٥ وقيل الموبق واد
في جهنم من قيح ودم ٥ ومعنى الاية انه تعالى يقول للمشركين يوم القيمة على جهة
التقريع والتوبيخ لما فعلوه من اتخاذ الشركاء ادعوا شركاءكم ليشفعوا لكم
كما زعمتم ٥ ومعنى فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ان شركاءهم ضلوا عنهم وخاب
ظنهم فيهم فلم يشفعوا وجعل الله بين المشركين والشركاء مهلكا حال الفطر بينهم في

الشركا الا استدراكهم فيه وقوله جل اسمه ورأى المجرمون النار فظنوا
انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا معنى الظن هاهنا معنى العلم والمواقعة
ملابسة الشي بشدة ومنه وقايع الحرب والمصرف المعدل ومعنى
الاية ان المجرمين اذا ان اوحهم يوم القيمة علموا يقينا انهم داخلوها
وانه لا معدل لهم عنها وقوله عز وجل ولقد صرفنا في هذا القران للناس من
كل مثل وكان الانسان اكثر شي جدلا اصل الجدل في اللغة شدة الفتل
يقال شي مجدول اذا كان شديد الفتل والجدال في الكلام شدة
البحث عن المذهب بطريقة الحجاج ومعنى الاية ان الله تعالى بين او صرف
الايات في القران على وجه المثل وعبر المثل ليتذكرها الناس ويتعظوا
بها وان كان الانسان كثير الجدل وقد مر بيان نظير هذه الاية في السورة التي
يذكر فيها بنو اسرايل ودلت الاية على حد المناظرة في باب الدين لان الانبيا
عليهم السلم قد جودلوا وهم جادلوا اممهم والمناظرة انما تجري بين الاثنين
فبطل بذلك قول نوابت المشبهة والقدرية المجبرة في انكارهم المناظرة
وقوله سبحانه وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم
الا ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم العذاب قبلا المراد بالهدى هاهنا القران
وما اتى به النبي صلى الله عليه واله ومعنى الاية وما منع الناس ان يومنوا
او يستغفروا ربهم الا انتظار ان تاتيهم سنة الاولين اي سنة الله تعالى في الاولين
من امثالهم الذين كفروا بالله ورسوله والذي ياتيهم هو عذاب الاستيصال
او العذاب بالقتل والحرب وهو معنى قوله او ياتيهم العذاب قبلا لان المحارب
والمقاتل يقابل من يحاربه ويقاتله وتقدير هذا الكلام كانهم قبلها
معهم الا طلب ان تاتيهم سنة الاولين في مجي العذاب من حيث لا يشعرون
او في مقابلة من جانب يرونه فهم في امتناعهم من الايمان بمنزلة من يطلب

هذا العذاب حتى يومنوا بها لانهم لا يومنون حتى يروا العذاب
الاليم وهذا كقول القايل لصاحبه ما منعك ان تعمل هذا الا
انك لم تضرب وقوله سبحانه وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا اياتي
وما انذروا هزوا معناه وما نرسل المرسلين عليهم السلم
الا وناتيهم بالبشارة للمطيعين بما اوجبه الله تعالى لهم من الثواب
والتخويف للعاصين بما اوجبه الله لهم من العذاب ومن الكافرين
يجادلون الرسل والمومنين بالباطل وغرضهم ابطال الحق الذي اتى به
الرسل ظنا منهم انهم يطيقونهم وان كان الكافرون لا حجة لهم ولا
برهان وانهم يستهزون بايات الله التي اتت بها الرسل عليهم السلم
ويسخرون بانذار الرسل اياهم جهلا وتمردا وقوله سبحانه ومن اظلم ممن
ذكر بايات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه معناه لا احد
اظلم لنفسه ممن تكون هذه حاله والمراد بايات الله هاهنا القران
ومعنى ونسي ما قدمت يداه غفل عن العقاب الذي يستحقه على ما جعله
من الكفر والمعاصي وقوله سبحانه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
وفي اذانهم وقرا ذكر الله تعالى على وجه التمثيل سببه حالهم في اعراضهم
عن القران وفهم ما بين الله تعالى فيه مع سلامة احوالهم في توفر الالات
لهم بمن على قلبه كن وغطا وفي اذنيه ثقل وصمم يمنعه عن الفهم والسمع
ويدلك على صحة هذا انهم موبخون ملومون على اعراضهم عن الايات التي
ذكروها ولو كانوا ممنوعين من جهة الله غير متمكنين من فعل ما
دعوا على تركه لكان توبيخهم بتركهم لهم سفها وعبثا والله يتعالى
عنه والاكنة والاكنان الاغطية والوقر الثقل في الاذن والذي يوكر

هذا التأويل قوله تعالى في السورة التي يذكر فيها البقرة وإذا تتلى عليه آياتنا ولى
مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا الآية وقوله تعالى وإن تدعوهم
إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا ه هذا تأنيس للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
عن إيمان القوم الذين أشار إليهم وهم قوم مخصوصون وهذا مثل ما قال في
أولئك الذين أشار إليهم بقوله إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم
تنذرهم لا يؤمنون بين الله تعالى في هذه الآية حال هؤلاء كما بين في تلك الآية
حال أولئك ه معناه إلا أنهم لا يؤمنون أبدا بما تدعوهم إليه النبي صلى الله عليه
وقوله تعالى وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب
بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ه الموئل الملجأ يقال وأل إليه يئل إذا
جاء إليه والغفور كثير المغفرة للعباد ه فوصف الله تعالى نفسه بأنه كثير
المغفرة بأنه ذو رحمة أي ونعمة على عباده وأنه تعالى لا يعاجلهم بالعقوبة
ومن شأنه لو يؤاخذهم بمعاصيهم لعجل لهم العذاب عنه إنه جعل لهم ميقاتا
وأجلا فإذا جاء الوقت وانقضى ذلك الأجل أخذهم بما استحقوه من العذاب
وإذا أخذهم لم يكن لهم مهرب ولا ملجأ وقوله تعالى وتلك القرى أهلكناهم
لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا ه الإشارة بقوله وتلك القرى إلى
أهلك الله أهلها قبل بعثة محمد صلى الله عليه وآله لما ظلموا أنفسهم بارتكابهم
ما نهاهم الله تعالى عنه وتركهم ما أوجب الله عليهم فعله مثل قوم لوط
وعاد وثمود وقوم فرعون ه وبين الله تعالى أنه لم يعاجلهم بالعقوبة لأنه
أملى لهم ودعاهم إلى التوبة وبين لإهلاكهم وقتا وجاء الوعد به فلما بلغوا
ذلك الوقت أخذهم بالعذاب وكذلك سنة الله في أمثالهم وقوله تعالى
وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا ه معناه
واذكر إذ قال موسى لفتاه لما في هذه القصة من العبرة لأنه قصد سفرا

أقتله لقد فعلت أمرا منكرا وهو قوله نكرا ه ومعنى زاكية
طاهرة من الذنوب لأنه روي أن الغلام لم يكن بلغ حد التكليف
قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا ه سأله ثانيا على ما عرفه
أولا ما كان في فطنته منه أن يصبر عليه ولم يكن ذلك توبيخا وإنما
كان جاريا مجرى ما يعاتب الأنبياء عليهم السلام وقوله تعالى قال إن سألتك
عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ه معناه أن
موسى عليه السلام قال للعالم إن سألتك عن شيء بعد ذلك فاقطع
الصحبة بيني وبينك فإنك قد بلغت العذر من قبلي وأنا أعذرك في مفارقتك
إن عدت إلى السؤال ه وروي أن النبي صلى الله عليه وآله تلا هذه
الآية فقال استحيى موسى من الله تعالى وقوله تعالى فانطلقا حتى إذا أتيا
أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد
أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا ه يقال استطعمه إذا
سأله الطعام ومعناه أنهما ذهبا حتى أتيا قرية ولم يكن معهما
طعام فاحتاجا إليه وسألوا أهل القرية الطعام على سبيل ما
يلتمسه الضيف إذا نزل بأحد فأبى أهل القرية ضيافتهما فوجدا
فيها جدارا يريد أن ينقض ~~فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا~~
أي مائلا عن مقره يكاد يسقط فأقام العالم ذلك الجدار ورده إلى
اعتداله حتى استوى واستقام وروي أنه رفع الجدار بيده
فاستقام وكان ذلك معجزا والانقضاض السقوط بسرعة
ومعنى يريد هاهنا يقارب قال الشاعر يريد الرمح صدر أبي براء
ويرغب عن دماء بني عقيل ه فجعل مثل الجدار إرادة ولما أقام
الجدار قال موسى عليه السلام لو شئت لاتخذت عليه أجرا وقوله تعالى

قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه
صبرا قيل معناه هذا الذي قلت فراق بيني وبينك وقيل
هذا الوقت فراق بيني وبينك وقال له احبرك بتأويل ما لم
تستطع عليه الصبر ~~قيل معنا~~ امر الله تعالى وهذا الذي حكى الله
تعلى عن موسى والعالم من العجب لاشيا فاما صبر موسى له وقلة
صبره ومعاودته الى ما نهاه عنه مرة بعد اخرى لما راى من العجب
اذا لعز صبره معه وقوله تعلى اما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة
غصبا قد يكون هذا المعنى خلف وامام وهاهنا معنى امام وقدام
وقيل المراد بقوله وراءهم هاهنا خلفهم لان رجوعهم كان على
ذلك الملك ولم يعلم اصحابه بخبر هولا وكان ذلك الملك ياخذ السفينة
اذا كانت صحيحة سليمة من العيوب ويترك التي بها عيب فبين
له انه انما خرق السفينة لتصير ذا عيب فلا ياخذها الملك
ويبقى في يد اربابها وكانوا مساكين ليس لهم معاش الا من تلك السفينة
وقوله تعلى واما الغلام فكان ابواه مومنين فخشينا ان يرهقهما
طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب
رحما وقيل معنى خشينا هاهنا كرهنا وقيل قوله من قول
العالم والرحم القرابة وقيل رحما ورحم واحد والارهاق
والالحاق والاغشا واحد ومعنى الاية ان العالم عليه السلم
بين العذر في قتله لذلك الغلام بان قال له والداه مومنان
وكان في معلوم الله انه ان بقي هذا الغلام اكثر ابقاه
كفر ابواه ونصيرا بقاوه مفسدة لابويه والله لا يجوز في

حكمته ان يفعل ما هو مفسدة لانه علم ان الابوين وان كانا
قادرين على الكفر فانهما لا يكفران الا عند بقا الولد وليس كذلك
ابقا من يعلم الله انه يكفر وكذلك خلق من علم انه يكفر وبلغه
لانه اذا اخره وابقاه لم يفعل ما يعلم انه يفسد غيره بل انما يصلح
غيره لانه لا يجوز ان يصلح ويومن عندما سواه واذا لم يخلقه
يفارق ما هو مفسدة لانه لا يستفسد بخلقه اياه وابقايه ممكنه
لان الشي انما يكون مفسدة اذا كان العبد مع قدرته على الشي لا يفعله
الا عند امر اخر فاذا لم يكن باقيا ممكنا لم يكن له اجرا ولا سابق في هذا
ما بين الغلام وابويه وهذا السوال يوجب ان يحول الله بين
العبد والمعصية ولو وجب في العفو هذا لوجب ان يعلمه كل عاقل ولو كان
كذلك لما استحق احد بالايمان وترك الكفر مدحا ولا ثوابا ولما كان
ابقا الغلام مفسدة لابويه وكانا يكفران بسببه فامر الله تعلى
العالم بقتله لئلا يلحق ابويه ما حكى الله تعلى وان يبدل الابوين ما
هو خير منه واقرب رحما معناه ابر بوالديه وقيل واقرب ان يرحماه
ومن العلما من قال ان ذلك العالم كان الخضر عليه السلم وسمي خضرا
لانه اذا صلى في موضع اخضر ما حوله ولا يجوز ان يكون الا نبيا لانه
لا نبي بعد نبينا صلى الله عليه وقوله تعلى واما الجدار فكان لغلامين
يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك
ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن
امري ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا معناه ذلك الجدار
الذي اقمته كان لغلامين يتيمين وكان تحت الجدار كنز لهما وابوهما
كان صالحا فاراد الله ان يبلغا مبلغ الرجال بكمال العقل ويستخرجا

ذا الكنز

كنزهما من تحت الجدار وكان ذلك رحمة من الله تعالى عليهما وانا
لم افعل شيا مما رايته مني من ذات نفسي وانما فعلته بامر الله تعالى
وهذا الذي ذكرته لك هو تاويل ما لم تستطع عليه صبرا ه وقيل في
ذلك الكنز وجوه ثلثة احدها انه كان صحف علم وقيل كان لوحا
من ذهب وقيل كان كنز المال وقوله جل اسمه ويسلونك عن ذي القرنين
قل سأتلو عليكم منه ذكرا ه معناه ان القوم يسلونك عن ذي القرنين
فقل لهم اتلو عليكم ذكره اذا اوحى الله به ه وقيل سمي ذا القرنين
لانه في ذؤابته قرنين ه وقيل لانه ضرب على جانبي راسه ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام وانك لذو قرنيها يعني هذه الامة
وقيل سمي ذا القرنين لانه كان له ظفيرتان ه وقيل سمي لانه بلغ قطري
الارض من المشرق والمغرب وقوله جل اسمه انا مكنا له في الارض واتيناه من
كل شيء سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب
في عين حمئة ووجد عندها قوما ه معناه اتينا ذا القرنين من كل
شيء علما يتسبب الى ما يريده فاتبع سببا يعني طرقا ما بين المشرق
والمغرب ه وقيل واتيناه من كل شيء سببا يستعين به على الملوك
وفتح الفتوح ه وقيل الاعدا في الحرب وكان له سبب يمكنه الاستعانة
به فقصد الملوك والكتايب فاتبع سببا يعني طريقا يوصله الى الاعدا
وفتح الفتوح حتى سار وبلغ موضعا لم يبلغه احد من الناس ووجد
الشمس كانها لسعتها لا يبلغ طرف الرائي ما وراها كان من
كان في البحر لا يرى الشط وراى الشمس كانها تغرب في البحر
ومن المفسرين من حمل الآية على حقيقة ظاهرها وقال غربت الشمس في
عين حمية ذات حماة يقال حمات البير اذا صارت ذات حماة وحميتها اخرجت

حماتها ومن قرا حامية اراد حارة فوجد ذو القرنين عند مغرب
الشمس قوما كفارا وقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب
واما ان تتخذ فيهم حسنا ه معناه خير الله ذا القرنين بين ان
تقتلهم او تعفو عنهم وتستصلحهم وهو معنى قوله ان تتخذ فيهم
حسنا بان تاسرهم وتعلمهم الهدى وتستنقذهم من العمى
قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا ه معناه
من كفر وظلم نفسه بالكفر فسوف نعذبه بقتلهم ويعذبهم الله في الاخرة
عذابا نكرا اي منكرا تستنكره النفوس وقيل انه اعظم ما تنكره الناس
بالطبع والعقل وقوله جل اسمه واما من عمل صالحا فله جزا الحسنى وسنقول
له من امرنا يسرا ه معناه من امن بالله فسنامره من طاعة الله بما لا يكون
ثقيلا عليه يسيرا مع ان الحسنى له وذكر منه وقوله جل اسمه حتى اذا بلغ
مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ه
مطلع الشمس هو الموضع الذي تطلع الشمس منه وذلك الموضع ليس
وراه احد من الناس ومعنى الآية ثم اتبع سببا لمحاربته اعدا الله
حتى بلغ مطلع الشمس وروي انه لم يكن في تلك الناحية الارض جبل ولا
شجر ولا نبات وما كانت ارضهم تثبت بناء وكانوا اذا طلعت الشمس
يغورون في المياه ويسربون في الاسراب فلهذا قال لم نجعل لهم من
دونها سترا واذا غربت الشمس خرجوا من السرب والمياه وتصرفوا
في الامور والاشغال وقوله جل اسمه كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا ه
اي كذلك علمنا القوم وعلمنا ذا القرنين وقيل بعدته وكذلك اتبع سببا
الى مطلع الشمس كما اتبع الى مغرب الشمس وقوله تعالى ثم اتبع سببا
حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا

قيل السدان جبلان وقيل السُد بالضم من فعل الله والسَد بالفتح من
فعل الآدميين وقال الكسائي هما لغتان بمعنى واحد ومعنى الآية ثم
اتبع ذو القرنين طريقا ومسلكا حتى بلغ بين السدين فوجد عندهما
قوما لا يفقهون ما تتكلمون به الا بعد بطوء وقالوا ما حكى
الله تعالى عنهم اما بترجمة واما باشارة كالحكاية وقوله جل اسمه قالوا
يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك
خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قيل ياجوج وماجوج هما
من اجناس الناس ولو صح هذا لانصرف وهو لا ينصرف فلعله
ان ياجوج وماجوج معا وعاد وعاد وسحاسو اسماء فلم يصرفه
وقيل ياجوج وماجوج من بني آدم ويقال انهم من ولد يافث بن نوح ويقال
الترك واهل الصين من ولد يافث ايضا غير ان ياجوج وماجوج اعتزلوا
في ذلك الموضع فساعدوا امر الناس لكثرة فسادهم وصعب على الناس
مجاورتهم ومقاربتهم وسار ذو القرنين حتى بلغ بين السدين فوجد
قوما لا يفقهون قولا اي ما يكلمون به الا بعد بطوء فقالوا اما حكى الله
عنهم اما بترجمة مترجم واما باشارة فقالوا الخرج من اموالنا خرجا لتجعل
بيننا وبين ياجوج وماجوج سدا وكان ياجوج وماجوج يأتون السدين
ولم يكن لهم سبيل الى مجاوزة الجبلين لارتفاعهما وكان مسلكهم
انقطاع الجبلين كانوا يخرجون منه وهذا معنى قوله قالوا يا ذا القرنين
ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا
وبينهم سدا وقيل الخرج المصدر لما اخرج من المال والخراج
الاسم لما اخرج من الارض وغيره وقوله جل اسمه قال ما مكني فيه ربي
خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما معناه قال لهم ذو

القرنين ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم
وبينهم ردما الذي من المال فاعينوني بانفسكم وقيل برجال
اقوياء اجعل بينكم سدا حاجزا وهو معنى الردم وقيل الردم السد
المتراكب بعضه على بعض وقيل الخراج الغلة والاجر الخرج
وقوله جل اسمه اتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين
الزبر قطع الحديد واحدها زبرة واصل الزبرة الجملة المجتمعة من الحديد
والشعر وغيرها والصدفان جبلان ومعناه انه جعل زبر الحديد بين
قرني الجبلين حتى وارى بهار وسواه وفي الصدفين ثلاث لغات ضم الصاد
والدال وفتحهما وضم الصاد وتسكين الدال قال الراجز قد اخذت ما بين
عرض الصدفين ناحيتها واعالي الركنين وقوله جل اسمه قال انفخوا حتى
اذا جعله نارا قال اتوني افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما
استطاعوا له نقبا القطر النحاس وقيل هو الحديد المذاب رواه ابو عبيدة
قال الشاعر حسام كلون الملح صاف حديده جراز من اقطار الحديد المنعت
وجعله بعضهم الرصاص ومعنى الآية ان ذا القرنين قال لهم انفخوا
على النار بعدما شد بين الجبلين زبر الحديد ودعا بالنحاس فاذابه عليه
حتى صار حايطا من حديد كالمصمت فما استطاع ياجوج وماجوج ان يعلوه ولم
يستطيعوا ان يجعلوا له نقبا في اسفله وفي يستطاع ثلاث لغات اسطاع
يسطيع واسطاع يسطيع بحذف التاء واستاع يستيع بحذف الطاء
واصل اسطاع اطاع يطيع فجعلوا السين عوضا من حركة العين
الذاهبة وقوله جل اسمه قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله
دكا وكان وعد ربي حقا معناه ان ذا القرنين قال هذا السد
رحمة من ربي اي نعمة فاذا جاء اشراط الساعة جعله الله دكا مستويا بالارض

وهذا اللفظ ماخوذ من قولهم داله دكا لا سنام له
يكون بعد قتل عيسى بن مريم عليه السلام الدجال وفي رواية عبد الله بن مسعود
وفي رواية لا بد من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يكون بعد قتل المهدي
عليه السلام الدجال لانهم رووا ان فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتل
السفياني اولا وتقاتل الدجال اخرا ويكون ذلك قبل اشراط الساعة
فعلى هذا القول وعد الله هو وقت خروج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه
وعلى القول الاول هو وعد القيامة وانما كان وعد الله حق وانه لا محاله
وورد في الرواية ان هذا السد هو وراء البحر الذي من جبلين هناك
ويلي موجها البحر المحيط وطول ارتفاع السد في الهوا قدر مائتي ذراع
وانه من حديد مسبك المصمت وعرضه مقدار خمسين ذراعا وعلى السد
على الباب اقفال عظام وفي ذلك الموضع يوم يعمل الناس فاذا احسوا من خروج
وما خرج حركوا حلقة الباب فيعرفون من وراه وروي ان بعض الملوك
بعث واحدا ليعرف حال السد فذهب اليه فبلغه ووقف عليه ولما اراد
الانصراف صار من الترك الى سمرقند ثم صار الى الملك الذي وجهه
وقوله جل اسمه وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم
جمعا الترك ضد الاخذ والترك على الحقيقة لا يجوز على الله تعالى
فجعل الله ضد نفسه انا هم تركا توسعا ومجازا والموج اضطراب
اخر الماء متراكب بعضها بعضا فشبه حال هولاء في اختلاطهم بموج الماء
واضطرابه وهذا يكون قرب النفخة الاولى فاذا نفخ في الصور هلكوا والصور
قرن ينفخ فيه وروي انه ينفخ فيه ثلث نفخات الاولى نفخة الفزع الثانية
نفخة الصعقة الثالثة نفخة القيام لرب العالمين وهو قوله ونفخ في
الصور فجمعناهم جمعا وروي عن الحسن انه قال الصور